

تأليف

الإمام الحافظ عز الدين عبد الرازق بن رزق الله الرسعني الحنبلي

(٥٨٩ - ٦٦١هـ)

دراسة وتحقيق

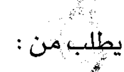
أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الجزء الثامن

أ. د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

يطلب من :



مكتبة الأسدي للنشر و التوزيع



مكة المكرمة ـ العزيزية ـ مدخل جامعة أم القرى ت ـ ٥٥٧٠٥٠٦ فاكس ـ ٥٥٧٥٢٤١
فرع العزيزية الشارع العام ت ـ ٥٢٧٣٠٣٧ ص . ب ٢٠٨٣

سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى وعشرون آية في المدني، واثنتان في الكوفي[1].

وهي مدنية في قول ابن عباس وعامة المفسرين.

واستثنى ابن السائب قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾[2].

وقال عطاء: من أولها إلى رأس عشر آيات مدني، وباقيها مكي[3].

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾

قولُه تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعُه الأصوات. لقد جاءت المجادلة خولة إلى رسول الله ﷺ وكلمته في جانب البيت وما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله... إلى آخر الآية﴾[4].

و"قَدْ" هاهنا على أصلها للتوقُّع؛ لأن الرسول ﷺ والمجادلة توقعا أن يسمع الله مجادلتهما وشكواهما، ويُنزل فيهما ما عساه يكون راحة لها.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٢).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ٥٤).

(٣) انظر: الماوردي (٥/ ٤٨٧)، وزاد المسير (٨/ ١٨٠).

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً (٦/ ٢٦٨٩).

واسم المجادِلَة: خولةُ في قول عامة المفسرين؛ لكن اختلفوا في أبيها[(١)]؛

فقال عكرمة وقتادة: خولة بنت ثعلبة[(٢)].

وبعضهم يقول: خولة بنت مالك بن ثعلبة[(٣)].

وقيل: بنت خويلد[(٤)].

قال الماوردي[(٥)]: وليس هذا بمختلف؛ لأن أحدهما أبوها والآخر جدها.

وروى خُليد بن دعلج، عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم[(٦)].

وقيل: بنت دليج[(٧)].

---

(١) قال ابن الجوزي (زاد المسير: ٨/ ١٨١): وفي اسم هذه المجادلة ونسبتها أربعة أقوال:

أحدها: خولة بنت ثعلبة. رواه مجاهد عن ابن عباس وبه قال عكرمة وقتادة والقرظي.

والثاني: خولة بنت خويلد. رواه عكرمة عن ابن عباس.

والثالث: خولة بنت الصامت. رواه العوفي عن ابن عباس.

والرابع: خولة بنت الدليج. قاله أبو العالية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢)، عن قتادة. وفيه: خويلة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٤) وعزاه لعبد بن حميد عن عكرمة.

(٣) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٣٩٩)، عن يوسف بن عبد الله ابن سلام.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣). والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٥ ح ١١٦٨٩). كلاهما عن ابن عباس، وفيهما: خويلة بنت خويلد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٧)، وعزاه للطبراني.

(٥) تفسير الماوردي (٥/ ٤٨٧).

(٦) أخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٣٩٨)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ١). وفيه: خويلة. والبيهقي في السنن (٧/ ٣٨٤ ح ١٥٠٣٣). كلاهما عن أبي العالية. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٨)، وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه والبيهقي في السنن.

وقيل: هي جميلة، امرأة أوس بن الصامت[١].

والصحيح: أنها خولة بنت ثعلبة.

قال ابن عباس وغيره: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه، وكان أولَ من ظاهر في الإسلام أوسُ بن الصامت، ثم ندم وقال لامرأته: انطلقي إلى رسول الله ﷺ فسليه، فأتته ﷺ فسألته عن ذلك، وقالت: يا رسول الله! أوس بن الصامت أبو ولدي وابن عمي وأحب الناس إليّ، وقد ظاهر مني، وقد نسخ الله سُنَنَ الجاهلية، فقال: ما أراكِ إلا قد حرمتِ عليه، فقالت: يا رسول الله! ما ذكر طلاقاً، فقال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فهتفتْ وشَكَتْ إلى الله وبَكَتْ، وجعلت تُراجع رسول الله ﷺ وتقول: إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليّ جاعوا، فبينا هي في ذلك إذ تَرَبَّدَ[٢] وجهُ رسول الله ﷺ، وأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي عليه، فلما قضي الوحي قال: ادعي لي زوجك، فجاءا فتلا عليه: ﴿قد سمع الله ...﴾ وبيّن له حكم الظهار[٣].

وقد ذكرنا فيما مضى اشتقاق الجدل.

وزوجها أوس بن الصامت أخو عبادة، في قول جمهور أهل النقل.

وروى خليد بن دعلج عن قتادة: أنها خولة بنت حكيم، امرأة عبادة بن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦)، عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) تَرَبَّدَ: أي: تغيّر إلى الغَبرة، وقيل: الربدة: لون بين السواد والغبرة (انظر: النهاية، مادة: ربد).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٥ ح١١٦٨٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٦) وعزاه للطبراني.

الصامت[١].

قال الحافظ ابن عبدالبر[٢]: هذا وهم، وخُليد ضعيفٌ سيء الحفظ[٣]، وإنما هي امرأة أوس بن الصامت، على الاختلاف في اسم أبيها.

﴿وتشتكي إلى الله﴾ يقال: اشتكى يشتكي، بمعنى: شكا يشكو.

والمحاورة: مراجعة الكلام، وأنشدوا قول عنترة في فرسه:

لو كانَ يَدري ما المحاورةُ اشتكى ولكانَ لَوْ عَلِمَ الكلامَ مُكلِّمي[٤]

وفي الحديث: أن عمر بن الخطاب خرج ومعه الناس، فمرّ بعجوز فاستوقفته، [فوقف][٥] فجعل يحدثها وتحدثه، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين! حبستَ الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك تدري مَن هذه، [هذه][٦] امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات، فعُمَر والله أحق أن يسمع لها، هذه خولة بنت ثعلبة التي أنزل الله في حقها: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾، والله لو أنها وقفت إلى الليل ما فارقتها إلا للصلاة ثم أرجع إليها[٧].

---

(١) سبق تخريج حديث خليد ص:٤.

(٢) الاستيعاب (٤/ ١٨٣١).

(٣) انظر أقوال العلماء في خُليد هذا (الكامل لابن عدي ٣/ ٤٧، وميزان الاعتدال ١/ ٦٦٣).

(٤) البيت لعنترة، وهو في: الخصائص (١/ ٢٤)، وزاد المسير (٨/ ١٨٢).

(٥) في الأصل: فوف. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٠) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن زيد.

ﭐلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ﭐلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ﭐلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ﭐللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَﭐلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَﭐللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِﭐللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ﭐللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم﴾ قرأ عاصم: "يُظَاهِرُونَ" بضم الياء وتخفيف الظاء، وبعدها ألف وكسر الهاء وتخفيفها، من ظَاهَرَ يُظَاهِرُ. وقرأ الحرميان وأبو عمرو: بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء وفتحها من غير ألف، من ظَهَّرَ، مثل: ضَعَّف. وقرأ الباقون كذلك، إلا أنهم أثبتوا ألفاً بعد الظاء، وخففوا الهاء، وكذلك الموضع الثاني[1].

قال أبو علي[2]: هو مضارع تَظَهَّرَ يتظَهَّرُ، مثل: تكرَّمَ يتكَرَّم، والجميع: يتظهّرون، مثل: يتكرّمون، ثم أدغمت التاء في الظاء فصار: يظهَّرون، وقراءة الباقين مضارع تَظَاهَرَ يتَظَاهَرُ، مثل: تَضَارَبَ يتَضَارَبُ، وللجميع: يتظاهرون، ثم أدغمت التاء في الظاء لمقاربتها لها.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٣)، والكشف (٢/ ٣١٣)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١١)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٢) الحجة للفارسي (٣/ ٢٨٠).

وقرأ ابن مسعود: "يتظاهرون"[١].

وقرأ أبي بن كعب: "يتظهّرون" بتاء بعد الياء على الأصل[٢].

ومعنى ذلك: أن يقول الرجل لزوجته: أنت عليّ كظهر أمي.

وسُمِّي ظِهاراً؛ لأنه قُصد به تحريم ظهرها عليه، وقد كان في الجاهلية طلاقاً بائناً لا رجعة فيه ولا إباحة بعده، فرجع إلى ما أقرّه الله عليه وذكره هاهنا.

قوله تعالى: ﴿ما هن أمهاتِهم﴾ وروى المفضل عن عاصم: برفع التاء وضم الهاء[٣]، والقراءتان على اللغتين الحجازية والتميمية.

قال الفراء في قراءة المفضل[٤]: هي لغة نجد، وأنشد:

ويزعُمُ حَسْلٌ أنه فَرْعُ قومِهِ ... وما أنتَ فرعٌ يا حُسَيلُ ولا أصلُ[٥]

والمعنى: لَسْنَ [بأمهاتهم][٦].

﴿إنْ أمهاتهم﴾ أي: ما أمهاتهم على الحقيقة ﴿إلا اللائي ولدنهم وإنهم﴾ يعني: المظاهرين ﴿ليقولون منكراً من القول﴾[٧] لا يُعرف في شريعة ﴿وزوراً﴾ كذباً وباطلاً ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ فلذلك تجاوز عنهم، وشرع لهم الكفارة.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ١٨٢)، والبحر (٨/ ٢٣١).

(٢) انظر: المصدرين السابقين.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٣)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٣٩).

(٥) البيت لعمرو بن خويلد، وهو في: الإنصاف (٢/ ٦٩٤)، وزاد المسير (٨/ ١٨٣).

والحِسْل: ولد الضب (اللسان، مادة: حسل).

(٦) في الأصل: بأمهاتهن. والتصويب من ب.

(٧) في الأصل زيادة قوله: ﴿وزوراً﴾ وستأتي بعد قليل.

قوله تعالى: ﴿والذين يظَّهَّرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ قال صاحب الكشاف[١]: يعني: والذين كانت عادتهم أن يقولوا هـذا القـول المنكـر فقطعـوه بالإسلام، ثم يعودون لمثله، فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يَماسَّ المظاهر منها.

ووجه آخر: "ثم يعودون لما قالوا": ثم يتداركون ما قالوا؛ لأن المتدارك للأمر عائد إليه. والمعنى: أنَّ تدارك هذا القول بأن[٢] يكفّر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار.

ووجهٌ ثالث: وهو أن يراد بما قالوا: ما حرموه عـلى أنفـسهم بلفـظ الظهـار، تنزيلاً للقول منزلة المقول فيه، ويكون المعنى: ثم يريدون العود للتَّماس. هذا تمـام كلامه. وهذا الوجه الثالث هو قول سعيد بن جبير[٣].

المعنى: يريدون أن يعودوا للجماع.

قال الحسن وطاووس والزهري: العَوْدُ: الوَطْء[٤].

وقال الشافعي: العَوْد: هو أن يُمسكها بعد الظهار مدةً يمكنـه [طلاقهـا][٥] فيها فلا يطلقها، فإذا وجد هذا استقرت عليه الكفارة[٦].

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٨٥-٤٨٦).

(٢) قوله: "بأن" مكرر في الأصل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٣).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٦/ ٤٢٢ ح١١٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٧٥) وعـزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن طاووس. وانظر: المغني (٨/ ١٣).

(٥) في الأصل: طلاقه. والتصويب من ب.

(٦) انظر: الأم (٥/ ٤٠٠)، والمغني (٨/ ١٤).

وقال شيخنا الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي[١]: العَوْدُ: هو الوطء، في ظاهر كلام أحمد والخرقي.

قلت[٢]: وهذا مذهب الحسن وطاووس والزهري.

قال أحمد: العَوْدُ: الغشيانُ؛ لأن العَوْدَ في القول [فعلُ][٣] ضدّ ما قال، كما أن العَوْدَ في الهبة: استرجاعُ ما وَهَبَ، فالمظاهر مَنَعَ نفسَه غشيانَها، فعودُه في قوله غشيانُها.

وقال القاضي أبو يعلى وأصحابه: العَوْد: العزم على الوطء[٤].

وهو مذهب أهل العراق[٥].

قال البغوي: وهو مذهب أحمد ومالك رحمهما الله؛ لأن الله تعالى أمر بالتكفير عقيب العود [وقبل][٦] التماس بقوله: ﴿ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾، وعلى كلا القولين لا يحل له الوطء قبل التكفير؛ لقوله سبحانه: ﴿من قبل أن يتماسا﴾، فإن وطئ أَثِمَ واستقرت الكفارة عليه.

وقال الزهري: عليه كفارتان.

وقال أبو حنيفة: تسقط الكفارة والظهار، ثم لا يحل له وطؤها ثانية حتى يُكفِّر.

---

(١) في الكافي (٣/ ٢٦٠).

(٢) أي المصنف.

(٣) زيادة من الكافي (٣/ ٢٦٠).

(٤) إلى هنا انتهى النقل من الكافي.

(٥) تحفة الفقهاء (٢/ ٢١٤).

(٦) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

فإن فات الوطء بموت أحدهما [أو فرقتهما](١) فلا كفارة عليه. وإن عاد فتزوجها لم تحل له حتى يُكفِّر(٢).

وقال أبو الخطاب: إن كانت الفرقةُ بعد العزم فعليه الكفارة. وهذا مقتضى قول من وافقه. وقد صرح أحمد بإنكاره، وكذلك قال القاضي: لا كفارة عليه.

فصل

وفي التلذّذ بالمُظاهَر منها قبل التكفير بما دون الجماع؛ كالقبلة واللمس، عن الإمام أحمد روايتان:

[إحداهما](٣): يحرم؛ لأن ما حَرَّمَ الوطءَ من القول حَرَّمَ دواعيه، كالطلاق.

والثانية: لا يحرم؛ لأن المسيس هاهنا كناية عن الوطء، فيقتصر عليه(٤).

فصل

وشذَّ داود بن علي الأصبهاني فقال: العَوْد: هو إعادة اللفظ ثانياً(٥).

قال الزجاج(٦): هذا قول من لا يدري اللغة.

وقال أبو علي(٧): قد يكون العَوْد إلى شيء لم يكن الإنسان عليه قبل، وسُميت

---

(١) في الأصل: وفرقتهما. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٨/ ١٢).

(٣) في الأصل: أحدهما. والتصويب من ب.

(٤) انظر: المغني (٨/ ١٠).

(٥) انظر: المغني (٨/ ١٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٣٥).

(٧) الحجة للفارسي (١/ ٣٣١-٣٣٢).

الآخرة مَعاداً، [ولم يكن][1] فيها أحد ثم عاد إليها. قال الهذلي:

وعَادَ الفتى كالطفلِ[2] ليسَ بقائلٍ   سوى الحقِّ شيئاً واستراحَ العواذِلُ[3]

وقال ابن قتيبة[4]: من توهَّمَ أن الظهار لا يقع حتى يلفظ به ثانية فليس بشيء؛ لأن الناس قد أجمعوا أن الظهارَ يقع بلفظ واحد. وإنما تأويل الآية: أن أهل الجاهلية كانوا يطلِّقون بالظهار، فجعل اللهُ حُكم الظِّهار في الإسلام خلاف حكمه عندهم في الجاهلية، وأنزل: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم﴾ يعني: في الجاهلية ﴿ثم يعودون لما قالوا﴾ يعني: في الإسلام، أي: يعودون لما كانوا يقولونه من هذا الكلام ﴿فتحرير رقبة﴾ أي: فعليهم أو فكفَّارتهم تحرير رقبة، أي: عتقها.

وفي اشتراط كونها مؤمنة؛ عن الإمام أحمد؛ روايتان[5].

ولا تجزئ إلا رقبة سليمة من العيوب المضرة بالعمل ضرراً بيّناً؛ لأن المقصود تمليكُ العبد منفعة نفسه وتمكّنه من التصرف، فلا يجزئ الأعمى ولا الزمن ولا مقطوع اليد أو الرجل، ولا مقطوع الإبهام أو السبابة أو الوسطى، ولا مقطوع الخنصر والبنصر من يد واحدة، وقطع أنملتين من أصبع كقطعها، ولا يمنع قطعُ أنملة واحدة إلا الإبهام لأنها أنملتان، فذهاب إحداهما مضر بالعمل؛ كقطعها[6].

---

(١) في الأصل: ويكن. والتصويب من ب، والحجة للفارسي (١/ ٣٣٢).

(٢) في جميع مصادر تخريج البيت: كالكهل.

(٣) البيت لأبي خراش الهذلي، وهو في: الأغاني (١٠/ ٢١٨، ٢١/ ٢١٨)، والحجة للفارسي (١/ ٣٣٢)، والطبري (١/ ٣٢٧)، والقرطبي (٧/ ٣٠١، ١٥/ ٩)، وزاد المسير (٨/ ١٨٤).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٧).

(٥) انظر: المغني (٨/ ١٨).

(٦) انظر: المغني (٨/ ١٨).

ولا يجزئ الأخرس، إلا أن تُفهم إشارته، فيجزئ على قول القاضي وأبي الخطاب، إلا أن يجتمع معه الصمم، فلا يجزئ بغير خلاف عندنا(١).

ولا يجزئ المجنون، إلا أن تكون إفاقته أكثر.

فصل

ويجزئ الأعور، والأجدع، والخصي، والمجبوب؛ لأنه كالسليم فيما ذكرناه، ويجزئ المرهون، والجاني، والمُدَبَّر، وولد الزنى، والمريض المرجو برؤه، والهزيل القادر على الكسب، والغائب، إلا أن يُشَكَّ في حياته(٢).

فصل

ولا يجزئ عتق الجنين؛ لأنه لم تثبت له أحكام الرقاب(٣).

فإن أعتق صبياً فقال القاضي: يجزئ في جميع الكفارات إلا كفارة القتل، فإنها على روايتين.

وقال أبو بكر عبدالعزيز: يجزئ الطفل في جميع الكفارات؛ لأنه تُرجى منافعه وتصرّفه، فهو كالمريض المرجوّ زوال علته.

قوله تعالى: ﴿ذلكم﴾ قال الزجاج(٤): ذلكم التغليظ في الكفارة.

﴿توعظون به﴾ لتتركوا الظهّار.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يجد﴾ أي: فمن لم يستطع عتق رقبة ﴿فصيام﴾ أي: فعليه

---

(١) انظر: المغني (٨/ ١٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: المغني (٨/ ٢٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٣٥).

صيام ﴿شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾، فإن شرع في أول شهر أجزأه صيام شهرين بالأهلة، تامين كانا أو ناقصين. وإن دخل في أثناء شهر صام شهراً بالهلال وأتم الشهر الذي دخل فيه بالعدد(١).

فإن أفطر يوماً لغير عذر لزمه استئناف الشهرين؛ لأنه أمكنه التتابع وقد قطعه لغير عذر.

وإن أفطر لعذر من مرض مَخُوفٍ أو جنون أو إغماء لم ينقطع.

وإن أفطر في السفر؛ فظاهر كلام الإمام: أنه لا ينقطع التتابع؛ لأنه عذر مبيح للفطر أشبه المرض(٢).

وخرّج بعض أصحابنا وجهاً: أنه ينقطع التتابع.

والحامل والمرضع إن خافتا على أنفسهما فهما كالمريض، وإن خافتا على ولديهما فعلى وجهين.

والحيضُ عذر شرعي فلا ينقطع [به التتابع](٣).

ومن أكل يظن أن الشمس قد غابت، أو أن الفجر لم يطلع فبان بخلافه أفطر، وفي انقطاع التتابع وجهان.

[وإن](٤) نسي التتابعَ أو تركه جهلاً بوجوبه انقطع.

والفطر لأجل العيد وأيام التشريق لا يقطع التتابع.

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٣٠).

(٢) انظر: المغني (٨/ ٣١).

(٣) في الأصل: التتابع به. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: أو. والتصويب من ب.

وإن قطع الصوم بصوم رمضان لم ينقطع التتابع.

وإن كان عليه نذرُ صوم كلّ خميس قَدَّمَ صوم الكفارة وقضاه بعد ذلك وكَفَّرَ؛ لأنه لو صامه لم يمكنه التكفير بحال.

فصل

فإن وطئَ المظَاهَرَ منها في ليالي الصوم لزمه الاستئناف؛ لقوله تعالى: ﴿من قبل أن يتماسا﴾.

وقيل: لا ينقطع التتابع؛ لأنه وطءٌ لا يُفطر به، فلم يقطع التتابع؛ كوطء غيرها.

قوله تعالى: ﴿فمن لم يستطع﴾ أي: لم يقدر على الصيام؛ لكبرٍ أو مرض غيرِ مرجو الزوال، أو شبق شديد أو نحوه ﴿فإطعام﴾ أي: فعليه أن يطعم ﴿ستين مسكيناً﴾.

فصل

الواجبُ أن يدفع إلى كل مسكين مُدّ بر، أو نصف صاع من تمر أو شعير[1]؛ لما روى الإمام أحمد في مسنده: «أن امرأةً من بني بياضة جاءت إلى النبي ﷺ بنصف وسق شعير، فقال النبي ﷺ [للمظاهِر][2]: أطعم هذا، فإن مُدَّيْ شعير مكان مُدِّ بُرّ»[3].

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٢٤)، والكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل: لمظاهر. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحارث في مسنده عن أبي يزيد المدني (بغية الباحث ١/ ٥٥٧)، وفيه: فإنه يُجزئ مكان كل نصف صاع من حنطة صَاعٌ من شعير.

فصل

ويجزئه في الإطعام ما يجزئه في الفطرة، سواء كان قوت بلده أو لم يكن. فإن أخرج غيرها من الحبوب التي هي قوت بلده أجزأه؛ لقوله: ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ [المائدة:٨٩].

فإن أخرج غير قوت بلده خيراً منه جاز.

وقال القاضي: لا يجزئ إخراج غير ما يجزئ في الفطرة.

قال شيخنا[١]: والأول أجود؛ لموافقته ظاهر النص.

ويجزئ إخراج الدقيق إذا بلغ قدر مُدّ من الحنطة.

وفي الخبز روايتان:

إحداهما: يجزئ؛ لقوله: ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾ [المجادلة:٤].

والثانية: لا يجزئ؛ لأنه خرج عن صفة الكمال والادخار، أشبه الهريسة. فإذا قلنا يجزئه اعتبر أن يكون من مُدّ بر، أو من نصف صاع شعير[٢].

قال الخرقي: لكل مسكين رطلاً خبزٍ؛ لأن الغالب أنهما لا يكونان إلا من مُدّ فأكثر.

وفي السَّويق وجهان؛ بناء على الروايتين في الخبز.

ولا تجزئ الهريسة وأمثالها؛ لأن ذلك خرج عن الاقتيات المعتاد، ولا القيمة؛ لأنه أحد ما يُكَفَّرُ به، فلم تجز القيمة فيه؛ كالعتق[٣].

---

(١) في الكافي (٣/ ١٧٠).

(٢) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

ولا تجزئ كفارة إلا بالنية[١]؛ لقوله ﷺ: «إنما لامرئ ما نوى»[٢].

فصل

ولا يجوز تقديم الكفارة على سببها. فإن كَفَّرَ بعد السبب وقبْل الشرط؛ جاز. وإن كَفَّر عن الظهار بعده وقبْل العَوْد وعن اليمين بعدها وقبْل الحنث؛ جاز[٣].

فصل

ولا فرق في الظهار بين الظَّهْر وغيره من الأعضاء. فلو قال: أنت عَلَيَّ كبطن أمي أو فخذها أو يدها أو رجلها أو غير ذلك من الأعضاء التي يقع الطلاق بإضافته إليه، كان مُظاهراً، فيخرج من ذلك الشعر والسن والظفر. [هذا][٤] مذهب إمامنا، وبه قال الشافعي في أصح قوليه[٥].

وقال أبو حنيفة: إن شَبَّهَهَا ببطن أمه أو فرجها أو فخذها فهو [ظهار][٦]؛ كالظَّهر، وإن شبهها بعضو آخر سواها فليس بظهار. فإن قال: أنت عَلَيَّ كأمي أو مثل أمي فهو مظاهر، إلا أن يريد به الكرامة والمنزلة[٧].

وعن أحمد: لا يكون مظاهراً[٨] حتى ينوي به الظِّهَار.

---

(١) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٥١ ح٤٧٨٣).

(٣) انظر: الكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ٢٧٥).

(٤) في الأصل: وهذا. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٨/ ٩).

(٦) في الأصل: ظاهر. والتصويب من ب.

(٧) انظر: بدائع الصنائع (٣/ ٢٣١).

(٨) في ب: ظهاراً.

وإن قال: أنت كأمي أو مثلها فليس [بظهار][1] حتى ينوي به؛ لأنه في غير التحريم أظهر.

وعند أبي الخطاب: هي كالتي قبلها.

قال شيخنا[2]: وقياس المذهب: أنه إن وجدت قرينة صارفة إلى الظهار، فهو ظهار، وإلا فلا.

فصل

وغيرُ الأم من ذوات المحارم كالأم؛ فلو قال: أنت عَلَيَّ كظهر جدتي أو أختي أو عمتي أو خالتي؛ فهو ظهار. وإن شبهها بمن تحرم عليه بالرضاع أو المصاهرة فكذلك[3].

وللشافعي في الصورتين قولان[4].

غير أن الصحيح في المشبَّهَة بمن تحرم بسبب الرضاع: أنه ظهار. والصحيح في المشبَّهَة بسبب المصاهرة: أنه ليس بظهار.

وإن قال: أنت عَلَيَّ كظهر البهيمة لم يكن مظاهراً[5].

وإن قال: أنت عَلَيَّ كظهر أبي، ففيه عن الإمام أحمد روايتان:

إحداهما: أنه ظهار؛ لأنه شبهها بمحل محرّم على التأبيد.

---

(١) في الأصل: بظاهر. والتصويب من ب.

(٢) في الكافي (٣/ ١٦٥).

(٣) انظر: المغني (٨/ ٥).

(٤) انظر: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٣١-٤٣٢).

(٥) انظر: المغني (٨/ ٥).

والأخرى: ليس بظهار؛ لأنه ليس محلاً [للاستمتاع][1].

فصل

فإن قال: أنت طالق كظهر أمي؛ طلقت ولم يكن ظهاراً؛ إلا أن ينويهما، فيكون طلاقاً وظهاراً.

وإن نوى الظهار وحده بلفظ الطلاق لم يكن ظهاراً؛ لأنه صريح في موجبه، فلم ينصرف إلى غيره بالنية، كما لو نوى بقوله: أنت عليّ كظهر أمي؛ الطلاق[2].

فصل

ويصح الظهار مؤقتاً؛ كقوله: أنت عليّ كظهر أمي شهراً، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه[3]، والشافعي في أصح قوليه[4].

وذهب مالك والليث وابن أبي ليلى إلى أنه لا يجب به شيء[5].

والصحيح: الأول؛ لما روى سلمة بن صخر قال: «[ظاهرت][6] من امرأتي حتى ينسلخ شهر رمضان، فبينا هي تخدمني ذات ليلة إذ [تكشّف][7] لي منها شيء، فلم ألبث أن نزوت عليها، [فانطلقت][8] إلى رسول الله ﷺ فأخبرته الخبر،

---

(١) انظر: المغني (٨/ ٥). وما بين المعكوفين في الأصل: لاستمتاع. والتصويب من ب.

(٢) انظر: المغني (٨/ ٨).

(٣) انظر: بدائع الصنائع (٣/ ٢٣٥).

(٤) انظر: الحاوي للماوردي (١٠/ ٤٥٦).

(٥) فيَبْطُلُ التَّأْقِيتُ وَيَتَأَبَّدُ الظِّهَارُ. انظر: المدونة (٦/ ٥٣).

(٦) في الأصل: ظهات. والتصويب من ب.

(٧) في الأصل: تكشفت. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: فانطلق. والتصويب من ب.

فقال: حرِّر رقبة»[١]. رواه أبو داود في سننه.

ولأنه يمين مكفرة، فصح توقيته؛ كاليمين بالله.

فإذا مضى الوقت مضى حكم الظهار.

ويجوز تعليقه بشرط؛ كدخول الدار.

وإن قال: أنت عليّ كظهر أمي إن شاء الله؛ لم يكن مظاهراً[٢].

فصل

إذا قالت المرأة لزوجها: أنتَ عَلَيَّ كظهر أبي؛ لم تكن مظاهرة؛ لظاهر الآية.

وفي وجوب الكفارة ثلاث روايات:

إحداهن: عليها كفارة الظهار؛ لأن عائشة بنت طلحة قالت: إنْ تزوجتُ مصعب بن الزبير فهو عليّ كظهر أبي، فسألت أهل المدينة، فرأوا أن عليها الكفارة[٣].

ولأنها أتت بالمنكر من القول والزور، فأشبهت الرجل.

والثانية: لا شيء عليها؛ لكونه ليس بظهار، فتجب عليها كفارته.

والثالثة: ليس عليها [إلا][٤] كفارة يمين، كما لو حرّمت شيئاً على نفسها[٥].

قوله تعالى: ﴿ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ أي: ذلك البيان والتعليم لما شرع

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٢٦٥ ح٢٢١٣).

(٢) انظر: المغني (٨/ ١١).

(٣) أخرجه الدارقطني (٣/ ٣١٩ ح٢٧١).

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: المغني (٨/ ٣٤-٣٥).

لكم من أحكام الظهار وغيره لتصدقوا بالله ورسوله، في امتثال ما أَمَر به واجتناب ما نَهَى عنه، واتباع ما شرعه من الظهار وغيره، ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم.

﴿وتلك حدود الله﴾ التي لا يجوز تعدّيها وانتهاك حُرَمِهَا، ﴿وللكافرين﴾ قال ابن عباس: لمن جحد هذا وكذب به(١) ﴿عذاب أليم﴾.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ [يعادونهما](٢) ويخالفون أمرهما ونهيهما. وقد سبق معنى "المحادة" في براءة(٣).

﴿كُبِتُوا﴾ قال المقاتلان(٤): أُخْزُوا كما أخزي من قبلهم من أهل الشرك. وقد سبق معنى "الكبْت" في آل عمران(٥).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٧).

(٢) في الأصل: يعادنهما. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٦٣.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٠).

(٥) عند الآية رقم: ١٢٧.

﴿وقد أنزلنا آيات بينات﴾ تَدُلُّ على صدق الرسول ﷺ، وصحة ما جـاء بـه، ﴿وللكافرين﴾ الذين جحدوا هذه الآحكام تكبُّراً وعناداً ﴿عذاب مهين﴾ يَذهبُ بعزّهم وكبرهم.

ثم بيّن وقت ذلك العذاب فقال: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ أي: يبعثهم كلهم، لا يغادر منهم أحداً.

وقيل: "جميعاً" حال، أي: يبعثهم مجتمعين يوم القيامة ﴿فينبئهم بـما عملـوا﴾ على رؤوس الأشهاد توبيخاً لهم وتقريعاً، ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ حفظه الله ونسوه هم تهاوناً به.

قوله تعالى: ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ وقرأ أبو جعفر: "ما تكون" بالتاء[١].

قال ابن قتيبة[٢]: النجوى: السِّرَار.

وقال غيره: النجوى: التناجي.

وقال الزجاج[٣]: ما يكون من خلوةِ ثلاثةٍ يُسرون شيئاً ويتناجون به إلا هـو رابعهم، أي: عالم به.

قال ابن عباس: ما من شيء تُناجي به صاحبك إلا هو رابعكم بالعلم[٤].

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٥)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٢).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٣٧).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٣).

قرأ يعقوب: "ولا أكثرُ" بالرفع، وقرأ الباقون: بالنصب[1].

قال الزمخشري[2]: فمن رفع: عطف على محل "لا" مع "أدنى"؛ كقولك: لا حولَ ولا قوةٌ إلا بالله، بفتح الحول ورفع القوة. ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء، كقولك: لا حولٌ ولا قوةٌ إلا بالله، وأن يكون ارتفاعهما عطفاً على محل "من نجوى"، كأنه قيل: ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم.

ومن نصب: فعلى أن "لا" لنفي الجنس، ويجوز أن يكونا مجرورين عطفاً على "نجوى"، كأنه قيل: ما يكون من أدنى ولا أكثر إلا هو معهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم ترى إلى الذين نُهوا عن النجوى﴾ نزلت في اليهود والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون

(١) النشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٤٨٩).

لذلك. فلما طال ذلك وكثر شَكَوا إلى رسول الله ﷺ، فنهاهم أن يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا[١].

والنَّجْوَى: مشتق من النَّجْوَة، وهو ما ارتفع وبَعُدَ؛ سميت بذلك؛ لبُعد الحاضرين عنها[٢].

وحكى ابن سراقة: أن السِّرار: ما كان بين اثنين، والنجوى: ما كان بين ثلاثة[٣].

﴿ويتناجون﴾ وقرأ حمزة ويعقوب بخلاف عنه: "ويَنْتَجُون" مثل: يَشْتَرُون[٤]. والمعنى: ويتناجون ﴿بالإثم والعدوان﴾ على المؤمنين ﴿ومعصية الرسول﴾ لأنه نهاهم عن النجوى.

﴿وإذا جاؤوك حَيَّوْكَ بما لم يُحَيِّكَ به الله﴾ وهو قول اليهود ومن انتحل مذهبهم من المنافقين: السَّام عليك.

أخرج الإمام أحمد في المسند قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «[استأذن][٥] رهط من اليهود على النبي ﷺ فقالوا: السام عليك، فقالت عائشة: فقلت: بل السام عليكم واللعنة، قال: يا عائشة! إن الله عز وجل يحب الرفق في الأمر كله. قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلتُ:

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٨٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: نجا).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٤)، والكشف (٢/ ٣١٤)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٨).

(٥) في الأصل: استأذ. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٦/ ٣٧).

وعليكم»[١].

وأخرجه البخاري عن أبي نعيم، ومسلم عن زهير كلاهما عن ابن عيينة[٢].

قال ابن زيد والزجاج[٣]: السَّام: الموت[٤].

وكانوا إذا خرجوا يقولون فيما بينهم: لو كان نبياً لاستجيب لـه فينـا، فـذلك قولهم: ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾.

فإن قيل: ما الذي حيّاه الله تعالى به؟

قلتُ: قوله تعالى: ﴿وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ [النمل:٥٩]، فالسلام هو التحية التي ارتضاها للأنبياء والأولياء في الجنة.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ قال عطاء ومقاتل[٥]: يريد: المنافقين[٦]. على معنى: آمَنُوا بألسنتهم أو على زعمهم.

ويجوز عندي: أن يكون على طريقة التهكم بهم، كقول الكفار للنبي ﷺ: ﴿يـا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾ [الحجر:٦].

وذكر جماعة، منهم الزجاج[٧]: أنه خطابٌ للمؤمنين، نُهـوا أن يفعلـوا فعـل اليهود والمنافقين، فقال: ﴿إذا تناجيتم... الآية﴾.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧ ح٢٤١٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٥٣٩ ح٦٥٢٨)، ومسلم (٤/ ١٧٠٦ ح٢١٦٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٣٧).

(٤) ذكره الطبري (٢٨/ ١٥)، والماوردي (٥/ ٤٩٠)، عن ابن زيد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٢).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٠).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ١٣٨).

ثم أخبر أن ذلك من فعل الشيطان فقال: ﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ من تزيينه وتسويله، ﴿ليحزن الذين آمنوا﴾، وذلك أنهم كانوا إذا رأوهم يتناجون ترامت بهم الظنون وقالوا: لعلهم قد سمعوا عن إخواننا الذين خرجوا في السرايا قتلاً وهزيمة، وما أشبه ذلك مما يحزنهم.

وقد نهى النبي ﷺ عن النجوى التي هي في مظنة الأذى، ففي الصحيح(١) من حديث ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجينَّ اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه»(٢).

قوله تعالى: ﴿وليس بضارهم﴾ أي: وليس الشيطان. وقيل: الحزن بضار المؤمنين ﴿شيئاً إلا بإذن الله﴾ قال مقاتل(٣): إلا بإذن الله في الضرّ.

ثم ندب الله تعالى المؤمنين إلى الالتجاء إليه والاعتماد عليه فقال: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿إذا قيل لكم تفسحوا في المجلس﴾ قرأ عاصم: "في المجالس" على إرادة العموم، أو لأن مجلسَ الرسول ﷺ مجلسٌ لكل واحد منهم. وقرأ

---

(١) في ب: الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧١٨ ح٢١٨٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٢).

الباقون: "في المجلس"[١].

قال مقاتل بن حيان: كان رسول الله ﷺ يكرم أهل بدر، فجاء ناس منهم يوماً وقد سُبقوا إلى المجلس، فقاموا حيال رسول الله ﷺ ينتظرون أن يُوسع لهم فلم يوسع، فشقّ ذلك على النبي ﷺ، فقال لمن حوله: قم يا فلان قم يا فلان، وشقّ ذلك على من أقيم، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢].

قال قتادة: كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوا من جاءهم مقبلاً ضَنُّوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فأمرهم الله أن يَفْسَحَ بعضُهم لبعض[٣].

ومعنى: تفسّحوا توسعّوا.

﴿فافسحوا﴾ أي: ليفسح بعضكم لبعض، ﴿يفسح الله لكم﴾ في الجنة.

وقيل: في كل ما تحبون الفسحة فيه، من مكان ورزق وقبر وغيره.

وقيل: نزلت في مراكز القتال، وهو قول ابن عباس والحسن وأبي العالية في آخرين[٤].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٤)، والكشف (٢/ ٣١٤-٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٨-٦٢٩).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣-٣٣٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وعبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧) ، عن ابن عباس، ولفظه: ذلك في مجلس القتال. وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد، كلاهما عن الحسن.

وكانوا رضي الله عنهم يتراصّون فيها، فيأتي الرجل الصف فيقول: تفسحّوا لي، فيأبون؛ حرصاً على الشهادة.

﴿وإذا قيل انشِزُوا فانشِزُوا﴾ قرأ نافع وابن عامر وعاصم: بضم الشين[١].

والابتداء على هذه القراءة: "أُنشزوا" بضم الهمزة.

قال الحسن: إذا قيل لكم انهضوا إلى قتال عدوكم فانهضوا[٢].

وقال قتادة: إذا دُعيتم إلى خير فأجيبوا[٣].

وهو عامّ في كل ما يأمرهم به رسول الله ﷺ، وأصله من النَّشْز، وهو المكان المرتفع[٤].

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم﴾ من المؤمنين [﴿درجات﴾.

قال ابن عباس: يرفع الله الذين أوتوا العلم من المؤمنين][٥] على الذين لم يؤتوا العلم درجات[٦].

وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس! افهموا هذه الآية ولْترغّبْكُم في العلم،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٥)، والنشر (٢/ ٣٨٥)، والإتحاف (ص:٤١٢)، والسبعة (ص:٦٢٩).

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨١) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نشز).

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٣ ح٣٧٩٣) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٢-٨٣) وعزاه لابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل.

فإن الله يرفعُ المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات[١].

قال الماوردي[٢]: يحتمل هذا وجهين:

أحدهما: أن يكون إخباراً عن حالهم عند الله تعالى في الآخرة.

والثاني: أن يكون [أمراً][٣] برفعهم في المجالس المقدم ذكرها، ليترتّب الناس فيها بحسب فضائلهم في الدين والعلم.

وهذه الآية من جملة دلائل فضل العلم وأهله، وفي ذلك من الآثار والأخبار والدلائل العقلية ما لو ذكرتُ شطره لطال الكتاب، فتطلّبْ ذلك في أماكنه ومظانّه تجده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٢ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول﴾ أي: إذا أردتم مناجاته، بدليل قوله: ﴿فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾.

قال ابن عباس: سألوا رسول الله ﷺ حتى شقّوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٤).

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٤٩٣).

(٣) في الأصل: إخباراً. والتصويب من ب، والماوردي (٥/ ٤٩٣).

نبيه، فأنزل هذه الآية[١].

وقال المقاتلان[٢]: كان المكثرون يكثرون على رسول الله ﷺ ويغلبون الفقراء عليه، فكره رسول الله ﷺ ذلك، فنزلت هذه الآية.

قال المفسرون: لم يناجه أحد إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه تصدق بدينار[٣].

وكان علي عليه السلام يقول: آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي، ولن يعمل بها أحد بعدي؛ آية النجوى، كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فلما أردت أن أناجي رسول الله ﷺ قدمت درهماً فنسختها الآية الأخرى: ﴿أأشفقتم... الآية﴾[٤].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى الصدقة ﴿خير لكم﴾ لما فيه من طاعة الله ﴿وأطهر﴾ لذنوبكم، ﴿فإن لم تجدوا﴾ يعني: ما تقدمونه بين يدي نجواكم صدقة ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٣) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٣٤).

(٣) أخرجه مجاهد (ص: ٦٦٠). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، كلاهما عن مجاهد.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٣٧٣ ح٣٢١٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٢٤ ح٣٧٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لسعيد بن منصور وابن راهويه وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه.

ثم نسخت [بالآية][1] التي بعدها.

قال المفسرون: لم تَطُل مدة النسخ.

ويروى أن علياً عليه السلام قال: ما كانت إلا ساعة[2].

وقال مقاتل بن حيان: كانت عشر ليال، ثم أنزل الله: ﴿أأشفقتم﴾[3].

قال ابن عباس: أَبَخِلْتُم[4].

والمعنى: أَخِفْتُم [العَيْلة][5] إن قدمتم بين يدي نجواكم صدقات.

﴿فإذ لم تفعلوا﴾ ما أُمرتم به وشقَّ عليكم، ﴿وتاب الله عليكم﴾ وعَذَرَكُم فرخَّص لكم بالنسخ، فلا تُفَرِّطُوا فيما أمركم به أمراً جازماً، وشرعه لكم شرعاً لازماً؛ من الصلاة والزكاة وسائر الطاعات.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا

(١) في الأصل: الآية. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٣-٨٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٨٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٦).

(٥) في الأصل: العلية. والتصويب من ب.

يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ وهم المنافقون كانوا يتولون اليهود وينقلون إليهم أسرار المؤمنين.

﴿ما هم منكم ولا منهم﴾ يعني: المنافقين ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية، ولا من اليهود.

﴿ويحلفون على الكذب﴾ قال السدي ومقاتل[(١)]: نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق، وكان رجلاً أزرق، يجالس رسول الله ﷺ ويرفع حديثه إلى اليهود[(٢)].

وفي صحيح الحاكم من حديث ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان في ظل حُجْرة من حُجَره، وعنده نفر من المسلمين، فقال: إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلموه، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: علام تشتمني أنت وفلان وفلان؟ فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا بالله واعتذروا إليه، فأنزل الله تعالى: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له... الآية﴾»[(٣)].

والواو في قوله: ﴿وهم يعلمون﴾ واو الحال[(٤)]، وهو أبلغ في ذمهم واجترائهم

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٦).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٧ ح٢٤٠٧)، والحاكم (٢/ ٥٢٤ ح٣٧٩٥).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٩٠).

على الله حيث حلفوا، عالمين بكذب أنفسهم.

قوله تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جُنَّةً﴾ أي: سُتْرة يستترون بها من القتل.

وقرئ شاذاً: "إِيمانهم" بكسر الهمزة[١].

﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ قال السدي: صدوا الناس عن دين الإسلام[٢].

يريد: أنهم في حال أمنهم كانوا يُثبّطون من لقوا عن الدخول في الإسلام، ويُوهِنُون شأنه في قلوبهم.

وقيل: المعنى: وصَدوا المؤمنين عن جهادهم وأخذ أموالهم بما أظهروه لهم من الإيمان.

وما بعده مفسر إلى قوله تعالى: ﴿فيحلفون له﴾ قال قتادة ومقاتل[٣]: يحلفون لله في الآخرة أنهم كانوا مؤمنين، كما حلفوا لأوليائه في الدنيا[٤].

﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾ من النفع، ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ المتوغّلون في الكذب، المفرطون فيه، حيث كذبوا وحلفوا لله الذي يعلم السر وأخفى أنهم كانوا مؤمنين.

قوله تعالى: ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ استولى وغلب عليهم.

قال المبرد: استحوذ على الشيء: حواه وأحاط به.

قال غيره: ومنه قول عائشة رضي الله عنها في وصف عمر بن الخطاب: كان

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٣٦)، والدر المصون (٦/ ٢٩٠).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٧).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٥) وعزاه لعبد بن حميد.

أحوذياً، نسيج وحده، قد أعد للأمور أقرانها[١].

تصفه بالقوة والإحاطة بأسباب السياسة وحسن الرعاية والحفظ.

وقد ذكرتُ اشتقاق الاستحواذ في سورة النساء[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ من المنافقين وغيرهم، ﴿أولئك في الأذلين﴾ الأسفلين.

﴿كَتَبَ الله﴾ قضى ﴿لأغلبن أنا ورسلي﴾ قال المفسرون: مَنْ بُعث من الرسل بالحرب فعاقبة الأمر له، ومن لم يبعث بالحرب فهو غالبٌ بالحجة[٣].

﴿إن الله قوي عزيز﴾ فهو ينصر حزبَه وأولياءه، ويخذل أعداءه.

قوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ يعني: إيماناً حقيقياً لا

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٤٣٤ ح٣٧٠٥٥).

(٢) عند الآية رقم: ١٤١.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٨).

فرية فيه ولا مرية، ﴿يوادون من حاد الله ورسوله﴾ قال الزمخشري(١): هذا من باب التخييل، خيل أن مِنَ الممتنع المحال: أن تجد قوماً [مؤمنين](٢) يوالون المشركين، والغرضُ به أنه لا ينبغي أن يكون ذلك، وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال، مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته، والتوصية بالتصلب في [مجانبة](٣) أعداء الله، وزاد ذلك تشديداً بقوله: ﴿ولو كانوا آباءهم﴾ وبقوله: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ وبمقابلة قوله: ﴿أولئك حزب الشيطان﴾، وبقوله: ﴿أولئك حزب الله﴾، فلا تجد شيئاً أَدْخَلُ في الإخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه.

واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية؛ فقال ابن جريج: حُدثتُ أن أبا قحافة سبَّ النبي ﷺ [فصكّه أبو بكر صكّة](٤) سقط منها. ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ قال: [أو فعلته](٥)؟ قال: نعم. قال: فلا تَعُد. فقال أبو بكر: والله! لو كان السيف مني قريباً لقتلته، فأنزل الله هذه الآية(٦).

وقال ابن مسعود: نزلتْ في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، وفي أبي بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البِراز فقال: يا رسول الله دعني أكون في الرعيل الأول؟ فقال: أمتعنا بنفسك يا أبا بكر، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٩٦).

(٢) في الأصل: يؤمنون بالله واليوم الآخر. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: مجانبته. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: فصححكه أبو بكر صححكة. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: أفعلته. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٧)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٦) وعزاه لابن المنذر.

أُحُد، وفي عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وفي علي وحمزة قتلا عتبة وشيبة ابني ربيعة[١].

وقال السدي: نزلتْ في عبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول، وذلك أنه كان جالساً إلى جنب رسول الله ﷺ، فشرب رسول الله ﷺ ماء، فقال عبد الله: يا رسول الله أبق فضلة من شرابك؟ قال: وما تصنع بها؟ قال: أسقيها أبي لعل الله سبحانه وتعالى يطهّر قلبه، ففعل، فأتى بها أباه. فقال: ما هذا؟ قال: فضلة شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها، لعل [الله][٢] يطهر قلبك، فقال: هلاّ جئتني ببول أمك، فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي في قتل أبي، [فقال][٣] رسول الله ﷺ: ارفق به وأحسن إليه، فنزلت هذه الآية[٤].

وقيل: نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة[٥]. وسنذكرها إن شاء الله في أول الممتحنة.

قوله تعالى: ﴿كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أثبت في قلوبهم التصديق.

ومعناه: جمع في قلوبهم الإيمان حى استكملوه.

﴿وأيّدهم بروح منه﴾ قال ابن عباس: هو النصر[٦]، سمي روحاً؛ لأن به حياةَ أمرهم.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ١٩٩).

(٥) وذلك حين كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ إليهم عام الفتح.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٠).

وقال الربيع: الرُّوح: القرآن[١].

وقال السدي: الإيمان[٢].

وقال مقاتل[٣]: الرحمة.

وقيل: جبريل عليه السلام[٤].

وما بعده ظاهر ومُفسّر إلى آخر السورة. والله أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٠).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٦).

(٤) قاله الماوردي (٥/ ٤٩٦).

سورة الحشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربع وعشرون آية، وهي مدنية بإجماعهم[1].

قال المفسرون: نزلت جميعها في بني النضير[2].

وكان ابن عباس يسميها سورة بني النضير[3].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن
يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ
يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي
الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٢ ح٤٦٠٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٨) وعزاه لسعيد بن منصور والبخاري وابن مردويه.

(٣) انظر: الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٥٤). قال ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٣٢): كأن ابن عباس كره تسميتها سورة الحشر؛ لئلا يُظَنّ أن المراد بالحشر يوم القيامة، وإنما المراد به هنا إخراج بني النَّضِير.

تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٥﴾

الإشارة إلى قصتهم:

قال العلماء بالتفسير والسير: لما قدمَ النبي ﷺ المدينة، صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه، فقبِل النبي ﷺ ذلك منهم، فلما غـزا رسـول الله ﷺ بدراً [وظهر][(١)] على المشركين قالت بنو النضير: والله! إنه النبي الذي نجد نعته في التوراة لا تردّ له راية، ثم قالوا: استأْنُوا به حتى ننظر ما يكون مـن أمـره في وقعـة أخرى، فلما كانت أُحُد وانهزم المسلمون ارتابت بنو النـضير، وأظهـروا العـداوة لرسول الله ﷺ [والمؤمنين][(٢)]، فركب كعب بن [الأشرف][(٣)] في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأتوا قريشاً فحالفوهم على أن تكون كلمتهم واحدة عـلى محمـد، وتَوَثّقوا على ذلك بين أستار الكعبة، فنزل جبريل على محمد ﷺ فأخبره بذلك، فلما قَفَل كعبُ بن الأشرف أمر النبي ﷺ بقتله، فانتدب له أخوه من الرضاعة محمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنه، فقتله، وقصة قتْله معروفة عند أهل النقْل.

وكان رسول الله ﷺ اطلع من بني النضير على خيانة ونقض عهد، حين أتاهم ومعه أبو بكر وعمر وعلي في نفر من أصحابه يستعينهم في ديـة الـرجلين اللـذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في منصرفه من بئر معونة، وكان النبي ﷺ قد آمنهما، فقالوا: نفعل، وهمّوا بالغدر به، فقال عمرو بن جَحَّـاش: أنـا أظهـر عـلى البيـت

---

(١) في الأصل: وظهراً. والتصويب من ب.
(٢) في الأصل: والمؤمنون. والتصويب من ب.
(٣) في الأصل: الأشر. والتصويب من ب.

فأطرح عليه صخرة، فقال سلام بن مِشْكَم: لا تفعلوا والله ليُخْبَرَنَّ بما هممتهم به، فأوحى الله تعالى إليه ما [كادوه][(١)] به، فنهض سريعاً فتوجه إلى المدينة ولحقه أصحابه، فقالوا: قُمتَ يا رسول الله ولم نشعر! فقال: همّت يهودُ بالغدر، فأخبرني الله بذلك فقمت، وبَعَثَ إليهم رسولُ الله ﷺ محمد بن مسلمة: أن اخرجوا من بلدي فلا تساكنوني وقد هممتم بما هممتم به، وقد أجّلتكم عشراً، فمن رُؤي بعد ذلك منكم ضُربت عنقه، فأخذوا في التجهيز، فدسّ إليهم ابن أُبيّ يقول: لا تخرجوا فإن معي ألفين من قومي وغيرهم، وتمدُّكُم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فاغترّوا بقوله، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يقولون: إنا لا نخرج فاصنع ما بدا لك، فكبَّر رسول الله ﷺ وكبّر المسلمون لتكبيره، وقال: حاربتْ [يهود][(٢)]، ثم سار إليهم في أصحابه، فلما رأوه قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة فاعتزلتهم قريظة وخذلهم ابن أُبيّ وحلفاؤهم من غطفان، وحاصرهم رسول الله ﷺ إحدى وعشرين ليلة، وقَطَعَ نخلهم، فضرعوا إلى رسول الله ﷺ في طلب الصلح فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة على ما [يأمرهم][(٣)] به، فقالوا: ذلك لك، فصالحهم على الجلاء، وعلى أن لهم ما أَقَلَّتْ إبلُهم من أموالهم إلا الحَلْقَة، وهي السلاح[(٤)].

(١) في الأصل: دوه. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: اليهود. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: مرهم. والتصويب من ب.

(٤) أخرج بعضه أبو داود (٤/ ٢٣٤- ٢٣٥ ح ٣٠٠٤). وأخرجه مطولاً عبد الرزاق (٥/ ٣٥٩- ٣٦٠ ح ٩٧٣٣)، وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٩٣) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وأبي داود وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

=

وقال ابن عباس: صالحهم على أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤوا من متاعهم، ولنبي الله ﷺ ما بقي، فخرجوا من المدينة إلى الشام إلى أذرعات وأريحا، ولحقت طائفة منهم بالحيرة، إلا أهل بيتين منهم: آل أبي الحقيق وآل حيي بن أخطب، فإنهم لحقوا بخيبر (١).

فوجد رسولُ الله ﷺ خمسين درعاً وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفاً (٢)، فذلك قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني: يهود بني النضير.

[﴿من ديارهم﴾ قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير] (٣) مرجع رسول الله ﷺ من أُحُد، وكان فتح قريظة مرجعه من الأحزاب، وبينهما سنتان (٤).

﴿لأول الحشر﴾ قال ابن عباس: هم أول من حُشِرَ وأُخْرِجَ من دياره (٥).

قال ابن السائب: هم أول من نُفي من أهل الكتاب (٦).

وقال الحسن: هذا أول حشرهم، والحشر الثاني إلى أرض المحشر يوم

= وانظر قصة إجلاء بني النضير في: الطبقات الكبرى (٢/ ٥٧-٥٨)، والبداية والنهاية (٤/ ٧٤-٧٥)، وتاريخ الطبري (٢/ ٨٣-٨٥).

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣١-٣٢) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٩١) لابن جرير وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) أخرجه الواقدي (١/ ٣٧٧) .

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

القيامة[١].

قال ابن عباس وعكرمة: من شك أن المحشر إلى الشام، فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم يومئذ: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر[٢].

وقال مرة الهمداني: كان هذا أول الحشر لأنهم من المدينة، والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب إلى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى يديه[٣].

وقال قتادة: كان هذا أول الحشر، والثاني نارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب، تبيتُ معهم إذا باتوا، وتقيلُ معهم إذا [قالوا][٤]، وتأكلُ منهم من تخلّف[٥].

قوله تعالى: ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ أي: ما حسبتم ذلك لشدة بأسهم وكثرة عَدَدهم وعُدَدهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي: توهموا أن حصونهم مانعتهم، أي: عاصمتهم من بأس الله وسلطان رسوله، ﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾ من حيث لم يظنوا، ولم يخطر ببالهم، مِنْ قتل رئيسهم كعب بن الأشرف بيد أخيه من الرضاعة، فإنه كان سبب فشلهم وفَلِّ شوكتهم.

﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾ الخوف الذي ملأ قلوبهم.

قرأ أبو عمرو: "يُخَرِّبُونَ" بضم الياء وفتح الخاء وتشديد الراء. وقرأ الباقون:

---

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٤٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٨٩) وعزاه للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن ابن عباس.

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٦٨-٢٦٩).

(٤) في الأصل: أقبلوا. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٢٩). وذكره الماوردي (٥/ ٤٩٩).

بضم الياء وسكون الخاء وتخفيف الراء[١].

قال أبو عمرو: إنما اخترتُ التشديد؛ لأن الإخراب ترك الشيء خراباً بغير ساكن، وأن بني النضير نقضوا منازلهم ولم يرتحلوا عنها وهي معمورة[٢].

قال ابن جرير[٣]: المشددة معناها: النقض والهدم، والمخففة معناها: ما [يخرجون][٤] منها ويتركونها خراباً معطلة.

وقال قوم: التخريب والإخراب واحد.

والذي دعاهم إلى التخريب: حاجتهم إلى الخشب والحجارة، ليسدوا أفواه الأزقّة.

قال ابن عباس: كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها؛ ليتسع لهم المَقَاتِل، وجعل أعداءُ الله ينقبون دورهم من أدبارها فيخرجون إلى التي بعدها يتحصنون فيها[٥].

وقال الضحاك: جعل المسلمون كلما هدموا شيئاً من حصونهم نقضوا من أبنيتهم ما يبنون به ما خرّبه المسلمون[٦].

وقال ابن زيد: كانوا يقلعون العُمُد وينقضون السقوف، ويقلعون الخشب

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٦)، والنشر (٢/ ٣٨٦)، والإتحاف (ص:٤١٣)، والسبعة (ص:٦٣٢).

(٢) الطبري (٢٨/ ٣٠).

(٣) الطبري (٢٨/ ٣٠).

(٤) في الأصل: يخربون. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٨/ ٢٠٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٥-٢٠٦).

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٠). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٠).

حتى الأوتاد؛ لئلا يسكنها المسلمون، حسداً[1] منهم وبغضاً[2].

ومعنى تخريبهم بيوتهم بأيدي المؤمنين: أنهم عرّضوهم لذلك، وكانوا السبب فيه.

﴿فاعتبروا﴾ أي: تدبّروا ناظرين في عواقب الأمور ﴿يا أولي الأبصار﴾ يا أرباب العقول.

قوله تعالى: ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء﴾ أي: ولولا أن قضى الله عليهم أن يخرجوا جميعهم من بيوتهم [بذراريهم][3] ونسائهم، ﴿لعذبهم في الدنيا﴾ بالقتل والسبي، كما فعل بقريظة ﴿ولهم في الآخرة﴾ مع ما أصابهم في الدنيا ﴿عذاب النار﴾.

﴿ذلك﴾ الذي أصابهم ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ وقد سبق بيان المشاقة في البقرة.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: قد دلّت هذه الآية على جواز مصالحة أهل الحرب على الجلاء من ديارهم، من غير سبي، ولا استرقاق، ولا جزية، ولا دخول في ذمة، وهذا حكم منسوخ إذا كان في المسلمين قوة على قتالهم؛ لأن الله تعالى أمر بقتال الكفار حتى يسلموا، أو يعطوا الجزية، وإنما يجوز ذلك الحكم إذا عجز المسلمون عن مقاومتهم ولم يقدروا على إدخالهم في الإسلام أو [الذمة][4]،

---

(١) في الأصل زيادة قوله: لهم. وانظر النص في: تفسير البغوي (٤/ ٣١٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٠). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٠).

(٣) في الأصل: بذرارهم. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: ذمة. والتصويب من ب.

فيجوز لهم حينئذ مصالحتهم على [الجلاء من بلادهم. وفي هذه القصة دلالة على جواز مصالحتهم على][١] مجهول من المال؛ لأن النبي ﷺ صالحهم على أرضهم وعلى الحلقة[٢]، وترك لهم ما أقلّت الإبل، وذلك مجهول[٣].

قوله تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة﴾ وهي النخل كله ما خلا البرني والعجوة، في قول ابن عباس، وعامة المفسرين واللغويين[٤].

قال الزجاج[٥]: أهلُ المدينة يُسمُّون جميع النخل: الألوان، ما خلا البرني والعجوة. [وأصل][٦] لينة: لِوْنَة، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها.

وقال مقاتل[٧]: هي ضربٌ من النخل يقال لثمرها: اللّون[٨]، وهو شديد الصفرة، يُرى نواه من خارج، يغيب فيه الضرس، وكان من أجود تمرهم وأعجبها إليهم. وكانت النخلةُ الواحدة منها ثمنَ وَصِيف، وأحبّ إليهم من وصيف، فلما [رأوا][٩] ذلك الضرب يُقطع، شقّ عليهم مشقةً شديدة، وقالوا للمؤمنين: تزعمون أنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون وتخربون وتقطعون الشجر، دَعُوا

---

(١) زيادة من زاد المسير (٨/ ٢٠٧).

(٢) في الأصل زيادة قوله: وما أقلت. وانظر النص في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٦-٢٠٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٢-٣٣). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٩٨).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٤٤).

(٦) في الأصل: وأصله. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٤٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

(٨) في مقاتل: اللين.

(٩) في الأصل: أرادوا. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

هذا النخل فإنما هو لمن غلب عليها.

وقال سفيان: اللِّينة: كرائم النخل(١).

قال الضحاك: قطعوا وأحرقوا ست نخلات(٢).

وقال مقاتل(٣): أربعة.

وقال ابن إسحاق: قطعوا نخلة، وأحرقوا نخلة(٤).

وقال مجاهد: إن بعض المهاجرين وقعوا في قطع النخيل ونهاهم بعضهم وقالوا: إنما هي مغانم المسلمين، وقال الذين قطعوا: بل هي غيظ للعدو، ونزل القرآن بتصديق من نهى عن قطع [النخيل](٥)، وتحليل من قطعه من الإثم، فقال تعالى: ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ أي: بأمره(٦).

﴿وليخزي الفاسقين﴾ أي: ليذل اليهود، أذن في ذلك.

أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ حرّق نخل بني النضير وقطع، فأنزل الله: ﴿ما قطعتم... الآية﴾»(٧).

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٣٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٣٨).

(٤) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٠٨).

(٥) في الأصل: النخل. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٣)، والطبري (٢٨/ ٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٩١-٩٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

(٧) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٧٩ ح٣٨٠٧)، ومسلم (٣/ ١٣٦٥ ح١٧٤٦).

وهَانَ على سَراةِ بني لُؤي حَريقٌ بالبُوَيْرَةِ مُسْتَطِير(١)

والذي يظهر في نظري ويدل عليه ظاهر الآية والحديث والشعر ودلالة الحال: أن الذي قُطِعَ وحُرِّقَ أكثر مما نقله أهل السير.

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وما أفاء الله على رسوله﴾ أي: ما جعله فَيْئاً له ﴿منهم﴾ أي: من بني النضير ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ قال أبو عبيدة(٢): الإيجاف: الإيضاع، والرِّكاب: الإبل.

قال ابن قتيبة وغيره(٣): يقال: وَجَفَ الفرسُ والبعيرُ يَجِفُ وَجِيفاً: إذا أَسْرَعَ

---

(١) البيت لحسان. وهو في: القرطبي (١٨/ ٧، ٨)، والطبري (٢٨/ ٣٤)، واللسان (مادة: طير)، والدر المنثور (٨/ ٩١، ٩٨)، والماوردي (٥/ ٥٠١)، وتاج العروس (مادة: بور، طير).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٥٦).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص: ٤٦٠).

في السَّيْر، وأَوْجَفَه صاحبه[١]، ومثله: الإيضاع.

قال الزجاج[٢]: معنى الآية: أنه لا شيء لكم في هذا، إنما هو لرسول الله ﷺ.

قال المفسرون: [طلب][٣] المسلمون من رسول الله ﷺ أن يخمّس أموال بني النضير كما فَعَلَ بغنائم بدر، فأنزل الله تعالى هذه الآية، يبين أنها فيء لم يوجفوا عليها خيلاً ولا ركاباً.

﴿ولكن الله يسلط رسله على من يشاء﴾ فهو الذي سلط محمداً ﷺ على بني النضير.

فلما خصّ اللهُ رسولَه ﷺ بأموال بني النضير وجعل الأمر له قَسَمَهَا في المهاجرين لموضع حاجتهم، ولم يُعط أحداً من الأنصار شيئاً سوى ثلاثة كانت بهم حاجة، وهم: أبو دجانة سماك بن خرشة، وسهل بن حنيف، والحارث بن الصمّة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن[٤] علي بن أبي بكر، قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا سفيان -غير مرة-، عن عمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان[٥]، عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ، مما

(١) انظر: اللسان (مادة: وجف).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٤٥).

(٣) في الأصل: خاطب. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو خطأ.

(٥) مالك بن أوس بن الحدثان بن سعد بن يربوع البصري، أبو سعيد المدني، مختلف في صحبته، مات سنة اثنتين وتسعين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٩، والتقريب ص:٥١٦).

لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، يُنفق على أهله منها نفقة [سنته][1]، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع[2].

قال المفسرون: ثم ذكر الله تعالى حكم الفيء، فذلك قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله﴾ يَحْكُمُ فيه بما يريد، ولرسوله بتمليك الله[3] [إياه، فأربعة أخماس الفيء للرسول، والخُمس الآخر للمذكورين في الآية.

واختلفوا فيما يصنع به بعد موته؛ وقد ذكرناه في الأنفال[4]. وهذا قول جماعة من الفقهاء والمفسرين.

قال الزمخشري[5]: لم يدخل العاطف على هذه الجملة؛ لأنها بيانٌ للأولى، فهي منها غير أجنبية عنها. بيّن لرسول الله ﷺ ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يَضَعَهُ حيث يَضَعُ الخمُس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة.

فصل

اعلم أن الفيء: ما أُخذ من أموال المشركين بغير قتال؛ كالجزية والخراج والعُشُور المأخوذة من تجارهم، وما بذلوه في الهدنة أو صالحوا عليه ونحو ذلك؛ فذكر الخرقي رحمه الله: أنه يُخَمَّس، فيُصرف خُمُسُه إلى من يُصرف إليه خُمُسُ الغنيمة

---

(١) في الأصل: سنة. والتصويب من ب، والبخاري (٣/ ١٠٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٠٦٣ ح٢٧٤٨).

(٣) في الأصل زيادة قوله: له. وقد سقط قدر لوحة من الأصل. واستدركت من النسخة ب.

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

(٥) الكشاف (٤/ ٥٠٢).

لهذه الآية، وهذا مذهب الشافعي[١]، وإحدى الروايتين عن أحمد.

والرواية الأخرى عنه -وهي المشهورة من مذهبه، وبها يُفتي عامة أصحابه-: أنه لا يُخَمَّس[٢].

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما قرأ هؤلاء الآيات إلى قوله: ﴿والذين تبوؤوا الدار﴾، ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾: استوعبت جميعَ المسلمين، ولئن عشتُ ليأتينّ الراعي بسَرْو حِمْيَر نصيبُه منها لم يعرق فيه جبينه[٣]. وهذا قول أكثر أهل العلم.

وعلى المذهبين جميعاً: يُبدأ فيه بالأهم فالأهم من كفاية أجناد المسلمين وأرزاقهم، وسدِّ الثغور، وحفر الخنادق، وعمل القناطر، وعمارة المساجد، وأرزاق القضاة، والعلماء، والأئمة، والمؤذنين، إلى غير ذلك من المصالح العامة، وما فَضَلَ بعد ذلك قَسَمه في المسلمين.

وذكر القاضي أبو يعلى رحمه الله: أن الفيء لأهل الجهاد خاصة دون غيرهم؛ لأن ذلك كان للنبي ﷺ بحصول النصرة به، فلما مات أُعطي لمن يقوم مقامه في

(١) انظر: الحاوي (٨/ ٣٨٨).

(٢) انظر: المغني (٦/ ٣١٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٠١ ح ٢٠٠٤٠) وأبو عبيد، بنحوه، في الأموال (ح٤١ ص:٢٠)، والطبري (٢٨/ ٣٧)، والبيهقي في الكبرى (٦/ ٣٥١ ح١٢٧٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٢) وعزاه لعبد الرزاق وأبي عبيدة وابن زنجويه معاً في الأموال وعبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في سننه.

وسرو حمير: منازل حمير بأرض اليمن. والسرو من الجبل: ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل.

ذلك، وهم المقاتِلة دون غيرهم[١].

وقال الثعلبي في تفسيره[٢]: كان الفيءُ يُقْسَم على عهد رسول الله ﷺ على خمسة وعشرين سهماً؛ أربعة أخماسها، وهي عشرون سهماً لرسول الله ﷺ، يفعل فيها ما يشاء، والخمس الباقي يُقسم على ما يُقْسَم عليه خمس الغنيمة.

وأما بعد وفاته فقد اختلف الفقهاء في الأنفقة التي كانت له ﷺ من الفيء، فقال قوم: يُصرف إلى المجاهدين، وهو أحد قولي الشافعي.

وقال آخرون: يُصرف إلى مصالح المسلمين من سدّ الثغور وحفر الأنهار ونحوها، وهو القول الآخر للشافعي[٣].

وأما السهمُ الذي كان له من خمس الفيء وخمس الغنيمة، فإنه يُصرف بعده إلى مصالح المسلمين بلا خلاف[٤]، كما قال النبي ﷺ: «والخُمُس مردودٌ فيكم»[٥].

قوله تعالى: ﴿كيلا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم﴾ قرأ أبو جعفر والصيدلاني عن ابن ذكوان: "تكون" بالتاء، "دُولةٌ": بالرفع[٦]، على معنى: كَيْلا يقع ويحدث دُولَة.

وقرأ الباقون من العشرة: "يكون" بالياء، "دُولةً" بالنصب، على معنى: كيلا

---

(١) انظر: المغني (٦/ ٣١٩).

(٢) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٣) انظر: الحاوي (٨/ ٤٢٩).

(٤) انظر: الحاوي (٨/ ٤٤١).

(٥) أخرجه أبو داود (٣/ ٦٣ ح٢٦٩٤)، ومالك في الموطأ (٢/ ٤٥٧ ح٩٧٧) من حديث عمرو بن شعيب.

(٦) النشر (٢/ ٣٨٦)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣).

يكون الفيء دُولة.

قال الماوردي(١): يقال: دُولة بضم الدال، ودَولة بفتحها. وقد قرئ بهما، وفيهما قولان:

أحدهما: أنها سواء، وهو قول يونس والأصمعي.

والثاني: أن بينهما فرقاً. واختُلف في الفَرْق على [أربعة](٢) أوجه:

أحدها: أن الدَّولة -بالفتح-: الظَّفَر في الحرب، والدُّولة -بالضم-: الغنى عن فقر. هذا قول أبي عمرو ابن العلاء.

والثاني: أن الدَّولة -بالفتح-: في الأيام، والدُّولة -بالضم-: في الأموال. وهذا قول أبي عبيدة.

والثالث: أن الدَّولة -بالفتح-: ما كان كالمستقرّ، والدُّولة -بالضم-: [ما كان كالمستعار. حكاه ابن كامل.

والرابع: أنه بالفتح: الطعن في الحرب، وبالضم](٣): أيام المُلْك وأيام السنين التي تتغير. وهذا قول الفراء(٤).

قال حسان بن ثابت:

ولقد نِلْتُم ونِلنا منكُمُ وكذاكَ الحربُ أحياناً دُوَلْ(٥)

---

(١) تفسير الماوردي (٥/ ٥٠٣).

(٢) في ب: ثلاثة. والتصويب من الماوردي، الموضع السابق.

(٣) زيادة من تفسير الماوردي (٥/ ٥٠٣).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٤٥).

(٥) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:١٨١)، وسيرة ابن هشام (٤/ ٩٣)، والماوردي (٥/ ٥٠٣).

وقال الزجاج(١): الدُّولَة: اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّوْلَة: الفعل والانتقال من حال إلى حال.

فعلى هذا القول: يكون المعنى على قراءة من ضَمَّ الدال: كيلا يكون الفيءُ شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه، فلا يُصيب الفقراء.

ويكون المعنى على قراءة من فَتَحَ الدال: كيلا يكون ذا تداول بينكم، أو كيلا يكون إمساكه تداولاً بينكم لا تُخرجونه إلى الفقراء.

قوله: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه﴾ أي: ما أعطاكم من قسمةِ غنيمةٍ أو فَيْء فَخُذُوه، ﴿وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ وهذا وإن كان سبب نزوله ما ذكرناه، إلا أنه عامٌّ في كل ما أمر به ونهى عنه ﷺ، بدليل ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله [قال](٢): «لعن الله الواشمات والمتوشّمات والمتنمّصات والمتفلّجات للحُسن، المغيّرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعنُ ما لَعَنَ رسولُ الله ﷺ ومن هو في كتاب الله؟ فقالت: لقد قرأتُ ما بين اللوحين فما وجدتُ فيه ما تقول، قال: لئن كنتِ قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأتِ: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾؟ قالت: بلى، قال:

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٤٦).

(٢) زيادة من البخاري (٤/ ١٨٥٣).

فإنه قد نهى عنه »[١].

قال الزجاج[٢]: ثم بيّن مَنِ المساكين فقال: ﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم﴾.

قال المفسرون: يريد: المهاجرين.

﴿يبتغون فضلاً من الله﴾ رزقاً يأتيهم ﴿ورضواناً﴾ رضاه عنهم.

قال قتادة: ذُكر لنا أن الرجل منهم كان يعصب الحجر على][٣] بطنه ليقيم بـه صُلبه من الجوع، وكان الرجل يتخذ الحفرة في الشتاء ما له دثار غيرها[٤].

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم﴾ وهم الأنصار. وهـذه الجملة معطوفة على "المهاجرين".

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٣ ح٤٦٠٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٤٥).

(٣) إلى هنا ينتهي السقط من الأصل، والمثبت من نسخة ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

قال أبو علي[١]: المعنى: تبوؤوا الدار ودار الإيمان من قبلهم.

وقال غيره: تبوؤوا الدار وآثروا الإيمان، أو وقبلوا الإيمان من قبلهم.

قال الزمخشري[٢]: المعنى: تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان؛ كقوله:

وعَلَفْتُها تِبْناً وماءً بارداً ....[٣]

أو جعلوا الإيمان مستقَرّاً ومتوَطَّناً لهم؛ لتمكنهم منه، واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك. أو أراد دار الهجرة ودار الإيمان، فأقام لام التعريف في "الدار" مقام المضاف إليه، وحذف المضاف من دار الإيمان ووضع المضاف إليه مقامه. أو سمى المدينة داراً؛ لأنها دار الهجرة، ومكان ظهور الإيمان بالإيمان، "من قبلهم" أي: من قبل المهاجرين؛ لأنهم سبقوهم في تبوء دار الهجرة والإيمان.

وقيل: من قبل هجرتهم.

﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ وهذا من أحسن ما وصفَهم به؛ لأنه أخبر أنهم يفعلون ذلك مع المهاجرين، مع محبتهم لهم وميلهم إليهم، وفيه تحقيقٌ لمعنى كرم طباعهم بأبلغ الطرق.

﴿ولا يجدون﴾ يعني: الأنصار ﴿في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾. قال المفسرون: لا يجدون في صدورهم غيظاً وحَسَداً مما أوتي [المهاجرون][٤] من الفيء والغنيمة، وخُصّوا به دونهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ٣٨٣).

(٢) الكشاف (٤/ ٥٠٤).

(٣) تقدم.

(٤) في الأصل: المهاجرين. والتصويب من ب.

وقال أبو علي: التقدير: لا يجدون في صدورهم مسّ[١] حاجة من فقد ما أوتوا، فحذف المضافين.

وقال غيره من أهل المعاني[٢]: يعني: أنهم لم تتبع نفوسهم ما أعطوا، ولم تطمح إلى شيء منه تحتاج إليه.

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ أي: يؤثرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم [حاجة][٣] شديدة، وذلك أنهم قاسموهم ديارهم وأموالهم، وآثروهم بما أفاء الله على رسوله.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قسم للمهاجرين ما أفاء الله عليه من النضير [وقيل][٤] من قريظة، على أن يَرُدَّ المهاجرون على الأنصار ما كانوا أعطوهم من أموالهم، فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا ونؤثرهم بالفيء، فأنزل الله هذه الآية[٥].

وبالإسناد السالف قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير، حدثنا أبو أسامة، حدثنا فضيل بن غزوان، حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يُضيفه هذه الليلة يرحمه

---

(١) في ب: من.

(٢) قاله الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٠٤).

(٣) في الأصل: خصاصة. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل و ب: وحمل، وفي الماوردي: ونفل. ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٦).

الله، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيفُ رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئاً. قالت: والله! ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العَشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله أو ضحك الله من فلان وفلانة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾»[1]. وأخرجه مسلم أيضاً.

والرجل هو: أبو طلحة الأنصاري.

وكان أنس بن مالك يحلف بالله ما في الأنصار بخيل، ويقرأ هذه الآية: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة... إلى آخر الآية﴾[2].

وقال أنس بن مالك: أُهدي لبعض الصحابة رأسُ شاة مشوي، وكان مجهوداً، فوجّه به إلى جار له، فتداولته تسعة أنفس ثم عاد إلى الأول[3]، فأنزل الله هذه الآية[4].

ويحكى عن أبي الحسين الأنطاكي: أنه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الريّ، ولهم أرغفة معدودة لم تَسَعْ جميعَهم، [فكسَّر][5] الرُّغْفَان وأطفأ

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٤ ح٤٦٠٧)، ومسلم (٣/ ١٦٢٤ ح٢٠٥٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٣).

(٣) في هامش ب: خرجه الحاكم في مستدركه.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٢٦ ح٣٧٩٩)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٢٥٩ ح٣٤٧٩) كلاهما من حديث ابن عمر بنحو هذه القصة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٧) وعزاه للحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر.

(٥) في الأصل: وكسر. والمثبت من ب.

السراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله لم يأكل واحد منهم إيثاراً منه على نفسه(١).

قوله تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ قرأ ابن السميفع: "يُوَقَّ" بفتح الواو وتشديد القاف(٢).

وفيه إشعار أن الأنصار وُقُوا شُحَّ أنفسهم، وأضيف الشح إلى النفس؛ لأنه غريزةٌ فيها.

قال المفسرون: وهو أن لا يأخذ شيئاً مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئاً أمره الله به.

وإذا أردتَ أن تعلم فضيلة السخاء وأنه جِماعُ كل خير، ورذيلةَ الشُّح وأنه جِماع كل شر، فتلمح قوله عليه السلام: «أيُّ داء أدوى من البخل»(٣).

وتُلَمِّحُ هذه الآية كيف حكم بفلاح من وُقي شُحَّ نفسه وجزم به وأكَّدَه فقال: ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فجاء بصيغة الترجّي، ولم يأت بها هاهنا؛ نظراً إلى ما ذكرناه من المعنى.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

(١) ذكره الثعلبي (١٣/ ٢٠٠).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢١٥)، والدر المصون (٦/ ٢٩٦).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٤٢ ح٤٩٦٥).

يجتمعان في قلب [عبدٍ: الإيمان](١)، والشح»(٢).

فصل

ذهب قوم إلى أن الشح والبخل بمعنى واحد.

وقال أبو سليمان الخطابي: [الشح](٣) أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشح بمنزلة الجنس، والبخل بمنزلة النوع.

قال بعضهم: البخل: أن يَضِنَّ بماله، والشحّ أن يبخل بماله ومعروفه(٤).

وقال طاووس: الشحّ: البخل بما في يد غيره، والبخل: منع ما في يده(٥).

وقال سعيد بن جبير: الشحّ: هو أخذ الحرام ومنع الزكاة(٦).

وقال أبو الشعثاء: جاء رجل إلى ابن مسعود فقال: إني أخاف أن أكون قد هلكت. قال: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾، وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، قال: ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في القرآن، إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً، إنما ذلك البخل، وبئس الشيء البخل(٧).

---

(١) في الأصل: مؤمن. والتصويب من ب، ومسند أحمد (٢/ ٣٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٤٠ ح٨٤٦٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٥).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٠٨) وعزاه لابن المنذر.

(٦) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٦-٣٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٥٣٢ ح٣٨١٥)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣٣٢ ح٢٦٦١١)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٨ ح٩٠٦٠)، =

وفي حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «بَرئ من الشح من أدى الزكاة، وقَرَى الضيف، وأعطى في النائبة»[١].

قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم﴾ عطفٌ أيضاً على "المهاجرين"[٢].

قال السدي والكلبي: هم الذين هاجروا من بعد ذلك[٣].

وقال مقاتل[٤] وغيره: هم الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

قال ابن أبي ليلى: الناسُ على ثلاثة منازل: الفقراء المهاجرون، والذين تبوؤا الدار والإيمان، والذين جاؤوا من بعدهم، فاجهد أن لا تكون خارجاً من هذه المنازل[٥].

قال الزجاج[٦]: المعنى: ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول ولهؤلاء المسلمين، والذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب

=

والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٦ ح١٠٨٤١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٠٧) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٤)، والطبراني في الكبير (٤/ ١٨٨ ح٤٠٩٦)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٧ ح١٠٨٤٢).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٢٩٧).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٠٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٥).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٤٦-١٤٧).

رسول الله ﷺ. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولـون﴾ أي: الذين جاؤوا في حال قولهم: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الـذين سبقونا بـالإيمان﴾، فمن ترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه عليهم غِلّ، فلـه حَـظٌّ في [فيء][(١)] المسلمين، ومَنْ شَتَمَهُم ولم يترحّم عليهم، أو كان في قلبه غِلٌّ [لهم][(٢)] فما جعل الله له حقاً في شيء من فيء المسلمين بنَصِّ الكتاب.

وكذلك عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: مَنْ تنقَّص مـن أصـحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم أجمعين، أو كان في قلبه عليهم غِلٌّ فليس له حق في فيء المسلمين، ثم تلا هذه الآيات[(٣)].

فقبَّح الله الرافضة من طائفة ما أخسَّها وأهونها على الله وعلى عباده المؤمنين.

روى الشعبي عن بعض أشياخه قال: فَضَلَت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سُئلتِ اليهود: من خير أهل ملّتكم؟ فقالت: أصحاب موسى. وسُئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ فقالت: [حواريّوا][(٤)] عيسى. وسُئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ فقالوا: أصحاب محمد. أُمـروا بالاسـتغفار لهـم فـسبّوهم، فالسيف عليهم مسلولٌ إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله[(٥)].

---

(١) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ١٤٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه أبو نعيم في: حلية الأولياء (٦/ ٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٦).

(٤) في الأصل: حواري. والمثبت من ب.

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٣٣)، والبغوي (٤/ ٣٢١).

وقد ذكرتُ في أثناء كتابي هذا من فضائحهم، وقبائحهم، ودلائل ضلالهم وكفرهم، ما أرجو به القربى إلى الله، والزلفى لديه يوم ألقاه.

وما لم أذكر تفسيره هاهنا من ألفاظ الآية فقد ذكرته قبل.

والغِلُّ: الحقدُ الكامِن في الصَّدر.

وقال الأعمش: الغِشّ(١).

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين نافقوا﴾ يعني: عبد الله بن أبيّ وأصحابه،

---

(١) ذكر الماوردي (٥/ ٥٠٧) عن الأعمش في معنى الغل، قال: العداوة.

﴿يقولون لإخوانهم﴾ في الكفر، وهم اليهود ﴿لئن أخرجتم﴾ يعنون: من المدينة ﴿لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم﴾ أي: في قتالكم وفي خذلانكم ﴿أحداً أبداً﴾.

ثم وعدوهم النصر بقوله: ﴿وإن قوتلتم لننصرنكم﴾، قال الله مكذباً لهم في مواعيدهم: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾.

ثم أخبر الله أنهم لا يفعلون ذلك فقال: ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم﴾ أي: ولئن وجد منهم نصرة[1] على سبيل [الفَرَض][2] والتقدير ﴿ليولن الأدبار﴾ منهزمين.

ثم استأنف الله الإخبار بخذلانهم فقال: ﴿ثم لا ينصرون﴾ يعني: بني النضير لا يصيرون منصورين إذا انهزم [ناصروهم][3] بعد ذلك.

قوله تعالى: ﴿لأنتم أشد رهبةً﴾ أي: لأنتم أيها المؤمنون أشد رهبة ﴿في صدورهم﴾ قال مقاتل[4]: في صدور المنافقين.

وقال غيره: في صدور اليهود.

ويجوز عندي: أن يراد الجميع.

﴿من الله﴾ أي: من رهبة الله، على معنى: من رهبتهم الله.

قال ابن عباس: هم منكم أشد خوفاً من الله[5].

---

(١) في ب: النصر.

(٢) في الأصل: القرض. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: ناصرهم. والمثبت من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٦).

﴿ذلك﴾ الخوف الذي بهم منكم ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ عظمة الله وشدة انتقامه من أعدائه.

ثم ذكر أثر ذلك فقال: ﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي: لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين متساندين، يعني: اليهود والمنافقين، ﴿إلا في قرى محصنة﴾ بالخنادق والدروب، ﴿أو من وراء جُدُر﴾ دون أن يبرزوا ويُصْحِروا[1] لكم.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "جدار" على لفظ الواحد، والمراد الجمع.

وقرأ الباقون: "جُدُر" بضم الجيم والدال على الجمع، كحِمَار وحُمُر[2].

وقرأ أبو بكر الصديق وابن أبي عبلة: "جَدَرٍ" بفتح الجيم [والدال[3].

وقرأ عمر بن الخطاب ومعاوية وعاصم الجحدري: "جَدْرٍ" بفتح الجيم][4] وسكون الدال[5]، وهي لغة في الجدار.

وقرأ علي بن أبي طالب وأبو عبدالرحمن السلمي وعكرمة والحسن وابن سيرين وابن يعمر: بضم الجيم وسكون الدال، مخففة من جُدُر[6].

﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي: بأسهم الذي يُوصفون به إنما هو بينهم إذا اقتتلوا، ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس؛ لأن الشجاع يجبُن، والعزيز يَذِلُّ عند محاربة الله

---

(١) أصحر القوم: إذا برزوا إلى فضاء لا يواريهم شيء (اللسان، مادة: صحر).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٣٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٥)، والكشف (٢/ ٣١٦)، والنشر (٢/ ٣٨٦)، والإتحاف (ص:٤١٣-٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٢).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢١٨)، والدر المصون (٦/ ٢٩٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٣)، وزاد المسير (٨/ ٢١٨).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٣١٣-٣١٤)، وزاد المسير (٨/ ٢١٨).

ورسوله.

قال الواحدي[١]: بعضهم فظّ على بعض، وبينهم مخالفة وعداوة.

﴿تحسبهم جميعاً﴾ مجتمعين مؤتلفين ﴿وقلوبهم شتى﴾ مفترقة غير متّفقة، ومختلفة غير مؤتلفة.

وهذا أحد الأسباب التي [فَلَّ][٢] اللهُ بها جَمْعَ اليهود وكسر شوكتهم.

وقال مجاهد: أراد أن دين المنافقين يخالف دين اليهود[٣].

وفي ذلك تشجيع للمؤمنين عليهم، وإغراء لهم بهم.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى اختلافهم فيما بينهم، ﴿بأنهم قوم لا يعقلون﴾ أَنَّ تَشَتُّتَ قلوبِهِم مما يُوهنُهُم ويخذُلُهم.

ثم ضرب الله تعالى لليهود مثلاً، فذلك قوله تعالى: ﴿كمثل الذين من قبلهم قريباً﴾ أي: مَثَلُ اليهود كمثل الذين من قبلهم في زمان قريب.

قال مجاهد: كفار قريش يوم بدر[٤]، وكان بينهما ستة أشهر.

وقال ابن عباس: كمثل بني قينقاع[٥].

وقال قتادة: مثلُ قريظة كمثل الذين من قبلهم بني النضير، أُجْلوا عن الحجاز

---

(١) الوسيط (٤/ ٢٧٦).

(٢) في الأصل: قلّ. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٥)، والطبري (٢٨/ ٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٤٨).

إلى الشام[1]. وكان بينهما سنتان.

والمراد: [التمثيل بينهم][2] في الخذلان، واستيلاء أهل الإسلام عليهم.

﴿ذاقوا وبال أمرهم﴾ سوء عاقبته في الدنيا، ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة.

ثم ضرب مثلاً لليهود والمنافقين حين أخلفوهم ما وعدوهم وغروهم فقال تعالى: ﴿كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر﴾ قال مجاهد: هذا مثلٌ ضربه الله للكافر في طاعة الشيطان، وهو عامٌّ في الناس كلهم[3].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنه إنسانٌ مخصوص، ضربه الله مثلاً لهؤلاء المغرورين. وهذا شرح قصته:

ذكر ابن عباس وغيره من [أهل العلم بالتفسير والسير][4]: أن عابداً من بني إسرائيل يقال له: بَرْصِيصا، كان تعبّد في صومعة له زماناً طويلاً، لم يعص الله فيه طرفة عين، وكان يُؤتى بالمجانين فيداويهم ويُعوذهم فيبرؤون على يده، وأن إبليس أعياه أمره، فجمع له المَرَدة فقال: ألا أحد منكم يكفيني أمر برصيصا؟ فقال الأبيض -وهو صاحب الأنبياء-: أنا أكفيك أمره، فانطلق على صورة الرهبان فأتى صومعته فناداه فلم يجبه برصيصا، وكان لا ينفتل عن صلاته إلا في كل عشرة أيام مرة، فلما رأى أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته، فلما انفتل

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٧). وذكره الماوردي (٥/ ٥٠٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١١٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في الأصل: التمثل بهم. والتصويب من ب.

(٣) أخرج مجاهد في تفسيره (ص:٦٦٥) قال: يعني الناس عامة، وعنه الطبري (٢٣/ ٢٩٧).

(٤) في الأصل: أهل التفسير والعلم بالسير. والمثبت من ب.

برصيصا اطّلع فرآه منتصباً يصلي على هيئة حسنة، فلما رأى ذلك من حاله تذمّر في نفسه حين لم يجبه، فقال له: كنتُ مشغولاً عنك حين ناديتني، فحاجتك؟ فقال: حاجتي أحببت أن [أكون][(١)] معك [فأتأدّب بك][(٢)] وأقتبس من علمك، ونجتمع على العبادة، فتدعو لي وأدعو لك، قال برصيصا: إني لفي شُغُل عنك، فإن كنتَ مؤمناً فإن الله سيجعلُ لك فيما أدعو للمؤمنين والمؤمنات نصيباً إن استجاب لي، ثم أقبل على صلاته وترك الأبيض، وأقبل الأبيض يصلي، فلم يلتفت برصيصا إليه أربعين يوماً، فلما انفتل رآه قائماً يصلي، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده، وكثرة تضرّعه وابتهاله إلى الله تعالى [كلمه][(٣)] فقال له: حاجتك؟ فأعاد عليه القول، فأذن له فصعد إليه فأقام معه حولاً لا يفطر إلا في كل أربعين يوماً وربما زاد على ذلك فمدّ إلى الثمانين، فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده تقاصرت إليه نفسه وأعجبه شأن الأبيض، فلما حال الحول قال الأبيض لبرصيصا: إني منطلق عنك، فإن لي صاحباً غيرُك، ظننت أنك أشد اجتهاداً مما أرى، وكان بلغنا عنك غير الذي رأيت، قال: فدخل على برصيصا من ذلك أمرٌ شديد، وكره مفارقته للذي رأى من شدة اجتهاده، فلما ودّعه قال الأبيض: إن عندي دعوات أعلمكها تدعو بهن للمبتلى والمجنون فيعافى بإذن الله، فقال برصيصا: إني أكره هذه المنزلة؛ لأن لي [في][(٤)] نفسي شُغلاً، وإني أخاف إن عَلِمَ الناس بهذا شغلوني عن العبادة،

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: فتأدب. والتصويب والزيادة من ب.

(٣) في الأصل: فكلمه. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

فلم يزل به حتى علّمه، ثم انطلق حتى أتى على إبليس فقال له: والله قد[(١)] أهلكت الرجل. قال: فانطلق الأبيض فتعرّض لرجل فخنقه، ثم جاءه في صورة رجل متطبّب فقال: إن بصاحبكم جنوناً أفأعالجه؟ قالوا: نعم. فقال لهم: إني لا أقوى على جنّيته، ولكن سأرشدكم إلى من يدعو الله تعالى له فيعافيه، فقالوا له: دلّنا؟ فقال لهم: انطلقوا إلى برصيصا فإن عنده اسم الله الذي إذا دُعي به أجاب، فانطلقوا إليه فسألوه ذلك، فدعا بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان، وكان الأبيض يفعل بالناس مثل ذلك ثم يبعثهم[(٢)] إلى برصيصا فيدعو لهم فيعافون. قال: فانطلق الأبيض فتعرّض لجارية من أبناء[(٣)] ملوك بني إسرائيل، بين ثلاثة إخوة، فخنقها ثم جاء إليهم في صورة متطبّب فقال: أعالجها؟ قالوا: نعم. قال: إن الذي عرض لها ماردٌ لا يُطاق ولكن سأرشدكم إلى رجل تثقون به تَدَعُونها عنده، فإذا جاء شيطانها دعا لها، فقالوا: ومن هو؟ فقال: برصيصا، قالوا: وكيف لنا أن يقبلها منا وهو أعظم شأناً من ذلك؟ قال: إن قَبِلَها وإلا [فضعوها][(٤)] في صومعته وقولوا له: هي أمانة عندك، فانطلقوا إليه فأبى عليهم، فوضعوها في صومعته، وقيل: وضعوها في غار إلى جانب صومعته وقالوا: هي أمانة عندك، ثم انصرفوا، فلما انفتل برصيصا من صلاته جاءه الشيطان فقال له: لو نزلت إليها فمسحتها بيدك، ودعوت الله لها فيعافيها وتذهب إلى أهلها، فنزل، فلما دنا من باب الغار دخل فيها الشيطان، فإذا

---

(١) في ب: قد والله.

(٢) في ب: يرسلهم.

(٣) في الأصل زيادة قوله: الملوك.

(٤) في الأصل: ضعوها. والمثبت من ب.

هي تركض فسقطت عنها ثيابها، فنظر برصيصا إلى شيء لم ينظر إلى مثله حُسْناً وجمالاً، فأتاه الشيطان فقال له: ويحك واقِعْها فلن تجد مثلها، وتتوب بعد ذلك، فتُدْرِك الأمر الذي تريد، فلم يزل به حتى واقعها، وضَرَبَ على أذنه، فلم يزل يختلف إليها إلى أن حملت، فقال له الشيطان: ويحك يا برصيصا لقد انفضحت(١)، فهل لك أن تقتل هذه وتتوب، فإن سألوك عنها قلت: جاء شيطانها فذهب بها، فلم يزل به حتى قتلها ودفنها، ثم رجع إلى صومعته فأقبل على عبادته(٢)، فجاءه إخوتها يسألونه عنها فقال: جاءها شيطانها فذهب بها ولم أُطِقْه، فصدَّقُوه وانصرفوا.

وفي بعض الروايات أنه قال: فدعوت الله لها فعافاها ورجعت إليكم، فتفرّقوا ينظرون لها أثراً، فلما أمسوا جاء الشيطان إلى كبيرهم في منامه فقال: ويحك، إن برصيصا فعل بأختك كذا وكذا، وإنه دفنها في موضع كذا وكذا من جبل كذا، فقال: هذا حلم، فبرصيصا خيرٌ من ذلك، فتتابع عليه ثلاث ليال ولا يكترث، فانطلق إلى الأوسط كذلك، ثم إلى الأصغر بمثل ذلك، فقال الأصغر لإخوته: لقد رأيت كذا وكذا، فقال الأوسط: وأنا والله، فقال الأكبر: وأنا والله، فأتوا برصيصا فسألوه عنها، فقال: قد أعلمتكم بحالها فكأنكم اتهمتموني؟ قالوا: لا والله، واستحيوا وانصرفوا. فجاءهم الشيطان فقال: ويحكم إنها لمدفونة في موضع كذا وكذا وإن إزارها لخارج من التراب، فانطلقوا فحفروا فرأوا أختهم، فقالوا: يا عدو

---

(١) في ب: قد افتضحت.

(٢) في ب: صلاته.

[الله](١) أقتلتها؟ اهبط، فهدموا صومعته، ثم أوثقوه وجعلوا في عنقه حبلاً، ثم قادوه إلى الملك فأقرّ على نفسه، وذلك أن الشيطان أتاه فقال: تقتلها ثم تُكابر، فلما أقرّ أمر الملك بقتله وصلبه، فعرض له الشيطان الأبيض وكان إبليس قال له: ما يُغني عنك ما فعلت؟ إن قُتل فهو كفارة له لما كان منه، فقال الأبيض: أنا أكفيكه، فأتاه فقال له: أتعرفني؟ قال: لا، قال: أنا صاحبك الذي علمتك الدعوات، ويحك أما(٢) اتقيت الله في أمانة! خنت أهلها، وأنت تزعم أنك أعبد بني إسرائيل، ثم إنك أقررت على نفسك فافتضحت وفضحت أشباهك من الناس، فإن مُتّ على هذه الحال لم تُفلح ولا أحدٌ من نظرائك، فقال: فكيف أصنع؟ قال: [تطيعني](٣) في خصلة حتى أنجيك وآخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك، قال: وما هي؟ قال: تسجد لي؟ قال: أفعل، فسجد له، فقال: يا برصيصا هذا الذي [أردت](٤) منك، صارتْ عاقبة أمرك إلى أن كفرت، إني بريء منك، ثم قُتل. فضرب الله هذا [المثل](٥) لليهود حين غرّهم المنافقون، ثم أسلموهم(٦).

وباقي الآية مُفسّر في الأنفال(٧).

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في ب: ما.

(٣) في الأصل: تطعني. والمثبت من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: مثلاً. والمثبت من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢١٩-٢٢٢).

(٧) عند الآية رقم: ٤٨.

قوله تعالى: ﴿فكان عاقبتهما﴾ أي[١]: الشيطان وذلك الإنسان.

وقال مقاتل[٢]: يعني: عاقبة اليهود والمنافقين.

﴿أنهما في النار خالدين فيها﴾ وقرأ ابن مسعود: "خالدان فيها" على أنه خبر "أنّ"[٣]. و"في النار": لغو، وعلى القراءة المشهورة: "خالدين" حال من الضمير في قوله: "في النار"[٤]. [أي][٥]: أنهما ثابتان في النار خالدين فيها.

وكرر "في" كقولهم: زيد في الدار قائم فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ أي: لينظر أحدكم ما الذي قدّم ليوم القيامة من الأعمال، فهل قدّم صالحاً أو طالحاً؟

والمراد من ذلك: الحضّ على ما يُقرِّب من الجنة ويُبعد من النار.

فإن قيل: لم نكّر النفس والغد؟

---

(١) في ب: يعني.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٤٨)، والدر المصون (٦/ ٢٩٩).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٢٩٩).

(٥) زيادة من ب.

فقد أجاب عنه صاحب الكشاف فقال[١]: أما تنكير النفس فاستقلال للأنفس النواظر فيما قدّمن للآخرة، كأنه قال: فلتنظر نفس واحدة في ذلك.

وأما تنكير الغد فلتعظيمه وإبهام أمره، كأنه قيل: لغد لا يُعرف كُنهه لِعِظَمه.

فإن قيل: بين نزول هذه الآية وبين يوم القيامة زمن طويل، فما معنى قوله: "لغد"؟

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أنه أراد تقريبه، فجعله في القُرب بمنزلة الغد؛ تهييجاً لدواعي العباد على الاستعداد له والعمل لأجله، كما قرّب زمن إهلاك القرون الماضية فقال: ﴿كأن لم تغن بالأمس﴾ [يونس:٢٤]؛ [ليكون][٢] ذلك في جهة الاعتبار والادّكار، كأنه بالنسبة إلى يومهم الحاضر أمسهم الذاهب، فإنه أبلغ في الموعظة والتخويف.

الثاني: أنه عبّر عن الآخرة بالغد؛ تنزيلاً للآخرة والدنيا على أنهما نهاران: يوم وغد.

فإن قيل: لم كرّر الأمر بالتقوى؟

قلتُ: عنه جوابان:

أحدهما: أنه كرّره توكيداً، وهذا [باب][٣] واسع في كلام العرب والكتاب العزيز. وقد سبق ذكره في مواضع.

والثاني: أن الأمر الأول بالتقوى يجوز أن يكون المراد به: اتقوا الله في [امتثال ما

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٠٨).

(٢) في الأصل: لكون. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بيان. والتصويب من ب.

أُمرتم به من الطاعات. والثاني يجوز أنه يراد به: واتقوا الله في][(١)] اجتناب ما نُهيتم عنه من المعاصي؛ لأنه عقَّب كل واحد من الأمرين بما يـدُل عـلى هـذا التفـسير، فحينئذ [يَسْلَم بهذا التقرير][(٢)] من التكرير.

قوله تعالى: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ من قبل ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ قال الزجاج[(٣)]: تركوا ذكْره وما أمرهم به، فترك ذكْرهم بالرحمة والتوفيق.

وقيل: فأنساهم أنفسهم؛ لشدة ما لاَبَسَهُم في الآخرة من أهوال القيامة.

قال ابن عباس: يريد: قريظة والنضير وبني قينقاع[(٤)]، وهو قوله: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾.

فإن قيل: لا يخفى على أدنـى مـن لـه مُـسْكَة مـن عقـل أن أصـحاب الجنـة وأصحاب النار لا يستويان، فما معنى نفي المساواة بينهما؟

قلتُ: المقصود: تنبيه العباد من رقدة غفلتهم عن الآخرة، كما تقـول لرجـل مُنهمك على أفعال تجلب له بها ضرراً: إنّها نفسك، فتجعله بمنزلة مـن لا يعـرف نفسه، فتنبّهه بذلك على خطر النفس وشرفها، ولزوم السعي لأسباب حفظها.

لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: مسلم بهذا التفسير. والمثبت من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٤٩).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٢٤).

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ المعنى: لو ركّبنا في جبل عقلاً وتمييزاً وأنزلنا هذا القرآن العظيم عليه، ﴿لرأيته﴾ لمواعظ القرآن وزواجره مع ما رُكّب فيه من الصلابة ﴿خاشعاً﴾ ذليلاً خاضعاً ﴿متصدّعاً﴾ مشفقاً ﴿من خشية الله﴾.

والغرض: توبيخ الإنسان على قسوة قلبه، وقلّة خشوعه عند تلاوة القرآن، وإعراضه عن تدبّر آياته، والتفكّر في عجائب ما صَرَّفَ فيه من الوعد والوعيد. وهذا تمثيل وتخييل، ألا ترى إلى قوله: ﴿وتلك الأمثال... الآية﴾.

وما بعدها إلى آخر السورة سبق تفسيره.

وقد أشرت إلى شرح أسماء الله الحسنى على وجه الاختصار في قوله: ﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ في أواخر الأعراف[1]، فتطلب تفسيرها من هناك وفي أماكنها في غضون هذا الكتاب.

والمُصَوِّر: الذي أنشأ خلقه على صور شتى؛ ليتعارفوا بها.

وقرأ الحسن وأبو الجوزاء وأبو عمران وابن السميفع: "المصوَّرَ" بفتح الواو

---

(١) عند الآية رقم: ١٨٠.

والراء[١]، على معنى: الذي برأ [المصوَّر][٢].

أخبرنا الشيخ أبو المجد محمد بن محمد بن أبي بكر [الهمذاني][٣] قراءة عليه وأنا أسمع بدمشق، أخبرنا الشيخان أبو المحاسن عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه أبو سعيد المطهّر بن عبدالكريم بن محمد [القومسانيان][٤] قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد بن الحسن الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسّار الدينوري، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، حدثنا محمد بن الحسين بن مكرم[٥]، حدثنا محمود بن غيلان[٦]، حدثنا أبو أحمد الزبيري[٧]، حدثنا خالد بن طهمان أبو العلاء[٨]، حدثنا نافع بن أبي نافع[٩]، عن

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٤)، وزاد المسير (٨/ ٢٢٩).

(٢) في الأصل: الصور. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: الهمداني. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: القوسانيان. والتصويب من ب.

وقومسان: من نواحي همذان (معجم البلدان ٤/ ٤١٤).

(٥) محمد بن الحسين بن مكرم، أبو بكر البغدادي، كان قد انتقل إلى البصرة فسكنها حتى مات بها، وكان ثقة، توفي في ذي القعدة من سنة تسع وثلاثمائة (تاريخ بغداد ٢/ ٢٣٣).

(٦) محمود بن غيلان العدوي مولاهم، أبو أحمد المروزي الحافظ، نزيل بغداد، ثقة، توفي سنة تسع وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٥٨، والتقريب ص:٥٢٢).

(٧) هو محمد بن عبد الله بن الزبير. تقدمت ترجمته.

(٨) خالد بن طهمان السلولي، أبو العلاء الخفاف الكوفي، صدوق رمي بالتشيع، ثم اختلط (تهذيب التهذيب ٣/ ٨٥، والتقريب ص:١٨٨).

(٩) نافع بن أبي نافع البزاز، مولى أبي أحمد، ثقة، روى عن معقل بن يسار، وأبي هريرة، وروى عنه خالد بن طهمان، وابن أبي ذئب (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٦٦، والتقريب ص:٥٥٨).

معقل بن يسار[١] قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر، وُكّل به سبعون ألف مَلَكٌ يُصلُّون عليه حتى يمسي، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً، وإن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة»[٢].

وفي حديث أبي هريرة: سألت حبيبي رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم قال: عليك بآخر سورة الحشر فأكْثِر قراءتها، فأعدت عليه فأعاد عليّ، فأعدت عليه فأعاد عليّ[٣]. والله تعالى أعلم.

---

(١) معقل بن يسار بن عبد الله بن معير المزني، أبو علي، ويقال: أبو يسار، ويقال: أبو عبد الله البصري، صحابي ممن بايع تحت الشجرة، وهو الذي ينسب إليه نهر معقل بالبصرة. مات بعد الستين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢١٢، والتقريب ص:٥٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ١٨٢ ح٢٩٢٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٠).

(٣) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٢٨٩).

سورة الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاث عشرة آية، وهي مدنية بإجماعهم[1].

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ
وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ
رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ
وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾
إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ
وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ
بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا
بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ
تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٤٤).

قالِ الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ ذهب عامة المفسرين إلى أنها نزلت في قصة حاطب بن أبي بلتعة، وكان من حديثه: أن سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف أتت النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بعد بدر بسنتين، فقال لها رسول الله ﷺ: أمسلمة جئت؟ قالت: لا، قال: أمهاجرة جئت؟ قالت: لا، قال: فما جاء بك؟ قالت: كبت الأصل والعشيرة والموالي، وقد ذهبت مواليّ واحتجت حاجة شديدة، فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني، قال لها: فأين أنت من شباب أهل مكة، وكانت مغنية، فقالت: ما طُلب مني شيء بعد وقعة بدر، فحثّ عليها رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب، فكسوها وأعطوها نفقة، وحملوها.

فأتاها حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزى فكتب معها كتاباً إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل الكتاب إلى أهل مكة، وفيه: إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم، فنزل جبريل وأخبر النبي ﷺ بذلك بعد خروج سارة، فأرسل رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد وأبا مرثد في طلب الكتاب[1]، فكان من القصة: ما أخبرنا به الشيخان الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي قراءة عليه وأنا أسمع بجامع دمشق، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري بقراءتي عليه ببغداد، قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور بن علان

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤١)، والبغوي (٤/ ٣٢٨-٣٢٩)، وزاد المسير (٨/ ٢٣٠-٢٣١).

[الكرجي][1]، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا محمد بن إدريس الشافعي، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن الحسن بن محمد [بن][2] علي[3]، عن عبيدالله بن أبي رافع[4] قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: «بعثنا رسول الله ﷺ أنا والمقداد والزبير فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخٍ[5]، فإن بها ظعينة[6] معها كتاب، فخرجنا تتعادى بنا خيلنا، فإذا نحن بظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، [فقالت: ما معي كتاب، فقلنا لها: لتخرجنّ الكتاب][7]، أو لنلقينّ الثياب، فأخرجته من عِقَاصِها[8]، فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى

---

(١) في الأصل: الكرخي. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٧١-٧٢)، والتقييد (ص:٤٥١).

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٣) الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي، أبو محمد المدني، وأبوه يعرف بابن الحنفية، ثقة فقيه، كان من ظرفاء بني هاشم وأهل الفضل منهم، مات سنة مائة أو قبلها، وليس له عقب (تهذيب التهذيب ٢/ ٢٧٦، والتقريب ص:١٦٤).

(٤) عبيد الله بن أبي رافع المدني، مولى النبي ﷺ، وكاتب علي رضي الله عنه، كان ثقة كثير الحديث (تهذيب التهذيب ٧/ ١٠، والتقريب ص:٣٧٠).

(٥) خاخ -ويقال: روضة خاخ-: موضع بين الحرمين بقرب حمراء الأسد من المدينة (معجم البلدان ٢/ ٣٣٥).

(٦) الظعينة: المرأة، وأصله: المرأة في الهودج على ناقتها (تفسير الطبري ١٧/ ٦٢١).

(٧) زيادة من مصادر تخريج الحديث.

(٨) العِقَاص: جمع، واحده: عقيصة، وهي الخُصْلَة. والعَقْصُ: أن تأخذ المرأة كل خصلة من شعرها فتلويها ثم تعقدها حتى يبقى فيها التواء ثم ترسلها، فكل خصلة عقيصة (اللسان، مادة: عقص).

ناس[١] من المشركين بمكة، يُخبر ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا يا حاطب؟ [فقال][٢]: لا تعجل عليَّ، فإني كنت امرءاً مُلْصَقاً في قريش، ولم أكن من أنفُسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم، ولم يكن لي بمكة قرابة، فأحببت إذ فاتني ذلك أن أتخذ عندهم يداً، والله ما فعلته شكاً في ديني، ولا أرضى بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد صدق. فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ونزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء... الآية﴾»[٣]. أخرجه البخاري عن الحميدي. وأخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره، كلهم عن سفيان.

وفي رواية أخرى: «أن رسول الله ﷺ قال: وما يدريك يا عمر، لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، ففاضت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم»[٤].

[وفي][٥] رواية أخرى: «أنهم همّوا بالرجوع، فقال علي عليه السلام: والله ما كُذبنا، وسلّ سيفه وقال: أخرجي الكتاب وإلا والله لأُجَرِّدَنَّكِ، ولأضربنَّ عنقك،

(١) في ب: أناس.
(٢) في الأصل: قال. والمثبت من ب.
(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٥ ح٤٦٠٨)، ومسلم (٤/ ١٩٤١ ح٢٤٩٤)، والشافعي في مسنده (ص:٣١٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٠٩ ح٥٩٠٤).
(٥) في الأصل: في. والتصويب من ب.

فلما [رأت][(١)] الجدّ أخرجته من عقاصها... ثم ساق الحديث كما تقدم، وقال: فأردت أن أتخذ عندهم يداً، وقد علمتُ أن [الله][(٢)] مُنْزِل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم شيئاً، فصدقه رسول الله ﷺ وعذره»[(٣)].

وفي حديث جابر بن عبدالله: «أن عبداً لحاطب جاء يشتكي حاطباً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ليدخلنّ حاطب النار، فقال النبي ﷺ: كذبتَ، لا يدخلها أبداً، إنه قد شهد بدراً والحديبية»[(٤)].

وقد ذكرنا فيما مضى أن "العَدُوّ" على زنة المصدر، فلذلك يقع على الواحد والاثنين والجمع، و"العَدُوّ" فعول من عَدَا، كعَفُوّ من عَفَا.

قوله تعالى: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون استئنافاً، على معنى: أتُلقون إليهم المودة، فحذف همزة الاستفهام، كما في قوله: ﴿وتلك نعمة تمنّها عليّ﴾ [الشعراء:٢٢]، وكما في نظائره السابقة في أماكنها.

الثاني: أن يكون "تلقون" متعلقاً بـ"لا تتخذوا"، فيكون حالاً من الضمير فيه، على معنى: لا تتخذوهم أولياء ملقين إليهم بالمودة.

الثالث: أن يتعلق بـ"أولياء"، فيكون صفة له، على معنى: لا تتخذوهم أولياء

---

(١) في الأصل: رأيت. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن حبان (١٦/ ٥٧ ح٧١١٩)، والطبراني في الأوسط (٦/ ٣٤٣).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٩ ح١٤٨١٣).

مُلقًى إليهم بالمودة[١].

والباءِ في "بالمودة" زائدة مؤكدة؛ كقوله: ﴿ولا تلقوا بأيـديكم إلى التهلكـة﴾ [البقرة:١٩٥]، وقوله: ﴿يرد فيه بإلحاد﴾ [الحج:٢٥].

وقيل: ليست زائدة، على معنى: تُلقون إليهم أخبار رسول الله ﷺ بسبب المودة التي بينكم وبينهم[٢].

قوله تعالى: ﴿وقد كفروا﴾ حال من "لا تتخذوا". ويجوز أن يكون حالاً مـن "تلقون"، على معنى: لا توالوهم أو لا توادّوهم وهذه حالهم[٣].

قوله تعالى: ﴿يخرجون الرسـول وإيـاكم﴾ حـال مـن[٤] "كفـروا"[٥]، وهـو استئناف خارج مخـرج التعليـل؛ لكفـرهم، و﴿أن تؤمنـوا﴾ تعليـل لإخـراجهم، تقديره: يخرجونكم لإيمانكم.

قوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم﴾ شرط [تقدم][٦] جوابه عليه، تقديره: إن كنتم خرجتم جهاداً فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء. والبصريون يقولـون في مثـل هذا: هو شرط جوابه محذوف؛ لدلالة ما قبله عليه[٧].

وقوله: ﴿جهاداً﴾ و ﴿ابتغاء مرضاتي﴾ مصدر في موضع الحـال، تقـديره: إن

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٤) في الأصل زيادة قوله: الذين.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٦) في الأصل: بعد. والتصويب من ب.

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣٠٢).

كنتم خرجتم مجاهدين مبتغين مرضاتي، ويجوز أن يكونا مفعولين لهما[١]، وهو اختيار الزجاج[٢].

قوله تعالى: ﴿تسرون إليهم بالمودة﴾ كلام مستأنف، مضمونه: الإعلام بعدم انتفاعهم بالإسرار إليهم؛ لاستواء السر والعلانية بالنسبة إلى علم الله تعالى.

وجائز أن يكون استئنافاً بإضمار الهمزة، على معنى: الإنكار عليهم والتوبيخ لهم على موالاة الكفار ومصافاتهم، والإسرار إليهم بالمودة[٣].

والباء في "بالمودة" كالتي قبلها، والواو في: "وأنا أعلم" للحال[٤].

ثم هدَّدَهم فقال: ﴿ومن يفعله منكم﴾ يعني: بعد هذا النهي والزجر والبيان الواضح، ﴿فقد ضل سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الهدى.

ثم أكّد ذلك وأخبرهم بما في أنفسهم لهم من العداوة فقال: ﴿إن يثقفوكم﴾ أي: يظفروا بكم ﴿يكونوا لكم أعداء﴾ ظاهري العداوة، ﴿ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء﴾ بالقتل والشتم، ﴿وودوا﴾ أحبوا وتمنّوا ﴿لو تكفرون﴾ فهم يريدون بكم هلاك الدنيا والآخرة.

المعنى: فكيف تُوالونهم وهذه حالهم معكم؟

ولما كان الحامل لحاطب والباعث له على مناصحة الكفار؛ الخوف على قراباته والمحاماة عليهم قال: ﴿لن تنفعكم أرحامكم﴾ أي: ذوو أرحامكم ﴿ولا

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٥٦).

(٣) في ب: بالمودة إليهم.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٢).

أولادكم﴾ أي: لن ينفعكم عند الله إذا عصيتموه بسببها. والعامل في "يوم": "يفْصِل".

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: "يُفْصَلُ" بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد، ومثلهم ابن عامر إلا أنه شدد الصاد وفتح الفاء، ومثله حمزة والكسائي إلا أنهما كسرا الصاد[١]، ومثلهما أُبيّ وابن عباس إلا أنهما قرءا: "نُفَصِّل" بالنون[٢].

وقرأ عاصم: بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد وتخفيفها[٣]. ومثله أبو رزين وعكرمة والضحاك، إلا أنهم قرؤوا: "نَفْصِلُ" بالنون[٤]. والفاعل على جميع القراءات وتصاريف الفعل هو: الله.

والمعنى: يوم القيامة يفصل بينكم، فيفرّ [المرء][٥] من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه، ويفصل بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والكافرين النار.

ثم حضّهم على التأسّي بإبراهيم في التَّبَرُّؤ من الكفار فقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾ وقد سبق تفسيره في الأحزاب[٦].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٦-٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٨)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص: ٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٣٣-٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ٣٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٦-٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٨)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص: ٤١٤)، والسبعة (ص:٦٣٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٣٤)، والدر المصون (٦/ ٣٠٤).

(٥) في الأصل: المؤمن. والمثبت من ب.

(٦) عند الآية رقم: ٢١.

والمعنى: قد كان لكم يا حاطب ومن عساه كان على مثل مذهبه اقتداءٌ حسن ﴿في إبراهيم والذين معه﴾ وهم الأنبياء. وقيل: المؤمنون، ﴿إذ قالوا لقومهم﴾ حين باينوهم في الدين.

وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه﴾ قال ابن عباس: كانت لكم أسوةٌ حسنة في صنع إبراهيم، إلا في استغفاره لأبيه وهو مشرك(١).

قال مجاهد: نُهوا أن يتأسوا بإبراهيم في استغفاره للمشركين(٢). وقد ذكرنا ذلك في أواخر براءة(٣)، وأواخر إبراهيم(٤).

﴿وما أملك﴾ من تمام قول إبراهيم لأبيه، أي: ما أملك ﴿لك من الله من شيء﴾ سوى أني أستغفر لك. فأما الهداية [والإضلال](٥) فإليه سبحانه، أو ما أقدر أن أدفع عنك من عذاب الله شيئاً إن كفرتَ به.

وقوله: ﴿ربنا عليك توكلنا﴾ وما في حيزه من تمام الأسوة الحسنة.

ويجوز أن يكون المعنى: قولوا: ربنا، فيكون من تمام ما وقعت الوصية به من قطع العلائق بين المؤمنين والكافرين.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٧ ح٣٨٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه ابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٧)، والطبري (٢٨/ ٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) سورة التوبة، عند الآية رقم: ١١٤.

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

(٥) في الأصل: والضلال. والمثبت من ب.

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ ۚ وَمَن
يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ
عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ
ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى
ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن
يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٩﴾

قوله تعالى: ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ قال الزجاج[١]: لا تُظهرْهم علينا فيظنوا أنهم على حق، فيفْتَتِنُوا بذلك.

وقال مجاهد: لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك، فيقولوا: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا[٢]. وقد سبق ذلك في يونس[٣].

قال الزمخشري[٤]: ثم كرّر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريراً وتأكيداً عليهم، ولذلك جاء به مُصَدَّراً بالقسم؛ لأنه الغاية في التأكيد، وأبدل عن قوله:

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ١٥٧).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٧)، والطبري (٢٨/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٢٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) عند الآية رقم: ٨٥.

(٤) الكشاف (٤/ ٥١٣-٥١٤).

﴿لكم﴾ قوله تعالى: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾، وعَقَّبَهُ بقوله: ﴿ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد﴾ فلم يترك نوعاً من التأكيد إلا جاء به.

قال مقاتل وغيره[1]: فلما نزلت هذه الآيات بالغ المسلمون في مقاطعة أبنائهم وآبائهم وعشائرهم وأقربائهم.

فلما رأى اللهُ منهم صدقَهم في البراءة من المشركين وَعَدَهُم بما يتمنونه فقال: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾، ففعل ذلك بأن أسلم كثير منهم يوم الفتح: أبو سفيان بن حرب، والحارث بن هشام، وحكيم بن حزام، وسهيل بن عمرو، وغيرهم من صناديد قريش.

وتزوج رسولُ الله ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، وكانت هاجرتْ مع زوجها عبيد الله بن جحش إلى الحبشة فتنصّر، وأَبَتْ أن تُتابعه، فمات، وبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشي فخطبها عليه، وساق عنه إليها أربعمائة دينار، وبلغ ذاك أباها فاستبشر وقال: ذاك والله الفَحْل، لا يُقْرَعُ أنفه، وانكسر عن كثير مما كان عليه من الإيغال في عداوة رسول الله ﷺ.

﴿والله قدير﴾ على تقليب قلوب العباد وإصلاح أهل الفساد، ﴿والله غفور رحيم﴾ لا يتعاظم عليه مغفرةُ تلك السيئات الشنيعة، والصفح عن تلك الجنايات الفظيعة.

قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين﴾ ذهب جماعة من المفسرين: إلى أنها نزلت في النساء والصبيان.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٣).

قال ابن الزبير: نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أن أُمَّها قُتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا، فلم تقبل هداياها، ولم تُدخلها منزلها، فسألت لها عائشة رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية، فقال: مريها أن تُدخلها منزلها، وتَقْبَل هديتها، وتكرمها، وتُحسنَ إليها[1].

وقال جماعة، منهم ابن عباس: نزلت في خزاعة وبني مدلج، وكانوا صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يُقاتلوه ولا يُعينوا عليه أحداً[2].

وقال عطية العوفي: نزلت في جماعة من بني هاشم، منهم: العباس بن عبدالمطلب[3].

وقيل: هي عامة في كل من لم يقاتل من الكفار.

وكان قتادة وابن زيد يقولان: هي منسوخة بآية السيف[4].

والصحيح: أنها محكمة[5].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٤٩)، والحاكم (٢/ ٥٢٧ ح٣٨٠٤)، والنحاس في ناسخه (ص:٧١٥)، والبزار في مسنده (٦/ ١٦٧ ح٢٢٠٨)، وأحمد (٤/ ٤)، والطيالسي (١/ ٢٢٨ ح١٦٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٠-١٣١) وعزاه للطيالسي وأحمد والبزار وأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في تاريخه والحاكم وصححه والطبراني وابن مردويه. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٤).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣١) وعزاه لأبي داود في تاريخه وابن المنذر عن قتادة.

(٥) انظر دعوى النسخ في هذه الآية: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٧٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٠)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٤٨٥-٤٨٦).

وقوله تعالى: ﴿أن تبرّوهم﴾ بـدل مـن "الـذين لم يقـاتلوكم"، وكـذلك "أن تولوهم"[1]، إذ المعنى: لا ينهاكم الله عن مبرّة هؤلاء ومعاملتهم بالعـدل، ﴿إنـما ينهاكم الله﴾ عز وجل ﴿عن﴾ تولي ﴿الذين قاتلوكم... الآية﴾.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وقال ابن عباس: صالح رسول الله ﷺ مشركي مكة يوم الحديبية على أن من أتـاه من أهل مكة ردّه عليهم، ومن أتى أهلَ مكة من أصحابه لم يردوه، وكتبوا بذلك كتاباً [وختموا][2] عليه. فجاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعـد الفـراغ مـن الكتاب والنبـي ﷺ بالحديبيـة، فأقبـل زوجهـا مـسافر مـن بنـي مخـزوم –وقـال

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣٠٦).

(٢) في الأصل: وختموه. والتصويب من ب.

[المقاتلان][1]: هو صيفي بن الراهب- في طلبها، وكان كافراً، فقال: يا محمد! اردد عليّ امرأتي، فإنك قد [شرطت][2] لنا أن تردّ علينا مـن أتـاكم منـا، وهـذه طينـة الكتاب لم تجفّ بعد، فأنزل الله هذه الآية[3].

وذكر جماعة؛ منهم محمد بن سعد -كاتب الواقدي-: أنها نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أولُ من هاجر مـن النـساء إلى المدينـة بعـد هجـرة رسول الله ﷺ، فقدمت المدينة في هدنة الحديبية، فخرج في أثرهـا أخواهـا الوليـد وعمارة ابنا عقبة فقالا: يا محمد! أوف لنا بشرطنا، وقالت أم كلثوم: يا رسول الله! أنا امرأة وحال النساء إلى الضعف [ما][4] قد علمت، فإن رددتني إلى الكفار فتنوني عن ديني ولا صبر لي، فنقض الله العهد في النساء، وأنزل فيهن المحنة[5].

فصل

قال الماوردي[6]: اختلف أهل العلم هل دخل ردّ النساء في عقد الهدنة لفظاً أو عموماً؟

فقالت طائفة منهم: قد كان شرط رَدِّهِنَّ في عقد الهدنة لفظاً صريحاً، فنسخ الله رَدَّهُنَّ [من العقد][7] ومنع منه، وبقّاه في الرجال على ما كان.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥١). وما بين المعكوفين في الأصل: مقاتلان. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: شرط. والتصويب من ب.

(٣) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٤٤)، وزاد المسير (٨/ ٢٣٨).

(٤) في الأصل: كما. والمثبت من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٣٨-٢٣٩).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢١).

(٧) زيادة من الماوردي، الموضع السابق.

وقالت طائفة من أهل العلم: [لم يشترط ردّهنّ في العقد لفظاً، وإنما][1] أطلق العقد [في ردّ][2] من أسلم، فكان ظاهرُ العموم اشتمالَه عليهن مع الرجال، فبيّن الله تعالى خروجهن عن عمومه، وفرّق بينهن وبين الرجال لأمرين:

أحدهما: أنهنَّ ذوات فروج يحرمن عليهم.

والثاني: أنهنَّ أرقّ قلوباً وأسرع تقلباً منهم.

فأما المقيمة على شركها فمردودةٌ عليهم.

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: إنما لم يردّ النساء عليهم؛ لأن النسخ جائز بعد التمكّن من الفعل وإن لم يقع الفعل[3].

قال ابن زيد: وإنما أُمر بامتحانهن؛ لأن المرأة كانت بمكة إذا غضبت على زوجها تقول: لألحقنّ بمحمد[4].

واختلفوا فيما كان يمتحنهنّ به، فأخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي، قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته: «أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية بقول الله: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾. قال عروة: قالت

---

(١) زيادة من الماوردي (٥/ ٥٢١).

(٢) في الأصل: ورد. والمثبت من ب، والماوردي، الموضع السابق.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٠).

عائشة: فمن أقرّ بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: قد بايعتك [كلاماً][(١)]، ولا والله! ما مسّت يدُه يدَ امرأة قط في المبايعة، ما يُبايعهن إلا بقوله: قد بايعتُك على ذلك»[(٢)]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وقال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يمتحن النساء بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله[(٣)].

وفي رواية عنه: كان يستحلف المرأة بالله ما خرجتُ من بُغض زوج، ولا رغبة عن أرض إلى أرض، ولا التماسَ دنيا، وإنما خرجتُ حباً لله ولرسوله[(٤)].

وقيل: امتحنوهن بالنظر في الأمارات.

﴿فإن علمتموهن﴾ بما يظهر لكم عند البحث عن حالهن ﴿مؤمنات﴾ والمراد بالعلم: غلبة الظن، ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾ أي: إلى أزواجهن الكفار.

وفي قوله: ﴿لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن﴾ تعليلٌ للمنع من ردهنّ إليهم.

قوله تعالى: ﴿وآتوهم ما أنفقوا﴾ أي: أعطوا أزواجهن ما بذلوا لهن من المهور.

قال مقاتل[(٥)]: هذا إن تزوجها مسلم، فإن لم يتزوجها أحد فليس لزوجها الكافر شيء.

---

(١) زيادة من الصحيحين، و ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٦ ح٤٦٠٩)، ومسلم (٣/ ١٤٨٩ ح١٨٦٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٤) وعزاه لابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠)، والترمذي (٥/ ٤١٢ ح٣٣٠٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٧ ح١٢٦٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٧) وعزاه لابن أبي أسامة والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥١).

﴿ولا جناح عليكم﴾ أي: ولا إثم عليكم ﴿أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ يعني: مهورهن.

فصل

الصحيح من مذهب الإمام أحمد: أن الحربية إذا هاجرت إلينا[١] بعد الدخول توقّفت الفرقة بينها وبين زوجها على انقضاء عدتها. فإن أسلم قبل انقضاء عدتها فهي امرأته. وهذا قول الأوزاعي والليث ومالك والشافعي.

وقال أبو حنيفة: تقع الفرقة باختلاف الدارين[٢].

قوله تعالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ قرأ أبو عمرو ويعقوب: "تُمَسِّكُوا" بالتشديد، من مسّك يمسّك، وخففها الباقون من العشرة[٣].

وقرأ ابن عباس والحسن: بفتح التاء والميم والسين مشددة[٤]. الأصل: تتمسّكوا، من قولك: تمسّكت بالشيء، فحذف إحدى التائين لاجتماعهما.

والكَوَافِر: جمع [كافرة][٥].

قال الزجاج[٦]: أي: إذا كفرت فقد زالت العصمة بين المشركة والمؤمن، أي: قد انْبَتَّ حبلُ عقد النكاح. وأصل العِصْمَة في اللغة: الحبل، وكل من أمسك شيئاً

---

(١) ساقط من ب.

(٢) انظر: المغني (٧/ ١٢٠)، وبدائع الصنائع (٢/ ٣٣٨).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٧)، والكشف (٢/ ٣١٩)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥)، والسبعة (ص:٦٣٤).

(٤) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٥).

(٥) في الأصل: كافر. والمثبت من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٥٩).

فقد عصمه.

وقال ابن قتيبة[١]: العِصْمَة: الجمال.

وقال الزمخشري[٢]: العِصْمَة: ما يُعْتَصَمُ به من عقد وسبب، والمعنى: لا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية.

قال ابن عباس: من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا [يَعْتَدَنَّ][٣] بها من نسائه[٤].

وقال النخعي: هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر[٥].

وقال مجاهد: أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن[٦].

وروى[٧] موسى بن طلحة بن عبيدالله عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية [طَلَّقْتُ][٨] أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وطَلَّقَ عمرُ بن الخطاب قريبةَ بنت أبي أمية بن المغيرة، فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان في الشرك،

---

(١) ذكر قول ابن قتيبة: الماوردي (٥/ ٥٢٢).

(٢) الكشاف (٤/ ٥١٧).

(٣) في الأصل و ب: يعيذن. والمثبت من الكشاف، الموضع السابق.

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥١٧).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٨) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٦٨)، والطبري (٢٨/ ٧٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٣) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٧) في الأصل زيادة قوله: أبو. وهو خطأ. وانظر: ب.

(٨) في الأصل: طلق. والتصويب من ب.

وطَلَّقَ أيضاً أمَّ كلثوم بنت جرول الخزاعية أم عبدالله بن عمر[١].

فصل

ذهب بعضُ أهل العلم إلى أن قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة:٥] ناسخ لقوله: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ وهذا تخصيص لا نسخ[٢]. وقد قرّرتُ مثله في سورة البقرة، فافهم ذلك.

قوله تعالى: ﴿واسألوا ما أنفقتم﴾ أي: اطلبوا مهرَ أزواجكم اللاحقات بالكفار منهم.

﴿وليسألوا ما أنفقوا﴾ من مهور أزواجهم المهاجرات منكم، وهذا كان في هدنة الحديبية.

﴿ذلكم﴾ إشارة إلى ما تقدم ذكره ﴿حكم الله﴾.

وقوله: ﴿يحكم بينكم﴾ كلام مستأنف، أو حال من "حكم الله"، على حذف الضمير، أي: يحكمه الله[٣].

قوله تعالى: ﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم﴾ وقرأ ابن مسعود والزهري والنخعي: "فعَقَبْتُم" بغير ألف[٤].

ومثلهم قرأ ابن عباس وعائشة والحسن والأعمش، إلا أنهم شددوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس (ص:٧٣٩).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٠٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٠٧).

القاف[١].

وقرأ أبي بن كعب وعكرمة ومجاهد: "فأعْقَبتم" بهمزة بعد الفاء وسكون العين وفتح القاف والتخفيف[٢].

وقرأ معاذ القارئ وأبو عمران الجوني: "فعَقِبْتم" بفتح العين وكسر القاف وتخفيفها من غير ألف[٣].

قال الزجاج[٤]: المعنى في التشديد والتخفيف: فكانت العقبى لكم، إلا أنَّ "عَقَّبْتُم" -بالتشديد- أبلغ.

قال غيره: ومن قرأ "[فأعقبتم][٥]" فمعناه: دخلتم في العقبة، وهي النوبة.

قال ابن جني[٦]: "فأعقبتم" صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم.

ومن قرأ: "فعَقِبْتُم" فهو مثل: غَنِمْتُم وَزْناً ومعنى.

وقال الزمخشري[٧]: قُرِئ: "فعقّبتم" بالتشديد، "فعقَبتم" بالتخفيف، بفتح القاف وكسرها. فمن شدَّد فهو من عقّبَه؛ إذا قَفَاه[٨]، وكذلك "عقَبتم" بالتخفيف.

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٥)، وزاد المسير (٨/ ٢٤٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٠٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٤٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٦٠).

(٥) في الأصل: عاقبتم. والتصويب من ب.

(٦) المحتسب (٢/ ٣٢٠).

(٧) الكشاف (٤/ ٥١٨).

(٨) انظر: اللسان (مادة: عقب).

قال ابن فارس بعد أن ذكر تصاريف هذه اللفظة(١): الباب كله يرجع إلى أصل واحد، وهو أن يجيء الشيء بعقب الشيء.

والمعنى على قراءة الجمهور: فعاقبتم من [العُقْبَة](٢) وهي النوبة، شبّه ما حَكَمَ به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة، وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى، بأمر يتعاقبون فيه، كما يتعاقب في الركوب وغيره.

وقال الزجاج(٣): المعنى: أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم.

وقال الماوردي(٤): ومعنى هذا: أن [من](٥) فاتته زوجته بارتدادها إلى أهل العهد المذكور ولم يصل إلى مهرها منهم، ثم [غنمهم المسلمون](٦)، ردوا عليه مهرها.

وفي المال الذي يُرد منه هذا المهر ثلاثة أقوال:

أحدها: من أموال غنائمهم. قاله ابن عباس(٧).

الثاني: من أموال الفيء. قاله الزهري(٨).

---

(١) في معجم مقاييس اللغة (٤/ ٧٧).

(٢) في الأصل: العقوبة. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٦٠).

(٤) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٥) زيادة من تفسير الماوردي، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: غنمتم. والتصويب والزيادة من الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٥) وعزاه لابن مردويه.

(٨) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٦).

الثالث: من صداق من [أسلمن][١] منهن عن زوج كافر. وهذا مروي عن الزهري أيضاً[٢].

فصل

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله: هذه الأحكام في أداء المهر وأخذه من الكفار، وتعويض الزوج من الغنيمة، أو من صداق قد وجب رده على أهل الحرب: منسوخة عند جماعة من أهل العلم. وقد نص أحمد على هذا. تم كلام القاضي[٣].

وقال مقاتل[٤]: هذه الآيات نسختها آية السيف.

وقال عطاء: بل حكمها باق ثابت[٥].

فصل

قال الماوردي[٦]: لا يجوز لمن بعد رسول الله ﷺ من الأئمة أن يشرط في عقد الهدنة رَدَّ من أسلم ؛ لأن رسول الله ﷺ [كان][٧] على وعد من الله في فتح بلادهم ودخولهم في الإسلام، طوعاً وكرهاً، فجاز له ما لم يجز لغيره.

وقال شيخنا الإمام أبو محمد ابن قدامة المقدسي رضي الله عنه فيما قرأته

---

(١) في الأصل و ب: أسلمت. والمثبت من الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٣٦-١٣٧) وعزاه لعبد بن حميد وأبو داود في ناسخه وابن جرير وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٣).

(٥) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٦) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٣).

(٧) زيادة من ب، والماوردي، الموضع السابق.

عليه[١]: يجوز في الصلح رَدُّ من جاءه من أهل الحرب من الرجال؛ لأن النبي ﷺ شَرَطَ ذلك في صلح الحديبية، ولا يجوز رَدُّ النساء المسلمات؛ لقول الله تعالى: ﴿فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار﴾.

ولأنه لا يؤمن أن تُزوَّج بمشرك.

ولا يجوز رد الصبيان العقلاء؛ لأنهم بمنزلة النساء في ضعف قلوبهم، وقلّة معرفتهم، فلا يؤمن أن يفتتنوا عن دينهم.

وإن شرط ردّ الرجال لزم الوفاء لهم، بمعنى: أنهم إن جاؤوا في طلب من جاء منهم لم يُمنعوا من أخذه، ولا يجبره الإمام على الرجوع معهم، وله أن يأمره سِرًّا بالفرار منهم وقتالهم؛ لقصة أبي بصير[٢].

وإن جاءت امرأةٌ مسلمة لم يجز ردّها، ولا يجب ردّ مهرها؛ لأن بُضْعَها لا يدخل في الأمان. وإنما رَدَّ النبي ﷺ المهر؛ لأنه شرط ردّ النساء، وكان شرطاً صحيحاً، فلما فُسخ ذلك وجب رد البدل؛ لصحة الشرط، بخلاف حكم من بعده.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

(١) في الكافي (٤/ ١٦٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٢/ ٩٧٩).

قوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ قال المفسرون: لما فَتَحَ رسولُ الله ﷺ مكة جاءته النساء يبايعنه، فنزلت هذه الآية[١].

وفي هذا القول منافاة لحديث عائشة الذي رويناه آنفاً في الامتحان. ومعلوم أن امتحانهن كان قبل الفتح في هدنة الحديبية. وما أعلمُ أحداً من المفسرين لَحَظَ هذا الذي ذكرته مع [حكايتهم][٢] القولين المتنافيين، غير أن حديث عائشة أصح وأثبت.

والظاهر: أن هذه الآية نزلت قبل الفتح، وأن الناقلين نزولها يوم الفتح لم يستثبتوا ذلك. والله أعلم.

قال العلماء بالتفسير والسير: لما فرغ رسول الله ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا وعمر بن الخطاب أسفل منه [يبايع][٣] النساء بأمر رسول الله ﷺ ويبلّغهن عنه، وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقّبة متنكّرة مع النساء، فقال النبي ﷺ للنساء: أبايعكن على أن لا تشركن بالله [شيئاً][٤]، فرفعت هندٌ رأسها وقالت: والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما رأيناك أخذته على الرجال، وبايع الرجال يومئذ[٥] على الإسلام والجهاد، فقال النبي ﷺ: ولا تسرقن، قالت امرأة أبي سفيان: إن أبا سفيان رجل شحيح، [وإني][٦] أصيبُ من ماله الهَنَات، فلا أدري أيحل لي أم

(١) انظر: تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٤)، والوسيط (٤/ ٢٨٦)، وزاد المسير (٨/ ٢٤٤).

(٢) في الأصل: حكاياتهم. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: يباع. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل زيادة قوله: علي رضي الله عنه. وهو خطأ. وانظر: ب.

(٦) في الأصل: وأن. والتصويب من ب.

[لا][1]؟ فقال أبو سفيان: ما أصبتِ من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال. قال: فضحك رسولُ الله ﷺ وعرَفها، وقال: وإنك لهند بنت عتبة؟ قالـت: نعـم، فاعفُ عما سلف يا رسول الله عفا الله عنك، فقال: ولا تزنين، فقالت هند: أوَ تزني الحُرَّة؟ فقال: ولا تقتلن أولادكن، فقالت هند: ربيناهم صغاراً وقتلتموهم كباراً، فأنتم وهم أعلم، وكان ابنُها حنظلة قتل يوم بدر، فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى، وتبسّم رسـول الله ﷺ فقـال: ولا تـأتين ببهتـان تفتريتـه بـين أيـديكنّ وأرجلكنّ، وهو [أن][2] تقْرِف ولداً على زوجها وليس منه، فقالت هند: والله إن البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، فقـال: ولا يعـصينك في معروف، فقالت: ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء[3]، فأقرّ النسوة بما شرط عليهن[4].

والمراد بقوله: ﴿ولا يقـتلن أولادهـن﴾: وَأْدُ البنـات، وبقولـه: ﴿ولا يـأتين

---

(١) زيادة من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في هامش ب: وفي المسند ومسند البزار: لما جاءت أختُها فاطمةُ تبايع، فذكر الزنا، وضعت يـدها على رأسها حياء، فأعجبَ رسولُ الله ﷺ ما رأى منها، فقالت عائشة: أقِرِّي أيتها المرأة، فـوالله مـا بايعنا إلا على هذا، فقالت: فنعم إذاً (مسند أحمد ٦/ ١٥١ ح٢٥٢١٦).
وفيه: في حديث أُراه في الأنصار: "ولا يغششن أزواجهن" فقالت امرأة: وما غِشُّ أزواجنا؟ قال: بأخذ مالِه تُحابي به غيره (مسند أحمد ٦/ ٣٧٩ ح٢٧١٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨) من حديث ابن عبـاس. وذكـره الواحـدي في الوسـيط (٤/ ٢٨٦- ٢٨٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٤٠) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. قـال ابـن كثير (٤/ ٣٥٥) بعد سياقه: وهذا أثر غريب، وفي بعضه نكارة، والله أعلم.

بيهتان﴾: ما ذكرناه: لا يُلحقن بأزواجهن أولاداً من غيرهم[(١)]، بأن تلتقط ولداً فتقول لزوجها: هذا ولدي منك. في قول ابن عباس وجمهور المفسرين.

وإنما قال: ﴿بين أيديهن وأرجلهن﴾؛ لأن الولد إذا وضعتْه الأم يسقط بين يديها ورجليها.

فإن قيل: ما منعك من تفسيره بولد الزنا، على ما قاله بعض المفسرين؟

قلتُ: لأن الزنا قد تقدم في قوله: ﴿ولا يزنين﴾.

وحكى الماوردي فيه قولين آخرين[(٢)]:

أحدهما: أنه السحر.

والثاني: المشيُ بالنميمة والسعي في الفساد.

قوله: ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال ابن عباس: هو النَّوْح[(٣)]. ويروى مرفوعاً إلى النبي ﷺ[(٤)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا أبو معمر، حدثنا

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٢)، كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) تفسير الماوردي (٥/ ٥٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٣ ح١٥٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٢٠ ح٢٦٧٦٣).

عبد الوارث، حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين[١]، عن أم عطية[٢] قالت: «بايعْنا رسولَ الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أن لا يشركن بالله شيئاً﴾، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها فقالت: أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئاً، فانطلقت ورجعت فبايعها»[٣].

وقال مصعب بن نوح[٤]: أدركتُ عجوزاً بايعت رسول الله ﷺ، فحدثتني عن النبي ﷺ ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال: النَّوْح[٥].

وفي حديث عن النبي ﷺ قال: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا [يتركونهن][٦]: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال: النائحةُ إذا لم تَتُب قبل موتها، تُقام يوم القيامة عليها سِرْبالٌ من قَطِران، ودِرْعٌ من جَرَب»[٧].

---

(١) حفصة بنت سيرين، أم الهذيل الأنصارية البصرية، تابعية ثقة، ماتت سنة إحدى ومائة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٨، والتقريب ص:٧٤٥).

(٢) نسيبة بنت كعب، ويقال: بنت الحارث، أم عطية الأنصارية، صحابية مشهورة، كانت تغزو مع رسول الله ﷺ، تمرض المرضى وتداوي الجرحى، وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون عنها غسل الميت (تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٨٢، والتقريب ص:٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٦ ح٤٦١٠). وأسعدتني فلانة: قامت معي في نياحة لي.

(٤) مصعب بن نوح الأنصاري، مجهول، روى عن سقط، روى عنه عمرو بن فروخ (الجرح والتعديل ٨/ ٣٠٧).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٥٥)، وابن سعد في طبقاته (٨/ ٨)، والطبري (٢٨/ ٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤١) وعزاه لأحمد وعبد بن حميد وابن سعد وابن مردويه بسند جيد.

(٦) في الأصل: يتركوهن. والمثبت من صحيح مسلم، و ب.

(٧) أخرجه مسلم (٢/ ٦٤٤ ح٩٣٤).

وقال زيد بن أسلم وأسيد بن أبي أسيد: من المعروف أن لا تخمّش وجهاً، ولا تنشُر شعراً، ولا تشق جيباً، ولا تدعو ويلاً[١].

وقال ابن السائب وأبو سليمان الدمشقي وغيرهما: هو عامٌّ في كل معروف أمر الله ورسوله به[٢].

قوله تعالى: ﴿فبايعهن﴾ جواب قوله: ﴿إذا جاءك المؤمنات يبايعنك﴾ أي: إذا بايعنك على هذه الشرائط فبايعهن.

وقد ذكرنا كيفية مبايعته ﷺ النساء في حديث عائشة.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأة [قولي][٣] لمائة امرأة»[٤].

وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: «أن النبي ﷺ كان إذا بايع النساء دعا بقدح من ماء، فغمس يده فيه، ثم غَمَسْنَ أيديهن فيه»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ٧٨)، وابن أبي شيبة (٣/ ٦١ ح١٢١٠٨) كلاهما عن زيد بن أسلم. وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٢) عن أسيد بن أبي أسيد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٣) وعزاه لابن أبي شيبة عن زيد بن أسلم.

(٢) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦) عن ابن السائب الكلبي، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٧) عن أبي سليمان الدمشقي.

(٣) في الأصل: قول. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه النسائي (٧/ ١٤٩ ح٤١٨١)، وأحمد (٦/ ٣٥٧ ح٢٧٠٥١).

(٥) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٣) وعزاه لابن سعد وابن مردويه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ١٣﴾

قوله تعالى: ﴿لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ قال المقاتلان[(١)]: يريد: اليهود، وذلك أن ناساً من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود أخبار المسلمين، يتوصّلون بذلك إليهم، ليصيبوا من ثمارهم، فنزلت هذه الآية[(٢)].

﴿قد يئسوا﴾ يعني: القوم الذين غضب الله عليهم ﴿من الآخرة﴾ أي: من ثواب الآخرة بسبب كفرهم بمحمد ﷺ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبنائهم. هذا قول جمهور العلماء.

﴿كما يئس الكفار﴾ يعني: عَبَدَةَ الأوثان، يئسوا ﴿من﴾ الموتى ﴿أصحاب القبور﴾ أن يرجعوا أحياء، فيكون على حذف المضاف، تقديره: من بعث أصحاب القبور.

قال ابن عباس: كما يئس الكفار مِنْ بعث مَنْ في القبور[(٣)].

فيكون "مِنْ" على هذا القول؛ مفعول "يئس الكفار".

وقال مجاهد: كما يئس الكفار الذين ماتوا من ثواب الآخرة؛ لأنهم أيقنوا بالعذاب[(٤)].

فيكون "مِنْ" على هذا القول؛ بياناً للكفار الذين قُبروا.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٥٤).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٥).

(٣) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٤٨).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٦٧٠)، والطبري (٢٨/ ٨٢). وذكره الماوردي (٥/ ٥٢٦).

فإن قيل: ما تقول في قول الثعلبي[1]: كما يئس الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم؟

قلتُ: ليس بمستقيم؛ لأن المؤمنين والكفار مشتركون في اليأس من رجوع أصحاب القبور إليهم، فيكون الاقتصار على ذكر الكفار عديم التأثير. [والله أعلم][2].

(١) تفسير الثعلبي (٩/ ٢٩٩).

(٢) زيادة من ب.

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع عشرة آية[1].

وهي مدنية في قول ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين، ومكية في قول ابن يسار[2].

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ۝٤

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: كان ناسٌ من المؤمنين يقولون قبل أن يُفرض الجهاد: وددنا أن الله تعالى دلَّنا على أحب الأعمال إليه، فلما نزل فرضُ الجهاد كرهه بعض القائلين، فنزلت هذه الآية[3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٥).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٤٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٨٣-٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن مردويه.

وقال مجاهد: نزلت في قوم كانوا يقولون: لـو علمنـا أحـبَّ الأعـمال إلى الله لسارعنا إليه، فلما نزلت فريضة الجهاد تثاقلوا عنه(١).

وقال عكرمة: كان الرجل منهم يقول: قاتلتُ ولم يقاتل، وطعنتُ ولم يطعن، وضربتُ ولم يضرب، وصبرتُ ولم يَصبر(٢). وهذه الأقوال مروية عن ابن عباس.

وروى سعيد بن المسيب عن صهيب رضي الله عنـه قـال: كـان رجـل يـوم [بدر](٣) قد آذى المسلمين ونكأهم، فقتله صهيب في القتال، فقال رجل: يا رسول الله! قتلتُ فلاناً، ففرح بذلك رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الـرحمن لـصهيب: أخبرْ رسول الله أنك قتلته، فإن فلاناً ينتحله، فقـال [صـهيب](٤): إنـما قتلتـه لله ولرسوله، فقال عمر وعبد الرحمن لرسول الله: يا رسول الله، قتله صهيب، قـال: كذلك يا أبا يحيى؟ قال: نعم يا رسـول الله، فـأنزل الله تعـالى هـذه الآيـة والآيـة الأخرى(٥).

وقال ابـن زيـد: نزلـت في المنـافقين، كـانوا يَعِـدُون المـؤمنين النـصر وهـم كاذبون(٦).

فيكون نداؤهم بالإيمان؛ تهكماً بهم وبإيمانهم.

وقال ميمون بن مهران: نزلت في الرجل يُقـرّظ نفـسه بـما لا يفعلـه نظـيره،

(١) ذكره الماوردي (٥/ ٥٢٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب، وتفسير الثعلبي (٩/ ٣٠٢).

(٤) مثل السابق.

(٥) أخرجه الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٢).

(٦) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٢).

ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا[١].

قال الزمخشري[٢] في قوله: ﴿لِمَ تقولون﴾: هذه لام الإضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من [حروف الجر][٣] في قولك: [بِمَ][٤]، وفِيمَهْ، ومِمَّ، وعَمَّ، وإِلامَ، وعَلامَ. وإنما حذفت الألف؛ لأن "ما" والحرف كشيء واحد، ووقع استعماله كثيراً في كلام المستفهم؛ وقد جاء استعمال الأصل قليلاً، والوقف على زيادة هاء السكت أو [الإسكان][٥]. ومن أسكن في الوصل فلإجرائه مجرى الوقف، كما سُمع: ثلاثه، أربعه، بالهاء، وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة.

قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ قال الزجاج[٦]: "مَقْتاً" نصب على التمييز. والمعنى: كَبُرَ قولكم ما لا تفعلون مَقْتاً عند الله.

وقال غيره[٧]: اختير لفظ المَقْتُ؛ لأنه أشد البُغض وأبلغه، ولم يقتصر على أن جعل المقتَ كبيراً حتى جعله أشدَّه وأفحشَه، وعند الله أبلغ من ذاك؛ لأنه إذا ثبت كبر مقته عند الله، فقد تم كبره وشدّته.

---

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره (٩/ ٣٠٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٤٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الكشاف (٤/ ٥٢٢).

(٣) في الأصل: جر. والتصويب والزيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ثم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: الإنسكان. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٦٣).

(٧) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٢٣).

ثم ذكر الله ما يحبه فقال: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ أي: صافّين أنفسهم أو مصفوفين، ﴿كأنهم﴾ في [تراصّهم][1] من غير خلل ﴿بنيان مرصوص﴾ قد [رُصِفَ ورُصَّ][2] بعضه ببعض.

وقال الفراء[3]: المَرْصُوصُ: المبنيّ بالرَّصَاص.

وقوله: ﴿صَفاً كأنهم بنيان﴾ حالان متداخلتان[4].

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني﴾ وبّخهم عليه السلام على إفراطهم في أذاه، على ما ذكرناه في أواخر الأحزاب عند قوله: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾ [الأحزاب:٦٩].

﴿وقد تعلمون﴾ في محل الحال[5]، أي: تُؤذونني عالمين علماً لا تَرَدُّدَ عندكم فيه

---

(١) في الأصل: تزاحمهم. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: رص وقد رص. والتصويب من ب.

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٥٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣١٠).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣١٠).

﴿أني رسول الله﴾، فهيّج دواعي شفقتهم بقوله: "يا قوم"؛ ليكفوا عن أذاه بسبب النَّسب، وعاب عليهم أذاهم[١] إياه مع كونهم عالمين برسالته، مصدّقين بنبوّته.

وفي ضمن ذلك: تخويفهم من إقدامهم واجترائهم على الله وعلى أذى [رسوله][٢] عمداً، بعدما شاهدوا معجزاته وعاينوا آياته.

﴿فلما زاغوا﴾ مالُوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ عن الهدى الواضح؛ جزاء لهم على سوء ما اختاروه لأنفسهم من الزيغ.

ومعنى الآية: اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لقومه هذا القول، لعلهم يرتدعون عن أذاك، خوفاً مما جُوزي به قوم موسى من إزاغة قلوبهم ومنعهم الهداية.

فإن قيل: لِمَ قال عيسى: ﴿يا بني إسرائيل﴾ ولم يقل[٣]: "يا قوم"، كما قال موسى؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أن الله أوجده من غير أب، فلم يكونوا قومه؛ لأن قوم الإنسان عصبته الذين يقومون بأمره.

الثاني: أن إيجاده من غير أب كان أعظم آياته وأوضح معجزاته، فكَرِهَ أن يأتي بلفظ يُوهم نفي معجزاته وآيته ولو على بُعد.

الثالث: أن موسى قصد استدفاعَ أذاهم، فأتى بلفظ يستعطف به قلوبهم،

---

(١) في ب: أذاه.

(٢) في الأصل: رسله. والتصويب من ب.

(٣) قوله: "ولم يقل" مكرر في الأصل.

وذكَّرهم بالقرابة التي بينه وبينهم، بخلاف عيسى، فإنه قصد إخبارهم برسالته إليهم وبشارتهم بمحمد ﷺ رسولاً من بعده.

فإن قيل: بماذا انتصب قوله: "مُصَدِّقاً" و"مُبَشِّراً"؟

قلتُ: بما في "رسول" من معنى الإرسال.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل الظرف هو العامل؟

قلتُ: لأن "إليكم" صلة لـ"رسول"، وحروف الجر لا تعمل إلا بما فيها من معنى الفعل. فإذا وقعت صِلات لم تتضمّن معنى الفعل، فلا تعمل.

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو بكر: "من بعديَ اسمه أحمد" بفتح الياء، وأسكنها الباقون[1]. والعلة في ذلك: التقاء الساكنين.

والخليل وسيبويه يختاران الفتح.

فإن قيل: ما معنى "أَحْمَد"؟

قلتُ: هو أفْعَل من الحمد، بمعنى: أنه أكثر حمداً لله من غيره، أو يُحمد أكثر من غيره، بما فيه من محاسن الشيم ومكارم الأخلاق. فتكون المبالغة على المعنى الأول من الفاعل، وعلى الثاني من المفعول.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم العطار وأبو الحسن بن العطار قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٠)، والكشف (٢/ ٣٢١)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥)، والسبعة (ص:٦٣٥).

وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[١]. أخرجه البخاري في تفسير هذه السورة.

ورواه في موضع آخر عن إبراهيم بن المنذر، عن معن، عن مالك، عن الزهري[٢].

وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه[٣].

وهذا الاسم من أسماء النبي ﷺ الأعلام، وفيه يقول حسان بن ثابت:

صَلَّى الإلهُ ومن يَحُفُّ بعَرْشِهِ   والطَّيِّبُونَ على المبارَكِ أحْمَدِ[٤]

فإن قيل: ما الحكمة في بشارة عيسى بني إسرائيل بإرسال محمد ﷺ من بعده؟

قلتُ: التنبيه على فخامة أمره ﷺ، وتعظيم شأنه، وتحقيق رسالته، وتقرير نبوته في قلوب أهل الكتاب، وتوكيد حجته، مع ما في ذلك من المعجزة له ولعيسى صلى الله عليهما وسلم.

قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ لم أَرَ أحداً من المفسرين تعرّض للتصريح باسم الفاعل والمفعول في "جاءهم"؛ اعتماداً منهم على وضوح معناه، وتبادره إلى الأفهام، كأن التقدير والله أعلم: فلما جاء عيسى بني إسرائيل بالبينات.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٨ ح٤٦١٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٢٩٩ح٣٣٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٢٨ ح٢٣٥٤).

(٤) البيت لحسان. انظر: ديوانه (ص:٦٦)، والماوردي (٥/ ٥٢٩)، والبحر المحيط (٨/ ٢٥٩)، والدر المصون (٦/ ٣١٠)، وروح المعاني (٢٨/ ٨٦).

ويجوز أن يكون التقدير: فلما جاءهم أحمد الذي بَشَّرَ به عيسى وأوضح أمره بالبينات، أي: بالدلالات الشاهدة برسالته، منضمّة إلى بشارة عيسى به، قالوا بهتاناً وعناداً: هذا سحر مبين.

وقُرئ: "ساحر"(١). وقد ذكرته في آخر المائدة(٢).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ قال مقاتل(٣): هم اليهود.

وقال أبو سليمان: النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله(٤).

وقرأ ابن مسعود وعاصم الجحدري: "وهو يَدَّعِي" بفتح الياء والدال وتشديدها، وكسر العين(٥).

---

(١) الحجة للفارسي (٢/ ١٤٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٢٣٩-٢٤٠)، والكشف (١/ ٤٢١)، والنشر (٢/ ٢٥٦)، والإتحاف (ص:٢٠٣، ٤١٥)، والسبعة (ص:٢٤٩).

(٢) عند الآية رقم: ١١٠.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٣).

(٥) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٨/ ٢٥٣)، والدر المصون (٦/ ٣١١).

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف [وحفص][١]: "مُتِمُّ" بغير تنوين "نُورِه" بالجر على الإضافة، وقرأ الباقون من العشرة: "مُتِمٌّ" بالتنوين، "نُورَه" بالنصب[٢]، وهو الأصل في اسم الفاعل إذا كان للحال أو للاستقبال.

وهذه الآية مفسرة في براءة[٣].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾
تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ
تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ
قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت
طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ سمَّى الإيمان وما في [حيِّزه][٤] تجارة؛ لما

---

(١) زيادة من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٤٠-٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٧-٧٠٨)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٥-٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٥).

(٣) عند الآية رقم: ٣٢.

(٤) في الأصل: خبره. والتصويب من ب.

يتضمن من ربح [النَّجَاة][١].

﴿تُنْجِيكُم﴾ وقرأ ابن عامر: "تُنَجِّيكُم" بالتشديد[٢]، ﴿من عذاب أليم﴾.

ثم بيّن تلك التجارة فقال: ﴿تؤمنون بالله﴾ وهو خبر في معنى الأمر، ولذلك أجيب بقوله: ﴿يغفر لكم﴾، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: "آمنوا بالله"[٣].

قوله تعالى: ﴿وأخرى تحبونها﴾ قال الفراء[٤]: أي: وخصلة أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآخرة.

ثم فسّر الخصلة فقال: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾ عاجل، وهو فتح مكة.

وقال الحسن وعطاء: فتح فارس والروم[٥].

قوله تعالى: ﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على "تؤمنون"؛ لأنه في معنى آمنوا.

والمعنى: وبشر يا محمد المؤمنين بالنصر والتمكين في الدنيا، والجنة في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿كونوا أنصاراً لله﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: "أنصاراً" بالتنوين، "لله". وقرأ الباقون: "أنصارَ الله" على الإضافة[٦]، وهو اختيار أبي عبيد؛

---

(١) في الأصل: التجارة. والتصويب من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٨)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٢٥٩)، والإتحاف (ص:٢١٠)، والسبعة (ص:٦٣٥).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٦٠)، والدر المصون (٦/ ٣١٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٥٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٥) كلاهما عن عطاء.

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٤١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٨-٧٠٩)، والكشف (٢/ ٣٢٠)، والنشر (٢/ ٣٨٧)، والإتحاف (ص:٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٥).

[لقوله][1] تعالى: ﴿نحن أنصار الله﴾.

والتشبيهُ في قوله: ﴿كما قال عيسى بن مريم للحواريين﴾ محمولٌ على المعنى، تقديره: كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى، حين قال: من أنصاري إلى الله.

وقد سبق ذكر الحواريين.

﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ قال ابن عباس: يعني: في زمن عيسى عليه السلام[2].

﴿فأيدنا الذين آمنوا﴾ بعيسى ﴿على عدوهم﴾ مخالفي عيسى.

وقال مقاتل[3]: تمّ الكلام عند قوله: ﴿وكفرت طائفة﴾.

والمعنى: فأيدنا الذين آمنوا بمحمد ﷺ على عدوهم.

﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين[4] عالين بمحمد ﷺ على الأديان.

قال إبراهيم النخعي: أصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرةً بتصديق محمدٍ ﷺ؛ أن عيسى كلمة الله وروحه[5]. والله أعلم.

---

(١) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٢).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٥٧).

(٤) قوله: "غالبين" سقط من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي إحدى عشرة آية في العددين[1]. وهي مدنية بإجماعهم.

قرأ أبو الدرداء وأبو عبد الرحمن السلمي وعكرمة والنخعي والوليد عن يعقوب: "الملكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ" بالرفع[2]، على معنى: هو الملك.

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ
مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ
وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ يعني: العرب[3] ﴿رسولاً منهم﴾ أي: من الأُمِّيين لا يكتب ولا يقرأ.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٦).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٥٧)، والدر المصون (٦/ ٣١٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٤)، عن مجاهد وقتادة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، ومن وجه آخر ، وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

وقيل: رسولاً من أنفسهم. وقد سبق هذا المعنى.

وما لم أذكره [ظاهر أو مفسر](١) إلى قوله: ﴿وآخرين﴾ وهو مجرور عطفٌ على "الأمِّيين"(٢)، على معنى: بَعَثَه في الأميين، وفي آخرين منهم.

قال الزجاج(٣): ويجوز أن يكون "وآخرين" في موضع نصب، على معنى: يُعلّمهم الكتاب والحكمة ويُعلّم آخرين منهم.

قال ابن عمر وسعيد بن جبير: هم العجم(٤).

فعلى هذا؛ معنى قوله: "منهم": أنهم مسلمون، فإن المسلمين يد واحدة على من سواهم، وإن اختلفت أنواعهم.

قال ابن زيد: "وآخرين منهم" هم الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة(٥). والقولان عن مجاهد(٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: «كنا جلوساً عند النبي ﷺ فأنزلت

---

(١) في الأصل: ظاهراً أو مفسراً، والتصويب من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٦١)، والدر المصون (٦/ ٣١٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٧٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٥) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٥٢) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) أخرجه الطبري عن مجاهد (٢٨/ ٩٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٥٩). والقول الثاني أخرجه مجاهد (ص:٦٧٣) ولفظه: يعني من ردف الإسلام من الناس كلهم.

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ٩٦)، ومجاهد (ص:٦٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ولفظه: "من ردف الإسلام من الناس كلهم"، وهو لفظ الطبري ومجاهد أيضاً.

عليه سورة الجمعة: ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ قال قائل: منْ هُمْ يا رسول الله؟ -وفينا سلمان الفارسي-، فوضع رسول الله ﷺ يده على سلمان فقال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء»[(١)].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «رأيتُني يتبعني غنم سود، ثم تبعها غنم عُفْر، أوِّلْها يا أبا بكر. قال: أما السود فالعرب، وأما العُفْر فالعجم تتبعك بعد العرب، قال: كذلك عبّرها الملك سحر»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿لَمَّا يلحقوا بهم﴾ أي: لم يلحقوا بهم بعد، أو لم يلحقوا بهم في الفضيلة والسبق؛ لأن التابعين إلى يوم القيامة لم يدركوا فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله﴾ إشارة إلى النبوة التي خص الله تعالى بها رسوله ﷺ، في قول مقاتل[(٣)].

وقال ابن السائب: "ذلك" إشارة إلى الإسلام[(٤)]، ﴿فضل الله يؤتيه من يشاء﴾.

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًاۢ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٨ ح٤٦١٥)، ومسلم (٤/ ١٩٧٢ ح٢٥٤٦).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٤٣٧ ح٨١٩٣).

(٣) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٥٩).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٧).

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟
ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ
عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ
ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ أي: كُلِّفُوا العمل بها، ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بها، وهم: اليهود ﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ كتباً كباراً من كتب العلم، فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يُثقله ويُتعبه، وكلُّ مَنْ عَلِمَ ولم يَعمل فهو من أهل هذا المثل، أعاذنا الله من ذلك.

والأَسْفَار: جمع سِفْر، مثل: شِبْر وأَشْبَار.

﴿بئس مثل القوم الذين﴾ إن شئت كان المضاف محذوفاً، على تقدير: بئس مَثَلُ القوم مَثَلُ الذين كذبوا، فيكون "الذين" في موضع رفع؛ لقيامه مقام المضاف المحذوف. وإن شئت كان "الذين" في موضع الجر؛ وصفاً للقوم، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله، المثل المضروب لهم[١].

وقال الواحدي[٢]: هو ذم لمثلهم. والمراد به: ذمهم.

والآيتان بعد هذه سبق تفسيرهما في البقرة[٣].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦١)، والدر المصون (٦/ ٣١٦).

(٢) في الوسيط (٤/ ٢٩٥).

(٣) عند الآية رقم: ٩٤، ٩٥.

وكان اليهود يكرهون [الموت][١] لسوء ما اختاروا لأنفسهم من حب الرئاسة والنفاسة على محمد ﷺ، حتى أنكروا ما عرفوه ووجدوه مكتوباً عندهم في التوراة، فأنزل الله تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم﴾، وقرأ زيد بن علي: "إنّه ملاقيكم"[٢].

وقرأ ابن مسعود: "تفرون منه ملاقيكم"[٣].

قال الزجاج[٤]: دخلت الفاء في خبر "إنَّ"، ولا يجوز: إنّ زيداً فمنطلقٌ؛ لأن "الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم" فيه معنى الشرط والجزاء. ويجوز أن يكون تمام الكلام: "قل إن الموت الذي تفرون منه" كأنه قيل: إن فررتُم من أيّ موتٍ كان من قتلٍ أو غيره فإنه ملاقيكم، ويكون "فإنه" استئناف بعد الخبر الأول.

قال غيره[٥] في قراءة زيد: قد جَعَلَ "إن الموت الذي تَفِرُّون منه" كلاماً برأسه، أي: إن الموت هو الشيء الذي تَفِرُّون منه، ثم استؤنف: "إنه ملاقيكم".

وقراءة ابن مسعود ظاهرة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿إذا نودي للصلاة﴾ يعني: النداء الثاني إذا جلس الإمام على المنبر

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٦٤)، والدر المصون (٦/ ٣١٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٦١)، والكشاف (٤/ ٥٣٢).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ١٧١).

(٥) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٣٢).

﴿من يوم الجُمُعَة﴾ وقرأتُ لعبد الوارث عن أبي عمرو: "الجُمْعَة" بسكون الميم[١]، واسمه: "عروبة" في اللغة القديمة.

ويقال: أول من سَمّاه الجمعة: كعب [بن][٢] لؤي[٣].

﴿فاسعوا إلى﴾ قال البخاري في صحيحه[٤]: قرأ عمر: "فامضوا".

قلتُ: [وهي][٥] قراءة ابن مسعود، وكان يقول: لو قرأتها "فاسْعَوْا" لسعيت حتى يسقط ردائي[٦].

والمراد بالسَّعْي: المشي.

قال عطاء: هو الذهاب والمشي إلى الصلاة[٧].

وقال عكرمة والضحاك: "فاسعوا" أي: اعملوا[٨]، على معنى: اعملوا على المضي إلى ذكر الله، وذلك بتعاطي أسبابه المؤدية إليه.

---

(١) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٦)، وزاد المسير (٨/ ٢٦٢).

(٢) زيادة من ب.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٣٥٥): روى عبد الرزاق بإسناد صحيح (٣/ ١٥٩ ح٥١٤٤) عن محمد بن سيرين قال: جَمَعَ أهلُ المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ، وقبل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يوماً يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلم فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره، فجعلوه يوم العروبة. اهـ. فظهر من الأثر أن أول من سمى الجمعة: الأنصار.

(٤) ذكره البخاري معلقاً (٤/ ١٨٥٨).

(٥) في الأصل: وفي. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠١).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٤).

(٨) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠١).

وقال الحسن: أما والله ما هو بالسعي على الأقدام، فقد نُهوا أن يأتوا المسجد إلا وعليهم السكينة والوقار، ولكن [بالقلوب][١] والنية والخشوع[٢]. ونحوه عن قتادة[٣].

والمعني بذكر الله: الخطبة والصلاة.

﴿وذروا البيع﴾ أي: دعوا التجارة في ذلك الوقت.

وشدّد في ذلك الإمام أحمد رضي الله عنه فقال: لو باع لم يصح البيع. وهو قول مالك[٤].

فصل

تجبُ الجمعة على من سمع النداء من أهل المصر، إذا كان المؤذن صَيِّتاً والريح ساكنة. وحَدَّه مالك بفرسخ[٥]، ولم يَحُدّه الشافعي.

وعن الإمام أحمد كالمذهبين[٦].

وتجب الجمعة على أهل القرى.

---

(١) في الأصل: بالقوب. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٦٧٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٦)، وابن أبي شيبة (١/ ٤٨٢ ح٥٥٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٢) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠٠)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٨٨ ح٢٩٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٢) وعزاه لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان.

(٤) انظر: المغني (٢/ ٧١).

(٥) انظر: الشرح الكبير لدردير (١/ ٣٧٣).

(٦) انظر: المغني (٢/ ١٠٦).

وقال أبو حنيفة: لا تجب إلا على [أهل][(١)] الأمصار[(٢)].

ولا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين، في أصح الروايات عن الإمام أحمد. والرواية الأخرى: خمسون، والرواية الثالثة: ثلاثة[(٣)].

وفي وجوب الجمعة على العبد روايتان:

[إحداهما][(٤)]: لا تجب. وهو قول الأكثرين.

والثانية: تجب، وهو قول الحسن وقتادة[(٥)].

وتجب على الأعمى إذا وجد قائداً، خلافاً لأبي حنيفة[(٦)].

وهل من شرطها إذن الإمام؟ على روايتين[(٧)].

وتجوز إقامة الجمعة في موضعين من البلد فصاعداً عند الحاجة، خلافاً لمالك والشافعي [وأبي يوسف][(٨)].

ويجوز إقامتها قبل الزوال، خلافاً لأكثرهم[(٩)].

وإذا وقع العيد في يوم الجمعة فاجتزأ بالعيد وصلى الجمعة ظهراً جاز، إلا

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: المغني (٢/ ١٠٦)، والمبسوط للشيباني (١/ ٣٤٥).

(٣) انظر: المغني (٢/ ٨٨-٨٩).

(٤) في الأصل: أحدهما. والتصويب من ب.

(٥) انظر: المغني (٢/ ٩٥).

(٦) انظر: المغني (٢/ ٩٦)، والمبسوط للسرخسي (٢/ ٢٢).

(٧) انظر: المغني (٢/ ٩٠).

(٨) انظر: المغني (٢/ ٩٢)، وبدائع الصنائع (١/ ٢٦٠)، ومواهب الجليل (٢/ ١٩٦).

(٩) انظر: المغني (٢/ ١٠٤).

الإمام، وبه قال الشعبي والنخعي، خلافاً لأكثرهم[(١)].

والخطبةُ شرطٌ في الجمعة، خلافاً لداود[(٢)]. والطهارة فيها مستحبة، خلافاً لأحد قولي الشافعي[(٣)]، والقيام ليس بشرط في الخطبة خلافاً للشافعي[(٤)]][(٥)].

ولا يجب القعود بين الخطبتين، خلافاً له أيضاً[(٦)].

والخطبتان واجبتان، ومن شرطهما: التحميد، والصلاة على النبي ﷺ، وقراءة آية، والموعظة[(٧)].

وقال أبو حنيفة: إن اقتصر الخطيب على قول: الحمد لله، أو سبحان الله: جاز[(٨)].

ويُسنّ للإمام إذا صعد المنبر أن يُسلّم على الناس، خلافاً لأبي حنيفة ومالك[(٩)].

فصل: في فضيلة الجمعة

قرأتُ على أبي المجد محمد بن الحسين، أخبركم أبو منصور محمد بن أسعد

---

(١) انظر: المغني (٢/ ١٠٥).

(٢) انظر: المغني (٢/ ٧٤).

(٣) انظر: المغني (٢/ ٧٧)، والحاوي للماوردي (٢/ ٤٤٣).

(٤) انظر: المغني (٢/ ٧٤)، والحاوي للماوردي (٢/ ٤٣٣).

(٥) ما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٦) انظر: المغني (٢/ ٧٦).

(٧) انظر: المغني (٢/ ٧٥-٧٦).

(٨) انظر: المغني (٢/ ٧٦)، والمحيط البرهاني (٢/ ١٧١).

(٩) انظر: المغني (٢/ ٧١)، والتاج والإكليل (٢/ ١٧١).

فأقرَّ به قال: حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود، أخبرنا عبدالواحد بن أحمد، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا النضر بن شميل، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ يوم طلعت فيه الشمس يومُ الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يوافقها [مسلم][1] يصلي، يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، وقال بيده يُقلِّلُها، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أية ساعة هي، هي آخر ساعات الجمعة، هي الساعة التي خلق الله فيها آدم. قال الله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾»[2].

هذا حديث صحيح.

قال الإمام أحمد في الساعة التي يستجاب فيها الدعوة: أكثر الأحاديث أنها بعد العصر، وتُرجى بعد زوال الشمس[3].

ويروى عن النبي ﷺ: «أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»[4].

---

(١) زيادة من ب، والترمذي (٢/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٦٢ ح٤٩١).

(٣) انظر: الترمذي (٢/ ٣٦٠).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٤ ح٨٥٣) من حديث أبي موسى الأشعري.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (٢/ ٤٢١) بعد أن ذكر أكثر من أربعين قولاً في الساعة التي يستجاب فيها الدعوة: قال المحب الطبري: أصح الأحاديث فيها حديث أبي موسى، وأشهر الأقوال فيها قول عبد الله بن سلام. انتهى.

=

وعن ابن عباس: أنها ما[1] بين الأذان إلى انصراف الإمام.

وقال أبو هريرة: التمسوا الساعة التي في الجمعة في ثلاث مواطن: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وما بين أن ينزل الإمام إلى أن يكبر، وما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس[2].

فصل: في وعيد من ترك الجمعة بغير عذر

قُرئ على الشيخ أبي الحسن علي بن ثابت الطالباني البغدادي الفقيه برأس عين وأنا أسمع، أخبركم أبو منصور بن مكارم فأقرّ به، أخبرنا نصر بن محمد بن صفوان، أخبرنا علي بن إبراهيم السّراج، أخبرنا هبة الله بن إبراهيم بن أنس، حدثنا ابن طوق، [حدثنا][3] زيد بن عبدالعزيز بن حيان، حدثنا محمد بن عبدالله بن عمار، حدثنا المعافى بن عمران رحمة الله عليه، عن فضيل بن مرزوق، عن رجل من أهل الخير والصلاح، عن محمد بن علي، عن سعيد بن المسيب، عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على منبره يوم الجمعة يقول: «يا أيها الناس! توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم إياه، وكثرة صدقتكم في السر والعلانية

= ثم قال: وما عداهما إما موافق لهما أو لأحدهما، أو ضعيف الإسناد، أو موقوف استند قائله إلى اجتهاد دون توقيف، ولا يعارضهما حديث أبي سعيد في كونه ﷺ أنسيها بعد أن علمها؛ لاحتمال أن يكونا سمعا ذلك منه قبل أن أنسي.

(١) في ب: فيها.

(٢) ذكره ابن حجر في الفتح (٢/ ٤١٧).

(٣) زيادة على الأصل.

تُؤجروا، وتُنصروا، وتُرزقوا.

واعلموا أن الله افترض عليكم الجمعة فريضة مفروضة، من يومي هـذا، في مقامي هذا، في شهري هذا، في عامي هذا، إلى يوم القيامة، فمن تركها في حياتي أو بعد مماتي جحوداً بها واستخفافاً بها، فلا جمع الله شمله، ولا بارك له في أمـره، ألا ولا صلاة له، ألا ولا زكاة له، ألا ولا حج له، [ألا][١] ولا صوم له، ولا برّ له[٢]. فمن تاب تاب الله عليه»[٣].

وقرأتُ على القاضي أبي المجد القزويني، أخبركم أبو منصور الطوسي فأقرَّ به، قال: حدثنا أبو محمد البغوي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حـدثنا أحمـد بـن عـلي الكشميهني، حدثنا علي بن [حُجْر][٤]، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بـن عمرو، عن عبيدة بن[٥] سفيان، عن أبي الجعد -يعني: الضمري[٦]- قـال: قـال

---

(١) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٢) في ب: بركة.

(٣) أخرجه عبد بن حميد (ص:٣٤٤)، وأبو يعلى في مسنده (٣/ ٣٨١-٣٨٢ ح ١٨٥٦)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٦٤ ح ١٢٦١).

(٤) في الأصل: حجرة. والمثبت من ب. وانظر ترجمته في: تهـذيب التهـذيب (٧/ ٢٥٩)، والتقريـب (ص:٣٩٩).

(٥) في الأصل و ب زيادة لفظة: "أبي". وهـو وهـم. انظـر ترجمتـه في: تهـذيب التهـذيب (٧/ ٧٧)، والتقريب (ص:٣٧٩).

(٦) في الأصل: الـضمرتي. والتـصويب مـن ب. وانظـر ترجمتـه في: تهـذيب التهـذيب (١٢/ ٥٧)، والتقريب (ص:٦٢٨).

رسول الله ﷺ: «من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها، طبع [الله][1] على قلبه»[2].

هذا حديث حسن. ولا يعرف لأبي الجعد الضمري حديث سوى هذا، وله صحبة، ولا يعرف له اسم.

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر وأبي هريرة قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعواد منبره: «لينتهينّ أقوامٌ عن ودْعهم الجُمُعَات، أو ليختمنّ الله على قلوبهم، ثم ليكوننّ من الغافلين»[3].

فصل في فضيلة التبكير إلى الجمعة

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا عبدالله بن يوسف، أخبرنا مالك.

وأخبرنا المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه، أخبرنا الفراوي، أخبرنا عبدالغافر، أخبرنا محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي، أبنا [أبو إسحاق][4] إبراهيم الفقيه، أخبرنا مسلم، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا مالك.

وأخبرنا الشيخان الإمام أبو محمد ابن قدامة المقدسي وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق النيسابوري بقراءتي عليه قالا: أخبرنا أبو زرعة المقدسي، أخبرنا أبو

---

(١) زيادة من ب، والترمذي (٢/ ٣٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ٣٧٣ ح٥٠٠).

(٣) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩١ ح٨٦٥).

(٤) في الأصل: إسحاق بن، والتصويب مع الزيادة من: التقييد (ص:١٨٦).

الحسن مكي بن منصور [بن][1] علان الكرجي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا مالك.

وقرأتُ على أبي المجد القزويني، أخبركم محمد بن أسعد الطوسي فأقرّ به، حدثنا أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، أخبرنا أبو الحسن الشيرزي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن سُمَيّ مولى أبي بكر بن عبدالرحمن[2]، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قَرَّبَ بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة [يستمعون][3] الذكر»[4]. هذا حديث متفق على صحته.

وبالإسناد قال: أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس على منازلهم، الأول فالأول، فإذا خرج الإمام طُويت الصحف واستمعوا الخطبة، والمهجِّر إلى الصلاة

---

(١) زيادة من ب.

(٢) سُمَيّ مولى أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، أبو عبد الله المدني، ثقة، قتلته الحرورية يوم قديد سنة ثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ٤/ ٢٠٩، والتقريب ص:٢٥٦).

(٣) في الأصل: يسمعون. والمثبت من ب، والصحيحين.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٣٠١ ح٨٤١)، ومسلم (٢/ ٥٨٢ ح٨٥٠)، والشافعي في مسنده (ص:٦٢).

كالمُهْدي بدنة، ثم الذي يليه كالمهدي بقرة، ثم الذي يليه كالمهدي كبشاً، حتى ذكر الدجاجة والبيضة»[١] هذا حديث متفق على صحته، أخرجاه من طرق، عن الزهري، عن أبي عبدالله الأغر وأبي سلمة، عن أبي هريرة.

قال الخليل بن أحمد رحمه الله: التَّهْجِير إلى الجمعة: التَّبْكِير[٢].

واختلفوا في هذه الساعات؛ فذهب بعضُهم إلى أنها ساعات لطيفة بعد الزوال، لا يريد به حقيقة الساعات التي يدور عليها حساب الليل والنهار؛ لأن الرّواح لا يكون إلا بعد الزوال، فهو كقول القائل: جلست عند فلان ساعة، لا يريد به التحديد بساعة النهار.

وقيل: المراد منه: ساعات النهار، فَبَيَّنَ فضلَ من جاء في الساعة الأولى من النهار مبكراً قبل الزوال. وجاء بلفظ الرواح؛ لأنه خَرَجَ لفعل يفعله وقت الرواح، كما يقال للقاصدين إلى الحج: حُجَّاج، وللخارجين إلى الغزو: غُزَاة، وَلَمَّا يحجوا ويغزوا بعد.

وقيل: مَنْ راح إلى الجمعة، أي: مَنْ خَفَّ إليها، يقال: تَرَوَّحَ القوم ورَاحُوا؛ إذا ساروا أيّ وقت كان[٣].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣١٤ ح٨٨٧، ٣/ ١١٧٥ ح٣٠٣٩)، ومسلم (٢/ ٥٨٧ ح٨٥٠)، والشافعي في مسنده (ص:٦٢).

(٢) انظر: المغرب (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: اللسان (مادة: روح).

قوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ هذا أمر إباحة. وقد تقدمت نظائره.

قال ابن عباس: إن شئتَ فاخْرُج، وإن شئتَ فَصَلِّ إلى العصر، وإن شئت فاقعد[١].

﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي: اطلبوا الرزق بأنواع التجارة.

وكان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد، وقال: اللهم! أجبتُ دعوتك، وصليتُ فريضتك، وانتشرتُ كما أمرتني، فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين[٢].

وقيل: "ابتغوا من فضل الله" من عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله. ويروى هذا المعنى عن النبي ﷺ[٣].

وقال الحسن وسعيد بن جبير في قوله: ﴿وابتغوا من فضل الله﴾: اطلبوا العلم[٤].

وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ السبب في

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٦). وذكره الماوردي (٦/ ١٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٠٣) من حديث أنس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٦٨).

نزولها: [ما][(١)] أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا حفص بن عمر، حدثنا خالد بن عبد الله، أخبرنا حصين، عن سالم [بن][(٢)] أبي الجعد، [وعن][(٣)] أبي سفيان[(٤)]، عن جابر بن عبد الله قال: «أقبلتْ عيرٌ يومَ الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناسَ إلا اثني عشر رجلاً، فأنزل الله تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها»[(٥)]. وأخرجه مسلم أيضاً.

وفي رواية: «أن النبي ﷺ كان يخطب قائماً، فجاءت عير من الشام، فخرج الناس إليها، فلم يبق إلا اثنا عشر رجلاً فيهم أبو بكر وعمر»[(٦)].

وفي رواية: «إلا اثنا عشر رجلاً أنا فيهم»[(٧)].

قال الحسن وأبو مالك: أصاب أهلَ المدينة جوعٌ وغلا السعر، فقدم دحية بن خليفة بتجارة من الشام، والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع، خشوا أن يُسبقوا إليه، فلم يبق من القوم مع النبي ﷺ إلا رهط، منهم أبو بكر

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: عن. والتصويب من البخاري و ب.

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من البخاري، و ب.

(٤) هو طلحة بن نافع الواسطي، أبو سفيان الإسكاف، نزل مكة، صدوق (تهذيب الكمال ١٣/ ٤٣٨-٤٤٠، والتقريب ص:٢٨٣).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٥٩ ح٤٦١٦)، ومسلم (٢/ ٥٩٠ ح٨٦٣).

(٦) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٠ ح٨٦٣).

(٧) أخرجه مسلم، الموضع السابق.

وعمر، فنزلت هذه الآية، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لَسَالَ بكم الوادي ناراً»[١].

وقال قتادة ومقاتل[٢]: بلغنا أنهم فعلوا ذلك ثلاث مرات لعير تقدم من الشام، وكان ذلك يوافق يوم الجمعة.

والمراد باللهو: الطَّبْل، وذلك أن العير كانت إذا قدمت المدينة استقبلوها بالطَّبْل والتصفيق.

وقال مقاتل[٣]: كان دحية بن خليفة إذا قدم من الشام يقدم بكل ما يحتاج إليه من دقيق أو بُرٍّ أو غيره، فينزل عند أحجار الزيت -وهو مكان في سوق المدينة-، ثم يُضرب الطَّبْل ليُؤْذِنَ الناسَ بقدومه.

والضمير في "إليها" راجع إلى التجارة؛ لأنها أهمّ. هذا قول الفراء[٤] والمبرد.

وقيل: التقدير: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه، وكذلك قراءة من قرأ: "انفضوا إليه" على ضمير المذكّر[٥].

وهي قراءة ابن مسعود، وهذا اختيار الزجاج[٦].

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٦-١٦٧) وعزاه لعبد بن حميد عن الحسن.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٥٧).

(٥) وهي قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة، كما في زاد المسير (٨/ ٢٧٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٧٢).

وقد قُرِئ: "انفضوا إليهما"[(١)].

﴿وتركوك قائماً﴾ يعني: على المنبر.

وقال الواحدي[(٢)]: أجمعوا على أن هذا القيام كان في الخطبة.

وسُئل ابن مسعود: أكان النبي ﷺ يخطب قائماً أو قاعداً؟ قال: أما تقرأ: ﴿وتركوك قائماً﴾[(٣)].

﴿قل ما عند الله﴾ من ثواب الصلاة والثبات مع نبيه ﷺ ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ فإنه ينعم بالنوال قبل السؤال، ويرزق على كل [حال][(٤)].

قال الزجاج[(٥)]: أي: ليس يفوتهم من أرزاقهم لتخلّفهم عن النظر إلى الميرة شيء، ولا بتركهم البيع في وقت الصلاة. والله تعالى أعلم.

---

(١) وهي قراءة ابن مسعود وابن أبي عبلة، كما في زاد المسير (٨/ ٢٧٠).

(٢) الوسيط (٤/ ٣٠١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/ ٣٥٢ ح١١٠٨)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٦ ح١٠٠٠٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٦٧) وعزاه لابن أبي شيبة وابن ماجة والطبَراني وابن مردويه.

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ١٧٣).

سورة المنافقون(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي كالجمعة إحدى عشرة آية(2)، مدنية بإجماعهم.

وكان السبب في نزولها: ما صَحَّت به الأخبار، ونقله أئمة الحديث؛ كالبخاري ومسلم وغيرهما، وأنا أجمع متفرّق ما نقلوه على وجه الاختصار بسياقةٍ محصلةٍ للمقصود، فأقول:

اعلم أن عبدَ الله بن أبيّ خرج مع النبي ﷺ في جماعة من المنافقين في غزوة المُرَيْسِيع -وهو ماء لبني المصطلق- طلباً للغنيمة لا رغبةً في الجهاد؛ لأنه كان سفراً قريباً، فلما قضى رسولُ الله ﷺ غزوته أقبل رجل من جهينة يقال له: سنان، وهو حليف لعبد الله بن أبيّ، ورجل من غفار يقال له: جَهْجَاه بن سعيد، وهو أَجِيرٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فدار بينهما كلام، فرفع الغفاري يده فَلَطَم الجهني فأدْمَاه، فنادى الجهني: يا للأنصار، فأقبلوا، ونادى الغفاري: يا للمهاجرين، فأقبلوا، وأصلح الأمرَ قومٌ من المهاجرين، فبلغ الخبرَ عبدُ الله بن أبيّ، فقال لجماعة عنده من المنافقين: والله ما مَثَلُكُم ومثلُ هؤلاء إلا كما قال القائل: سَمِّن كلبك يأكلك، ولكن هذا فعلُكم بأنفسكم، آويتموهم في منازلكم، وأنفقتم عليهم

---

(1) في ب: المنافقين.

(2) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٧).

أموالكم، فقَوُوا وضَعُفتُم، وايم الله! لو أمسكتُم أيديكم لتفرّقتْ عن هذا جموعُه، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذلّ، وكان في القوم زيد بن أرقم، وهو غلامٌ لا يُؤْبَهُ له، فقال لعبد الله: أنت والله الذليل القليل البغيض في قومك، ومحمدٌ ﷺ في عز من الرحمن، ومودة من المسلمين، فقال عبدالله: اسكت، إنما كنت ألعب، فأقبل زيد بالخبر إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله، فقال: إذاً تُرْعَدُ له أُنُفٌ كثيرة. قال: فإن كرهتَ أن يقتله رجل من المهاجرين، فمرْ سعد بن عبادة أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله، فقال: إذاً يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أُبيّ فأتاه، فقال: أنت صاحب هذا الكلام، فقال: والذي أنزل عليك ما قلتُ شيئاً من هذا، وإن زيداً لكذاب، فقال من حضر: يا رسول الله! لا [يُصَدَّقُ][(١)] عليه غلام، عسى أن يكون قد وهم، فعذره رسول الله ﷺ، فَفَشَتِ الملامة في الأنصار لزيد بن أرقم، وكذّبوه، فقال له عمّه: ما أردّتَ إلا أن يكذّبك رسول الله ﷺ والناس ومَقَتُوك، فاستحيا زيد، ووقع عليه من الهمّ ما [لم][(٢)] يقع على أحد، وجعل لا يسير قريباً من النبي ﷺ حياء منه، وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ ما كان من خبر أبيه، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله! بلغني أنك تريد قتل أبي لما بلغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً فمُرْني به أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمتِ الخزرجُ ما كان بها رجلٌ أبرَّ [بوالديه][(٣)] مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا

---

(١) في الأصل: تصدق. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: بولديه. والتصويب من ب.

تدعنّي نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار، فقال النبي ﷺ: بل نرفُقُ به، ونُحسن صحبته ما بقي معنا، فلما قاربوا المدينة وقف له ابنه على فوهة الطريق وقال: وراءك؟ فقال له أبوه: ما لك ويلك؟ قال: لا والله لا تدخلها أبداً إلا بإذن رسول الله ﷺ، لتعلم اليوم من الأعز ومن الأذلّ، فشكاه إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: خلّ عنه. قال زيد بن أرقم: فلما وافى رسولُ الله ﷺ المدينةَ جلست في البيت لما بي من الهمّ والحياء، وأنزل الله سورة المنافقين، فأرسل رسول الله ﷺ إلى زيد [فقال][1]: إن الله قد صدَّقك، وكذَّبَ عبدَ الله بن أبيّ، فقرأ عليه سورة المنافقين[2].

وفي رواية الترمذي: «وكان ذلك في غزوة تبوك»[3].

قرأتُ على قاضي القضاة أبي صالح نصر بن عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي الحنبلي، أخبرتكم شهدة بنت أحمد فأقرّ به قالت: أخبرنا محمد بن عبدالسلام الأنصاري، أخبرنا أبو بكر البرقاني قال: سمعت عبدالله بن إبراهيم الجرجاني يقول: أخبرني محمد بن سعيد بن هلال الرسعني، حدثنا المعافى، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ أصاب الناس فيه شدّة، فقال عبدالله بن أبيّ لأصحابه: لا تُنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك، فأرسل إلى عبدالله، فاجتهد يمينه ما

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥١-٤٥٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٧ ح ٣٣١٤).

فعل، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رسول الله، قال: فوقع في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله تصديقي: ﴿إذا جاءك المنافقون﴾، قال: ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلوَّوا رؤوسهم»[1]. أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن حسن بن موسى، عن زهير، فكأنني سمعته من طريقه من الفراوي.

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

قال الله تعالى: ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد﴾ أي: نشهد شهادة تتواطأ عليها قلوبنا وألسنتنا ﴿إنك لرسول الله﴾ وهاهنا تم الكلام.

ثم استأنف الله تعالى جملة أخرى وهي قوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾، وكأنّ الفائدةَ فيها: دفعُ ما عساه أن يتوهمه بعضهم عند مرادفة قوله: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ لقوله: ﴿قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ من أنه تكذيب لهم في شهادتهم أنه رسول الله.

فلما فَصَلَ بين الجملتين بقوله: ﴿والله يعلم إنك لرسوله﴾ زاحت علل

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٤٠ ح٢٧٧٢).

المبطلين، وطاحت [شُبَه][١] المكذبين.

والمعنى: والله يشهد إنهم لكاذبون في قولهم: "نشهد".

والآية التي بعدها مفسرة في المجادلة[٢].

قوله تعالى: ﴿ذلك﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾، أي: ذلك القول الشاهد عليهم ﴿بأنهم﴾ أسوأ الناس أعمالاً، بسبب أنهم ﴿آمنوا ثم كفروا﴾ وذلك الكذب بأنهم آمنوا بألسنتهم، ثم كفروا بقلوبهم، [أو بها][٣] ظهر من كفرهم.

﴿فطُبع على قلوبهم﴾ خُتم عليها بالكفر، ﴿فهم لا يفقهون﴾ الحق من الباطل.

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيتهم﴾ خطابٌ للنبي ﷺ أو لكل سامع ﴿تعجبك أجسامهم﴾ قال ابن عباس: كان عبد الله بن أبيّ جسيماً فصيحاً، ذَلِقَ اللسان، فإذا قال سمع النبي ﷺ قوله[٤].

وقال زيد بن أرقم: كانوا رجالاً أجمل شيء[٥].

وقال غيره[٦]: وكانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، ولهم جهارة المنظر، وفصاحة الألسن، فكان النبي ﷺ والمؤمنون يَعجبون منهم ويسمعون كلامهم.

﴿كأنهم خُشُبٌ مسنَّدة﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي وقنبل: "خُشْب" بسكون

---

(١) في الأصل: بشبه. والتصويب من ب.

(٢) عند الآية رقم: ١٦.

(٣) في الأصل: أبها. والتصويب من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٤-٢٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠) ضمن حديث زيد بن أرقم السابق ذكره.

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٤٢).

الشين، وقرأ الباقون بضمّها[١]، وهو جمع خَشَبَة؛ كبَدَنة وبُدُن، وثَمَرة وثُمُر.

والمعنى: كأنهم في عِظَم أجسامهم، وخِفَّةِ أحلامهم، وعدم انتفاعهم والنفع بهم؛ خُشُب.

وفي قوله: ﴿مُسَنَّدة﴾ تحقيق لمعنى عدم النفع بهم؛ لأن الخُشُب لا ينتفع به ما دام متروكاً [مسنّداً][٢].

وقيل: شبّههم [بالخُشُب][٣] المسنّدة؛ لأنها لا تُثمر ولا تَنمي.

وقيل: شبّههم بالخُشُب النخرة؛ لسوء مَخْبَرِهم.

وجوّز بعضهم أن يراد: الأوثان المنحوتة من الخشب المسنّدة إلى الحيطان، فهي جميلة في المنظر، خالية عن المخبر.

وقال اليزيدي: الخُشُب: جمع خَشْبَاء، وهي الخَشَبَة التي دَعَرَ جوفها، أي: فَسَد، شُبِّهُوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم[٤].

﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي: يحسبون لما عندهم من الرُّعب كل صيحة عليهم. [وثاني][٥] مفعولي "يحسبون" محذوف، تقديره: يحسبون كل صيحة واقعة[٦] عليهم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٠٩)، والكشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٢١٦-٢١٧)، والإتحاف (ص:١٤٢، ٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٦).

(٢) في الأصل: مستنداً. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: باخشب. والتصويب من ب.

(٤) انظر: الكشاف (٤/ ٥٤٢).

(٥) في الأصل: ويأتي. والتصويب من ب.

(٦) قوله: "واقعة" سقط من ب. وانظر: الدر المصون (٦/ ٣٢١).

وقد سَرَقَ الأخطل النصراني هذا المعنى، وأنَّى له ذلك لولا الكتاب العزيز فقال:

ما زلتَ تحسِبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ خَيْلاً تكرُّ عليهمُ ورجالا[١]

قال المفسرون: لا يسمعون صوتاً إلا ظنوا أنهم قد أُتُوا، وإن نادى مُنادٍ في العسكر أو انفلتت دابة، أو نُشدت ضالة، ظنوا أنهم يرادون؛ لما في قلوبهم من الخوف، وكانوا كالمتوقعين أمراً من عند الله، يَستأصل به شأفتهم على لسان رسوله ﷺ وبأيدي المؤمنين.

﴿هم العدو﴾ أي: هم الكاملون في العداوة؛ لكفرهم ونفاقهم وما جَثَم على صدورهم من الغل والحسد للنبي ﷺ والمؤمنين، [ولن][٢] تجد أجلب للعداوة من هذه الأسباب، لا سيما وقد حُرِبُوا وسُلبوا وبُدِّلُوا من بعد عِزِّهم ذُلاًّ، ومن بعد أمنهم خوفاً.

وإلى هذا المعنى نظر سديف في قوله:

لا يغُرَّنْكَ ما تَرى من رجال إنّ تحتَ الضُّلُوع [دَاءً][٣] دَوِيّا

فَضَعِ السيفَ وارفَع السَّوْطَ حتى لا تَرى فوقَ ظَهْرِهَا أُمَوِيّا[٤]

---

(١) البيت لجرير ضمن قصيدة طويلة له، انظر: شرح ديوان جرير (ص:٣٣٩).

(٢) في الأصل: ولم. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيتان لسُديف، وهما في: الأغاني (٤/ ٣٤٣) وفيه: "جرِّد السيف وارفع العفو" بدل: "فضع السيف وارفع السوط"، والكامل في التاريخ (٥/ ٢٦، ٧٧)، والبدء والتاريخ (٦/ ٩٠)، والنجوم الزاهرة (١/ ٣٣١).

وباقي الآية مفسر في براءة[١].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله﴾ أخرجا في الصحيحين: «أن زيد بن أرقم قال: ثم دعاهم رسولُ الله ﷺ ليستغفر لهم، قال: فلوَّوا رؤوسهم»[٢].

قال المفسرون: لما نزلت في ابن أبيّ هذه السورة وبَانَ كذبُه، قال له عبادة بن الصامت وغيرُه من أهله: يا أبا الحباب! قد نزلتْ فيك آيات شِدَاد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ ليستغفر لك، فلوى رأسه[٣].

---

(١) عند الآية رقم: ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٠ ح٤٦٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٤٠ ح٢٧٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧٥) من حديث بشير بن مسلم.

قرأ نافع: "لَـوَوْا" بـالتخفيف، وشـدَّدَه البـاقون[١]. والمعنـى واحـد، إلا أن التشديد للتكثير.

قال مقاتل[٢]: عطفوا رؤوسهم رغبةً عن الاستغفار.

وقال الفراء[٣]: حرّكوها استهزاء بالنبي ﷺ وبدعائه.

ويروى أنه قال لهم: أمرتموني أن أؤمـن فآمنـت، وأمرتمـوني أن أزكـي مـالي فزكيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد[٤]!. ولم يلبث بعدها إلا أياماً قلائـل حتـى اشتكى ومات.

ثم أخبر أن الاستغفار لا ينفعهم فقال: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم﴾ وقرئ شاذاً: "استغفرْتَ" على حذف حرف الاستفهام؛ لدلالة "أم" المعادلة عليه[٥].

وقرأتُ لأبي جعفر: "آستغفرت" بالمد عـلى الإشباع لهمـزة الاسـتفهام[٦]؛ إظهاراً لها وبياناً.

والآية التي بعدها قول ابن أبيّ المنافق؛ على ما ذكرناه في سياقة قصته.

ومعنى: "يَنْفَضُّوا": يتفرَّقُوا[٧].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٣)، والحجـة لابـن زنجلـة (ص:٧٠٩-٧١٠)، والكـشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٦)، والسبعة (ص:٦٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٦٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٥٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٧٥) من حديث بشير بن مسلم.

(٥) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٥٤٥)، والدر المصون (٦/ ٣٢١).

(٦) انظر: النشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٦-٤١٧).

(٧) في ب: تنفضوا، تتفرقوا.

[وقرئ][١] شاذاً: "[يُنْفِضُوا][٢]"، من [أنْفَضَ][٣] القَوْم؛ إذا فَنِيَتْ أزوادهم[٤].

وفي قوله: ﴿ولله خزائن السموات والأرض﴾ إشعارٌ بأنه هو الذي بيده أرزاق العباد، فهو الذي رَزَقَ النبي ﷺ وأصحابه لا أهل المدينة.

قال المفسرون: خزائن السموات: المطر، وخزائن الأرض: النبات[٥].

﴿ولكن المنافقين لا يفقهون﴾ ذلك.

والآية التي بعدها قول المنافق، وقد ذكرناه في قصته.

وفي قراءة الحسن البصري وابن أبي عبلة: "لَنُخْرِجَنَّ" ونصب "الأعزَّ" و"الأذلَّ"[٦].

قال الزمخشري[٧]: معناه: خروج الأذل، أو إخراج الأذل، أو مثل الأذل.

ويحتمل عندي: أن يكون مرادُ المنافق -قاتله الله- على هذه القراءة: إجراءَ الصفتين على النبي ﷺ، على معنى: لنخرجن الأعز على أصحابه، الأذل عندنا، فسلب الله عن المنافق ما انتحله لنفسه المهِينَة من العِزَّة فقال: ﴿ولله العزة﴾ الغلبة والقوة، ﴿ولرسوله وللمؤمنين﴾.

---

(١) في الأصل: قرئ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل و ب: تنفضوا. والتصويب من: الكشاف (٤/ ٥٤٥)، والدر المصون (٦/ ٣٢٢).

(٣) في الأصل: انتفض. والتصويب من ب.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نفض).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٦).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٥٤٥).

ومن استقرأ ذلك عَرَفَ صحته عياناً، فإنك ترى الواحد من المحقّين في الدّين المخلصين فيه، تخضع له أعناق الجبابرة والفراعنة، وتخشع لهيبته ذووا الأنَفَة والحميّة، ما ذاك إلا لما ألْبَسَهُ الله من عِزِّ سلطانه، وكَسَاهُ من هيبته.

قال رجل للحسن بن علي رضي الله عنهما: إن الناس يزعمون أن فيك [تيهاً][1]؟ قال: ليس بتيهٍ، ولكنه عزّة، وتلا هذه الآية[2].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾

قوله تعالى: ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم﴾ أي: لا يشغلكم طلبُ استثمار الأموال، والقيام على الأولاد ﴿عن ذكر الله﴾ قال ابن عباس: طاعته في الجهاد[3].

وقال عطاء: الصلاةُ المكتوبة[4].

وقيل: جميع الفرائض.

---

(١) في الأصل: نهياً. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٤٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٠) وعزاه لابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان.

﴿ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾ في تجارتهم، لما فاتهم من ثواب الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ قال ابن عباس: يريد: زكاة الأموال[١].

وقال الضحاك: يريد: الحقوق الواجبة في المال[٢].

وقيل: صدقة التطوع[٣]. فيكون الأمر للندب.

قال الضحاك: لا ينزل بأحد الموت لم يحج ولم يؤد زكاة المال إلا سأل الرجعة، وتلا هذه الآية[٤].

﴿لولا أخرتني إلى أجل﴾ أي: هَلاَّ أخرتَ موتي إلى أجل ﴿قريب﴾ زمان قليل، ﴿فأَصَّدَقَ وأكون﴾ قرأ أبو عمرو: "وأكونَ" بالواو والنصب، عطفاً على لفظ "فأَصَّدَّقَ"؛ لأنه منصوب بإضمار "أنْ"، على جواب التمني.

وقرأ الباقون: "وأكُنْ" بغير واو مع الجزم[٥]، عطفاً على موضع "فأَصَّدَّقَ"؛ لأن موضعه قبل دخول الفاء: الجزم.

وقرأ عبيد بن عمير: "وأكُونُ" بالرفع[٦]، [على معنى][٧]: وأنا أكون.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٧).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٨).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١١٨).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص: ٧١٠)، والكشف (٢/ ٣٢٢)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص: ٤١٧)، والسبعة (ص: ٦٣٧).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٣٢٤).

(٧) زيادة من ب.

قرأ أبو بكر عن عاصم: "يعملون"، خاتمتها بالياء على المغايبة، حملاً على قوله: ﴿ولن يؤخر الله نفساً﴾.

وقرأ الباقون: بالتاء، على المخاطبة لجميع الخلق[1]. والله تعالى أعلم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١١)، والكشف (٢/ ٣٢٣)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٧)، والسبعة (ص:٦٣٧).

سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية[1].

وهي مدنية، في قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين[2].

وقال الضحاك: مكية[3]. ومثله عطاء بن يسار، واستثنى منها ثـلاث آيـات، وهي قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم﴾ واللتان بعدها[4].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٢٧٩)، والدر المنثور (٨/ ١٨١).

(٣) انظر: الماوردي (٦/ ٢٠)، وزاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٩)، والسيوطي في الـدر (٨/ ١٨١) وعزاه لابن إسحاق وابن جرير.

رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

قوله تعالى: ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ قال ابن عباس: إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً، ثم يُعيدهم يوم القيامة كما خلقهم[(١)].

قال الزجاج[(٢)]: جاء في التفسير: أن يحيى بن زكريا خُلق في بطن أمه مؤمناً، وخُلق فرعونُ في بطن أمه كافراً.

قلتُ: وعلى هذا جاءت الأحاديث الصحيحة، وليس هذا موضع استقصائها:

منها: «السعيدُ من سعد في بطن أمه، والشقيُّ من شقي في بطن أمه»[(٣)].

ومنها: «ثم يبعث الله إليه المَلَكُ فيؤمر بأربع كلمات، فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»[(٤)].

ومنها: «الغلام الذي قتله الخضر»[(٥)].

وقيل: تمّ الكلام عند قوله: ﴿خلقكم﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿فمنكم كافر ومنكم

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٧٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٧٩).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣/ ١٠٧ ح٢٦٣١) من حديث ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧٤ ح٣٠٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ ح٢٦٤٣).

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٠ ح٢٦٦١).

مؤمن﴾ قال ابن عباس في رواية أبي الجوزاء: فمنكم كافر يـؤمن، ومـنكم مـؤمن يكفر(١).

[وقال](٢) الزجاج(٣): أحسن ما قيل فيه: هو الذي خلقكم فمنكم كافر بأن الله خلقه، وهو مذهب أهل الدهر والطبائع، ومنكم مؤمن بأن الله خلقه.

وما بعده ظاهر أو مُفسَّر إلى قوله مخاطباً لأهـل مكـة: ﴿ألم يـأتكم﴾ والمـراد: تهديدهم. ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ وهو العذاب في الدنيا ﴿ولهم عـذاب ألـيم﴾ في الآخرة.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى الوبال الذي ذاقوه في الدنيا والعذاب في الآخـرة ﴿بأنـه﴾ أي: بأن الشأن والحديث.

وقولهم: ﴿أبشر يهدوننا﴾ [إنكار](٤) أن يكون الرسول [بشراً](٥)، كما أخـبر الله عن كفار قريش وغيرهم من كفار الأمم الماضية.

والبَشر: اسم جنس، معناه الجمع. ﴿واستغنى الله﴾ عن إيمانهم.

وقد ذكرنا فيما مضى أن "زَعَم" كناية عن الكذب.

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٠).

(٢) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ١٧٩).

(٤) في الأصل: إن كان. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: بشر. والتصويب من ب.

خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يجمعكم﴾ منصوب بقوله: ﴿ثم لتنبؤن﴾.

وقيل: بـ"خبير"؛ لتضمنه معنى الوعيد، أو بإضمار: اذكر[١].

والتَّغَابُن: تفاعلٌ من الغَبْن، وهو فوْتُ الحظ والمراد.

وأسباب الغبن في ذلك اليوم كثيرة: منها ما روي عن ابن عباس وغيره، [وهو حديث][٢] مرفوع إلى النبي ﷺ: «أنه ليس من كافر إلا وله منزلٌ وأهل في الجنة لو أسلم، فَيَرِثُ المؤمن ذلك منه بعد أن يُوقَف عليه ويقال له: هذا لك لو كنت أحسنت، فيُغبنُ حينئذ غبناً شديداً»[٣].

وقال مجاهد: هو غبنُ أهلُ الجنة أهلَ النار[٤].

قوله تعالى: ﴿يكفر عنه سيئاته﴾ قرأ نافع وابن عامر: "نكفر" و"ندخله" بالنون فيهما. وقرأهما الباقون: بالياء[٥]. ووجههما ظاهر.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٣)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

(٢) في الأصل: وحديث. والتصويب من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٢).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٦٧٩)، والطبري (٢٨/ ١٢٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٩١ ح٣٥٢٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٣) وعزاه للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١١)، والكشف (١/ ٣٨٠)، والنشر (٢/ ٢٤٨)، والإتحاف (ص:١٨٧، ٤١٧)، والسبعة (ص:٦٣٨).

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿يَهْدِ قلبه﴾ قال ابن عباس: يَعْلَمُ أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[1].

وقال ابن السائب: إذا ابتُلي صبر، وإذا أُنعم عليه شَكَر، وإذا ظُلم غَفَر[2].

وقال أبو ظبيان[3]: كنا نَعْرِض المصاحف عند علقمة[4]، فَمَرَّ بهذه الآية: ﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ فسألناه فقال: هو الرجل تُصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم[5].

وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعاصم الجحدري: "يَهْدَ" بفتح الياء

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٣).

(٣) حصين بن جندب بن الحارث بن وحشي بن مالك الجنبي، أبو ظبيان الكوفي، ثقة، مات سنة تسعين (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢٧، والتقريب ص:١٦٩).

(٤) علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة بن سلامان بن كهل، ويقال: بن كهيل بن بكر بن عوف، ويقال: بن المنتشر بن النخع، أبو شبيل النخعي الكوفي، ولد في حياة الرسول ﷺ، وكان ثقة من أهل الخير، مات سنة إحدى وستين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٤٤-٢٤٥، والتقريب ص:٣٩٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٣)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٦٦ ح٦٩٢٥)، وفي الشعب (٧/ ١٩٦ ح٩٩٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٣-١٨٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن علقمة.

والدال، "قَلْبُه" بالرفع[١].

قال الزجاج[٢]: هو من هَدَأَ يَهْدَأُ، إذا سَكَن.

فالمعنى: إذا استسلم لأمر الله سكن قلبه.

وفي قراءة عثمان بن عفان رضي الله عنه والضحاك وطلحة بن مصرف: "نَهْدِ" بالنون وكسر الدال[٣].

وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأبي عبد الرحمن: "يُهْدَ" بياء مضمومة [وفتح][٤] الدال، "قَلْبُه" بالرفع[٥].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٨١).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

(٤) في الأصل: فتح. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٣٢٦).

قوله تعالى: ﴿إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم﴾ قال ابن عباس: هؤلاء رجال من أهل مكة، أسلموا وأرادوا أن يأتوا المدينة، فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم[(١)].

والمعنى: إن بعض أزواجكم عدواً لكم في دينكم، حيث راموا منعكم من الهجرة إلى نبيكم، فاحذروهم.

قال المفسرون: فلما هاجروا ورأوا أنهم قد سُبِقُوا سَبْقاً بعيداً، وفَاتَهُم ما أدركه المهاجرون قبلهم من العلم والحكمة، همّوا بمعاقبة أزواجهم وأولادهم الذين منعوهم من الهجرة، فأنزل الله: ﴿وإن تعفوا... الآية﴾[(٢)].

قوله تعالى: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: بلاءٌ ومحنةٌ وشُغْلٌ عن الآخرة؛ لأنهم يورّطون في المهالك، ويُوقعون في العظائم، ويَحملون على تناول الحرام.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إنكم لتُجَبِّنُون وتُبَخِّلُون، وإنكم لمن ريحان الله»[(٣)].

أخبرنا الشيخ أبو نجيح فضل الله بن أبي رشيد الأصبهاني إجازة قال: أخبرنا الحافظ أبو [القاسم][(٤)] إسماعيل بن محمد، إملاءً من لفظه سنة

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤١٩ ح٣٣٧١)، والطبري (٢٨/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٢ ح٣٨١٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٢٧٥ ح١١٧٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٨٤) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه وابن مردويه.

(٢) انظر: تخريج الأثر السابق.

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٤٠٩ ح٢٧٣٥٥).

(٤) في الأصل: إسحاق. وهو وهم. والتصويب من ب.

[اثنتين][١] وثلاثين وخمسمائة، أخبرنا محمد بن أحمد بن علي السمسار، أخبرنا أبو إسحاق بن خورشيد قُولَه قال: حدثنا المحاملي، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا علي بن الحسن[٢]، أخبرنا الحسين بن واقد[٣]، عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: «أن النبي ﷺ كان يخطب فجاء الحسن والحسين وهما يعثران على قميصيهما، فنزل النبي ﷺ حتى حملهما ثم قال: ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾»[٤].

وفي رواية أخرى: «نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[٥].

وفي قوله تعالى: ﴿والله عنده أجر عظيم﴾ ترغيبٌ للمؤمنين في ثواب الله، وحضٌّ لهم على إيثاره على الأموال والأولاد.

قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ ذكرنا أنها نسخت قوله: ﴿فاتقوا الله حق تقاته﴾ في آل عمران[٦]، وحققنا القول على ذلك في موضعه.

---

(١) في الأصل: اثنين. والتصويب من ب.

(٢) علي بن الحسن بن شقيق بن دينار بن مشعب العبدي مولاهم، أبو عبد الرحمن المروزي، ثقة حافظ، توفي سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٦٣، والتقريب ص:٣٩٩).

(٣) الحسين بن واقد المروزي، أبو عبد الله، قاضي مرو، مولى عبد الله بن عامر بن كريز، ثقة له أوهام، مات سنة تسع وخمسين ومائة (تهذيب التهذيب ٢/ ٣٢١، والتقريب ص:١٦٩).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٥٨ ح٣٧٧٤)، والنسائي (١/ ٥٣٥ ح١٧٣١)، وأحمد (٥/ ٣٥٤ ح٢٣٠٤٥).

(٥) انظر: تخريج الحديث السابق عند الترمذي وأحمد.

(٦) عند الآية رقم: ١٠٢.

قال ابن عباس: "[وأنفقوا]"[١]: تصدقوا[٢].

وقال الضحاك: أنفقوا في الجهاد[٣].

وقال غيره: في وجوه الطاعات.

﴿خيراً لأنفسكم﴾ منصوب بمحذوف، تقديره: ايتوا خيراً لأنفسكم من الأموال والأولاد[٤].

وتمام الآية مُفسّر في [الحشر[٥]، وباقي السورة مُفسّر في][٦] البقرة[٧] وغيرها[٨]. والله أعلم.

---

(١) في الأصل: واتقوا. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٦) ولفظهما: الصدقة.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٢٧).

(٥) عند الآية رقم: ٢٣ و ٢٤.

(٦) زيادة من ب.

(٧) عند الآية رقم: ٢٥٤.

(٨) في سورة الحديد، عند الآية رقم: ١١ و ١٨.

سورة الطلاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى النساء القصرى.

وهي اثنتا عشرة آية[1]. وهي مدنية بإجماعهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ قال المفسرون: نادى النبي ﷺ، ثم خاطب أمته؛ لأنه السيد المقدّم، وإمام الأمة، كما يقول السلطان لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا كيت وكيت؛ إظهاراً لتقدمه، وتنويهاً بشرف منزلته، وإشعاراً لهم بأن الأمور المنوطة بهم مفوضة إليه.

والمعنى: إذا أردتم طلاق النساء.

﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ أي: لاستقبال عدتهن.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٤٩).

قال ابن عباس: فطلقوهن قبل عِدَّتِهن[١].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فسأل عمر رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: مُرْهُ فليراجعها ثم ليتركها حتى تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طَلَقَّ قبل أن يمسّ، فتلك العدَّة التي أمر الله أن تُطلَّق لها النساء»[٢].

فحصل من الآية والحديث: أن الطلاق على ضربين: طلاق السنة، وطلاق البدعة.

فأما طلاق السنة: فهو أن يطلقها في طُهْر لم يجامعها فيه.

وأما طلاق البدعة: فهو أن يطلقها في زمن الحيض، أو في طُهْر جامعها فيه، ويقع الطلاق؛ لأن النبي ﷺ أمر ابن عمر بمراجعة زوجته، ويأثم لارتكابه ما نهي عنه.

فصل

والأولى أن يطلقها واحدة ثم يدعها حتى تنقضي عدّتها[٣]، فإن أرسل عليها ثلاث طلقات أثم. وهو قول أبي حنيفة ومالك[٤].

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٢٩)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٤١ ح٥٥٨٦)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٣١ ح١٤٧٢١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٠-١٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد والطبراني وابن مردويه.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١١ ح٤٩٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٩٣ ح١٤٧١).

(٣) انظر: المغني (٧/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٤) انظر: المبسوط للسرخسي (٦/ ٣)، وبدائع الصنائع (٣/ ٨٩)، والمغني (٧/ ٢٨١).

وعن الإمام أحمد رواية أخرى: أنه لا يأثم، وهو قول الشافعي، ويقع الطلاق من غير خلاف بينهم[١].

وفي هذه الآية مستدل لمن يقول: الأقراء: هي الأطهار.

وفيه عن الإمام أحمد روايتان، أصحهما: أنها الحيض، وهي قول أبي حنيفة.

والثانية: أنها الأطهار، وهو قول الشافعي[٢]؛ لقوله تعالى: ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾، وإنما تطلق في الطّهر.

وطريق الانفصال من ذلك على الرواية الصحيحة: أن المرأة إذا طلقت في الطهر المتقدم للقرء[٣] الأول من أقرائها، فقد طلقت لاستقبال عدتها.

قوله تعالى: ﴿وأحصوا العدة﴾ أي: احفظوها واضبطوها، لتعلموا ما يترتب عليها من أحكام النفقة والرجعة والسكنى، وتوزيع الطلاق على الأقراء لمن أراد أن يطلق ثلاثاً إلى غير ذلك.

﴿واتقوا الله ربكم﴾ خافوه واحذروا مخالفة ما شرع لكم من الدين.

﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ التي كنّ يسكُنّها، وهنّ في نكاحكم أيها الأزواج، وأُضيفت إليهنّ؛ لمكان اختصاصهنّ بهنّ.

﴿ولا يخرجن﴾ هُنَّ بأنفسهن ﴿إلا﴾ لضرورة؛ لأنهن محبوساتٍ لحقِّ الأزواج، ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس وابن عمر والحسن ومجاهد: هي

---

(١) انظر: المغني (٧/ ٢٨٠-٢٨١).

(٢) انظر: المغني (٧/ ٤٠٥-٤٠٦)، والإنصاف (٩/ ٢٧٩)، والأم (٥/ ٢٠٩).

(٣) في ب: للقروء.

الزنا(١). فيكون المعنى: لا تخرجوهن إلا أن يزنين، فأخرجوهن لإقامة الحد عليهنّ.

وقيل: الفاحشة: البَذاء على المطلّق وأهله(٢)، فيحل لهم إخراجها حينئذ. وهذا مروي عن ابن عباس(٣).

وقال السدي: المعنى: إلا أن يخرجن قبل انقضاء العدة، فخروجهن فاحشة(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ تحقيقٌ وتقرير؛ لما سبق من شرعية الطلاق السني وإحصائه. فربما قلب الله قلبه إلى محبتها، أو ندم على مفارقتها فيكون بسبيل من استرجاعها.

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٦٨١)، والطبري (٢٨/ ١٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الحسن والشعبي، وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٢) هو أن يطول لسانها على أقارب زوجها.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٤)، والشافعي في مسنده (ص:٢٦٧)، وابن أبي شيبة (٤/ ١٨٩)، وعبد الرزاق (٦/ ٣٢٣ ح١١٠٢٢). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ١٩٣) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن راهويه وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٨٩).

﴿حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: شَارَفْنَ انقضاء عدتهن.

وما لم أُفسِّره في هذه الآية مذكور في البقرة[1].

قوله تعالى: ﴿وأشهدوا﴾ يعني: على الرجعة ﴿ذوي عدل منكم﴾ وهل الإشهاد عليها واجب أو مستحب؟ فيه عن الإمام أحمد روايتان، وللشافعي قولان[2].

وقال جماعة من المفسرين: أُمروا أن يُشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة.

ثم خاطب الله الشهداء فقال: ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ أي: لوجه الله خالصاً، لا للمشهود له، ولا للمشهود عليه، ولا لغرض فاسد، بل لإقامة الحق، ودفع الظلم.

وما بعده مُفسَّر في البقرة[3] إلى قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ قال أكثر المفسرين: نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، أَسَرَ العدو ابناً له، فذكر [ذلك][4] للنبي ﷺ وشكا إليه الفاقة، فقال له: اتّق الله واصبر، وأكثِرْ من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل الرجل ذلك، فبينما هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلاً. وقيل: ساق أربعة آلاف شاة، وجاء إلى أبيه، فذلك قوله: ﴿ويرزقه

---

(١) عند الآية رقم: ٢٣١.

(٢) انظر: المغني (٧/ ٤٠٣)، والماوردي (١٠/ ٣١٩).

(٣) آية رقم: ٢٣٢.

(٤) زيادة من ب.

من حيث لا يحتسب﴾»(١).

وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾، فما زال يقولها ويعيدها»(٢).

وقال ابن عباس: ومن يتق الله يُنجه من كل كربٍ في الدنيا والآخرة(٣).

وقال الربيع بن خثيم: يجعل له مخرجاً من كل ما ضاق على الناس(٤).

وحدثني جماعة من أشياخي عن الوزير عون الدين أبي المظفر يحيى بن هبيرة رحمه الله قال: أنشدني المستنجد بالله أمير المؤمنين رحمه الله:

بتَقْوَى الإلـهِ نَجَا مَنْ نَجَا ... وفَازَ وأدْرَكَ ما قَدْ رَجَا

ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ له ... كما قَالَ من أمره مَخْرجا

وقال بعض العلماء(٥): هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من إجراء أمر الطلاق على السنة، وطريقه الأحسن، والأبعد من الندم.

ويكون المعنى: ومن يتق الله فيطلّق للسّنّة، ولم يضارّ المعتدّة ولم يخرجها من

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٥٩). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١٤٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٥-١٩٦) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٣٥ ح٣٥٦٢٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ١٩٨) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن بالمنذر.

(٥) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٥٨).

مسكنها، واحتاط [فأشهد][١]، يجعل له مخرجاً من الغموم، والوقوع في المضايق، ويكون بسبيل من الارتجاع.

ويروى أن رجلاً سأل ابن عباس وقد طَلَّقَ أكثر من ثلاث فقال: لَمْ تتق الله فلم يجعل لك مخرجاً، بَانَتْ منك بثلاث، والزيادة إثمٌ في عنقك[٢].

﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ أي: كافيه في كل أمر يحذره، أو كرب يقع فيه.

أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم: توكّل عليّ أكْفِك، ولا تولّى غيري فأخذلك[٣].

قوله تعالى: ﴿إن الله بالغ أمره﴾ وقرأ حفص: "بالغُ أمره" على الإضافة.

وقد سبق ذكر نظائره في مواضع آخرها في سورة الصف عند قوله: ﴿والله مُتِمُّ نوره﴾ [الصف:٨].

فإن قيل: ما وجه قراءة من قرأ: "بالغاً" بالنصب؟

قلتُ: نصبه على الحال، وخبر "إنَّ": ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾، ومعناه: تقديراً وتوقيتاً. فكل شيء من الرزق وغيره له قدرٌ وأجلٌ وحَدٌّ ينتهي إليه.

وفي هذا تقرير لمعنى التوكل على الله والتفويض إليه.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٍ

(١) في الأصل: وأشهد. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٥٥٨).

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه أحمد في الزهد (ص:١١٦).

وَٱلَّـٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿واللائي يئسن من المحيض﴾ السبب في نزولها: أن أبيّ بن كعب قال: يا رسول الله! إن نساءً من أهل المدينة يقُلْنَ: قد بقي من النساء ما لم يُذكر فيه شيء، قال: وما هو؟ قال: الـصِّغَارُ والكبـارُ وذواتُ الحمـل، فـأنزل الله[1] هـذه الآية[2].

ومعنى: ﴿إن ارتبتم﴾ أشكل عليكم أمرهنّ، وجهلتم عدتهنّ.

﴿واللائي لم يحضن﴾ يعني: الصغار. وهذا وقف التمام. وفيه إضمار، تقديره: فعدتهن أيضاً ثلاثة أشهر.

ثم استأنف الإخبار عن عدة الحوامل فقال: ﴿وأُولاتُ الأحمـال أجلهـن أن يضعن حملهن﴾، مطلقات كُنَّ أو متوفّى عنهنّ[3]. وهـذا قـول عمـر وابنـه وابـن

(١) في ب: فنزلت.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٤١)، وابـن أبي حـاتم (١٠/ ٣٣٦٠)، والحـاكم (٢/ ٥٣٤ ح٣٨٢١)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٤١٤ ح١٥١٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠١) وعزاه لإسحاق بن راهويه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصـححه وابـن مردويـه والبيهقـي في سننه.

(٣) أخرج الطبري (٢٨/ ١٤٣) عن ابن مسعود أنه قال: من شاء لاعنته، ما نزلت ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ إلا بعد آية المتوفي عنها زوجها وإذا وضعت المتوفي عنها فقـد حلـت. وانظر: الدر المنثور (٨/ ٢٠٣-٢٠٤).

مسعود وعامة الصحابة والتابعين فمن بعدهم، والأئمة الأعلام[1].

ويحكى عن علي وابن عباس: أن الحامل المتوفى عنها زوجها تعتد بأطول الأجلين[2].

والصحيح: مذهب الجمهور؛ لما أخبرنا به الشيخان الإمام أبو محمد عبدالله بن أحمد المقدسي، وأبو بكر محمد بن سعيد بن الموفق الخازن النيسابوري قالا: أخبرنا أبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي، أخبرنا أبو الحسن مكي بن منصور [الكرجي][3]، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا سفيان، عن الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن أبيه: «أن سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفاة زوجها بليال، فمرّ بها أبو السنابل بن بعكك فقال: قد تصنّعت للأزواج، إنها أربعة أشهر وعشر، فذكرت ذلك سبيعة لرسول الله ﷺ فقال: كذب أبو السنابل، [أو ليس][4]

---

(١) في ب: والأعلام.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٤ ح٤٦٢٦)، والنسائي في الكبرى (٣/ ٣٨٧ ح٥٧٠٥)، كلاهما عن ابن عباس.

وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٠٣) من طرق عن ابن مسعود أنه بلغه عن علي رضي الله ، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه.

وذكره السيوطي أيضاً (٨/ ٢٠٤) عن ابن عباس ، وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والبخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه.

(٣) في الأصل: الكرخي. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: وليس. والمثبت من ب، ومسند الشافعي (ص:٢٤٤).

كما قال أبو السنابل، قد حللت فتزوجي»[١]. هـذا حـديث متفـق عـلى صـحته، أخرجاه من طرق عن الزهري. وأبو السنابل اسمه: حبة.

قوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً﴾ أي: يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما شرع من الأحكام ﴿أمر الله أنزله إليكم﴾.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُو۟لَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ "مِنْ" الأولى زائدة، أو للتبعيض، [ومُبَعَّضُها][٢] محذوف، تقديره: أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم، أي: بعض مساكنكم.

والثانية عطف بيان لقوله: "من حيث سكنتم"، كأنه قيل: أسكنوهن مكاناً من مسكنكم مما تطيقونه.

قرأ يعقوب في رواية روح: "من وِجْدِكُم" بكسر الواو، وضَمَّها الباقون من

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤٦٦ ح٣٧٧٠)، ومسلم (٢/ ١١٢٢ ح١٤٨٤)، والشافعي في مسنده (ص:٢٤٤).

(٢) في الأصل: وبعضها. والتصويب من ب.

العشرة[١]، وهي قراءة أبي هريرة وأبي رزين وأبي عبد الرحمن السلمي وقتادة. وفتحها ابن يعمر وابن أبي عبلة وأبو حيوة[٢].

والوُجْد: الوُسع والطاقة.

قال الفراء[٣]: على ما يجد إن [كان][٤] مُوسِعاً وَسَّعَ عليها في المسكن والنفقة، وإن كان فقيراً فعلى قدْر ذلك.

﴿ولا تُضَارُّوهُنَّ لتضيقوا عليهن﴾ يعني: وأنتم تجدون السعة.

قال القاضي أبو يعلى: المراد بها الرجعية دون المبتوتة، بدليل قوله: ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [الطلاق:١]، [وقوله][٥] تعالى: ﴿فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ [الطلاق:٢]، فدلّ ذلك على أنه أراد الرجعية[٦].

فصل

لا نعلم خلافاً بين أهل العلم أن المطلقة الرجعية تستحق النفقة والسكنى ما دامت في العدة. واختلفوا في المبتوتة، فقالت طائفة: لا نفقة لها ولا سكنى، إلا أن تكون حاملاً. روي ذلك عن ابن عباس، وهو قول الحسن وعطاء والشعبي،

---

(١) النشر (٢/ ٣٨٨)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤١٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣١).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٦٣).

(٤) زيادة من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: قوله. والتصويب من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٩٦).

وأصح الروايتين عن الإمام أحمد، أخذاً بحديث فاطمة بنت قيس حين طلقها زوجها البتة، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة(١).

وقالت طائفة: لها السكنى والنفقة. يروى ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود. وبه قال النخعي وسفيان الثوري وأبو حنيفة(٢).

وقالت طائفة: لها السكنى بكل حال، ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً. يحكى ذلك عن ابن المسيب، وبه قال الزهري ومالك والليث بن سعد والأوزاعي والشافعي، والرواية [الثانية](٣) عن أحمد رضي الله عنه(٤)، واعتذروا عن حديث فاطمة بقول سعيد بن المسيب: فَتَنَتْ فاطمةُ الناس، كانت للسانها [ذرابة](٥)، فاستطالت على أحمائها، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم(٦).

قوله تعالى: ﴿فإن أرضعن لكم﴾ يعني: المطلقات ولداً منهن أو من غيرهن بعد انقطاع عصمة النكاح ﴿فآتوهن أجورهن﴾ يعني: أجرة رضاعهن، ﴿وائتمروا بينكم بمعروف﴾ أي: ليأمر بعضكم بعضاً بالمعروف، ولا يشتطّ أحد على صاحبه، ﴿وإن تعاسرتم﴾ في الأجرة ولم تتّفقوا على شيء ﴿فسترضع له أخرى﴾ خبر في معنى الأمر.

---

(١) انظر: المغني (٨/ ١٨٥)، والإنصاف (٩/ ٣٦٠)، والمبسوط للسرخسي (٥/ ٢٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر: المغني (٨/ ١٨٥).

(٥) في الأصل: ذراية. والمثبت من ب.

ولسان ذَرِبٌ: أي: فيه حِدَّة. وامرأةٌ ذَرِبَة: سليطة اللسان (اللسان، مادة: ذرب).

(٦) أخرجه البيهقي في الكبرى (٧/ ٤٧٤)، والشافعي (ص:٣٠٢).

وقال بعض أهل المعاني(١): فيه طرَف من معاتبة الأم على المعاسرة.

وقوله: "له" أي: للأب، أي: سيجد الأب غير معاسرة ترضع لـه ولـده إن عاسرته أمه.

﴿لينفق﴾ وفتح القاف: ابن السميفع(٢)، على معنى: شرعنا ذلك لينفق، ﴿ذو سعة من سعته، ومن قدر عليه رزقه﴾ أي: ضيّق. وقد سبقت نظائره.

وقرأ أبيّ بن كعب: "قُدِّر" بالتشديد(٣).

أخبرنا أبو القاسم بن أبي الفرج بن أبي منصور بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبـو القاسم ابن بَوْش، حدثنا أبو العز بن كادش، أخبرنا أبـو عـلي الجـازري، حـدثنا المعافى بن زكريا، حدثنا علي بن محمد بن عبيدالله البزاز، حدثنا جعفـر بـن محمـد البزاز، حدثنا إبراهيم بن بشير أبو إسحاق المكي، حدثنا معاوية بـن عبـدالكريم الضالّ(٤) -وإنما سمي الضالّ؛ لأنه خرج يريد مكة فضلّ الطريق، لقيناه بمكة في الطواف- قال: سمعت أبا جمرة الضبعي(٥) قال: سمعت ابن عمـر يقـول: قـال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن أخذ عن ربه أدباً حسناً، فإذا وسّع عليه وسّع على نفسه،

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٧)، والكشاف (٤/ ٥٦٣).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٢٩٧)، والدر المصون (٦/ ٣٣١).

(٤) معاوية بن عبد الكريم الثقفي مولاهم، أبو عبد الرحمن البصري المعروف بالضالّ، صدوق، مات سنة ثمانين (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٢، والتقريب ص:٥٣٨).

(٥) نصر بن عمران بن عصام، وقيل: بن عاصم بن واسع، أبو جمرة الضبعي البصري، كان ثقة مأموناً، مقيماً بنيسابور، ثم خرج إلى مرو، ثم إلى سرخس فمات بها سنة ثمان وعشرين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٨٥، والتقريب ص:٥٦١).

وإذا أمسك عليه أمسك»[١].

قال المفسرون: كان الغالب عليهم في ذلك الوقت الفقر، فوعدهم الله أن يفتح عليهم أبواب الرزق، فذلك قوله: ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ ففتح الله عليهم البلاد، وأعطاهم جباية الأموال.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وكأين من قرية﴾ أي: وكم من قرية ﴿عَتَتْ﴾ [أعرضت][٢] على وجه العتو والعناد ﴿عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديداً﴾ أي: جازيناها في الدنيا بموجب الحساب الشديد.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٥٩ ح٦٥٩١) وقال: هذا حديث منكر، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣١٥).

(٢) في ب: عصت. والمثبت من ب.

وقال ابن عباس والفراء(١): [فيه](٢) تقديم وتأخير، تقديره: عذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والسيف والبلايا، وحاسبناها حساباً شديداً في الآخرة(٣).

قوله تعالى: ﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً * رسولاً﴾ قال مقاتل(٤) والسدي: الرسول: محمد ﷺ(٥). فيكون المعنى: أنزل الله إليكم ذكراً وهو القرآن، وأرسل رسولاً.

وقال ابن السائب: الرسول: جبريل عليه السلام(٦).

فعلى هذا: يكون "رسولاً" بدلاً من "ذكراً"(٧)؛ لأن جبريل موصوف بتلاوة آيات الله، فكان إنزاله في معنى إنزال الذكر، فصحّ إبداله منه، أو جعله لكثرة ذكره كأنه ذكر. أو يراد بالذِّكْر: الشَّرف، أو على معنى: ذا ذكر، أي: مَلَكاً ذا ذكر.

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله: ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ يعني: الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٦٤).

(٢) زيادة من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٢٩٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٢).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٦).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٣)، والدر المصون (٦/ ٣٣٢).

قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ جاء في الحديث: أن كَثَافَةَ كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بينها وبين الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وكذلك كَثَافَةَ الأرض والمسافة ما بين كل أرضين[١].

وقد روى أبو الضحى عن ابن عباس قال: في [كل][٢] أرضٍ آدمُ مثل آدمكم، ونوحٌ مثل نوحكم، وإبراهيم مثل إبراهيمكم، وعيسى كعيسى[٣].

قال أبو سليمان الدمشقي: [سمعنا في معناه: أن[٤] معناه][٥]: أن في كل أرض خلقاً من خلق الله، لهم سادة يقوم كبيرهم ومقدّمهم[٦] في الخلق مقام آدم فينا، وتقوم ذريته في السنّ والقِدم كمقام نوح. وعلى هذا المثال سائرهم[٧].

قال كعب: في الأرض السابعة إبليس[٨].

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تحت الأرض خلق؟ قال: نعم. قال: فما الخلق؟ قال: إما ملائكة وإما جِنّ.

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١٠ ح٣٤٢٨).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦١)، والحاكم (٢/ ٥٣٥ ح٣٨٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب وفي الأسماء والصفات وقال: قال البيهقي: إسناده صحيح ولكنه شاذ، لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعاً.

(٤) في ب زيادة قوله: في.

(٥) في الأصل: معناه في معناه. والمثبت من ب، وزاد المسير (٨/ ٣٠٠).

(٦) في ب، وزاد المسير: ومتقدمهم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠٠).

(٨) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ أي: يتنزل قضاء الله [وحكمه][(١)] في خلقه بينهن.

قال قتادة: في كل سماء أو في كل أرض خلق من خلقه، وأمرٌ من أمره، وقضاء من قضائه[(٢)].

وقال مقاتل[(٣)]: يتنزل الوحي بينهن.

﴿لتعلموا﴾ أي: أعلمكم بهذا لتعلموا ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء﴾ من مخلوقاته مما كان ويكون ﴿علماً﴾. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: وحكمته. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٧٤).

سورة المتحرم

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي [اثنتا][1] عشرة آية[2]، وهي مدنية بإجماعهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أخرجا في الصحيحين من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر مما كان يحتبس، فغِرْتُ، فسألت عن ذلك، قيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عُكَّةَ[3] عسل، فَسَقَتِ النبي ﷺ منه شربةً، فقلت: أما والله لنحتالنّ له»[4].

---

(١) في الأصل: اثنا. والمثبت من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٥٠).

(٣) العُكَّة: هي وعاء من جلد مستدير يختص بالسمن أو العسل، وهو بالسمن أخصّ (اللسان، مادة: عكك).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ٢٠١٧ ح٤٩٦٧)، ومسلم (٢/ ١١٠١ ح١٤٧٤).

وفي رواية أخرى: قالت: «كان رسول الله ﷺ يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلاً، قالت: فتواصينا أنا وحفصة [أنّ](١) أيّتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير(٢)، فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، ولن أعود له، وقد حلفتُ لا تخبري بذلك أحداً، فنزل: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك﴾»(٣).

وهذا هو الأشبه؛ لأن عائشة وحفصة كانتا متظاهرتين.

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والشعبي وعامة المفسرين في سبب نزولها: أن حفصة ذهبت إلى أبيها تتحدث عنده، فأرسل النبي ﷺ إلى مارية فظلّت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة [فوجدتها](٤) في بيتها، فغارت غيرةً شديدة، فلما خرجت دخلت حفصة فقالت: قد رأيتُ من كان عندكَ وقد سُؤتني، فقال النبي ﷺ: والله لأرضينّك، وإني مُسِرٌّ إليكِ سِرّاً فاحفظيه، قالت: وما هو؟ قال: إني أُشهدك أن سريتي هذه عليّ حرام رضًى لك.

فانطلقت حفصة إلى عائشة فقالت لها: أبشري، إن النبي ﷺ قد حرّم عليه

---

(١) زيادة من ب.

(٢) المغافير: صمغ شبيه بالناطِف ينضحه العفرط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيُشرب، واحدها: مِغْفَر (اللسان، مادة: غفر).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٥ ح٤٦٢٨)، ومسلم (٢/ ١١٠٠ ح١٤٧٤).

(٤) في الأصل: وجدتها. والتصويب من ب.

فتاته، فنزلت هذه الآية[١].

وقال الضحاك: قال لحفصة: لا تذكري لعائشة ما رأيت، فذكرته فغضبت عائشة، ولم تزل بنبي الله حتى حلف أن لا يقربها، فنزلت هذه الآية[٢].

قال المفسرون: وآلى رسول الله ﷺ بعد ذلك أن لا يدخل على نسائه شهراً، وطلّق حفصة بنت عمر، فقال عمر: لو كان في آل الخطاب خير لما طلقكِ رسول الله ﷺ، فنزل جبريل على النبي ﷺ وقال: راجعها، فإنها صوّامة قوّامة، وإنها لمن نسائك في الجنة[٣].

والمعنى: لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين، أو من العسل.

﴿تبتغي﴾ إما تفسير لـ"تُحَرِّم"، أو حال، أو استئناف[٤].

﴿قد فرض الله لكم﴾ أي: شرع لكم ﴿تحلَّة أيمانكم﴾ تحليلها بالكفارة.

قال الحسن وقتادة والشعبي: حلف رسول الله ﷺ يميناً حرّمها بها، فعوتب بالتحريم، وأُمر بكفارة اليمين[٥].

وقال ابن عباس: حرّمها على نفسه بغير يمين، فكان التحريم موجباً لكفارة

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٧)، والبيهقي في الكبرى (٧/ ٣٥٢ ح١٤٨٥٢) كلاهما عن ابن عباس، وابن سعد في طبقاته (٨/ ١٨٧) عن عروة بن الزبير. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٤-٢١٥) وعزاه لابن سعد وابن مردويه عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٥٩).

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٣٢)، والحاكم (٤/ ١٦ ح٦٧٥٣).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٤)، والدر المصون (٦/ ٣٣٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٦ و ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن الشعبي وقتادة.

اليمين[١].

وفي الصحيحين عن ابن عباس قال: في الحرام يُكفّر، ثم قال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[٢] [الأحزاب:٢١].

واختلفوا: هل كفّر يمينه؟

فقال الحسن: لم يكفّر؛ لأنه كان مغفوراً له[٣].

وقال المقاتلان[٤]: أعتق رقبة.

فصل

إذا قال لزوجته: أنتِ عليَّ حرام؛ ففيه عن الإمام أحمد ثلاث روايات:

إحداهن: أنه ظِهَار، نوى الطلاق أو لم يَنْوِه. ذكره الخرقي، وهو مروي عن عثمان وابن عباس؛ لأنه صريح في تحريمها، فكان كقوله: أنتِ عليّ كظهر أمي.

الثانية: هو كناية ظاهرة في الطلاق، وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن مسعود.

الثالثة: هو يمين، وهو قول أبي بكر الصديق وعمر وعائشة[٥].

وقال مسروق: هو لغو[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٠٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٥ ح٤٦٢٧)، ومسلم (٢/ ١١٠٠ ح١٤٧٣).

(٣) ذكره القرطبي (١٨/ ١٨٥).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٧٦).

(٥) انظر: المغني (٧/ ٣١٦، ٣١٧)، والكافي في فقه ابن حنبل (٣/ ١٧٣).

(٦) انظر: المغني (٧/ ٣١٧).

فصل

فإن قال: أَمَتُه عليه حرام، أو هذا الطعام عليّ حرام: كان يميناً عندنا. وهو قول أبي بكر [وعائشة][(١)] وابن عباس؛ لهذه الآية[(٢)].

وقال الشافعي: ليس بيمين[(٣)].

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً﴾ يعني: حفصة، والذي أسرّه إليها: تحريم مارية[(٤)]، في قول عطاء والشعبي والضحاك وقتادة.

وقيل: الذي أسرّه إليها: أنه قال لها: أبوك وأبو عائشة واليا الناس من بعدي[(٥)]. والقولان عن ابن عباس.

---

(١) في الأصل: عائشة. والتصويب من ب.

(٢) انظر: التحقيق في أحاديث الخلاف (٢/ ٣٧٩).

(٣) انظر: منهاج الطالبين (ص:١٠٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٥) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن الشعبي وقتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن مردويه.

قال ميمون بن مهران: قال لها: أبو بكر خليفةٌ من بعدي[١].

قال جماعة من المفسرين: قال لها لما رأى عندها من الغيرة والكراهية: إني مُسِرٌّ إليكِ شيئين: إني قد حرّمت مارية على نفسي، وإن الخلافة من بعدي في أبي بكر وعمر.

﴿فلما نبأت به﴾ أخبرت حفصة عائشة بالحديث، ﴿وأظهره الله عليه﴾ أطلع الله نبيه على قول حفصة لعائشة، ﴿عرف بعضه﴾ أعلم حفصة ببعض ما أفْشَتْ عليه من السِّرّ ﴿وأعرض عن بعض﴾ تكرماً.

قال سفيان: ما زال التغافل من فعل الكرام[٢].

وقرأ الكسائي: "عَرَفَ" بتخفيف الراء[٣]، أي: جازى عليه. [تقول][٤]: أنا أعرف لأهل الإحسان، وأعرف لأهل الإساءة، أي: لا أقصّر في [مجازاتهم][٥].

وعليه حملوا قوله تعالى: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة:١٩٧] أي: يجازيكم به الله.

ولا يجوز أن تُحمل هذه القراءة على العلم؛ لأن الله قد أعلمه بالحديث كله، وأحاط النبي ﷺ به علماً.

قال المفسرون: جازاها عليه بطلاقها.

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن عساكر.

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٦٩-٥٧٠).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٣)، والكشف (٢/ ٣٢٥)، والنشر (٢/ ٣٨٨)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤٠).

(٤) في الأصل: بقوله. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: مجازتهم. والمثبت من ب.

فإن قيل: ما معنى مجازاتها على بعض إفشائها السر؟

قلتُ: تخفيف ما جازاها به بالنسبة إلى ما كانت تستحقه في مقابلة إظهار سره، ومخالفة أمره.

فإن قيل: ما البعض الذي عرّفها به، على قراءة الجمهور؟

قلتُ: عرّفها أنها أفشت عليه تحريمه مارية، وتغافل عن الباقي.

وقال ابن عباس بالعكس من ذلك.

فإن قيل: ما الحكمة في الإعراض عن السر الآخر، وهو إمامة الشيخين عليهما السلام؟

قلتُ: لم يكن [مأذوناً][1] له في إشاعته وإذاعته، فأعرض عنه قَطْعاً لِقَالَة الناس، وحسماً لمادّة انتشاره.

فإن قيل: فلم كره ﷺ إظهار حفصة تحريمه مارية؟

قلتُ: إجلالاً لمنصب النبوة عن إظهار ما الأحسن والأجمل كتمانه.

﴿فلما نبأها به﴾ أي: بذلك البعض الذي عرّفها إياه ﴿قالت﴾ مُستفهمة له: ﴿من أنبأك هذا﴾ كأنها خافت أن تكون عائشة أشاعت سرّها إليه ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾.

ثم خاطب عائشة وحفصة فقال: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ مَالَتْ عما يجب عليكما من مناصحة رسول الله ﷺ، واتباع مرضاته.

---

(١) في الأصل: مأذون. والتصويب من ب.

وقال ابن عباس: زاغت وأثمت[١].

قال مجاهد: كنا نحسب "صَغَتْ" شيئاً هيناً، حتى وجدنا في قراءة ابن مسعود: "فقد زاغت قلوبكما"[٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس قال: «لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عَدَلَ عمر وعدلْتُ معه بالإِدَاوَة[٣] فتبرّز، ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله عز وجل: ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾؟ فقال عمر: وا عجباً لك يا ابن العباس!!. -قال الزهري: كَرِهَ والله ما سأله عنه ولم يكتمه-. قال: هما عائشة وحفصة، ثم أخذ يسوق الحديث...»[٤]. وفيه طول.

فإن قيل: ما وجه الجمع وهما قلبان؟

قلتُ: لأن الاثنين فما فوقهما جماعة، ولهم ضابط وهو: أن كل ما في الإنسان منه واحد يثنّى على لفظ الجمع؛ لزوال اللبس، [تقول][٥]: ضربت ظهورهما

---

(١) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٩) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٦٨٣)، والطبري (٢٨/ ١٦١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢١٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) الإداوة: إناء صغير من جلد يُتَّخَذُ للماء كالسطيحة ونحوها (اللسان، مادة: أدا).

(٤) أخرجه البخاري (٥/ ١٩٩١ ح٤٨٩٥)، ومسلم (٢/ ١١١١ ح١٤٧٩).

(٥) في الأصل: بقوله: والتصويب من ب.

وقطعت رؤوسهما. ويجوز أن يثنّى على واحد قال:

.... ظَهْرَاهُمَا مِثْلَ ظُهُورِ [التَّرْسَيْنِ][١]

فجاء باللغتين.

قوله تعالى: ﴿وإن تظاهرا عليه﴾ أي: تتعاونا عليه بما يسوؤه، من الإفراط في الغيرة، وإفشاء السر، ﴿فإن الله هو مولاه﴾ وليه وناصره، وزيادة "هو" للإيذان بتحقيق مناصرة الله له ومظاهرته، ﴿وجبريل﴾ عطف على "هو مولاه".

[﴿وصالح المؤمنين﴾][٢] قال ابن مسعود وعكرمة والضحاك: أبو بكر وعمر[٣].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: عمر[٤].

وروي عن مجاهد: أنه علي عليه السلام[٥].

---

(١) عجز بيت لخطام المجاشعي، وصدره: (ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْن). وهو في: اللسان (مادة: مرت)، والقرطبي (٥/ ٧٣، ٦/ ١٧٤)، وروح المعاني (١٦/ ٢٨٢).

وما بين المعكوفين في الأصل: الفرسين. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٣) عن الضحاك، والطبراني في الكبير (١٠/ ٢٠٥ ح١٠٤٧٧). وذكره الماوردي (٦/ ٤١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٠). والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه وأبي نعيم في فضائل الصحابة عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ٣٥٦ ح٣١٩٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢) كلاهما عن سعيد بن جبير. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن سعد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن سعيد بن جبير.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٤١).

وقال السدي: أصحاب النبي ﷺ[١].

وقال ابن زيد: الملائكة[٢].

وقال قتادة: الأنبياء عليهم السلام[٣].

وقيل: الخلفاء من الصحابة.

وقيل: هو عام في كل من آمن وعمل صالحاً.

قال صاحب الكشاف[٤]: إن قلت: صالح المؤمنين واحد أو جمع؟

قلتُ: [هو][٥] واحد أريد به الجمع، كقولك: لا يفعل هذا الصالح من الناس، يريد: الجنس. ويجوز أن يكون أصله: "صالحوا المؤمنين" بالواو، فكتب بغير واو على اللفظ؛ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه، كما جاءت أشياء في المصحف متبوعٌ فيها حكم اللفظ دون وضع الخط.

قوله تعالى: ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أي: والملائكة على كثرتهم، وامتلاء السموات من جموعهم، بعد نصرة الله وجبريل وصالحي المؤمنين.

ويجوز أن يكون "وجبريل": مبتدأ، فيكون "صالح المؤمنين": عطفاً عليه، "والملائكة": عطف أيضاً، و "ظهير": خبر المبتدأ[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٤١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) الكشاف (٤/ ٥٧١).

(٥) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٤-٢٦٥)، والدر المصون (٦/ ٣٣٦).

فإن [قيل](١): المخبَر عنهم جمع، فكيف [جاء](٢) الخبر على لفظ الواحد؟

قلتُ: المعنى: والملائكة فوج ظهير، أي: مظاهر، أو كل واحد منهم ظهير.

والجواب المتداول بين أكثر أهل العلم: أن "ظهير" في تأويل ظَهْراء، كقول الشاعر:

.... إنّ العَواذِلَ لَسْنَ لي بأَمِين(٣)

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

قوله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن﴾ أخرج البخاري في صحيحه من حديث عمر قال: «اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾، فنزلت هذه الآية»(٤).

وهذا تخويفٌ لنساء النبي ﷺ. ولعمري إنهن خيرُ نساء الأمة، لكن لو طلقهن رسول الله ﷺ لعصيانهن، وإيذائهن له، كان غيرهن من المؤمنات السليمات من ذلك لو تزوجهن رسول الله خيراً منهن، فهو على سبيل الفرض والتقدير، لا أن غيرهنّ خيراً منهن.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: جاز. والتصويب من ب.

(٣) عجز بيت، وصدره: (يا عاذلاتي لا تزدن ملامتي). وهو في: اللسان (مادة: ظهر)، والطبري (١٩/ ٥٤)، والقرطبي (١٣/ ٨٣)، والخصائص (٣/ ١٧٤)، ومغني اللبيب (ص:٢٧٩) وفيهم: "بأمير" بدل: "بأمين".

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٦٩ ح٤٦٣٢).

ثم وصف الأزواج فقال: ﴿مسلمات مؤمنات﴾ أي: مُقرّات مُخلصات ﴿قانتات﴾ أي: طائعات ﴿سائحات﴾ أي: صائمات، وقيل: مهاجرات. وقد ذكرنا ذلك في براءة عند قوله: ﴿التائبون العابدون﴾ [التوبة:١١٢].

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: لم أُخْلِيَتِ الصفاتُ كلُّها عن العاطف، ووسط بين الثيبات والأبكار؟

قلتُ: لأنها صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهنّ في سائر الصفات، فلم يكن[٢] بُدّ من الواو.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٧١-٥٧٢).

(٢) في الأصل زيادة قوله: بعد.

قوله تعالى: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ وقاية الأنفس: أن تعمل بطاعة الله وطاعة رسوله، [ووقاية][١] الأهلين: أن تأمرهم بذلك.

قال علي عليه السلام: علِّمُوهم وأدِّبُوهم[٢].

ومعنى: "وقودها الناس والحجارة" مذكور في البقرة[٣].

﴿عليها ملائكة غِلاظٌ شدادٌ﴾ أي: في أَجْرَامِهم غلظة وشدة، أي: جفاء وقوة.

وقيل: غلاظ القلوب، شداد الأبدان، لم يخلق الله في قلوبهم الرحمة، وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم من خَزَنَةِ النار.

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد: أن داود كان يُعاتَب في كثرة البكاء، [فقال][٤]: ذروني أبكي قبل أن تؤمر بي ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[٥].

فصل

ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتدبر ما اشتملت عليه هذه الآية، من الأمر بوقاية النفس والأهل نار جهنم، فيأخذ به ويتدبر ما تضمنته من التهديد،

---

(١) في الأصل: وقاية. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٦٥)، والبيهقي في الشعب (٦/ ٣٩٧ ح٨٦٤٨)، والحاكم (٢/ ٥٣٦ ح٣٨٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٥) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في المدخل.

(٣) عند الآية رقم: ٢٤.

(٤) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٨٨).

وينظر بنور إيمانه قيام الخَزَنة الغلاظ الشداد على عذاب أهل النار، بأيديهم مقامع الحديد، يمضون فيهم أمر الله جلّ وعز[(١)].

كان مالك بن دينار يقول: لو وجدتُ أعواناً لفرقتهم في منار الأرض ينادون: أيها الناس النار النار[(٢)].

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ تلا هذه الآية وعنده بعض أصحابه [وفيهم][(٣)] شيخ فغُشي عليه، فناداه رسول الله ﷺ [فقال][(٤)]: قل: لا إله إلا الله، فقالها فبشره بالجنة، فقال أصحابه: أمن بيننا يا رسول الله؟ قال: نعم، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد»[(٥)].

وقد كنا يوماً نتدارس القرآن في بيت من بيوت الله برأس عين، سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وكان عامَ قحط وغلاء وموت ذريع بسبب الجوع، فأتينا على هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ وعندنا رجل من ذوي اليسار يستمع القرآن سماع تفكر واعتبار، فصاح صيحة شديدة، وألقى نفسه في وسط الحلقة كهيئة الولهان، ثم تراجعت إليه نفسه، فقال لنا:

---

(١) في ب: عز وجل.

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٨٧). وذكره أبو نعيم في: حلية الأولياء (٢/ ٣٦٩)، وابن الجوزي في: صفة الصفوة (٣/ ٢٨٦).

(٣) في الأصل: فيهم. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من الحاكم (٢/ ٣٨٢).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٨٢ ح٣٣٣٨)، والبيهقي في الشعب (١/ ٤٦٨ ح٧٣٤).

أشهدكم أن الله في مالي مائة مَكُّوك(١) من الحنطة، وستمائة درهم أُصْلِحُها بها وأطعمها لفقراء المسلمين، أقي بها نفسي وأهلي من نار جهنم، ثم نهض وأمضى ذلك باطلاع منا في أيام، فكان مجموع ما أنفق نحواً من مائتين وخمسين ديناراً تقريباً.

قوله تعالى: ﴿لا يعصون الله ما أمرهم﴾ أي: فيما أمرهم.

وقيل: "ما أمرهم" في محل النصب على البدل(٢)، أي: لا يعصون ما أمر الله، أي: أمره، كقوله: ﴿أفعصيت أمري﴾ [طه:٩٣].

﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ قال بعضهم: ليست الجملتان في معنى واحد؛ لأن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامر الله ولا يأبونها.

ومعنى الثانية: يؤدون ما أُمروا به، لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه.

قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾ قال أبو زيد: توبة صادقة، يقال: نصحته، أي: صَدَقْتُه(٣).

وفي الحديث: التوبة النصوح: أن يتوب التائب ثم لا يرجع إلى الذنب(٤).

وقال بعض أهل المعاني(٥): وُصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي،

---

(١) المَكُّوك: مكيال معروف لأهل العرب، والجمع: مكاكيك، وهو صاع ونصف (اللسان، مادة: مكك).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٧).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢١).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٦٠)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٨٧ ح٧٠٣٥) من حديث ابن مسعود. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢).

(٥) هذا قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧٣).

والنصح صفة للتائبين، وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: "نُصُوحاً" بضم النون[١].

قال الأخفش: لا أعرفه.

وقال غيره: هو فُعول، [مصدر كالـذُّهُوب][٢] والجُلُـوس، أي: توبـة ذات نصوح.

وقيل: اشتقاقها من نصاحة الثوب، وهي خياطته.

والنَّاصح: الخياط، والنِّصَاح: السِّلْكُ [الذي يخاط][٣] به[٤].

كأن المعنى: توبوا توبة تَرُمُّ خَلَلَكُم وتَرْفَؤُ خُرُوقَ دينكم.

وقيل: من قولهم: عسل ناصح؛ إذا خَلَصَ من شمعه[٥].

أي: توبوا توبة خالصة.

فإن قيل: ما وجه قراءة ابن أبي عبلة: "ويُدْخِلْكُم" بالجزم؟

قلتُ: العطف على محل: ﴿عسى ربكم أن يكفر﴾[٦].

فإن قيل: ما العامل في ﴿يوم لا يخزي﴾؟

قلتُ: "ويدخلكم".

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥١)، والحجة لابـن زنجلـة (ص:٧١٤)، والكـشف (٢/ ٣٢٦)، والنـشر (٢/ ٣٨٨-٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤١).

(٢) في الأصل: كاللاهوت. والتصويب والزيادة من ب.

(٣) في الأصل: يخيط. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) انظر: اللسان (مادة: نصح).

(٥) مثل السابق.

(٦) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٨)، والكشاف (٤/ ٥٧٤).

فإن قيل: لم عدل عن لفظ الإكرام إلى نفي الخزي عن النبي؟

قلتُ: تعريضاً بخزي الذين كذبوه وكفروا به.

فإن قيل: ﴿والذين آمنوا معه﴾ ما موضعه من الإعراب؟

قلتُ: يجوز أن يكون منصوباً عطفاً على "النبي". ويجوز أن يكون مرفوعاً على الابتداء.

وقوله تعالى: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ مبتدأ وخبر، والجملة خبر المبتدأ الأول[١].

وقد فسرنا: ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ في الحديد[٢].

﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ قال ابن عباس: ليس أحدٌ من المسلمين إلا يُعطى يوم القيامة نوراً. فأما المنافق فيطفأ نوره، والمؤمن مُشفق مما رأى من إطفاء نور المنافقين فهو يقول: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا﴾[٣].

والآية التي بعدها مُفسّرة في براءة[٤].

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٨).

(٢) عند الآية رقم: ١٢.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٣٨ ح٣٨٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) وعزاه للحاكم والبيهقي في البعث.

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

ثم مثّل الله تعالى حال الكفار في أنهم يُعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين، غير نافع لهم ما بينهم وبينهم من لُحمة نسبٍ أو مصاهرة فقال: ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح﴾ واسمها: واعلة. وقال [مقاتل][(١)]: والعة[(٢)].

﴿وامرأة لوط﴾ واسمها: واهلة. وقال مقاتل[(٣)]: واهلة.

﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾ قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما في الدين، كانت امرأة نوح تُخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف، فإذا نزل بلوطٍ ضيفٌ بالليل أوقدت النار، وإذا نزل بالنهار دخّنت ليعلم قومه أنه قد نزل بلوط ضيف[(٤)].

وقال السدي: كانت خيانتهما: كفرهما[(٥)].

وقال الضحاك: نميمتهما[(٦)].

وقال الكلبي: نفاقهما[(٧)].

---

(١) زيادة من ب. انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٠).

(٢) في تفسير مقاتل: والغة.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٠).

(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٨/ ١٧٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٢)، والحاكم (٢/ ٥٣٨ ح٣٨٣٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٢٢٨) وعزاه لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه من طرق عن ابن عباس.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٢).

﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ أي: من عذاب الله شيئاً.

﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة، فأخبر عنه بلفظ الماضي؛ لتحقق [كونه](١)، ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾.

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

ثم مثّل حال المؤمنين في أن وُصْلَةَ الكفار لا تضرُّهم فقال: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أي: مثل امرأة فرعون، فحذف المضاف، وهو بدل من قوله: "مثلاً"، [واسمها](٢): آسية بنت مزاحم عليها السلام، وهي من النساء الكوامل.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا أبو الحسن الداودي، أخبرنا أبو محمد السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضْل عائشة على النساء

---

(١) في الأصل: كونهما. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: أو اسمها. والتصويب من ب.

كفضل الثريد على سائر الطعام»[١]. وأخرجه مسلم أيضاً.

قال المفسرون: كانت قد آمنت بموسى عليه السلام.

قال أبو هريرة: ضَرَبَ فرعونُ لامرأته أوتاداً في يديها ورجليها، وكانوا إذا تفرّقوا عنها أظلّتها الملائكة فقالت: ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾، فكشف الله عن بيتها في الجنة حتى رأته قبل موتها[٢].

﴿ونجني من فرعون وعمله﴾ قيل عمله: جِمَاعُه[٣]. وقيل: دينه[٤]. رويا عن ابن عباس.

﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أهل دينه.

قوله تعالى: ﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على "امرأة فرعون"[٥]، بتقدير حذف المضاف، أي: ومثل مريم ابنة عمران ﴿التي أحصنت فرجها﴾.

﴿فنفخنا فيه﴾ أي: في الفرج.

وقيل: في جيب درعها. وقد ذكرناه في سورة الأنبياء[٦].

﴿وصدّقت بكلمات ربها﴾ التي أنزلها في الصحف.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٧٤ ح٣٥٥٨)، ومسلم (٤/ ١٨٨٦ ح٢٤٣١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لأبي يعلى والبيهقي بسند صحيح.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٤٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لوكيع في الغرر.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٦).

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٦) عند الآية رقم: ٩٢.

وقيل[١]: هي قول جبريل: ﴿أنا رسولُ ربكِ﴾ [مريم:١٩].

وقرأ جماعة، منهم: أبيّ بن كعب، وعاصم الجحدري: "بكلمة" على التوحيد[٢]، إشارة إلى عيسى عليه السلام.

وقرأت لأبان عن عاصم: "وصَدَقَت" بالتخفيف، وهي في معنى التشديد[٣].

وقرأ أبو عمرو وحفص: "وكُتُبِه" على الجمع. وقرأ الباقون: "وكتابه" على إرادة الجمع[٤]، أو الإنجيل.

﴿وكانت من القانتين﴾ أي: من القوم القانتين.

قال قتادة[٥]: من القوم المطيعين [لربهم][٦].

وقال عطاء: من المُصَلِّين، كانت تصلي بين المغرب والعشاء[٧]. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل زيادة قوله: هو.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣١٦)، والدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٢٩٠)، والدر المصون (٦/ ٣٣٩).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٥٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٥)، والكشف (٢/ ٣٢٦)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤١٩)، والسبعة (ص:٦٤١).

(٥) أخرجه الطبري (٢٨/ ١٧٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) في الأصل و ب: لربها. وهو خطأ؛ لأن فيها إعادة الضمير المفرد إلى لفظ دال على الجماعة، والصواب -والله أعلم- كما ذكرناه؛ لأنه من المتعارف لغوياً أن يتفق الضمير العائد مع ما عاد عليه لفظاً ومعنى وتذكيراً وتأنيثاً وإفراداً وتثنية وجمعاً. (هامش الوسيط ٤/ ٣٢٤).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٤).

سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي إحدى وثلاثون آية في المدني، وثلاثون في الكوفي(1). وهي مكية بإجماعهم.

قال ابن مسعود: هي المانعة من عذاب القبر(2).

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

أخبرنا أبو [المجد](3) محمد بن محمد بن أبي بكر، أخبرنا عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه مطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد

---

(1) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥١).

(2) أخرجه البيهقي في الصغرى (ص:٥٥٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٣١) وعزاه لابن مردويه.

(3) زيادة على الأصل. وفي ب: أخبرنا محمد. انظر ترجمته في: التقييد (ص:١٠٨).

عبدالرحمن بن [حمد][(١)] الدوني، أخبرنا القاضي أبو نصر ابن الكسار، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن النسائي، أخبرنا إسحاق بن منصور ومحمد بن المثنى، حدثنا يحيى [بن][(٢)] سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن عباس الجشمي[(٣)]، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في القرآن سورة، ثلاثون آية، شفعت لصاحبها حتى غُفر له ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[(٤)]»[(٥)].

وفي حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «وددتُ أن ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ في قلب كل عبد مؤمن[(٦)]»[(٧)].

وفي حديث ابن شهاب عن حميد بن عبدالرحمن، أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) في الأصل: أحمد. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل و ب: عن. والتصويب من عمل اليوم والليلة. وفي هامش ب: صوابه: بن سعيد. وهو: يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمي، أبو سعيد البصري الأحول، ثقة متقن، حافظ إمام قدوة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، وله ثمان وسبعون سنة (تهذيب التهذيب ١١/ ١٩٠-١٩٢، والتقريب ص:٥٩١).

(٣) عباس الجشمي، يقال: اسم أبيه عبد الله، روى عن عثمان وأبي هريرة، وعنه قتادة وسعيد الجريري (تهذيب التهذيب ٥/ ١١٨، والتقريب ص:٢٩٤).

(٤) في هامش ب: ذكره ابن طقوش، وهو في سننه، وفي د ت ق. ورواه أحمد أيضاً في مسنده.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٤٩٦ ح١١٦١٢)، وابن ماجه (٢/ ١٢٤٤ ح٣٧٨٦)، وأحمد (٢/ ٢٩٩ ح٧٩٦٢)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢١).

(٦) في هامش ب: رواه عبد بن حميد في مسنده، والطبراني في معجمه، وفيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف.

(٧) أخرجه عبد بن حميد في مسنده (١/ ٢٠٦ ح٦٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٥٣ ح٢٠٧٦).

«﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ تُجادل عن صاحبها يوم القيامة»[١].

وقد شرحنا "تبارك" في الأعراف[٢].

قال ابن عباس: والمراد بالمُلْك: السُّلْطان، فهو يُعزّ ويُذلّ[٣].

قوله تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ قال ابن عباس: يريد: الموت في الدنيا والحياة في الآخرة[٤].

وقال قتادة: موت الإنسان وحياته في الدنيا[٥].

قال أهل المعاني[٦]: الحياة: ما يَصح بوجوده الإحساس، أو ما يُوجب كون الشيء حياً، وهو الذي يصح منه أن يَعْلَمَ ويَقْدِرَ، والموت عدم ذلك فيه.

ومعنى خلْق ذلك: إيجاده وإعدامه.

فإن قيل: لم قَدَّمَ الموت على الحياة؟

قلتُ: لأنها مسبوقة به، يدلك قوله: ﴿وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ [البقرة:٢٨]، فقدّمه في الذّكر، وإن كان المراد الموت الثاني، نظراً إلى أنه أسبق.

ولأنه أقرب إلى القهر والملك.

ولأن المقصود التنبيه والحضّ على عمل الآخرة، فقُدم لذلك.

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٠٩ ح٤٨٧).

(٢) عند الآية رقم: ٥٤.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣١٩).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٥٠) بلا نسبة، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٦) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٧٩).

﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ مُفسّر في هود[١].

فإن قيل: من أين تعلق قوله: ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ بفعل البلوى؟

قلتُ: قال الزجاج[٢]: المتعلق بـ"أيكم" مضمر، تقديره: ليبلوكم فيعلم أيكم أحسن عملاً. وقد ذكرنا فيما مضى أن "أي" لا تعمل فيها ما قبلها.

قوله: ﴿طِبَاقاً﴾ أي: مطابقة بعضها فوق بعض، من طَابَقَ النعل؛ إذا خصفها طَبَقاً على طبَق. وهذا وصفٌ بالمصدر، أو يكون المعنى: ذات طِبَاق أو طُوبقت طِباقاً.

﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ قال مقاتل[٣]: ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب.

وقال قتادة: ما ترى خَلَلاً ولا اختلافاً[٤].

وقال غيره[٥]: حقيقة التفاوت: عدم التناسب، كأنّ بعض الشيء يفوت بعضاً ولا يلائمه.

وقرأ حمزة والكسائي: "تَفُوُّتٍ"[٦].

ومعنى البنائين واحد، كالتظاهر والتظهّر، والتعاهد والتعهّد.

---

(١) عند الآية رقم: ٧.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٧).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٦).

(٥) هذا كلام الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٨٠).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٥)، والكشف (٢/ ٣٢٨)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).

وموضع[1] هذه الجملة: النصب صفةً لـ"طباقاً"[2].

﴿فارجع البصر﴾ أي: كرّر النظر، ﴿هل ترى من فطور﴾ أي: صُدوع [وشُقوق][3]، جمع فَطْر، وهو الشّق. وأنشدوا قول عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود:

شَقَقْتِ القلبَ ثم ذرَرْتِ فيه   هَواكِ فَلِيمَ فَالْتَأَمَ الفُطُور[4]

وقال الضحاك: اختلاف وشطور.

﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ أي: مرّة بعد أخرى.

أمر الله تبارك وتعالى بالتوقّف وتكرير النظر إلى أن يحسر بصره من كثرة المعاودة، ليتحقق الناظر أنه لا يعثر على شيء من الفُطُور.

﴿ينقلب إليك البصر خاسئاً﴾ مبعداً لم يظفر بما رام من رؤية الفُطور، ﴿وهو حسير﴾ كليل منقطع. قال الشاعر:

نظرتُ إليها بالمحَصَّبِ من مِنى   فَعَادَ إليَّ الطَّرْفُ وهو حَسير[5]

قال الزجاج[6]: قد أعيا من قبل أن يَرى في السماء خَلَلاً.

---

(١) في ب: وموقع.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٤١).

(٣) في الأصل: وتشقق. والمثبت من ب.

(٤) البيت لعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود. وهو في: اللسان (مادة: ذرأ، ذرر، فطر)، والبحر (٨/ ٢٩٣)، والدر المصون (٦/ ٣٤١)، والقرطبي (١٨/ ٢٠٩)، وروح المعاني (٢٩/ ٧)، وديوان الحماسة (٢/ ١٣٣)، وتاج العروس (مادة: فطر، بلغ)، ونسبه في الموضع الثاني لقيس بن ذريح.

(٥) انظرِ البيت في: القرطبي (٨/ ٢١٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ١٩٨).

قال الزمخشري[1]: فإن قلت: كيف ينقلب البصر خاسئاً حسيراً برجعه كرَّتين اثنتين؟

قلتُ: معنى التثنية: التكرير بكثرة، كقولهم: لبَّيْكَ وسعديك، يريد إجابات كثيرة بعضها في إثر بعض، وقولهم في المثل: "دُهْدُرَّيْنِ سَعْدُ القَيْنْ"[2] من ذلك، أي: باطل بعد باطل.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ
تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى
ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾
فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم
بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي السُّرج، سُمّيت بها الكواكب؛ لإنارتها.

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٨١).

(٢) في الأصل: القلين. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٥٨١).

وهو مثل يُضرب لمن يأتي بالباطل. قال الأصمعي: ولا نعرف أصله. انظر: المستقصى في أمثال العرب (٢/ ٨٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ٤٤٨).

﴿وجعلناها﴾ يعني: المصابيح ﴿رجوماً للشياطين﴾ مسترقي السمع.

ومن تصفَّح كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رأى انحصار خلق النجوم لثلاث حكم.

قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يُهتدى بها. فمن تأوّل فيها غير ذلك [فقد تكلّف][1] ما لا علم له به[2].

وقال محمد بن كعب: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم، ولكنهم يتّبعون الكهانة ويتخذون النجوم علّة[3].

﴿وأعتدنا لهم﴾ بعد الإحراق بالشهب ﴿عذاب السعير﴾، و"الشهيق" مذكور في أواخر هود[4].

قال الزمخشري[5]: الشهيق: إما لأهلها ممن تقدم طرحهم فيها، [أو من][6] أنفسهم، كقوله: ﴿لهم فيها زفير وشهيق﴾ [هود:١٠٦]، وإما للنار؛ تشبيهاً بحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق.

﴿تفور﴾ تغلي بهم غليان المِرْجَل[7] بما فيه. وجعلت كالمغتاظة عليهم؛ لشدة

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣-٤).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٣١)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢٣٠ ح٧٠٦٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٣/ ٣٢٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة.

(٤) عند الآية رقم: ١٠٦.

(٥) الكشاف (٤/ ٥٨٢-٥٨٣).

(٦) في الأصل و ب: ومن. والتصويب من الكشاف (٤/ ٥٨٢).

(٧) المِرْجَل: القِدْر من الحجارة والنحاس (اللسان، مادة: رجل).

غليانها بهم، ويقولون: فلان يتميَّز غيظاً ويتقصف غضباً، وغَضِبَ فطارت منه شقّة في الأرض وشقّة في السماء: إذا وصفوه بالإفراط فيه.

ويجوز أن يراد: غيظ الزبانية.

﴿ألم يأتكم نذير﴾ سؤال توبيخ وتقريع.

والنذير: بمعنى الإنذار، أي: أهل نذير، أو وصف [منذروهم][1] لغلوّهم في الإنذار كأنهم ليسوا إلا الإنذار، وكذلك ﴿قد جاءنا نذير﴾.

قوله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال كبير﴾ من تمام ما أخبر به للكفار عن أنفسهم بما قالوه للنُّذُر، على معنى: إن أنتم إلا في ضلال عن الصواب.

ويجوز أن يكون من كلام الخَزَنة للكفار على إرادة القول، أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا.

قال الزجاج[2]: ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لو كنا نسمع أو نعقل﴾.

قال ابن عباس: لو كنا نسمع الهدى أو نعقله فنعمل به ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾[3].

وقيل: إنما جمع بين السمع والعقل؛ لأن مدار التكليف على أدلة السمع والعقل.

(١) في الأصل: منذوهم.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٩).

(٣) ذكره القرطبي (١٨/ ٢١٢)، والبغوي (٤/ ٣٧١).

﴿فاعترفوا بذنبهم فسحقاً﴾ قال ابن عباس: فبُعْداً[١].

وقرأ الكسائي: "فسُحُقاً" بضم الحاء[٢].

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾

وقوله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ قال ابن عباس: كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره جبريل، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كي لا يسمع إله محمد، فأنزل الله هذه الآية[٣].

﴿ألا يعلم من خلق﴾ [أي][٤]: ألا يعلم ما في الصدور مَنْ خَلَقَها، و"من خلق" في محل الرفع بإسناد الفعل إليه.

ويجوز أن يكون منصوباً، على معنى: ألا يعلم مخلوقه.

والأول أظهر.

﴿وهو اللطيف الخبير﴾ فهو يعلم ما ظهر وبطن من خلقه.

قوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾ مذلّلة سهلة، ولم يجعلها

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣٦) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٦)، والكشف (٢/ ٣٢٩)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢١).

(٤) زيادة من ب.

وعرةً تمنعُكُم بحُزُونَتِها عن كثير من مصالحكم.

﴿فامشوا في مناكبها﴾ قال ابن عباس وقتادة: أي: جبالها[١]. واختاره الزجاج، قال[٢]: لأن المعنى: سَهَّلَ لكم السلوك فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أبلغ.

وقال مقاتل[٣]: في جوانبها. وإليه ذهب الفراء وأبو عبيدة[٤]، وهو اختيار ابن قتيبة قال[٥]: ومنكبا الرجل: [جانباه][٦].

قوله تعالى: ﴿وإليه النشور﴾ المعنى: وإليه تبعثون من قبوركم فيسألكم عن شكر نعمه ورزقه إياكم.

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

قوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ قرأ ابن عامر

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦-٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٣٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.
(٢) معاني الزجاج (٥/ ١٩٩).
(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٣).
(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧١)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٢).
(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٧٥).
(٦) في الأصل: جنباه. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

وأهل الكوفة: "أأمنتم" بتحقيق الهمزتين، والباقون بتحقيق الأولى وتليين الثانية، إلا [ما][1] روي عن قنبل عن ابن شنبوذ من قلب همزة الاستفهام واواً لانضمام ما قبلها، وهو الراء، وتليين الثانية بين بين، وابن شنبوذ كذلك إلا أنه [يحقق][2] الهمزة الثانية. وفَصَلَ بين الهمزتين بألفٍ: قالون وأبو عمرو، وترك الفصل: ابن كثير غير من ذكرته عن قنبل ووَرْش[3].

قال ابن عباس: أمنتم عذاب مَنْ في السماء، وهو الله عز وجل[4].

قال الثعلبي[5]: واعلم أن الآيات والأخبار الصحاح في هذا الباب كثيرة، وكلُّها إلى العلو مشيرة، ولا يدفعها إلا مُلحدٌ جاحد، أو جاهلٌ معاند.

ومن المواضع التي سُلب فيها الزمخشري التوفيق، وقاده إليها شؤم بدعته، قوله هاهنا[6]: كانوا يعتقدون التشبيه، وأن الله في السماء، وأن العذاب والرحمة ينزلان منه، وكانوا [يدعونه][7] من جهتها، فقيل لهم على حسب اعتقادهم: أأمنتم من تزعمون أنه في السماء.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: يخفف. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٣-٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٦)، والكشف (٢/ ٣٢٨)، والنشر (١/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٤٢٠)، والسبعة (ص:٦٤٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٢).

(٥) تفسير الثعلبي (٩/ ٣٦٠).

(٦) الكشاف (٤/ ٥٨٥).

(٧) في الأصل و ب: يدعونها. والتصويب من الكشاف، الموضع السابق.

وهذا الهذيان الذي رام به جحد النص الجليّ أقلُّ من [أن][١] يُتعرّض له بردٍّ وإبطال.

وقد قررنا وأثبتنا صفة العلو لله تعالى في مواضع من هذا الكتاب.

قوله تعالى: ﴿فإذا هي تمور﴾ قال مقاتل[٢]: تدور بكم إلى الأرض السفلى.

وقد سبق ذكر "الحاصب"[٣].

﴿فستعلمون كيف نذير﴾ أي: إذا رأيتم المنذَر به تعلمون كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم.

قوله تعالى: ﴿صَافّاتٍ﴾ أي: باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها، ﴿ويقبضن﴾ بعد البسط، وهذا معنى الطيران، وهو بسط الجناح وقبضُه بعد البسط، ﴿ما يمسكهن﴾ أن يقعن ﴿إلا الرحمن﴾ بقدرته، [وبها][٤] رَكَّبَ لهنّ من القَوَادِمِ [والخَوَافِي][٥]، ودبّر فيهن من الخصائص والأشكال التي ينفعل عنها الطيران.

أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا

---

(١) زيادة من ب.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٣).

(٣) في سورة الإسراء، عند الآية رقم: ٦٨.

(٤) في الأصل: بها. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: الخوافي. والتصويب من ب.

والقَوَادِم: أربع ريشات في مقدّم الجناح، الواحدة: قادمة (اللسان، مادة: قدم).

والخوافي: ريشات إذا ضَمَّ الطائر جناحيه خفيت، واحدتها: خافية (اللسان، مادة: خفا).

فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِي عُتُوٍّ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ
وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا
ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

ولفظ "الجُنْد": موحّد، ولهذا قال: ﴿أم من هذا الذي هو جندٌ لكم﴾.

﴿أم من هذا الذي يرزقكم﴾ أي: يرزقكم المطر وغيره.

قوله تعالى: ﴿أفمن يمشي مُكِبّاً على وجهه﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر.

والمعنى: ليس من يمشي مُكِبّاً على وجهه لا ينظر أمامه ولا يمينه وشماله، بل يعسف في مكان وعْر، يَخِرُّ تارة ويعثُرُ أخرى، كمن يمشي سوياً معتدلاً سالماً من العُثُور والخُرور.

وقال [قتادة][1]: هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبّاً على وجهه، والمؤمن يمشي سَوِيّاً[2].

قال الكلبي: يعني بالمُكِبِّ: أبو جهل. وبالسويّ: النبي ﷺ. وقيل: حمزة بن

---

(١) في الأصل: مقاتل. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٣).

عبد المطلب[١].

وجميعُ ما لم أذكره ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿فلما رأوه﴾ أي: شاهدوا الوعد ﴿زلفة﴾ أي: قريباً، ونصبه على الحال أو الظرف[٢]، أي: رأوه ذا زلفة، أو مكاناً ذا زلفة، ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ أي: ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن عَلَتْها الكآبة، وغشيها الكسوف والقَتَرة.

﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ قال الفراء وابن قتيبة[٣]: تَفْتَعِلُون، من الدعاء، أي: تَطلبون وتَستعجلون تكذيباً واستهزاء.

وقرأتُ ليعقوب الحضرمي: "تَدْعُون" بالتخفيف[٤]، وهي في [معنى][٥]: "تدَّعُون" مشددة.

وقال جماعة، منهم: الزجاج، في معنى المشددة[٦]: تدّعون الأباطيل والأكاذيب، فتدّعون أنكم إذا مُتُّم لا تبعثون.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢١٩).

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٤٧).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٧٥).

(٤) النشر (٢/ ٣٨٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٠).

(٥) زيادة من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٠١).

قال المفسرون: كان الكفار يتربّصون بالرسول [والمؤمنين][(١)] الهلاك، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله﴾[(٢)] أي: أخبروني إن أهلكني الله ﴿ومن معي﴾ كما تتمنّون أو أبقانا وأخّر في آجالنا، ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ فإنه واقع بهم لا محالة، وأنتم إنما تتربصون بنا إحدى الحُسْنَيَيْن؛ النصر أو الشهادة.

وقيل: معنى الآية: نحن في إيماننا بين خوف ورجاء؛ فمن يجيركم أنتم من عذاب الله مع كفركم.

قوله تعالى: ﴿فستعلمون﴾ وقرأ الكسائي: "فسيعلمون" بالياء[(٣)]؛ حملاً على قوله: ﴿فمن يجير الكافرين﴾.

﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ ذاهباً في الأرض.

وقد فسّرناه في الكهف[(٤)].

﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ظاهر العيون.

---

(١) في الأصل: المؤمنين. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿ومن معي﴾ وستأتي بعد.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٥٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٦)، والكشف (٢/ ٣٢٩)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٤).

(٤) عند الآية رقم: ٤١.

سورة نون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثنتان وخمسون آية[١].

وهي مكية بإجماعهم، إلا ما يحكى عن ابن عباس وقتادة: أن فيها من المدني ﴿إنا بلوناهم﴾ إلى قوله: ﴿لو كانوا يعلمون﴾[٢].

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

اختلف القراء السبعة في إدغام النون في الواو من قوله: ﴿نون﴾[٣]. والإدغام اختيار الزجاج[٤]، والإظهار اختيار الفراء[٥].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٦).

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٧)، والكشف (٢/ ٣٣١)، والنشر (٢/ ١٨-١٩)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٣).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٧٢).

قرأ ابن عباس: "نونِ" بكسر النون[1]. وقرأ عيسى بن عمر: بفتحها[2]، كما في صاد. وقد تقدّمت عِلَلُ ذلك في مواضعه.

وقرأ الحسن وأبو عمران وأبو نهيك: "نونُ" بالرفع[3].

قال الحسن وقتادة: هي الدواة[4].

وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم، ثم خلق النون وهي الدواة»[5].

وقال مجاهد والسدي وابن السائب ومقاتل[6]: الحوت الذي على ظهره الأرض[7].

وقيل: النون آخر حروف الرحمن[8]. وهذه الأقوال عن ابن عباس.

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٢٦)، والدر المصون (٦/ ٣٤٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٠٢)، والدر المصون (٦/ ٣٤٩).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة والحسن. ومن طريق آخر عن ابن عباس، وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٥٤) مطولاً، كما في الدر (٨/ ٢٤١).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٦).

(٧) أخرجه مجاهد في تفسيره (ص:٦٨٧)، والطبري (٢٩/ ١٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس.

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧).

=

وقال معاوية بن قرة: "نون": لوح من نور. رواه مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

وقال عطاء: افتتاح اسم نصير وناصر[٢].

وقال جعفر الصادق: نهر في الجنة[٣]. والله تعالى أعلم.

وقال صاحب الكشاف[٤]: المراد هذا الحرف من حروف المعجم. وأما قولهم: هو الدواة، فما أدري أهو وضع لغوي أو شرعي؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة من أن يكون جنساً أو عَلَماً، [فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين. وإن كان علماً][٥] فأين الإعراب؟ وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام.

فإن قلت: هو مُقسمٌ [به][٦] وجب أن يكون جنساً، ووجب أن [تجرّه وتنوّنه][٧]، ويكون القسَم بدواة مُنكَّرَةٍ مجهولة، كأنه قيل: ودواةٍ. وإن كان عَلَماً أن تصرفه وتجرّه، أو لا تصرفه وتفتحه للعَلَمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت

=

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره (٣٠/ ٧٧) بعد ذكره لهذا القول: وهذا ضعيف؛ لأن تجويزه يفتح باب ترهات الباطنية. والصواب أنّ "ن" من الحروف الهجائية التي ذكرت في أوائل السور بياناً لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته.

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤١) وعزاه لابن جرير.

قال ابن كثير (٤/ ٤٠٢): وهذا مرسل غريب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٢٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) الكشاف (٤/ ٥٨٩).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: تنونه وتجره. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

واللوح والنهر في الجنة.

والمراد بالقلم: الذي يكتب به الذِّكر في اللوح المحفوظ.

قال ابن جريج: هو من نور، طوله ما بين السماء والأرض[١].

وقيل: القلم الذي يَكتُبُ به الناس[٢]، أقسم به؛ لأنه نعمة عظيمة، ومنّة جسيمة، ومنفعة شاملة.

قال ابن [هيثم][٣]: من جلالة القلم أنه لم يُكتب لله كتاب إلا به، فلذلك أقسم الله به[٤].

وقيل: الأقلام مطايا الفِطَن ورُسُل الكرام[٥].

وقيل: البيان اثنان؛ بيان لسان وبيان بنان، ومن فضل بيان البنان أن ما تُثبته الأقلام باقٍ على الأيام، [وبيان اللسان تدرسه الأعوام][٦].[٧]

وقال بعض الحكماء: قِوام أمور الدين والدنيا بشيئين: القلم والسيف، والسيف تحت القلم[٨]، [وفيه][٩] يقول ابن الرومي:

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٦٠).

(٢) واستظهر هذا القول ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

(٣) في الأصل: هثيم. والمثبت من ب.

(٤) ذكره ابن عجيبة في تفسيره (٦/ ٣٨١).

(٥) انظر: المصدر السابق.

(٦) زيادة من تفسير ابن عجيبة، الموضع السابق.

(٧) انظر: تفسير ابن عجيبة، الموضع السابق.

(٨) مثل السابق.

(٩) زيادة من ب.

إنْ يَخْدُمِ القلمَ السيفُ الذي خضعتْ لـه الرقـابُ ودانـتْ دُونـه الأُمَـم
فـالموتُ، والمـوتُ لا شيءٌ يُغالِبُـه مـا زالَ يتبـعُ مـا يجـري بـه القَلَـم
كـذا قَـضَى الله للأقْـلامِ مُـذْ بُرِيَـتْ أنَّ السيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَم(١)

وقوله أيضاً:

في كَفِّـهِ قلـمٌ ناهيـكَ مـن قَلَـمٍ نُـبْلاً وناهيـكَ مـنْ كَـفٍّ بـه اتّشَحا
يَمْحُـو ويُثبِـتُ أرزاقَ العبـادِ بـه فـما المقـاديرُ إلا مـا وَحَـا ومَحَـا(٢)

ولأبي تمام في محمد بن عبدالملك الزيات:

لـه القلـمُ الأعـلى الـذي [بـشَبَاتِه](٣) يُـصابُ مـن الأمـرِ الكُـلَى والمَفَاصِـلُ
فَـصيحٌ إذا اسـتنطَقْتَه وهـو راكـبٌ وأعجـمُ إن خاطبْتَـهُ وهـو رَاجِـلُ
إذا ما امتطى الخمسَ اللِّطافَ وأفْرَغَتْ عليـه شِـعابُ الفِكْـرِ وهـي حَوافِـلُ
أطاعتـهُ أطـرافُ الرمـاحِ [وقَوَّضَـتْ لنَجْواهُ تَقويضَ](٤) الخيامِ الجَحَافِلُ(٥)

وما أحسن قول المتنبي في وصفه:

---

(١) الأبيات لابن الرومي، انظر: خزانة الأدب (١/ ٢٢٩، ٢٣٦)، وصبح الأعشى (١/ ٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨).

(٢) البيتان لابن الرومي. انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٤٠).

(٣) في الأصل: بشتاته. والتصويب من ب، ومصادر الأبيات.

(٤) في الأصل: وفوضت لنجواه تفويض. والمثبت من ب.

(٥) الأبيات لأبي تمام الطائي. انظر: صبح الأعشى (٢/ ٤٧٨)، والحيوان للجاحظ (١/ ٢٢)، والعقد الفريد (٢/ ٤٩).

نَحيفُ الشَّوى يَعْدُو على أمِّ رأسه ويَخْفَى فيقوى عَدْوُه حينَ يُقْطَعُ
يَمُجُّ ظلاماً في نَهارٍ لسانُه، ويَفْهَمُ عَمَّنْ قال ما ليسَ يَسْمَعُ(١)

وآثر الوزير ضياء الدين أبو الفتح ابن الأثير نثر هذا النظم، فقرطس في البلاغة بالإصابة، وحلاّه إذ حلّه فاتّسعت به الأسماع مع الغرابة فقال: أخرس وهو فصيح الإيراد، أصمّ وهو يسمع مناجاة الفؤاد. ومن عجيب شأنه: أنه لا يَنطق إلا إذا قطع لسانه، ولا يضحك إلا إذا بَكَتْ أجفانه.

قوله تعالى: ﴿وما يسطرون﴾ "ما" موصولة، أو مصدرية.

قال مجاهد: ما تكتب الملائكة من الذكر(٢).

وقال مقاتل وغيره(٣): ما تكتبه الحَفَظَة من أعمال بني آدم.

وقيل: ما يسطره جميع الكَتَبَة.

﴿ما أنت﴾ يا محمد ﴿بنعمة ربك بمجنون﴾ نفى ذلك عنه لقولهم: ﴿إنك لمجنون﴾ [الحجر:٦]، والباء في "بنعمة" تتعلق "بمجنون"، وهي في محل الحال(٤)، تقديره: ما أنت بمجنون منعّماً بذلك، والباء في "بمجنون" لتوكيد النفي.

﴿وإن لك﴾ بصبرك على أذاهم مُنضماً إلى ما أنعمتُ عليك به من النبوة والإيمان، وظهور دينك على سائر الأديان، وارتفاع شأنك، واستفحال سلطانك

---

(١) البيتان للمتنبي، انظر: ثمار القلوب (ص:٢٥٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧). وذكره الماوردي (٦/ ٦٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٦).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٥٠).

﴿لأجراً﴾ ثواباً ﴿غير ممنون﴾ منقوص ولا مقطوع.

وقال الحسن: غير ممنون عليك من أذى[١].

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ قال بعض أهل المعاني[٢]: استعظم خُلُقَهُ لفرط احتماله ﷺ المُمِضّات من قومه، وحُسْنِ مخالفته ومداراته لهم.

وأقوال المفسرين فيه ترجع إلى معنى واحد، وهو: الأخذ بما أُمر به.

قال ابن عباس: هو دين الإسلام[٣].

وقال عطية: آداب القرآن[٤].

وقال قتادة: ما يأتمر به من أمر الله وينتهي عنه، مما نَهى الله عنه[٥].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان خُلُقُه القرآن، يسخط لسخطه[٦]، ويرضى لرضاه[٧].

وقال الماوردي[٨]: حقيقة الخُلُق في اللغة: هو ما يأخذ به

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٦١).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن المبارك وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الدلائل.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٤).

(٦) في ب: بسخطه.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (٢/ ١٥٤ ح١٤٢٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) تفسير الماوردي (٦/ ٦١-٦٢).

[الإنسان][١] نفسه من الآداب، سُمي خُلُقاً؛ لأنه يصير كالخِلْقَة فيه.

فأما ما طُبع عليه من الآداب فهو الخِيم[٢]، فيكون الخلق: الطبع المتكلّف، والخِيم: الطَّبع الغريزي. وقد أوضح الأعشى ذلك في شِعره حيث يقول:

وإذا ذو الفُضُولِ ضَنَّ على المَوْلَى وعادتْ بخِيمِهَا الأخْلاقُ[٣]

أي: رجعت الأخلاق إلى طباعها.

قوله تعالى: ﴿فستبصر ويبصرون﴾ وعيد لأهل مكة، ظَهَرَ أثَرُه يوم بدر.

﴿بأيكم المفتون﴾ قال الحسن: المفتون: الضَّال[٤].

وقال مجاهد: الشيطان[٥].

وقال الضحاك: المجنون[٦].

والباء زائدة، في قول أبي [عبيدة][٧] وابن قتيبة[٨]؛ كقول الشاعر:

.... نضربُ بالسيفِ ونرجو بالفَرَج[٩]

---

(١) زيادة من ب، والماوردي (٦/ ٦١).

(٢) وهي الطباع.

(٣) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:١٢٥) وفيه: "وصارت" بدل: "وعادت"، والقرطبي (١٨/ ٢٢٧)، والماوردي (٦/ ٦٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠). وذكره الماوردي (٦/ ٦٢).

(٦) مثل السابق.

(٧) في الأصل: عبيد. والتصويب من ب. وانظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٦٤).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:٤٧٧).

(٩) عجز بيت للنابغة الجعدي، وصدره: (نحن بنو جَعْدَةَ أربابُ الفَلَجْ).

=

وأصلية، في قول الفراء والزجاج(١).

وقول الضحاك أشبه لقوله: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾.

فإن قلنا: الباء زائدة، فيكون التقدير: أيكم المجنون، سُمي بذلك؛ لأنه مُجِنَ بالجنون، أو لكونه من تخييل الجن، وهم الفُتَّان.

وإن قلنا: الباء أصلية، كان "المفتون" مصدراً، [كمَعْقُود](٢) ومَعْقُول. قال الراعي:

حتى إذا لم يَتْرُكُوا لعِظَامِهِ   لَحْماً ولا لفُؤادِه معْقُولا(٣)

أي: عقلاً، فيكون التقدير: بأيكم الفُتُون، أي: الجنون.

وقيل: الباء بمعنى "في"، تقديره: في أيكم، أي: في [أي](٤) الفريقين المجنون، في [فريقك](٥) أو في فريقهم. ومن يستحق هذا الاسم أنتم أم هم؟.

وتعضده قراءة أُبيّ بن كعب وأبي عمران الجوني وابن أبي عبلة: "في أيكم المفتون"(٦).

= انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠)، وزاد المسير (٥/ ٤٢١، ٨/ ٣٢٩)، والخزانة (٤/ ٥٩)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص:٢٩٢)، والماوردي (٤/ ١٦).

(١) انظر: معاني الفراء (٣/ ١٧٣)، والزجاج (٥/ ٢٠٥).

(٢) في الأصل: كالمعقود. والتصويب من ب.

(٣) البيت: للراعي. وهو في: الطبري (١٢/ ١٦٥)، والقرطبي (١٨/ ٢٢٩)، وزاد المسير (٤/ ١٩٢)، ومعاني الفراء (٢/ ٣٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: فريقكم. والمثبت من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٣٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥١).

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾

قوله تعالى: ﴿ودوا﴾ أي: أحبّ رؤساء قريش ﴿لو تدهن﴾ تَلين وتُصانع.

قال أبو الحسن الأصبهاني: أي: أن لو تُدهن، فأضمر أنْ، و"لو" زائدة[1].

وقال الزمخشري[2]: فإن قلت: لم رفع ﴿فيدهنون﴾ ولم ينصب بإضمار "أن" وهو جواب التمني؟

قلتُ: قد عدل به إلى طريق آخر: وهو أن جُعل خبرَ مبتدأ محذوف، أي: فهم يُدهنون، كقوله: ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ [الجن:١٣]، على معنى: ودُّوا لو [تُدهن][3] فهم [يدهنون حينئذ. أو ودّوا إدهانك فهم الآن][4] يُدهنون؛ [لطمَعهم في إدهانك][5].

قال سيبويه[6]: وزعم هارون[7] أنها في بعض المصاحف: "وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ

---

(١) في ب: زيادة.

(٢) الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٣) في الأصل: دهن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: لطعهم في الدهانك. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) الكتاب (٣/ ٣٦).

(٧) هارون بن موسى الأزدي العتكي النحوي البصري، صاحب القراءات. روى عن أبي =

فَيُدْهِنُوا".

قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ أي: كثير الحلف بالباطل ﴿مَهِـين﴾ مـن المهانة، وهي القلّة والحقارة في الرأي [والتمييز][١].

قال ابن عباس ومقاتل[٢]: يريد: الوليد بن المغيرة، عَرَضَ على النبي ﷺ المال ليرجع عن دينه.

وقال عطاء: الأخنس بن شريق[٣].

وقال مجاهد: الأسود بن عبد يغوث[٤].

﴿همَّاز﴾ عيَّاب طَعَّان[٥].

قال الحسن: يَلوي شدقيه في أقفية الناس[٦].

﴿مَشَّاءٍ بنميم﴾ يقال للكلام السيء المفسد بين الناس، وهو النَّمام والقتّات[٧].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتّاتٌ»[٨].

= عمرو بن العلاء، وابن إسحاق، وعبد الله بن أبي إسحاق، والخليل بن أحمد، وعدة. وعنه: شعبة، ووكيع، وبهز بن أسد، وغيرهم (تهذيب التهذيب ١١/ ١٤).

(١) في الأصل: والتميز. والتصويب من الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) قوله: "طعان" سقط من ب.

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٥٩١).

(٧) القتّات: هو الذي يتسمّع أحاديث الناس من حيث لا يعلمون فينمّ عليهم (اللسان، مادة: قتت).

(٨) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢٥٠ ح٥٧٠٩)، ومسلم (١/ ١٠١ ح١٠٥).

﴿مناع للخير﴾ قال ابن عباس: مَنَعَ ولدَه وعشيرته الإسلامَ[١].

وقيل: "مناع للخير": بخيل بالمال.

﴿معتد أثيم﴾ ظلوم فاجر، كثير الآثام.

﴿عُتُلٍّ﴾ غليظٍ جافٍ، من قولهم: عَتَلَهُ؛ إذا قاده بعُنفٍ وغلْظةٍ[٢].

قال أبو عبيدة: هو الأَكُول الشَّرُوب القوي الشديد[٣].

وقال الفراء[٤]: الشديد الخصومة بالباطل.

قال ابن عباس: العاتل: الشديد المنافق[٥].

وقال عكرمة: الشديد في كفره[٦].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا أبو الوقت، أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معبد بن خالد[٧] قال: سمعت حارثة بن وهب

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٢).

(٢) انظر: اللسان (مادة، عتل).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤) عن عبيد بن عمير. وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٦٤) ولفظه: العُتُلّ: الفظّ الكافر في هذا الموضع، وهو الشديد في كل شيء.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٦٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٢).

(٧) معبد بن خالد بن مرير بن حارثة بن ناضرة بن عمرو بن سعيد بن علي بن رهم بن رباح بن يشكر بن عدوان الجدلي القيسي العابد الكوفي، ثقة صدوق، كان عابداً صابراً على التهجد، يصلي الغداة والعشاء بوضوء واحد، مات سنة ثمان عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٩٩، والتقريب ص:٥٣٩).

الخزاعي[١] قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف [متضعّف][٢] لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتلٍ جَوّاظٍ مستكبر»[٣].

﴿بعد ذلك﴾ أي: بعدما [عدَّ][٤] له من المثالِب والنقائص، ﴿زنيم﴾.

قال ابن عباس في رواية عطاء: أي: دَعِيٌّ في قريش ليس منهم[٥]. وهذا قول أكثر المفسرين واللغويين، وأنشدوا:

زَنيمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَال زيادةً ... كما زِيدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكَارِع[٦]

وقال آخر:

زَنيمٌ ليسَ يُعرفُ مَنْ أبوهُ ... بَغِيُّ الأمِّ ذا حَسَبٍ لَئِيم[٧]

---

(١) حارثة بن وهب الخزاعي، أخو عبيد الله بن عمر لأمه، صحابي نزل الكوفة، وكان عمر زوج أمه (تهذيب التهذيب ٢/ ١٤٦، والتقريب ص:١٤٩).

(٢) في الأصل: مستضعف. والمثبت من ب، والصحيحين.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٠ ح٤٦٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ح٢٨٥٣).
والجَوَّاظ: المتكبر الجافي (اللسان، مادة: جوظ).

(٤) في الأصل: أعد. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٥). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن عساكر.

(٦) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:٢١٦)، واللسان (مادة: زنم)، والقرطبي (١/ ٢٥، ١٨/ ٢٣٤)، والماوردي (٦/ ٦٥)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٢)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٧).

(٧) انظر البيت في: المستطرف (١/ ٧٥، ١٩١)، والقرطبي (١/ ٢٥، ١٨/ ٢٣٤)، والطبري (٢٩/ ٢٥)، والدر المنثور (٨/ ٢٤٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٧).

وقال حسان:

وأنتَ زنيمٌ نِيطَ في آل هاشم كما نِيطَ خَلْفَ الرَّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ(١)

قال ابن قتيبة(٢): لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا بلغ من ذكر عُيوبه ما بلغه من ذكر الوليد بن المغيرة؛ [لأنه](٣) وُصِفَ بالحلف والمهانة، والعيب للناس، والمشي بالنمائم، والبخل، والظلم، والإثم، والجفاء، والدِّعوة. فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة.

قال مرة الهمداني: إنما ادّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة(٤).

وقال ابن عباس في رواية عكرمة: بَغَتْ أمه فلم يُعرف، حتى قيل: زنيم، فعُرِف، فكانت له زَنَمة في عنقه يُعرف بها(٥).

وقال في رواية سعيد بن جبير: يُعرف بالشر، كما تُعرفُ الشاةُ بزَنَمَتِها(٦).

يريد ابن عباس -والله أعلم-: أن هذا الذي رماه به قد صار طوقاً في عنقه كزَنَمة الشاة، وهي الهَنَةُ من جلد الماعزة، تُقْطع فتخلّى معلّقة في حلقها.

---

(١) البيت لحسان بن ثابت. انظر: ديوانه (ص:١٠٠)، واللسان (مادة: زنم)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٤)، والطبري (٢٩/ ٢٥)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٢)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٣)، والكشاف (٤/ ٥٩٢).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٩).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب، وتأويل مشكل القرآن، الموضع السابق.

(٤) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٥)، والبغوي (٤/ ٣٧٨).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٤١ ح٣٨٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر والخرائطي في مساوئ الأخلاق والحاكم وصححه.

وقال عكرمة: الزنيم: الذي يُعرف بِلُؤْمه، كما تُعرف الشاة بزَنَمَتِها[١]. وهو غير مناقض لما قبله.

وقال الضحاك: كانت للوليد زَنَمَة أسفل من أذنه، كزَنَمة الشاة، وفيه نزلت هذه الآية[٢].

وفي هذا التفسير نظر؛ لأن الله إنما عابه بأوصاف معنوية.

ويروى عن ابن عباس أن الزنيم: الظلوم[٣].

قوله تعالى: ﴿أن كان﴾ قرأ حمزة وأبو بكر: "أأَن" بهمزتين محقَّقتين مفتوحتين. وفَصَلَ بينهما بألف: هبة الله عن الداجوني. وقرأ ابن عامر إلا هبة الله عن الداجوني، وأبو جعفر وزيد ورويس عن يعقوب: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفَصَلَ بينهما بألف: أبو جعفر، والحلواني عن هشام، وزيد عن يعقوب، الباقون: بهمزة واحدة، على الخبر[٤]. ومن استفهم فعلى معنى التوبيخ.

فإن قيل: بما يتعلق قوله: ﴿أن كان﴾؟

قلتُ: بمحذوف، تقديره: لأن أو ألأن، على قراءة من استفهم. ﴿كان ذا مال وبنين﴾ يكفر ويجحد.

ويجوز أن يتعلق بقوله: "ولا تطع" على معنى: لا تُطعه مع هذه المثالب لأن

---

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٦٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩) وعزاه لابن جرير.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٥٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٧-٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣١)، والنشر (١/ ٣٦٧)، والإتحاف (ص:٤٢١)، والسبعة (ص:٦٤٦-٦٤٧).

كان، والتقدير في الاستفهام: أتطيعُه[1] لأن كان.

فإن قيل: ما منعك أن تجعل "أن كان" متعلقاً بـ"عُتُلّ"، على معنى: عُتُلّ لأن كان ذا مال وبنين؟

قلتُ: وصْفه بـ"زنيم" لا يجوز عندهم: هذا ضارب ظريف زيداً.

فإن قيل: فهلا عُلّق بقوله: ﴿قال أساطير الأولين﴾؟

قلتُ: لأنه جواب الشرط، وجواب الشرط لا يعمل فيها قبل الشرط؛ لأن حكم العامل أن يكون قبل المعمول فيه، وحكم جواب الشرط: أن يكون بعده، والشيء إذا كان في رتبته وموضعه لم ينوبه غير موضعه.

ثم إن الله توعد هذا المخذول الموصوف بهذه الأوصاف التسعة من الذم فقال: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ قال المبرد: "الخُرْطُوم" من الناس: الأنف، ومن البهائم: الشَّفَة[2]. وكذلك قال الفراء وأبو عبيدة[3] وأبو زيد وغيرهم: الخرطوم: الأنف، والسِّمَةُ: العلامةُ.

والمعنى: سنجعل له يوم القيامة في وجهه علامة مشوّهة يتبين بها عن سائر الكَفَرَة.

قال الكلبي: يُضرب في النار على أنفه يوم القيامة[4].

---

(١) في ب: أنطيعه.

(٢) انظر قول المبرد في: الماوردي (٦/ ٦٦).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٧٤). ولم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٦).

وقال الفراء[١]: الخرطوم وإن كان قد خُصَّ بالسِّمَة، فإنه في مذهبِ الوجـه؛ لأن بعض الوجه يؤدّي عن البعض.

قال الزجاج[٢]: سنجعل له في الآخرة العَلَم الذي يُعرف [به][٣] أهل النـار، من اسوداد وجوههم.

وما أحسن قول قتادة: سنُلحق به شيئاً لا يُفارقه[٤].

قال ابن قتيبة في تفسير هذا المعنى[٥]: العرب تقول: قد وَسَمَهُ ميْـسَم سـوء، يريدون: ألْصَقَ به عاراً لا يُفارقه؛ لأن السِّمَة لا تَنمحي ولا يذهب أثَرُها.

وقد ألحقه الله تعالى بما ذكَرَ من عيوبه عاراً لا يفارقه، كالوَسْم على الخرطوم، وأبين ما يكون الوَسْم: على الوجه. وأنشد قول جرير:

لما وضعتُ على الفرزدق مَيْسَمِي وعلى البعيثِ جَدَعْتُ أنْفَ الأخطل[٦]

أراد: بالهجاء.

وقال بعض أهل المعاني[٧]: الوجهُ أكرم موضـع في الجـسد، والأنـف أكـرم

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٧٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٧).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٤).

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٦).

(٦) البيت لجرير. انظر: ديوانه (ص:٣٣٥)، والأغاني (١٤/ ٣٣٨)، والمثل السائر (٢/ ٣٧٩)، والقرطبي (١٨/ ٢٣٧)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٤)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٩).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٥٩٣).

موضع من الوجه، ولذلك جعلوه مكان العزّ والحميّة، وقالوا: أحمى من أنف الأسد، واشتقوا منه الأَنَفَة، وقالوا: شامخ العِرْنِين. وقالوا في الذليل: جُدع أنفه، ورَغَم أنفه، فعبّر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة.

ويُروى عن ابن عباس: سنخطمه بالسيف، فيكون علامة باقية على أنفه ما عاش، فقاتل يوم بدر فخُطِم بالسيف(١).

ومن الأقوال التي تحكى للقدْح فيها لا للأخذ بها، قول النضر بن شميل: المعنى: سنحُدّه على شُرب الخمر. والخُرْطوم: الخَمْر، والجمع: خراطيم(٢). قال الشاعر:

تَظَلُّ يومكَ في لَهْوٍ وفي لَعِبٍ ... وأنتَ [بالليل](٣) شَرَّابُ الخراطيم(٤)

وهذا تعسّف في التأويل؛ لأن الله ذمّه بأوصاف أيسرها مُوبق. ثم ختم ذلك بقوله: ﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ أفَتُراه [يعدل](٥) عن التهديد والوعيد على هذه العظائم الموبقة إلى الوعيد على شربه الخمر، وهو كافر مكذّب؟ وكيف يكون ذلك وشُرب الخمر لم يكن حين نزول هذه الآية محرّماً بإجماع أهل العلم؛ لأن تحريمه كان بالمدينة، وهذه السورة مكية؟

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٤٩-٢٥٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٣٨).

(٣) في الأصل: في الليل. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٤) البيت للأعرج. وهو في: القرطبي (١٨/ ٢٣٨)، والبحر (٨/ ٣٠٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٤)، وروح المعاني (٢٩/ ٢٩).

(٥) في الأصل: يقول. والتصويب من ب.

﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا
يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰرِمِينَ
﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَـٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾
وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَـٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ
رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟
يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني: أهل مكة بالقحط والجوع حين دعا عليهم رسول الله ﷺ فقال: «اللهم سلّط عليهم سنين كسنيّ يوسف»(١).

﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ حين هلكت جنتهم.

وكان من حديثهم على ما نقله أهل العلم بالتفسير والسير(٢): أن رجلاً كان بناحية اليمن له بستان، وكان مؤمناً، وذلك بعد عيسى بن مريم عليه السلام.

واختلفوا فيما كان يصنع؛ فقال قتادة: كان يُمسك منه قدر كفايته وكفاية أهله، ويتصدق بالباقي(٣).

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١) مطولاً.
(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٦٧)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٥).
(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٩). وذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٠).

وقال غيره: كان يترك للمساكين ما تعدّاه المِنْجَل[١] وما يَسقط من رؤوس النخل، وما ينتثر عند الدِّياس، وكان يجتمع من هذا شيء كثير[٢].

قال قتادة: وكان له بنون، فكانوا يلومونه ويقولون: [لئن][٣] ولينا لنفعلنّ ولنفعلن، فلما مات ورثوه وقالوا: نحن أحق من الفقراء والمساكين؛ لكثرة عيالنا، فحلفوا ﴿ليصرمنها مصبحين﴾ أي: ليَقْطَعَنّ ثمر نخيلهم في أول الصباح قبل انتشار المساكين[٤].

﴿ولا يستثنون﴾ قال عكرمة: لا يستثنون حق المساكين[٥].

وقال جمهور المفسرين واللغويين: لا يقولون: إن شاء الله[٦].

وسُمي استثناء؛ لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء، من حيث إن قولك: لأخرجن إن شاء الله، في معنى: لا أخرج إلا أن يشاء الله.

﴿فطاف عليها طائف﴾ قال الفراء[٧]: الطائف لا يكون إلا بالليل.

قال قتادة: طرقها طارق من أمر الله[٨].

---

(١) المِنْجَل: ما يُحصَدُ به. أو: هو الذي يقضَبُ به العود من الشجر فيُنْجَل به، أي: يُرمَى (اللسان، مادة: نجل).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٦) ذكره الطبري (٢٩/ ٢٩)، والماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٥).

(٧) معاني الفراء (٣/ ١٧٥).

(٨) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٧).

قال ابن عباس: أحاطت بها النار فاحترقت[١].

قال مقاتل[٢]: بعث الله عليها ناراً بالليل فأحرقتها حتى صارت سوداء، فذلك قوله: ﴿فأصبحت كالصريم﴾ أي: كالليل المظلم. وأنشد الفراء وغيره:

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ الجَوْنُ البَهِيمُ ... فما يَنْجَابُ عن صُبْحٍ صَرِيم[٣]

وقال ابن عباس: أصبحت كالرّماد الأسود[٤].

وقال الحسن: صُرِمَ عنها الخير فليس فيها شيء[٥].

وقال غيره: أصبحت كالمصروم لهلاك ثمرها.

وقال ابن كيسان: كالحرة السوداء.

وقال المؤرج: كالرَّملة انصرمت من مُعظم الرمل[٦].

وأصل الصَّريم: المَصْرُوم، وكُلُّ شيء قُطِعَ من شيء: فهو صريم، فالليل صريم، والصبح صريم؛ لأن كلَّ واحد منهما يَنْصَرِمُ عن صاحبه.

قوله تعالى: ﴿فتنادوا مصبحين﴾ أي: دعا بعضُهم بعضاً عند الصباح.

﴿أن اغدوا على حرثكم﴾ أي: [إلى][٧] حرثكم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٨٨).

(٣) انظر البيت في: اللسان (مادة: صرم)، والطبري (٢٩/ ٣١)، والقرطبي (١٨/ ٢٤١)، والماوردي (٦/ ٦٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٦٦).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٤٢)، والبغوي (٤/ ٣٧٩).

(٦) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٤٢).

(٧) زيادة من ب.

وقيل: لما كان [الغدوُّ][1] إليه ليَصرموه ويَقطعوه كان [غُدُوّاً][2] عليه، كما تقول: غدا عليهم العدو. ويجوز أن يُضَمَّن [الغدو][3] معنى الإقبال.

ومعنى: ﴿يتخافتون﴾ يتسارَرُون فيما بينهم.

ثم فسّر ما تسارَرُوا به فقال: ﴿أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾.

﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ الحَرْدُ في اللغة يكون بمعنى: القصد. وهو قول قتادة والحسن ومجاهد وابن السائب ومقاتل[4].

أي: [غدوا][5] على جِدٍّ من أمرهم؛ لأن القاصد إلى الشيء جادّ، يقال: حَرَدْتُ حَرْدَكَ، أي: قصدتُ قصدكَ، وأنشدوا:

أقْبَلَ سَيلٌ جاءَ من أمرِ الله ... يَحْرِدُ حَرْدَ الجنةِ المُغِلَّه[6]

وهذا قول جمهور المفسرين.

فالمعنى: وغدوا على قصدٍ إلى جنتهم، أو على قصد منع المساكين.

ويكون الحرد بمعنى: الغضب. قاله الشعبي وسفيان[7].

---

(١) في الأصل: العدو. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: توعد. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: العدو. والتصويب من ب.

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٣٨٨)، والماوردي (٦/ ٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٥) في الأصل: عدوا. والتصويب من ب.

(٦) انظر البيت في: زيادات ديوان حسان (ص:٥٢٢)، واللسان (مادة: حرد، غلل، أله)، والطبري (٢٩/ ٣٣)، والقرطبي (٥/ ١٦، ١٨/ ٢٤٢)، والماوردي (٦/ ٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٣١)، والبحر (٨/ ٣٠١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٧).

وأنشد أبو عبيدة[١]:

أُسُودُ شَرىً لاقتْ [أسُودَا][٢] خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماءَ الأسَاوِدِ[٣]

ويؤيد هذا قراءة من قرأ: "حَرَد" بفتح الراء.

المعنى: وغدوا على حَنَق وحِقْد على المساكين؛ لما كان أبوهم يمنحهم من الجنة.

ويكون الحَرْد بمعنى: المنع، تقول العرب: حارَدَت السنة، إذا منعت مطرها، والسَّنة حاردة، وحارَدَت الناقة؛ إذا لم يكن لها لبن[٤].

فالمعنى: وغدوا مجمعين على منع المساكين.

وقال السدي: الحَرْد: اسم الجنة[٥].

قال قتادة وجمهور المفسرين: قادرين على جنتهم عند أنفسهم[٦].

وقال الشعبي: قادرين على المساكين[٧].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٦٦).

(٢) في الأصل و ب: أسوداً. والتصويب من مصادر البيت.

(٣) البيت للأشهب بن رميلة. وهو في: اللسان (مادة: حرد)، وتاج العروس (مادة: حرد)، وأمالي القالي (١/ ٨)، والمخصص (١١/ ١٨)، والبحر (٨/ ٣٠١)، والدر المصون (٦/ ٣٥٦)، والطبري (٢٩/ ٣٣)، وزاد المسير (٨/ ٣٣٧).

(٤) انظر: اللسان (مادة: حرد).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٦).

(٦) أخرجه مجاهد (ص:٦٨٩)، والطبري (٢٩/ ٣٢). وذكره الماوردي (٦/ ٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٢) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة.

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٦٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨).

وقال ابن قتيبة(١): المعنى: مَنَعوا وهم قادرون واجدون.

وقيل: مقدّرين أن يتم لهم مُرادهم من الصِّرام والحرمان.

والنصب في "قادرين" على الحال، وقوله: "على حرد" في موضع الحال أيضاً(٢)، على معنى: وغدوا حاردين.

﴿فلما رأوها﴾ شاهدوها فوجدوها على غير ما عهدوها ﴿قالوا﴾ لفرط ما بين المُنْظَرَيْن من التنافر ﴿إنا لضالون﴾ أي: ضللنا عن طريق جنّتنا، وما هي بها.

فلما تفكّروا وعرفوا ما أنكروا أضربوا عن ذلك بقولهم: ﴿بل نحن محرومون﴾، حُرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا بمنع المساكين.

﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم وخيرهم ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾.

قال عامة المفسرين(٣): أي: هلاّ تستثنون عند قولكم: "ليصرمنها مصبحين".

أي: هلاّ استثنيتم فقلتم: إن شاء الله.

قال الزجاج(٤): وإنما قيل للاستثناء تسبيح؛ لأن التسبيح في اللغة: تنزيه لله عز وجل من السوء، والاستثناء تعظيم لله وإقرار بأنه لا يقْدر أحدٌ أن يفعل فعلاً إلا بمشيئة الله.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص: ٤٨٠).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٥٦).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ٣٥)، والماوردي (٦/ ٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٥٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٠٩).

وقالِ أبو صالح: كان استثناؤهم ذلك الزمان قول: سبحان الله[١].

وقيل: المعنى: لولا تسبحون الله بالذكر والتوبة والاستغفار من خُبث نيتكم. كأنه والله أعلم كان نهاهم وخوّفهم عاقبة أمرهم حين أصرُّوا على منع المساكين، يدل عليه قوله: ﴿قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين﴾ فاعترفوا بذنبهم وظلمهم في منع الفقراء، وترك الاستثناء.

﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضاً؛ لأن منهم من زَيَّنَ، ومنهم من قَبِلَ، ومنهم من رَضِيَ، ومنهم من عَذَر.

ثم نادوا على أنفسهم بالويل فقالوا: ﴿يا ويلنا إنا كنا طاغين﴾ حيث لم نصنع في جَنَّتِنا ما كان أبونا يصنع فيها.

ثم رجعوا إلى الله راجين فضله وإحسانه فقالوا: ﴿عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون﴾ طالبون منه الخير.

قال ابن مسعود: بلغني أن القوم أخلصوا وَعَرَفَ الله منهم الصدق، فأبدلهم الله بها جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنبٌ يحمل البغل منها عنقوداً واحداً[٢].

قال بكر بن سهيل: حدثني أبو خالد اليمامي: أنه رأى تلك الجنة فقال: رأيتُ كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم[٣].

قوله تعالى: ﴿كذلك العذاب﴾ أي: مثل ذلك العذاب الذي بلونا به أهل مكة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦) عن السدي. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٣) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٤٥)، والبغوي (٤/ ٣٨١).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، الموضع السابق.

وأصحاب الجنة عذاب الدنيا، ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ [أشد][1] وأعظم ﴿لو كانوا﴾ يعني: المشركين ﴿يعلمون﴾.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾
مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا
تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ
﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟
صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾

قال المفسرون: لما أنزل الله: ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ قال المشركون: إنا نُعطى في الآخرة أفضل مما يعطون، فأكذبهم الله تعالى بقوله: ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين * ما لكم كيف تحكمون﴾ هذا الحكم الجائر، كأنّ أمر الجزاء في الآخرة مفوّض إليكم.

﴿أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون﴾ ولولا اللام في خبر "إنَّ" لكانت همزة "إنَّ" مفتوحةً بـ"تدرسون". ويجوز أن يكون حكاية للمدروس.

﴿أم لكم أيمان﴾ تقول العرب: لفلان عليّ يمين بكذا؛ إذا ضمنتَه منه، وحلفتَ له على الوفاء به.

والمعنى: أم ضمنا لكم وأقسمنا لكم بأيْمان ﴿بالغة﴾ أي: مغلّظة.

---

(١) في الأصل: وأشد. والتصويب من ب.

وقوله تعالى: ﴿إلى يوم القيامة﴾ متعلق بالمقدّر في الظرف، تقديره: هي ثابتة لكم علينا إلى يوم القيامة. ويجوز أن يتعلق بـ"بالغة"[١].

وقيل: "إلى" صلة.

وقرأ الحسن: "بالغةً" بالنصب على الحال من الضمير في الظرف[٢].

﴿إن لكم لما تحكمون﴾: مثل التي قبلها.

ولا تتوهّمَنَّ بسبب كسرها أن الوقف على ما قبلها في الموضعين، بل هو مفعولٌ لا يجوز الوقف دونه، ومثاله قولك: علمت أن في الدار لزيداً. والأظهر في الموضع الثاني [أنه][٣] جواب القسم؛ لأن معنى: "أم لكم أيمان علينا": أم أقسمنا لكم.

قوله تعالى: ﴿سَلْهُم﴾[٤] أي: سَلْ يا محمد هؤلاء القائلين الحاكمين لأنفسهم بأنهم يُعْطَوْن في الآخرة أفضل منكم، ﴿أيهم بذلك﴾ الحكم ﴿زعيم﴾ كفيل به، أو قائم بصحة الاحتجاج على صحته.

﴿أم لهم شركاء﴾ ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه، ويذهبون إلى مذهبهم فيه.

وقيل: المراد: الأصنام التي جعلوها شركاء لله.

﴿فليأتوا بشركائهم﴾ يشهدون بصحة قولهم ﴿إن كانوا صادقين﴾ في دعواهم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٥٧).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢١).

(٣) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: "أيهم". وستأتي بعد.

يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً
أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾
فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ
﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ العامل في الظرف قوله: ﴿فليأتوا﴾.

قال عكرمة: سُئل ابن عباس عن قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فقال: إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر؛ فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

.... وَقَامَتِ الحربُ بنا على سَاقِ(١)

هو يوم [كرب](٢) وشدة(٣).

وهذا قول كثير من المفسرين واللغويين(٤).

---

(١) عجز بيت، وصدره: (صبراً أمام إنّ شَرَّ باق)، وهو في: البحر (٨/ ٣١٠)، والدر المصون (٦/ ٣٥٨).

(٢) في الأصل: حرب. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٢ ح٣٨٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) وعزاه لابن عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) وسيذكر المؤلف فيما يأتي أن المراد بالساق ساقه جل ذكره.

[وقال][١] مجاهد عن ابن عباس: هي أشد ساعة في القيامة[٢].

وقال عكرمة: إذا اشتد الأمر في الحرب، قيل: كشفت الحربُ عن ساق. أخبرهم الله تعالى بشدة ذلك اليوم[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: أصل هذا: أن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجدّ فيه، قيل: شَمَّر عن ساقه، فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة.

فتأويل الآية: يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه إلى أن يُكشف عن ساق.

فصل

اعلم أنني سلكت في تفسير هذا الحرف سبيلَ كثير من [علماء السنة][٥]، وسوّغ ذلك: أن ابن عباس والحسن في جماعة من التابعين فَسَّرُوه بهذا التفسير، ونقله الإمام أحمد ورواه.

قال الزجاج في معانيه[٦]: أخبرنا عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل قال: حدثنا أبي، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قال ابن

---

(١) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن منده.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٣٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٥٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في الأسماء والصفات.

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٣٧).

(٥) في الأصل: العلماء بالسنة. والمثبت من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢١٠).

عباس في قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾: الأمر الشديد[(١)].

وقاعدة مذهب إمامنا في هذا الباب: اتباع السلف الصالح، فما تأولوه تأولناه، وما سكتوا عنه سكتنا عنه، مفوّضين علمه إلى قائله، منزّهين الله عما [لا][(٢)] يليق بجلاله.

وذهب جماعة من علماء السنة إلى إلحاق هذا بنظائره من آيات الصفات وأخبار الصفات.

ورووا عن عبدالله بن مسعود في قوله: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال: عن ساقه جَلَّ ذكره[(٣)].

[ويؤيد][(٤)] هذا ما أخبرنا به الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا [أبو الوقت][(٥)]، أخبرنا عبدالرحمن بن محمد، أخبرنا عبدالله بن أحمد، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا آدم، حدثنا [الليث][(٦)]، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله[(٧)] ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات. وابن كثير في تفسيره ٤/ ٤٠٨.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٣٩) مطولاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: ويد. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: أبو قت. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة لفظة: "أبو"، وهو خطأ.

(٧) في ب: النبي.

كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسُمْعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»(١). هذا حديث صحيح أخرجه البخاري هكذا. وهو حديث طويل أخرجه مسلم بطوله.

وقال مقاتل بن سليمان(٢): قال عبدالله بن مسعود في هذه الآية: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ وقال: عن ساقه اليمين فتضيء من نور ساقه الأرض، فذلك قوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ [الزمر:٦٩].

وهذا إن ثبت عن ابن مسعود من طريق يُوثق به غير طريق مقاتل فمقبول، وإلا فمقاتل لا يثبت [حديثه عند](٣) أهل العلم بالحديث.

[وقد](٤) أشرنا إلى مذهب أهل السنة في هذه الآية تأويلاً وسكوتاً.

ومذهب الوَرِعين عن الخوض في تأويلها أسلمُ المذهبَيْن، وأشبه بأصول صاحب المذهب، الإمام أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، رضي الله عنه، ورزقنا الاهتداء بأنواره، والاقتداء بآثاره.

قوله تعالى: ﴿ويدعون إلى السجود﴾ قال أهل التفسير: يسجد الخلق كلهم سجدة واحدة، ويبقى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا ﴿فلا يستطيعون﴾ كأن في ظهورهم [سَفَافِيدُ](٥) الحديد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧١ ح٤٦٣٥)، ومسلم (١/ ١٦٧-١٦٨ ح١٨٣).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٠).

(٣) في الأصل: حدثه. والتصويب والزيادة من ب.

(٤) في الأصل: وهذا قد. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: سافيد. والتصويب من ب.

قال النقاش: ليس ذلك بتكليف لهم أن يسجدوا وهم عجزة، ولكنه توبيخ لهم [بتركهم][1] السجود[2]، -يعني: في الدنيا-.

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ أي: ذليلة أبصارهم، تعلوهم كآبة إذا عاينوا العذاب، ﴿وقد كانوا يدعون إلى السجود﴾ يعني: بالأذان في دار الدنيا ﴿وهم سالمون﴾ [أصحاء][3] في أصلابهم، التي هي اليوم كأنّ فيها السفافيد.

قال سعيد بن جبير: يسمعون "حي على الفلاح" فلا يجيبون[4]. وهذا تهديدٌ شديدٌ للمتخلّفين عن الصلوات في الجماعات.

قوله تعالى: ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ أي: خَلِّ بيني وبين من يكذب بهذا القرآن.

وما بعده إلى قوله: ﴿أم تسألهم أجراً﴾ مُفسّر في أواخر الأعراف[5].

وقوله: ﴿أم تسألهم﴾ إلى آخر الآيتين مُفسّر في الطور[6].

فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ

---

(١) في الأصل: تركهم. والتصويب من ب.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤١-٣٤٢).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرج نحوه الطبري (٢٩/ ٤٣) ولفظه: يسمع المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤١).

(٥) عند الآية رقم: ٣٩-٤٠.

(٦) عند الآية رقم: ١٨٢-١٨٣.

رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ هذ أمرٌ للنبي ﷺ [بالصبر][(١)] على ما حكم به سبحانه وتعالى من تأخير العذاب عنهم.

﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وهو [يونس][(٢)] عليه السلام ﴿إذ نادى﴾ في بطن الحوت: "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"، ﴿وهو مكظوم﴾ مملوءٌ غمًّا وكرباً.

والمعنى: لا يُوجد منك ما وُجد منه من الغضب والضجر والعجلة، فتُبتلى ببلائه.

وقيل: المعنى: اذكر إذ نادى.

﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ وقرأ ابن مسعود: "تَدَارَكَتْهُ"[(٣)]؛ لتأنيث النعمة، وحَسُنَ التذكير على قراءة الجمهور [للفصل][(٤)].

والمعنى: لولا أن تداركته رحمة من ربه وتوبة.

﴿لنبذ بالعراء﴾ أي: لأُلْقِيَ[(٥)] بالصحراء. وقد سبق تفسيره في

---

(١) في الأصل: باصبر. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: نس. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٤٣)، والدر المصون (٦/ ٣٥٩).

(٤) في الأصل: للفضل. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل زيادة قوله: في.

الصافات[١].

قال الزجاج[٢]: المعنى: أنه قد نُبذ بالعراء وهو غير مذموم، ويدل على ذلك: أن النعمة قد شَمِلَتْه.

وقال ابن جريج: "النبذ بالعراء": وهو أرض المحشر. المعنى: أنه كان يبقى مكانه إلى يوم القيامة[٣].

﴿فاجتباه ربه فجعله من الصالحين﴾ قال ابن عباس: ردّ إليه الوحي، وشفَّعه في قومه وفي نفسه[٤].

قوله تعالى: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ "إنْ" هي المخففة من الثقيلة بإضمار الشأن، واللام هي الفارقة بينها وبين النافية.

وقرأ نافع: "ليَزلقونك" بفتح الياء[٥]، وهما لغتان، يقال: زَلَقَه وأَزْلَقَه عن المكان؛ إذا نحّاه عنه. واللازم منه: زَلِقَ، مثل: سَمِعَ.

قال [ابن][٦] السائب وجماعة من المفسرين: قصد الكفار أن يصيبوا رسولَ الله ﷺ بالعين، وكان فيهم رجل يمكث اليومين والثلاثة لا يأكل شيئاً ثم يرفع جانب خبائه، فتمرُّ به النعم فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهبُ

---

(١) عند الآية رقم: ١٤٥.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٢)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٧).

(٦) زيادة من ب.

إلا قليلاً حتى يسقط منها عِدَّة، فسأله الكفار أن يُـصيبَ رسـول الله ﷺ بـالعين، فعصمه الله تعالى منه[١]، وأنزل هذه الآية[٢].

وأبى الزجاج[٣] هذا القول [وقال][٤]: التأويل: أنهم من شدة إبغاضهم لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك. وهذا مستعملٌ في الكـلام، يقول القائل: نظر إليّ فلان نظراً يكاد يصرعني به، ونظـراً يكـاد[٥] يـأكلني فيـه، وتأويله كله: أنه [نظر][٦] نظراً لو أمكنه معه أكلي، أو أن يصرعني؛ لفَعَل.

قال[٧]: وهذا بينٌ واضح.

وقال ابن قتيبة[٨]: ليس يريد أنهم يصيبونك بأعينهم كما يُصيب العاين بعينه ما يُعجبه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك -إذا قرأت القرآن- نظراً شـديداً بالعـداوة

---

(١) قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤١٠): وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل، كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.
وقد روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٩ ح٢١٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "العين حق، ولو كان شيء سَابَقَ القَدَرَ سَبَقَته العين، وإذا اسْتُغْسِلتُم فاغْسِلُوا".
قلت: وقد أورد الحافظ رحمه الله طائفة كثيرة من الأحاديـث التـي تثبـت تـأثير العـين والحسد، فراجعها في التفسير (٤/ ٤١٠-٤١٣).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٤٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٢).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: كاد.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أي: الزجاج في معانيه (٥/ ٢١٢).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٢).

والبغضاء، يكاد يُسقط، كما قال الشاعر:

.... نظراً يُزيل مواطئ الأقدام[١]

ويدل على صحة هذا المعنى: أن الله تعالى قرن هذا النظر بسماع القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿لما سمعوا الذكر﴾ وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة، فيحُدُّون النظر إليه بالبغضاء، والإصابة بالعين تكون مع الإعجاب والاستحسان[٢]، ولا تكون مع البُغض.

وعبارات العلماء متقاربة.

المعنى: ليزلقونك، أي: لينفذونك بأبصارهم[٣]، قال: ويقال: زَهَقَ السهم وزَلَق: إذا نفذ.

وقال الكلبي: يَصْرَعُونك[٤].

وروي عنه: يصرفونك عما أنت عليه من تبليغ الرسالة[٥].

---

(١) عجز بيت وصدره: (يتقارضون إذا التقوا في موطن). ويروى: "مجلس" بدل: "موطن". وهو في: اللسان (مادة: قرض، زلق)، والقرطبي (١٨/ ٢٥٦)، وزاد المسير (٨/ ٣٤٤)، والبحر (٨/ ٣١١)، وتاج العروس (مادة: قرض، زلق)، وروح المعاني (٢٩/ ٣٨)، والحجة للفارسي (٤/ ٥٨)، وتهذيب اللغة (٨/ ٣٤٢، ٤٣٢)، ومقاييس اللغة (٣/ ٢١).

(٢) في ب: والاستحباب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦). وذكره الماوردي (٦/ ٧٤).

(٥) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦)، والبغوي (٤/ ٣٨٤).

وقال المؤرج: يرمونك[١].

وقال ابن كيسان: يقتلونك. وروي عن الحسن أيضاً مثله[٢].

وقال قتادة: يُزهقونك[٣].

وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس: "ليُزهقونك"[٤]، من زَهَقَت نفسه وأزهقها.

وباقي السورة ظاهر ومُفسّر. والله أعلم.

(١) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦) ولفظه: يزيلونك.

(٢) ذكره القرطبي (١٨/ ٢٥٦).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٤٦)، والبحر (٨/ ٣١١).

سورة الحاقة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي كالسورة التي قبلها في العدد[1] وموضع [النزول][2].

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ
بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ
بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ
فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ
بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوۡاْ
رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلۡمَآءُ حَمَلۡنَٰكُمۡ فِي ٱلۡجَارِيَةِ
﴿١١﴾ لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ ﴿١٢﴾

قال الله تعالى: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ قال المفسرون: الحاقة: الساعة[3].

قال الفراء[4]: سميت بذلك؛ لأن فيها حوّاق الأمور.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٣).

(٢) في الأصل: النزويل. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٧-٤٨).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٧٩).

وقال الزجاج[١]: لأنها تُحِقُّ كل إنسان بعمله من خير وشر.

وقال غيره[٢]: "الحاقة": هي الساعة الواجبة الوقوع، الثابتة المجيء.

والرفع على الابتداء، والخبر: "ما الحاقة"[٣].

والمعنى: أي شيء هي الحاقة، على مذهب التفخيم لشأنها، والتعظيم لأمرها، وكذلك قوله: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾. وهذا لا يختص بالمدح، بل هو [جارٍ][٤] في المدح والذم.

وموضع: "ما الحاقة" في الموضعين: الرفع على الابتداء[٥].

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ قال ابن عباس: القارعة: اسم من أسماء يوم القيامة[٦].

قال مقاتل[٧]: وإنما سميت القارعة؛ لأن [الله][٨] يقرع أعداءه بالعذاب.

وقال غيره[٩]: لأنها تَقْرَعُ الناسَ بالأفزاع والأهوال، والسماءَ بالانشقاق والانفطار، والأرضَ والجبال بالدكّ والنسف، والنجومَ بالطمس والانكدار.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٣).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٢).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦١).

(٤) في الأصل: جائز. والمثبت من ب.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦١).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٥).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٢).

(٨) زيادة من (ب)، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٩) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٢).

ووُضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة؛ زيادة في وصف شدتها.

﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ قال ابن عباس ومجاهد: بطغيانهم وكفرهم(١).

وفاعلة تأتي بمعنى المصادر؛ كالخائنة [والعافية](٢) والعاقبة.

وقال قتادة: بالصيحة الطاغية. وذلك أنها جاوزت مقدار الصياح(٣).

وقال ابن زيد: الطاغية: عاقر الناقة(٤).

والريح الصرصر مفسرة في سورة حم السجدة(٥)، والعاتية: التي جاوزت المقدار.

وجاء في التفسير: أنها عتت على الخزّان، فخرجت بلا كيل ولا وزن(٦).

﴿سخرها عليهم﴾ التسخيرُ: استعمالُ الشيء على وجه الاستعلاء والاقتدار.

والمعنى: سلّطها عليهم.

﴿سبع ليال وثمانية أيام حُسُوماً﴾ قال ابن عباس: تباعاً(٧).

قال الفراء(٨): الحُسُوم: التتابع.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٤٩). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٤).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦).

(٥) عند الآية رقم: ١٦.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٠) عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٦٤).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٥) وعزاه لابن جرير.

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٨٠).

وقال الزجاج[١]: الذي تُوجبه اللغة في معنى قوله: "حسوماً"، تحسمهم حسوماً[٢] أي: تُفنيهم وتُذهبهم.

فعلى معنى[٣] قول الزجاج: هو مصدر؛ كالشكور والكفور، أو هو صفة، أي: ذات حسوم، أو هو مفعول له، تقديره: سخرها عليهم للاستئصال[٤].

وقُرئ شاذاً: "حَسُوماً" بفتح الحاء[٥]، فيكون حالاً من الريح، أي: سخّرها عليهم مستأصلة.

وقال غيره[٦]: هو جمع حاسم؛ كشاهد وشهود، وقاعد وقعود.

فالمعنى: أنها نحسات حَسَمَت كلَّ خير، واستأصَلَتْ كلَّ بركة، وهي الأيام التي تُسميها العرب أيام الأعجاز، وأيام العُجُز، وهي آخر الشتاء.

وقيل: أيام العجوز، وذلك أن عجوزاً من عادٍ تـوارت في سَرَبٍ، فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها، وأنشدوا فيها:

كُسِعَ الشِّتَاءُ بسبعةٍ غُبْرِ ... أيامِ شَهْلَتِنَا مِنَ الشَّهْر
فإذا انقضتْ أيامُ شَهْلَتِنَا ... بالصِّنِّ والصِّنَّبْرِ والوَبْر
وبِآمِرٍ وأخِيهِ مُؤْتَمِرٍ ... ومُعَلِّلٍ وبِمُطْفِئِ الجَمْر

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٤).
(٢) قوله: تحسمهم حسوماً، سقط من ب.
(٣) قوله: معنى، سقط من ب.
(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٦٢).
(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣١٦)، والكشاف (٤/ ٦٠٣).
(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٣).

ذهَبَ الشتاءُ مُوَلِّياً هَرَباً وأَتَتْكَ وَاقِدَةٌ مِنَ الحَرِّ[(١)]

قال الزمخشري[(٢)]: ويقال: ومكفيء الظعن.

قلتُ: فعلى هذا؛ تكون ثمانية أيام، كما في كتاب الله عز وجل، والأكثرون لم يذكروا هذا الاسم الثامن، فتكون الريح أرسلت عليهم في يوم آخر منضماً إلى [الأيام][(٣)] السبعة. والله تعالى أعلم.

﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أي: هلكى ﴿كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾ أي: كأنهم أصول نخل ساقطة.

والنخل يذكّر ويؤنّث، فلهذا قال هاهنا: "خاوية"، وقال في سورة القمر: ﴿نخل منقعر﴾ [٢٠].

﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ أي: من بقاء؛ كالطاغية بمعنى الطغيان، أو بقية، أو من نفس باقية.

قوله تعالى: ﴿وجاء فرعون ومن قَبْلَهُ﴾ قرأ أبو عمرو والكسائي: "قِبَلَهُ" بكسر القاف وفتح الباء، على معنى: ومن عنده من تبّاعه.

ويؤيده قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب: "ومن معه"[(٤)]. [وقرأ][(٥)] الباقون:

---

(١) الأبيات لابن أحمر. انظر: المزهر في علوم اللغة (١/ ٢٤٣)، وثمار القلوب (ص:٣١٤)، واللسان (مادة: كسأ، أمر، عجز، علل)، والقرطبي (١٨/ ٢٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٠٣).

(٣) في الأصل: أيام. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٣٦٢)، والكشاف (٤/ ٦٠٤).

(٥) في الأصل: قرأ. والمثبت من ب.

"قَبْلَهُ" بفتح القاف وسكون الباء[١]، على معنى: ومن تقدمه من كفار الأمم.

﴿والمؤتفكات﴾ قرى قوم لوط، ﴿بالخاطئة﴾: أي: الخطأ العظيم، أو بالفعلة الخاطئة، أي: ذات الخطأ.

﴿فعصوا﴾ يعني: أهل المؤتفكات ﴿رسولَ ربهم﴾ لوطاً، ﴿فأخذهم﴾ الله ﴿أخذة رابية﴾ زائدة في الشدة على الأخذات؛ لشدة قبائحهم، وأصله: من الربا، وهو الزيادة -كما سبق-.

﴿إنا لما طغى الماء﴾ أي: تَجَاوَزَ الحدُّ في الكثرة ﴿حملناكم﴾ وأنتم في أصلاب آبائكم ﴿في الجارية﴾ في السفينة الجارية.

﴿لنجعلها لكم﴾ أي: لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من إغراق قوم نوح ونجاة من نجينا مع نوح في السفينة لكم ﴿تذكرة﴾ عظة وعبرة ﴿وتَعِيَهَا﴾ أي: تحفظها ﴿أذنٌ واعية﴾ من شأنها أن تحفظ وتعي ما سمعتْ، ولا تضيعه بترك العمل به.

قال قتادة: أُذُنٌ سمعت وعقلت عن الله[٢].

قال الزجاج والزمخشري[٣]: فكلُّ ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته، كقولك: أوعيتُ الشيء في الظرف.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٥-٢١٦)، والكشاف (٤/ ٦٠٤).

فإن قلت: لم قال: "أذن واعية"، على التوحيد والتنكير؟

قلتُ: للإيذان بأن الوعاة فيهم قِلَّة، ولتوبيخ الناس بقِلَّة من يَعِي منهم.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء العكبري اللغوي لابن كثير من رواية نظيف، عن قنبل عنه، [ومن][1] طريق النهرواني، عن ابن بلال الكوفي، عن ابن فرح، عن البزي عنه: ["وتعْيَها"][2] بسكون العين للتخفيف[3]، كما في "أَرِنَا"، وفي قولهم: كبد وعضد.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ عامة القرّاء قرؤوا: "نفخةٌ واحدةٌ" بالرفع، على ما لم يُسَمَّ فاعله.

وقرأ أبو [السَّمَّال][4]: "نفخةً" بالنصب[5]، أقام الجار والمجرور مقام ما لم يُسَمَّ فاعله.

---

(١) في الأصل: من. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: تعيها. والتصويب من ب.

(٣) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٦٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

(٤) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣١٧)، والدر المصون (٦/ ٣٦٣).

وحَسُنَ التذكير في "نفخ"؛ لوقوع الفصل، أو لأن التأنيث في "نفخة" ليس بحقيقي.

قال عطاء: هي النفخة الأولى[١]؛ لأن عندها خراب هذا العالم.

وقال ابن السائب ومقاتل[٢]: هي النفخة الثانية؛ لقوله تعالى: ﴿يومئذ تعرضون﴾ [الحاقة:١٨] عقيب ذكر النفخة.

ويجاب عن هذا بأن يقال: المراد بقوله: "يومئذ" الحين الواسع الذي يقع فيه [النفختان][٣] والنشور والحساب، كما تقول: رأيته في عام كذا، أو في يوم كذا، وإنما كانت رؤيتك إياه في جزء منه.

﴿وحُمِلَتِ﴾ وقرأتُ لابن عامر من رواية الوليد بن عتبة عنه: "وحُمِّلَتِ" بتشديد الميم[٤].

والمعنى: وقُلعت جملة الأرض وجملة الجبال من أماكنها.

﴿فدُكَّتا دكةً واحدة﴾ أي: كُسِرَتا كَسْرةً واحدة حتى تندقّ. وقد أشرنا إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿جعله دكاً﴾ [الأعراف:١٤٣].

والمراد: أنها تصير أرضاً واحدة مستوية، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

﴿فيومئذ وقعت الواقعة﴾ قامت القيامة، ﴿وانشقت السماء﴾ لنزول من فيها

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٨).

(٢) ذكره مقاتل (٣/ ٣٩٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٤٨).

(٣) في الأصل: النفخات. والمثبت من ب.

(٤) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٢)، والدر المصون (٦/ ٣٦٣).

من الملائكة ﴿فهي يومئذ واهية﴾ ضعيفة.

قال الفراء[١]: وَهْيُها: تَشَقُّقُها.

وقال مقاتل[٢]: واهية من الخوف.

﴿والمَلَكُ﴾ اسم جنس، يريد: الملائكة ﴿على أرجائها﴾ على جوانبها ونواحيها.

قال الزجاج[٣]: رجا كل شيء: ناحِيَتُهُ، مَقْصُورٌ، والتَّثْنِيَة: رَجَوان، والجمع: أرْجاء.

قال الضحاك: إذ انشقت السماء [كانت][٤] الملائكة على حافاتها، حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون، فيحيطون بالأرض وبمن عليها[٥].

﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ أي: فوق رؤوس الحَمَلَة، أو فوق الذين على أرجائها، أو فوق أهل القيامة.

﴿يومئذ ثمانية﴾ جاء في الحديث: «أنهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أمدّهم الله [بأربعة][٦] أملاك آخرين»[٧]. وهذا قول جمهور المفسرين[٨].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٨١).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٦).

(٤) في الأصل: فكانت. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠).

(٦) في الأصل: أربعة. والتصويب من ب.

(٧) وهو حديث مشهور بحديث الصور، الطويل. أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٢١-٨٣٧ ح٣٨٦).

(٨) ذكره الطبري (٢٩/ ٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٧٠).

قال العباس بن عبد المطلب: ثمانية أملاك على صورة الأوعال[١].

وفي الحديث: «ما بين أظلافهم إلى رُكَبِهم ما بين سماء إلى سماء»[٢].

وقال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: ثمانية [صفوف][٣] من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى[٤].

وفي سنن أبي داود من حديث جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «أذن الله لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله عز وجل، من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»[٥].

﴿يومئذ تعرضون﴾ على الله للحساب ﴿لا تخفى منكم خافية﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: "لا يخفى" بالياء[٦].

والمعنى: لا يخفى منكم نفس خافية، أو فعلة خافية.

وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «يُعرض

---

(١) أخرجه الحاكم (٢/ ٤١٠ ح٣٤٢٩، ٢/ ٥٤٣ ح٣٨٤٨)، وأبو يعلى في مسنده (١٢/ ٧٤ ح٦٧١٢)، والخطيب في تالي التلخيص (٢/ ٤٨٩-٤٩٠ ح٢٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وعثمان بن سعيد والدارمي في الرد على الجهمية وأبي يعلى وابن المنذر وابن خزيمة وابن مردويه والحاكم وصححه والخطيب في تالي التلخيص.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣١ ح٤٧٢٣).

(٣) في الأصل: صوف. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٥٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٠) كلاهما عن ابن عباس. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٠).

(٥) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٢ ح٤٧٢٧).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧١٨)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٨٩)، والإتحاف (ص:٤٢٢)، والسبعة (ص:٦٤٨).

الناس يوم القيامة ثلاث عَرَضَات، فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخذٌ بيمينه وآخذٌ بشماله»[١].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾ هاء: صوت يُصوَّتُ به، يُفْهَمُ منه: خُذْ.

قال الكسائي: العرب تقول للواحد: هاءَ، وللاثنين: هَاؤُما، وللثلاثة: هَاؤُم[٢].

وقال الزجاج[٣]: "هَاؤُم" أمرٌ للجماعة، بمنزلة: هاكُمُ، تقول [للواحد][٤]: هاءَ، وللاثنين: هَاؤُما يا رجلان، وللثلاثة: هَاؤُم يا رجال، وللمرأة: هاءِ يا امرأة -بكسر الهمزة-، وللاثنتين: هاؤُما، وللجماعة: هاؤُنّ.

وقال ابن قتيبة[٥]: "هاؤُم": بمعنى: هَاكُم، فأبدلت الواو[٦] من الكاف.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٨٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٤) في الأصل: للوحد. والتصويب من ب.

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٤).

(٦) في تفسير غريب القرآن: الهمزة.

قال المفسرون: إنما يقول هذا ثقة بسلامته وسروراً بنجاته[١].

﴿إني ظننت﴾ أيقنت وعلمت في الدنيا ﴿أني مُلاق حسابيه﴾ يريد: الإخبار بأن سبب نجاته وإعطائه كتابه بيمينه؛ إيمانه في الدنيا بالبعث والحساب.

قرأ يعقوب: "كتابيه" و"حسابيه" في الموضعين، وكذلك: "ماليه وسلطانيه" بحذف الهاء في الوصل في المواضع الستة، وافقه حمزة في: "ماليه" و"سلطانيه"، والهاء فيهن للسَّكْت، فلذلك أسقطها يعقوب في الوصل، وهو الوجه. والباقون اتبعوا المصحف[٢].

قال الزجاج[٣]: الواجب أن يُوقف على هذه الهاءات ولا توصل؛ لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل، ولا أُحب مخالفة المصحف، ولا أن أقرأ وأثبت الهاءات في الوصل. وهذه رؤوس آيات، فالصواب أن يوقف عندها.

قال[٤]: وكذلك قوله: ﴿وما أدراك ما هيه﴾ [القارعة:١٠].

قوله تعالى: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي: في حالة من العيش يرضاها، أو ذات رضاً، مثل: لاَبِنٍ، وتَامِرٍ.

قال الزمخشري[٥]: "راضية" منسوبة إلى الرضا؛ كالدارع والنابل، والنسبة

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٢).

(٢) انظر: الحجة لابن زنجلة (ص:٧١٩)، والكشف (١/ ٣٠٧)، والنشر (٢/ ١٤٢)، والإتحاف (ص:٤٢٢-٤٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٤) أي الزجاج.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٠٧).

نسبتان: نسبة بالحرف، ونسبة [بالصيغة][١]. أو جعل الفعل لها مجازاً وهو لصاحبها.

قال أبو هريرة وأبو سعيد يرفعانه: إنهم يعيشون فلا يموتون [أبداً][٢]، ويصحّون فلا يمرضون أبداً، وينعمون فلا يرون بؤساً أبداً، ويشبون فلا يهرمون أبداً[٣].

﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان والمنازل والدرجات والأشجار.

﴿قطوفها دانية﴾ ثمارها قريبة، ينالها القاعد.

وقد سبق هذا المعنى في سورة الرحمن[٤].

﴿كلوا واشربوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا واشربوا، ﴿هنيئاً﴾ صفة مصدر محذوف، تقديره: أكلاً وشرباً هنيئاً.

﴿بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ أي: بما قدمتم في الأيام الماضية من الأعمال الصالحة.

وعن مجاهد: أيام الصيام[٥].

وفي كتاب الزهد للإمام أحمد من زيادات ابنه عبدالله بإسناده، عن يوسف بن يعقوب الحنفي قال: بلغنا أن الله تعالى يقول يوم القيامة: يا أوليائي طال ما نظرت

---

(١) في الأصل و ب: بالصفة. والتصويب من الكشاف (٤/ ٦٠٧).

(٢) زيادة من المصادر التالية.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ٨٤)، والقرطبي (١٨/ ٢٧٠).

(٤) عند الآية رقم: ٥٤.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٧).

إليكم في الدنيا وقد قلصت [شِفَاهُكُم][1] عن الأشربة، وقد غارت [عيونكم][2]، وخَمَصَت بطونكم، فكونوا اليوم في نعيمكم، وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية[3].

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ قال ابن السائب: تُلوى يدُه اليسرى خلفَ ظهره، ثم يُعطى كتابه، ﴿فيقول﴾ حين يقف على تلك الفضائح والقبائح: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه﴾[4].

كان بعض السلف [يقول][5]: لو خُيرت بين أن أكون تراباً وبين أن أُحاسب

---

(١) في الأصل: شفاكم. والتصويب من ب.

(٢) في ب: أعينكم.

(٣) لم أقف عليه في المطبوع من الزهد للإمام أحمد. وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٧٢) وعزاه لابن المنذر.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٨٩).

(٥) زيادة من ب.

ثم أدخلَ الجنة، لاخترت أن أكون تراباً[١].

﴿يا ليتها﴾ يعني: الموتة التي ماتها في الدنيا ﴿كانت القاضية﴾ القاطعة لأثـره. تمنى أنه لم يُبعث. وقيل: يتمنى الموت في ذلك اليوم.

قال قتادة: تمنى الموت ولم يكن عنده في الدنيا شيء أكره من الموت[٢].

﴿ما أغنى عني﴾ نفي [أو][٣] استفهام بمعنى الإنكار، تقديره: أيُّ شيء أغنى عني اليوم ما كان لي في الدنيا من المال.

﴿هلك عني سلطانيه﴾ ذهب عني تسلطي واقتداري.

وقال جمهور المفسرين وأهل المعاني: السلطان: الحجة[٤].

قال الزجاج[٥]: قيـل للأمـراء سـلاطين؛ لأنهـم الـذين تُقـام بهـم الحجـجُ والحُقُوق.

والمعنى: ضَلَّتْ عني حجتي.

قال مقاتل[٦]: حين [شهدت][٧] عليه الجوارح بالشرك.

فيقول الله حينئذ: ﴿خذوه فغلُّوه * ثم الجحيم صلُّوه﴾ أي: اجعلـوه يَـصْلَى

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء (ص:٤٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣). وذكره الماوردي (٦/ ٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٢٧٣).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢١٧).

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٤).

(٧) في الأصل: شدت. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

النار.

﴿ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ قال ابن عباس: بذراع المَلَك[١].

وقال نوف البِكَالي: كُلُّ ذراع سبعون باعاً، الباعُ أبعد مما بينك وبين مكة، وكان في رحبة الكوفة[٢].

وقال سفيان: كل ذراع سبعون ذراعاً[٣].

وقال الحسن: الله أعلم أيّ ذراع هو[٤].

وقال مقاتل[٥]: سبعون ذراعاً بالذراع الأول.

قال كعب: لو جُمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها[٦].

وفي حديث عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رصاصة مثل هذه -وأشار إلى جمجمة- أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة عام لبلغت إلى الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣-٦٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٦٣)، وابن المبارك في الزهد (ص:٨٣)، وهناد في الزهد أيضاً (١/ ١٨١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٣-٢٧٤) وعزاه لابن المبارك وهناد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٧).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٤).

(٦) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٤) وعزاه لابن المبارك وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

أربعين خريفاً، الليل والنهار، قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها»[١].

وقال سويد بن نجيح[٢]: بلغني أن جميع أهل النار في تلك السلسلة[٣].

ومعنى: "اسلكوه": اجعلوه فيها.

قال ابن السائب: كما يُسلك الخيط في اللؤلؤ[٤].

وجاء في التفسير: أنها تُدْخَلُ من فيه وتُخْرَجُ من دبره[٥].

قال الزمخشري[٦]: ومعنى "ثم": الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم، وما بينها وبين السلك في السلسلة، لا على تراخي المدة.

ثم ذكر السبب الموجب لذلك فقال: ﴿إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض﴾ أي: لا يحث ﴿على طعام﴾ أي: على بذل طعام ﴿المسكين﴾ بمعنى: لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: «أنه كان يحُضُّ امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين، وكان يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان، أفلا [نخلع][٧] نصفها

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٧ ح٦٨٥٦).

(٢) سويد بن نجيح، أبو قطبة، سمع عكرمة، والشعبي، ويزيد الفقير. روى عنه عبد الواحد بن زياد، ومحمد بن عبيد الطنافسي، توفي في شهر رمضان سنة إحدى وتسعين ومائتين (الثقات ٦/ ٤١٢، والإكمال لابن ماكولا ٧/ ٩٤).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٨).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٦٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٣).

(٦) الكشاف (٤/ ٦٠٨).

(٧) في الأصل: نجعل. والتصويب من ب.

الآخر؟»[١].

﴿فليس له اليوم هاهنا حميم﴾ قريب أو صديق يدفع عنه.

ويقال: إن اشتقاقه من الحميم، وهو الماء الحار، كأنه القريب أو الصديق الذي يحترق قلبه لأجله.

﴿ولا طعامٌ إلا من غِسْلِين﴾ وهو صديد أهل النار، وما ينغسل من أبـدانهم من القيح والدم.

قال ابن عباس: لو أن قطرة من غسلين وقعت في الأرض أفسدت على الناس معايشهم[٢].

وقال الضحاك: هو شجر يأكله أهل النار[٣].

﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾ الآثمون أصحابُ الخطايا، وهم الكافرون.

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ "لا" ردٌّ لقول المشركين.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٠٩). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٤) وعزاه لأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر ولفظه: عن أبي الدرداء قال: إن لله سلسلة لم تزل تغلي فيها مراجل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم القيامة تلقى في أعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم، فَحُضِّي على طعام المسكين يا أم الدرداء.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٤٨).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٤).

أي: ليس الأمر كما قالوا من نسبتهم الرسول إلى الشعر والكهانة، أو هي زائدة مؤكدة، وهو مذكور في الواقعة.

﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ أي: بما ترون وما لا ترون، فهو قسم بجميع الكائنات من السماوات، والملائكة، والعرش، والجنة والنار، والأرض، والإنس والجن، والدنيا والآخرة.

وقيل: هو قسم بالخالق والمخلوق.

وقيل: ما أظهر عليه الملائكة وما استأثر بعلمه.

وقيل: ما تبصرون من آثار القدرة، وما لا تبصرون.

وقيل: أراد الأرواح والأجسام.

﴿إنه﴾ يعني: القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ وهو محمد ﷺ، في قول جمهور المفسرين.

وقال ابن السائب: جبريل عليه السلام(١).

والأول أصح؛ لقوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ والمعنى: إنه لقول رسول كريم جاء به من عند الله.

ودلّ على هذا المحذوف ذكر الرسول، فإنه يستدعي مُرْسِلاً، وهو الله تعالى.

﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما زعم أبو جهل، ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾.

﴿ولا بقول كاهن﴾ كما زعم عقبة بن أبي معيط.

﴿قليلاً ما تذكرون﴾ وقرأ ابن كثير وابن عامر: "يذكرون" و"يؤمنون" بالياء

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٨٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٤).

فيهما[١]، حملاً على قوله: ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾.

قال الزجاج[٢]: "ما" مؤكدة، وهي لغوٌ في باب الإعراب. والمعنى: قليلاً يذَّكَّرون وقليلاً يؤمنون.

وقال غيره: القلَّة في معنى العدم، أي: لا يؤمنون ولا يذَّكَّرون البتة، على معنى: ما أكفركم وما أغفلكم.

﴿تنزيل﴾ أي: هو تنزيل ﴿من رب العالمين﴾.

وقرأ أبو [السَّمَّال][٣]: "تنزيلاً" بالنصب على المصدر[٤].

أخرج الإمام أحمد رضي الله عنه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «خرجتُ أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم، فوجدتُّه قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجبُ من تأليف القرآن، فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش، فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ قال: قلت: كاهن، قال: ﴿ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين... إلى آخر السورة﴾ قال: فوقع الإسلام في قلبي كل موقع»[٥].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٥٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٠)، والكشف (٢/ ٣٣٣)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٤٨-٦٤٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٣) في الأصل: السماك. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٢٢)، والدر المصون (٦/ ٣٧٠).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ١٧ ح١٠٧).

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

قوله تعالى: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ أي: لو تكلّف قولاً من تلقاء نفسه ونسبه إليه.

﴿لأخذنا منه باليمين﴾، قال الزجاج[1]: بالقُدرة والقوّة. قال الشماخ:

إذا ما رايةٌ رُفعت لِمَجْدٍ تَلَقَّاها عَرَابَةُ باليمين[2]

وهذا قول الفراء[3] والمبرد وعامة أهل البيان.

قال ابن قتيبة[4]: إنما أقامَ اليمين مُقامَ القوة؛ لأن قوة كل شيء في مَيامنه.

﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو عرْق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب[5].

والمفسرون يقولون: هو نِياط القلب، فإذا انقطع مات صاحبه.

وقيل: هو القلب.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٢) البيت للشماخ بن ضرار المري. وهو في: اللسان (مادة: عرب، يمن)، والطبري (٢٣/ ٤٩)، والقرطبي (٥/ ٢٠، ٨/ ٢٥١، ١٤/ ١٤٧، ١٥/ ٧٥، ٢٧٨، ١٨/ ٢٧٥)، والماوردي (٥/ ٤٥).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٨٣).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٥٤).

(٥) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب (المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٣).

وقال ابن السائب: هو عرق بين العلباء والحلقوم[١]، وأنشدوا للشمَّاخ:

إذا بَلَّغْتِنِي وحملْتِ رَحْلِي عَرَابةَ فاشْرَقِي بدَمِ الوَتِين[٢]

﴿فما منكم من أحد﴾ "مِنْ" زائدة لتوكيد النفي، ﴿عنه حاجزين﴾[٣] حائلين بينه وبين ما يُفعل به.

والضمير في "عنه": للنبي ﷺ.

وقيل: للقتل.

والخطاب بقوله: "منكم": للناس.

قال الزمخشري[٤]: قيل "حاجزين" في وصف أحد؛ لأنه في معنى الجماعة، وهو اسم يقع في النفي العام، مستوياً فيه الواحد والجميع، والمذكر والمؤنث، ومنه قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة:٢٨٥]، ﴿لستن كأحد من النساء﴾ [الأحزاب:٣٢].

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ مثل قوله: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة:٢]. وقد بيناه في أول البقرة.

﴿وإنا لنعلم أن منكم﴾ خطاب للناس كلهم.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٨٧).

(٢) البيت للشماخ. انظر: ديوانه (ص:٩٢)، وشرح المفصل (٢/ ٣١)، والطبري (٢٩/ ٦٧)، والقرطبي (١٨/ ٢٧٦)، والماوردي (٦/ ٨٧)، والدر المصون (٦/ ٣٧٠)، وزاد المسير (٨/ ٣٥٥)، وروح المعاني (٢٩/ ٥٤).

(٣) في الأصل زيادة قوله: عنه.

(٤) الكشاف (٤/ ٦١٠).

وقيل: خطاب للمؤمنين، على معنى: لنعلم أن [فيكم][١].

﴿مكذبين﴾ بالقرآن والوحدانية والرسالة.

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ إذا رأوا ثواب المصدّقين به.

﴿وإنه لحق اليقين﴾ قال الزجاج[٢]: "لليقين" حق اليقين.

قال الزمخشري[٣]: كقولك: هو العالم حق العالم. والمعنى: لعين اليقين، ومحض اليقين.

وباقي الآية مفسرٌ في آخر الواقعة[٤].

---

(١) في الأصل: منكم. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢١٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٦١٠).

(٤) عند الآية رقم: ٩٥-٩٦.

سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع وأربعون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

قال الله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: "سال" بغير همز[2].

وروى وَرْش من طريق النهرواني: "سايل" بتخفيف الهمزة بين بين هنا فحسب، كالخزاعي عن ابن فليح من طريق ابن كثير[3]. وقرأ الباقون من العشرة: بتخفيف الهمزة فيهما، إلا حمزة إذا وقف، فإنه يبدل من الهمزة ألفاً، سماعاً في هذا على غير قياس.

وكان القياس: أن يجعل الهمزة بين بين، أي: بين الهمزة والألف، كما يفعل في

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٤).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٦١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٠-٧٢١)، والكشف (٢/ ٣٣٤)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٥٠).

(٣) انظر: النشر (٢/ ٣٩٠).

الوقف على: رأى ونأى.

وقد حكى سيبويه[١] البدل في "سال" سماعاً، وأنشد على ذلك أبياتاً، منها قول الشاعر:

سَالَت هذيل رسولَ الله فاحشةً ....[٢]

فمن حقق الهمزة في "سأل" جعله من السؤال وأتى به على أصله، وهو اختيار أكثر القُرّاء.

قال ابن عباس ومجاهد وأكثر المفسرين: السائل: النضر بن الحارث، والذي سأل قوله: ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾[٣] [الأنفال:٣٢].

وقال الربيع بن أنس: هو أبو جهل[٤].

وكان ذلك على وجه الاستهزاء، كما ذكرناه في موضعه.

---

(١) انظر: الكتاب (٣/ ٥٥٤).

(٢) صدر بيت لحسان بن ثابت، وعجزه: (ضَلَّت هذيل بما قالت ولم تصب). انظر: ملحق ديوانه (ص:٣٧٣)، وشرح المفصل (٩/ ١١٤)، والكتاب (٣/ ٤٦٨، ٥٥٤)، والمقتضب (١/ ١٦٧)، والمحتسب (١/ ٩٠)، والحجة للفارسي (١/ ٣٧٨، ٤/ ٦١)، والدر المصون (٦/ ٣٧٣)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٠)، وروح المعاني (٢٩/ ٥٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٣) عن ابن عباس، والحاكم (٢/ ٥٤٥ ح٣٨٥٤) عن سعيد بن جبير. وانظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٦٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد والنسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٧).

ولما كان السؤال متضمناً معنى الدعاء، عدَّاه تعديته فقـال: ﴿بعـذاب﴾ كأنـه قيل: دعا داعٍ بعذاب، من قولك: دعا بكـذا؛ إذا اسـتدعاه وطلبـه، ومنـه قولـه: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ [الدخان:٥٥].

وبعضهم يقول: الباء في "بعذاب" زائدة.

وقوله: ﴿للكافرين﴾ متصل بـ"عذاب" صفة لـه، أي: بعـذاب واقـع كـائن للكافرين. أو بـ"واقع"، على معنى: بعذاب نازل لأجلهم. أو بالفعل، على معنى: دعا للكافرين بعذاب واقع(١).

وقيل: الباء بمعنى عن، كقوله: ﴿فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقـان:٥٩] أي: عنـه، وأنشدوا:

فإن تسأليني بالنساء ....(٢)

أي: عن النساء.

وقد سبق إنشاد البيت في الفرقان.

والمعنى: سأل سائل عن عذاب واقع لمن هو؟ فقال الله تعالى: للكافرين.

وهذا قول الحسن وقتادة قالا: كان هذا بمكة لما بعـث الله تعـالى محمـداً ﷺ، وخوّفهم بالعذاب، فقال بعضهم لبعض: منْ أهلُ هذا العذاب؟ سلوا محمداً لمن هو؟ فقال الله تعالى: للكافرين.

وقيل: هو رسول الله ﷺ، استعجل بعذاب [للكافرين](٣).

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧٣).

(٢) تقدم.

(٣) في الأصل: الكافرين. والمثبت من ب.

ومن قرأ: "سال" بغير همز، احتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون من السؤال، لكن أبدل من الهمزة ألفاً، على ما ذكرناه آنفاً من اللغة المسموعة فيه، وتكون الهمزة في "سائل" أصلية.

الثاني: أن تجعله من سِلْتَ تَسَالُ، لغة في السؤال، كخِفْتَ تَخَافُ، فتكون الألف في "سَالَ" بدلاً من واو، كخَافَ، وتكون الهمزة في "سَايِل" بدلاً من واو؛ كخَايِف.

الثالث: أن تكون من السيل لا من السؤال، فتكون الألف في "سأل" بدلاً من ياء، ككَالَ، وتكون الهمزة في "سايل" بدلاً من ياء.

قال زيد بن ثابت: هو واد في جهنم يقال [له](١): سايل(٢).

ويؤيد هذا قراءة ابن عباس: "سال سيل"(٣).

قوله تعالى: ﴿من الله﴾ يتصل بـ"واقع"، على معنى: بعذاب واقع من الله، أو بـ"دافع"، على معنى: ليس له دافع من جهة الله إذا جاء وقته.

قوله تعالى: ﴿ذي المعارج﴾ أي: المصاعد. وقد ذكرنا فيما مضى أنه جمع: مِعْرَج.

قال مجاهد: هي معارج الملائكة(٤).

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠) عن ابن زيد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٨). وقد استضعف هذا القول ابن كثير (٤/ ٤١٩) وقال: وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول، لدلالة السياق عليه.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٥٨)، والدر المصون (٦/ ٣٧٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠) ولفظه: "معارج السماء". وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

وقال ابن عباس وابن السائب: ذي السماء[١]، وسماها معارج؛ لأن الملائكة تعرج إليها[٢].

وقال قتادة: ذي الفضائل العالية[٣].

وقيل: ذي الدرجات العالية، يُعطيهن من يشاء من خلقه.

والأول أصح، ألا تراه وصف المصاعد وبُعْدَ مداها فقال: ﴿تعرج الملائكة﴾.

وقرأ الكسائي: "يَعْرُجُ" بالياء[٤]؛ لأن تأنيث الجمع غير حقيقي.

﴿والروح﴾ وهو جبريل، في قول جمهور المفسرين[٥].

وقال قبيصة: هو روح الميت حين يُقبض[٦].

﴿إليه﴾ أي: إلى الله تعالى، ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

قال محمد بن إسحاق: لو سار بنو آدم من الدنيا إلى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه[٧].

وقال ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والقرظي وجمهور المفسرين: يعني:

---

(١) في ب: السموات.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥١).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٧٨) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢١)، والكشف (٢/ ٣٣٥)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٣)، والسبعة (ص:٦٥٠).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٧٠)، والماوردي في تفسيره (٦/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٩٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٥٩).

(٧) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٣٩٢).

يوم القيامة[(١)].

ويؤيده ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري قال: «قيل لرسول الله ﷺ: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ما أطول هذا اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده! إنه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة يُصلِّيها في الدنيا»[(٢)].

وهذا مقدار ما بين البعث إلى الفصل بين الخلاق، وإلا فهو يومٌ لا آخِرَ له.

فعلى هذا القول: يتعلق قوله: ﴿في يوم﴾ بقوله: "ليس له دافع" أي: ليس له دافع من الله في ذلك اليوم، أو [بقوله][(٣)]: "بعذاب واقع"، على معنى: سأل سائل بعذاب واقع في ذلك اليوم.

قوله تعالى: ﴿فاصبر﴾ متعلق بقوله: "سأل سائل"؛ لأن ذلك كان [منه][(٤)] على سبيل الاستهزاء برسول الله ﷺ، وذلك مما يوجب تألّمه وتضجّره، فأمر بالصبر عليه.

فإن قيل: كيف يتعلق به على قراءة من قرأ "سَالَ" بغير [همز][(٥)]، على

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٤). وذكره الماوردي (٦/ ٩٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٧٩-٢٨٠) وعزاه لابن أبي حاتم والبيهقي في البعث عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن عكرمة، وعزاه لابن مردويه. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٥ ح١١٧٣٥).

(٣) في الأصل: فقوله. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: فيه. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: ألف. والمثبت من ب.

[معنى][1] أنه وادٍ في جهنم؟

قلتُ: معناه قَرُبَ العذاب منهم فاصبر ﴿صبراً جميلاً﴾ لا جزع فيه. وقد فسرناه في يوسف[2].

﴿إنهم يرونه﴾ يعني: يرون العذاب الواقع، أو يوم القيامة ﴿بعيداً﴾ غير كائن، ﴿ونراه قريباً﴾ كائناً. وكل ما [هو][3] آت فهو قريب.

يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

ثم أخبر عن زمان وقوعه فقال: ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ قال ابن عباس: كدُرْدِيّ[4] الزيت[5].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) عند الآية رقم: ١٨.

(٣) زيادة من ب.

(٤) دُرْدِيُّ الزيت: ما يبقى في أسفله (اللسان، مادة: درد).

(٥) أخرجه الطبري (١٥/ ٢٤٠)، وأحمد (١/ ٢٢٣ ح١٩٤٦). وذكره الماوردي (٦/ ٩٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٥/ ١٣٥)، والسيوطي في الدر (٥/ ٣٨٥) وعزاه لابن أبي شيبة وهناد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال عطاء: كَعَكَر القطران[١].

وقال ابن مسعود والحسن: كالفضة [المذابة][٢]. وقد ذكرناه في الكهف[٣].

﴿وتكون الجبال كالعِهْن﴾ قال الزجاج[٤]: العِهْن: الصوف.

وقال ابن قتيبة[٥]: الصُّوف المصبوغ.

قال الحسن: الصوف الأحمر، وهو أضعف الصوف[٦].

وقال مقاتل[٧]: المنْفُوش، وهو [جمع][٨]: عِهْنَة، كصُوفَة وصُوف.

وقال الزمخشري[٩]: "كالعهن" كالصوف المصبوغ ألواناً؛ لأن الجبال جُدد بيضٌ وحمرٌ وغرابيب سود، فإذا بسّت وطيّرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح.

وقال غيره: شبَّهها بالصوف في ضعفها ولينها.

وقيل: شبَّهها به في الخفة إذا سارت.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢).

(٢) مثل السابق. وما بين المعكوفين في الأصل: الذائبة. والمثبت من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٢٩.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٠).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٧).

(٦) ذكره القرطبي في تفسيره (١٨/ ٢٨٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٨).

(٨) زيادة من ب.

(٩) الكشاف (٤/ ٦١٢).

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ قال مقاتل[١]: لا يسأل الرجل قرابته، ولا يكلمه من شدة الأهوال.

وقرأتُ لجماعة، منهم: أبو جعفر: "ولا يُسْأَلُ" بضم الياء[٢].

قال الزجاج[٣]: المعنى: لا يُسْأَل قريب عن قرابته.

قوله تعالى: ﴿يبصرونهم﴾ كلام مستأنف، كأنه قيل: لعله لا يبصره، فقال: يبصرونهم، لكنه منعهم التساؤل ما خَامَرَهُم من أهوال القيامة.

وجُمع الضميران في "يبصرونهم" وهما للحميمين؛ نظراً إلى المعنى؛ لأنه لم يُرد حميمين مخصوصين، بل كل حميمين.

وقرأ جماعة، منهم: قتادة وأبو المتوكل: "يُبْصِرُونهم" بالتخفيف[٤]. من [أبْصَر][٥] يُبْصِر.

﴿يود المجرم﴾ يتمنى أبو جهل وغيره من أضرابه ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه﴾ الذين هم أحبُّ الخلق إليه.

﴿وصاحبته﴾ يعني: زوجته، ﴿وأخيه﴾ الذي هو أعزّ أهله عليه[٦].

﴿وفصيلته﴾ عشيرته القريبة إليه التي فصل منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمُّه انتماءً إليها، أو حَدَباً عليه.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٣٩٨).

(٢) النشر (٢/ ٣٩٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٠).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٦١)، والدر المصون (٦/ ٣٧٦).

(٥) في الأصل: البصر. والتصويب من ب.

(٦) قوله: "عليه" ساقط من ب.

﴿ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ يعني: ذلك الفداء.

قال الزجاج[١]: "كلا" ردعٌ [وتنبيه، أي: لا يرجع أحدٌ من هؤلاء فارتدعوا.

وقال غيره[٢]: "كلا" ردعٌ][٣] للمجرم عن الودادة، وتنبيهٌ على أنه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب.

ولما كان المراد بـ"عذاب يومئذ" النار كنى عنها بقوله: ﴿إنها لظى﴾ قال الفراء[٤]: هو اسم من أسماء جهنم، فلذلك لم يُجرِه.

وقال غيره: معناها في اللغة: اللهب الخالص.

وقال ابن الأنباري: سميت بذلك؛ لشدّة توقُّدِها وتلَهُّبها، يقال: هو يتلظى، أي: يتلهَّب ويتوقَّد[٥].

﴿نَزَّاعةٌ للشَّوَى﴾ أي: هي نزاعةٌ، أو هو خبر بعد خبر لـ"إن"، أو خبرٌ لـ"لظى" إن كان الهاء في "إنها" ضمير القصة والشأن، والجملة خبر "إن"، أو صفة لـ"لظى" إن كان المراد بلظى: اللهب[٦].

وقرأ عمر بن الخطاب وأبو رزين وأبو عبد الرحمن ومجاهد وعكرمة وحفص

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦١٣).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٤).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦١).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٧٦-٣٧٧).

عن عاصم: "نزاعةً" بالنصب[١].

قال الزجاج[٢]: هي حال مؤكدة، كما قال: ﴿هو الحق مصدقاً﴾ [فاطر:٣١].

وقال غيره: على الاختصاص للتهويل[٣].

قال الفراء والزجاج[٤]: الشَّوَى: الأطراف؛ اليدان والرجلان والرأس.

وأُنشد على ذلك:

سَليمِ الشَّظى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسَاء ....[٥]

وقال مجاهد وغيره: الشَّوَى: جمع شِوَاة، وهي جلدة الرأس[٦].

وأنشدوا قول الأعشى:

قَالتْ قُتَيْلَةُ مَا له قَدْ جُلِّلَتْ شَيْباً شَوَاتُه[٧]

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٣)، والكشف (٢/ ٣٣٥)، والنشر (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥٠-٦٥١).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٣) في ب: للتنويل.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٥)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٢١).

(٥) صدر بيت لامرئ القيس، وعجزه: (له حَجَبَاتٌ مُشرفاتٌ على الفال). انظر: ديوانه (ص:٣٦)، واللسان (مادة: شنج، فيل، شظي)، وتاج العروس (مادة: شنج، عبل، فيل، شظي، نسا)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٨).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٨٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) البيت للأعشى، وليس في ديوانه. وهو في: اللسان (مادة: شوا)، والطبري (٢٩/ ٧٦)، والقرطبي (١٨/ ٢٨٨)، والبحر (٨/ ٣٢٥)، والدر المصون (٦/ ٣٧٧)، وروح المعاني (٢٩/ ٦٠)، والمزهر للسيوطي (٢/ ٣٠٩، ٣١١).

وقال الحسن وأبو العالية: الشَّوَى: محاسن الوجه(١).

قال الضحاك: تنزع الجلد واللحم عن العظم(٢).

﴿تدعو من أدبر﴾ عن الحق، ﴿وتولى﴾ أعرض عنه، فتقول: إليّ يا مشرك، إليّ يا منافق، إليّ يا فاسق، إليّ يا ظالم.

وقيل: دعاؤها مجاز عن إحضارهم، كأنها تدعوهم فتُحْضِرُهم، كقول ذي الرمة:

لَيَالِي اللهوِ يَطْبِينِي فَأَتْبَعُهُ ....(٣)

أي: يدعوني، يقال: [أطْبَاه وطَبَاه](٤)؛ إذا دعاه(٥).

وقول أبي النجم:

.... تقولُ للرَّائدِ أعشبتَ انْزِلِ(٦)

وقيل: هو دعاء الزبانية.

﴿وجمع فأوعى﴾ أي: جمع المال [فجعله](٧) في وعاء وكَنَزَهُ ولم يؤدّ حقوقه.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٩٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٢).

(٣) صدر بيت لذي الرمة، وعجزه: (كأنني ضاربٌ في غَمْرةٍ لَعِبُ)، وهو في: اللسان (مادة: ضرب، طبي)، وروح المعاني (٢٩/ ٦١).

(٤) في الأصل: أبطاه وبطاه. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: طبي).

(٦) عجز بيت لأبي النجم، وصدره: (مستأسد أذنابه في عيطل). انظر: اللسان (مادة: عشب، أسد)، والكشاف (٤/ ٦١٣)، والمستقصى في أمثال العرب (١/ ٣٦٤).

(٧) في الأصل: جعله. والتصويب من ب.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ
مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣
وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ
عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۝٢٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٢٩ إِلَّا عَلَىٰٓ
أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٣٠ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٣١ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٣٢ وَٱلَّذِينَ
هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ۝٣٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٣٤ أُو۟لَـٰٓئِكَ
فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ۝٣٥﴾

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً﴾ المراد بالإنسان: الناس، فلذلك استثنى منه [إلا][1] المصلين.

وقيل: المراد بالإنسان: الكافر. فيكون استثناء منقطعاً.

والهَلَعُ: سرعة الجزع عند مسّ المكروه، وسرعة المنع عند مسّ الخير. من قولهم: ناقة هَلُوعٌ: سريعة السير.

قال [المفسرون][2]: ما بعد الهلوع تفسير له.

﴿إذا مسه الشر﴾ وهو الفقر والمرض ونحو ذلك، ﴿جزوعاً﴾ لا يصبر.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: بعض المفسيرين. والتصويب من ب.

﴿وإذا مسه الخير﴾ وهو المال والشّرف ونحوهما ﴿مَنُوعاً﴾ لا يشكر بفعل ما أوجب الله عليه بسبب إحسانه إليه.

ثم استثنى الموحدين فقال: ﴿إلا المصلّين * الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ أي: محافظون على الصلاة المكتوبة، على الوجه المأمور به.

وقال الزجاج[١]: هم الذين لا يُزيلون وجوههم عن سَمت القبلة.

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: هو الذي إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله[٢].

﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ وهو الزكاة المفروضة.

﴿للسائل والمحروم﴾ مُفسّر في الذاريات[٣].

وما بعده مُفسّر في المؤمنين[٤] إلى قوله: ﴿والذين هم بِشَهَادَتِهِم قائمون﴾.

وقرأ حفص: "بشهاداتهم قائمون" على الجمع[٥].

والإفراد أولى؛ لأنه مصدر.

والمعنى: يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها.

وقال سهل: قائمون بحفظ ما يشهدون به، من شهادة أن لا إله إلا الله، فلا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٨٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٤)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤١٩).

(٣) عند الآية رقم: ١٩.

(٤) عند الآية رقم: ٧-٨.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٣-٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٤)، والكشف (٢/ ٣٣٦)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥١).

يُشركون به في شيء من الأقوال والأفعال والأحوال(١).

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ
﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم
مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ
أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ
يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ
إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى
كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

قوله تعالى: ﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ نزلت في جماعة من الكفار جلسوا حول النبي ﷺ يستهزؤون بالقرآن والمؤمنين ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد [لندخلنها](٢) قبلهم(٣).

والمعنى: ما لهم مسرعين نحوك، مادّي أعناقهم إليك، مقبلين بأبصارهم عليك.

وقد ذكرنا معنى الإهطاع في إبراهيم(٤).

---

(١) تفسير سهل التستري (ص:١٧٨).

(٢) في الأصل: لندخلها. والمثبت من ب.

(٣) انظر: أسباب نزول القرآن للواحدي (ص:٤٦٦).

(٤) عند الآية رقم: ٤٣.

﴿عن اليمين وعن الشمال عزين﴾ [جمع: عزة، يريد: جماعات][١] في تفرقة. كأنّ كل فرقة [تعتزي][٢] إلى غير من تعتزي إليه الأخرى.

وفي الحديث: «أن النبي ﷺ خرج على أصحابه يوماً وهم حلق حلق متفرقون، فقال: ما لي أراكم عزين؟»[٣].

فإن قيل: ما إعراب هاتين الآيتين؟

قلتُ: [ما][٤] رُفِعَ بالابتداء، واللام خبره، وفيه ضميره، "قِبَلك": حال من الواو في "كفروا"، "مهطعين" حال بعد حال، وكذلك "عزين"، والتقدير: عزين عن اليمين وعن الشمال. ومن رأى وصف الحال كان "عزين" صفة لـ"مهطعين". ويجوز أن يكون "عزين" حالاً من الضمير في "مهطعين". ويجوز أن يكون "مهطعين" حالاً من الضمير في "قبلك". ويجوز في "قبلك" أن يكون ظرفاً [للام][٥]، أو لـ"مهطعين". ويجوز أن يتعلق "عن اليمين" بمضمر أيضاً في موضع الحال، أو صفة لـ"مهطعين". ويجوز أن يكون صلة لـ"عزين"[٦].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن طمعهم في دخولهم الجنة، وإعلامٌ لهم أنهم لا يدخلونها.

ثم ابتدأ فقال: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ أي: من نطفة، ثم من علقة، ثم من

---

(١) في الأصل: يريد جمع عزة جماعات. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: تعظزى. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه مسلم (١/ ٣٢٢ ح٤٣٠)، وأحمد (٥/ ١٠٧ ح٢١٠٦٥).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: واللام. والتصويب من ب.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٧٩).

مضغة. يشير بذلك إلى أنهم من أصل واحد، ومادة واحدة، وأنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالإيمان والتقوى، فكيف يتعظّمون على المؤمنين ويعتقدون أنهم أولى بالجنة منهم لشرفهم.

قال قتادة في هذه الآية: إنما خُلقت يا ابن آدم من قذر، فاتّق الله تعالى[١].

وفي الحديث: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ثم بزق على كفه ثم قال: يا ابن آدم! أنّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدّلتك مشيت بين بُرْدَين[٢]، وللأرض منك وئيد[٣]، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي[٤] قلت: أتصَدَّقُ، وأنّى أوان الصدقة؟!»[٥].

وقيل: المعنى: إنا خلقناهم مما يعلمون، أي: من أجل ما يعلمون، وهو الطاعة، على حذف المضاف. المعنى: فما عملوا بها فلا يدخلون الجنة.

فإن قيل: هؤلاء كفارٌ فمن أين عَلِمُوا أنهم خُلقوا للطاعة؟

قلتُ: عَلِمُوا ذلك من براهين العقل، وأدلة السمع الواردة على ألْسِنَة الرسل صلى الله عليهم.

وقال صاحب الكشاف[٦]: المعنى: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء؛ فمن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٨٦) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) البَردان والأبردان: الغداة والعشي، وقيل: ظلاّهما (اللسان، مادة: برد).

(٣) الوئيد: شدة الوطء على الأرض كالدَّوي من بُعد (اللسان، مادة: وأد).

(٤) التراقي: جمع ترقوة، وهي: العظم الذي بين ثُغرة النحر والعاتق من الجانبين (اللسان، مادة: ترق).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠)، والحاكم (٢/ ٥٤٥ ح٣٨٥٥) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فقال: صحيح.

(٦) الكشاف (٤/ ٦١٦).

أين يطمعون في دخول الجنة؟

فإن قلت: من أي وجه دلّ هذا الكلام على إنكار البعث؟

قلتُ: من حيث إنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: ﴿خلقناهم مما يعلمون﴾ أي: من النطفة، وبالقدرة على أن [نهلكهم][١]، ونبدل ناساً خيراً منهم، وأنه [ليس][٢] بمسبوق على ما يريد تكوينه، لا يعجزه شيء، والغرض: أن من قَدَرَ على ذلك لا تعجزه الإعادة.

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم﴾ سبق تفسيره.

﴿برب المشارق والمغارب﴾ مشرق كل يوم ومغربه.

﴿وما نحن بمسبوقين﴾ مُفسّر في الواقعة[٣].

والآية التي بعدها مُفسّرة في الطور[٤].

قوله تعالى: ﴿كأنهم إلى نصب يوفضون﴾ قرأ ابن عامر وحفص: "نُصُبٍ" بضم النون والصاد. وقرأ الباقون بفتح النون وسكون الصاد[٥]، واحد نُصْبٍ، كسَقْفٍ وسُقُف، ورَهْن ورُهُن، فالقراءتان بمعنى واحد.

---

(١) في الأصل: نهلكم. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦١٦).

(٣) عند الآية رقم: ٦٠.

(٤) عند الآية رقم: ٤٥.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٤-٧٢٥)، والكشف (٢/ ٣٣٦)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥١).

قال قتادة وغيره: كأنهم إلى شيء منصوب أو غاية جعلت لهم يسرعون[١].

قال ابن جرير[٢]: [تأويله][٣]: كأنهم إلى صنم منصوب يسرعون.

قال الفراء[٤]: الإيفاض: الإسراع، وأنشدوا[٥]:

أَلا أَبْغِهَا نعامةً مِيفَاضَا خَرْجَاءَ ظَلَّتْ تَطْلُبُ الإِضَاضَا[٦]

الميفاض: السريعة، وخرجاء: ذات لونين سوداء وبيضاء، ومعنى الإِضَاض: الموضع الذي يُلجأ إليه. يقال: آضتني الحاجة إليك إضاضاً.

﴿خاشعةً أبصارهم﴾ حال من الضمير في "يوفضون"[٧].

﴿ترهقهم ذلة﴾ يغشاهم هوان. وقد سبق تفسيره مع ما لم أذكره.

﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ أي: يُوعدونه، فحذف العائد من [الصلة][٨] إلى الموصول.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٨٨).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٨٦).

(٥) في ب: وأنشد الزجاج.

(٦) البيت لم أعرف قائله. وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: أضض، وفض)، والطبري (٢٩/ ٨٩)، والبحر المحيط (٨/ ٣٣٠)، والدر المصون (٦/ ٣٨١). وفي جميع المصادر: "لأنعتن" بدل: "ألا أبغها".

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٦٩)، والدر المصون (٦/ ٣٨١).

(٨) في الأصل: أصله. والتصويب من ب.

سورة نوح عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثلاثون آية في المدني، وثمان وعشرون في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾
يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا
يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾
فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟
أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ
إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ
ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾
وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا
تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٥).

قوله تعالى: ﴿أنْ أنذر قومك﴾ "أنْ" مُفسِّرة؛ لأن الإرسال فيه معنى القول، فهي بمعنى: أي.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "أنذر قومك" بغير "أنْ"[١].

وإن شئت قلت: هي "أنْ" الناصبة للفعل، أصله: بأن أنذر قومك، فلما حذف الجار وصل الفعل، فنصب "أنْ"، والتقدير: أرسلناه بأن قلنا له: أنذر.

وقوله تعالى: ﴿أن اعبدوا الله﴾ مثل قوله: ﴿أن أنذر﴾.

﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ قال ابن عباس: هو عذاب النار[٢].

وقال الكلبي: هو الطوفان[٣].

قوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ قال مقاتل[٤] والسدي: "مِنْ" هاهنا صلة.

وقال الزجاج[٥]: دخلت "مِنْ"؛ لتخصيص الذنوب من سائر الأشياء، ولم تدخل لتبعيض الذنوب. ومثله: ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ [الحج: ٣٠].

وقال غيره من أهل المعاني: هي للتبعيض، على معنى: يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم إلى وقت إيمانكم، وذلك بعض ذنوبهم[٦].

﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ وهو أَجَلُ موتهم، يريد: أنهم يُؤَخَّرون إلى

(١) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٩٠-٩١)، والكشاف (٤/ ٦١٨).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٩٨).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ٩١) بلا نسبة، والماوردي (٦/ ٩٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٠). وذكره الماوردي (٦/ ٩٩).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٨).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٩).

انقضاء آجالهم فيموتون بغير عقوبة.

﴿إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾ قال الحسن: هو أجل القيامة[١].

وقال مجاهد: أجل الموت[٢].

وقال السدي: أجل العذاب[٣].

وما بعده ظاهر إلى قوله: ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ فعلوا ذلك؛ لئلا [يسمعوا][٤] صوته، ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ لئلا يروه ﴿وأصروا﴾ على كفرهم ﴿واستكبروا﴾ عن اتباعه ﴿استكباراً﴾.

﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ وهو مصدر في موضع الحال، أي: دعوتهم مجاهراً لهم بالدعاء إلى التوحيد، أو صفة مصدر، تقديره: دعوتهم دعاء جهاراً[٥].

قال ابن عباس: بأعلى صوتي[٦].

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ أي: خلطتُ دعاءَ العلانية بدعاء السر.

قال بعض أهل المعاني[٧]: افتتح بالمناصحة في السر، فلمّا لم يقبلوا ثنّى بالمجاهرة، فلمّا لم يؤثر ثلّث بالجمع بين الإسرار والإعلان.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٦٩).

(٢) مثل السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: يسمعون. والتصويب من ب.

(٥) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧٠).

(٧) هو قول الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦١٩).

ومعنى: "ثم": الدلالة على تباعد الأحوال.

﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾ أي: توبوا إليه من الكفر والمعاصي.

﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ كثيرة الدَّرِّ. وقد ذكرناه في أول الأنعام(١).

قال الشعبي: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي، فلم يزد على الاستغفار حتى رجع، فقالوا له: ما رأيناك استسقيت؟ فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح(٢) السماء التي بها يُستنزل القطر، ثم قرأ: ﴿فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً﴾(٣).

وشكا رجل إلى الحسن الفقر، وآخر قلة ريع أرضه، وآخر الجدب، فأمرهم كلهم بالاستغفار، فقيل له في ذلك، فتلى هذه الآية(٤).

قوله تعالى: ﴿ويمددكم بأموال وبنين﴾ قال المفسرون: حَبَسَ اللهُ القطرَ عنهم، وقَطَعَ نسلَهم ونسلَ دوابهم أربعين سنة.

---

(١) آية رقم: ٦.

(٢) المجَادِيح: واحدها مِجْدَح، والياء زائدة للإشباع، والقياس أن يكون واحدها: مِجْدَاح، فأما مِجْدَح فجمعه: مَجَادِح. والمجدح: نجم من النجوم قيل: هو الدَّبَران. وقيل هو ثلاثة كواكب كالأثافِي؛ تشبيهاً بالمِجْدَح الذي له ثلاث شُعَب، وهو عند العرب من الأنْواء الدّالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشَبَّهاً بالأنواء، مُخاطَبَة لهم بما يعرفونه، لا قوْلاً بالأنْواء.
وجاء بلفظ الجمْع؛ لأنه أراد الأنْواء جَميعها التي يَزعمون أن من شأنِها المطر (النهاية في غريب الحديث ١/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٩٣)، وسعيد بن منصور في سننه (٥/ ٣٥٣ ح١٠٩٥)، وعبدالرزاق في مصنفه (٣/ ٨٧ ح٤٩٠٢).

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٢٠).

﴿ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾ بدل بساتينكم وأنهاركم، فإنها كانت قد هلكت [ويبست][١].

قوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ قال الزجاج[٢]: قيل: ما لكم لا تخافون لله عظمة.

وقيل: لا ترجون عاقبة الإيمان وتوحّدون الله.

وقال الزمخشري[٣]: لا تأملون له توقيراً، أي: تعظيماً. المعنى: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب، و "لله" بيان للموقَّر.

﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ في موضع الحال[٤]، كأنه قال: ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه، وهي حال موجبة للإيمان به، لأنه خلقكم أطواراً: أي تارات، خلقكم أولاً تراباً، ثم خلقكم نطفاً، ثم خلقكم علقاً، ثم خلقكم مضغاً، ثم خلقكم عظاماً ولحماً، ثم أنشأكم خلقاً آخر.

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا
وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ
فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾

---

(١) في الأصل: يبست. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٢٩).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٢٠).

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٤).

لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾ مُفسّر في تبارك الملك[١].

﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ قال الحسن: يعني: في سماء الدنيا[٢].

وقوله: "فيهن" كما تقول: أتيت بني تميم، وإنما أتيت بعضهم.

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: إن الشمس والقمر وجوهُهُما قِبَل السموات، وظُهورهما قِبَل الأرض، يضيئان لأهل السموات كما [يضيئان][٣] لأهل الأرض[٤].

وقد فَسَّرنا هذه الآية في أواخر الفرقان[٥].

قوله تعالى: ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ أي: ابتداء خلقكم من الأرض.

قال الخليل[٦] وغيره: "نباتاً": مصدر مخالف للصدر، مجازه: فَنَبَتُّم نباتاً.

قال ابن قتيبة[٧]: ومثله: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ [المزمل:٨] فجاء على بَتَّلَ. قال

---

(١) عند الآية رقم: ٣.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧١).

(٣) في الأصل: يضأ. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٩٧)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١١٤١ ح٦١٥٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٥٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٩١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

(٥) عند الآية رقم: ٦١.

(٦) انظر: العين (٨/ ١٣٠).

(٧) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٢).

الشاعر:

وخيرُ الأمر ما استقبلتَ منه وليسَ بأنْ تَتَبَّعَهُ اتِّبَاعَا[١]

قال[٢]: وإنما تجيء المصادر مخالفة للأفعال؛ لأن الأفعال وإن اختلفت أبنيتها واحدةٌ في المعنى.

وقال الزجاج[٣]: "نباتاً" محمول في المصدر على المعنى؛ لأن معنى "أنبتكم": جعلكم تنبتون نباتاً.

قوله تعالى: ﴿سبلاً فجاجاً﴾ أي: طرقاً واسعة. وقد سبق ذكره.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾﴾

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: "وَوَلَدُهُ" بفتح الواو واللام. وقرأ الباقون: بضم الواو وسكون اللام[٤].

---

(١) البيت للقطامي. انظر: ديوانه (ص:٣٥)، والكتاب (٤/ ٨٢)، والدر المصون (٢/ ٧٦)، واللسان، مادة: (تبع)، والقرطبي (٤/ ٦٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٧٢).

(٢) أي: ابن قتيبة.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٠).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٦٥-٦٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٥)، والكشف (٢/ ٩٢)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٤)، والسبعة (ص:٦٥٢-٦٥٣).

قال الزجاج[١]: هما بمعنى واحد، كالعُرْب والعَرَب، والعُجْم والعَجَم.

وقرأ الحسن وأبو العالية والجحدري: بكسر الواو وسكون اللام[٢].

والمعنى: أن الأتباع والفقراء اتبعوا الأغنياء والكبراء الذين زادتهم أموالهم وأولادهم خساراً في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ومكروا مكراً كباراً﴾ يعني: الرؤساء احتالوا في إبطال الدين وكيد نوح مكراً عظيماً.

وقرئ: "كُبَاراً" بالتخفيف مع ضم الكاف وكسرها[٣]، وكلها لغات. وقد أشرنا إليها في أول ص[٤].

﴿وقالوا﴾ أي: وقال بعضهم لبعض ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ أي: لا تَدَعُنَّ عبادتها ﴿ولا تذرن وَدّاً﴾. وضم الواو من "وَدّاً": نافع[٥]، وهذه أسماء أصنامهم.

قال المفسرون: انتقلت عنهم إلى العرب، ولذلك سَمّت العرب بعبد وُدّ، وعبد يغوث.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن، قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٠).

(٢) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٧٣).

(٣) وهي قراءة أبي رجاء وأبي عمران وغيرهما. انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٣)، والدر المصون (٦/ ٣٨٥).

(٤) عند الآية رقم: ٥.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٦)، والكشف (٢/ ٣٣٧)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٣).

عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا إبراهيم [بن][١] موسى، حدثنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد؛ أما وُدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سُواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما يعوق فكانت [لهمدان][٢]، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع[٣]، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونُسخ العلم عُبدت»[٤]. انفرد بإخراجه البخاري.

قال الزجاج[٥]: "يغوث ويعوق" لا ينصرفان؛ لأنهما في وزن الفعل، وهما معْرفتان.

وقرأ الأعمش: "يغوثاً ويعوقاً" بالصرف[٦].

قال الزمخشري[٧]: هذه قراءة مشكلة؛ لأنهما [إنْ][٨] كانا عربيين أو عجميين

---

(١) زيادة من ب، والصحيح.

(٢) في الأصل: لهمذان. والمثبت من ب، والصحيح.

(٣) في الأصل و ب زيادة قوله: ونسراً، وهي غير موجودة في الصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٣ ح٤٦٣٦).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٣١).

(٦) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥)، والكشاف (٤/ ٦٢٢).

(٧) الكشاف (٤/ ٦٢٢).

(٨) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

ففيهما سَبَبَا عدم[1] الصرف: إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة؛ ولعله قصد الازدواج فصرفهما، لمصادفته أخواتهما منصرفات؛ وُدّاً وسُواعاً ونسراً، كما قرئ: ﴿وضحاها﴾ [الشمس:١] بالإمالة، لوقوعه مع الممالات؛ للازدواج.

قوله تعالى: ﴿وقد أضلوا﴾[2] يعني: الأصنام، وقيل: الرؤساء، ﴿كثيراً﴾ يريد: خلقاً كثيراً من الناس.

وهذا من شكاية نوح عليه السلام إلى ربه عز وجل.

ثم دعا على [قومه][3] حين أَيِسَ من إيمانهم فقال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ "ما" صلة. والمعنى: من خطاياهم، أي: من أجلها وبسببها أغرقوا.

---

(١) في ب والكشاف: منع.

(٢) في الأصل زيادة قوله: ﴿كثيراً﴾، وستأتي بعد.

(٣) زيادة من ب.

قرأ أبو عمرو: "خَطَايَاهُم" مثل: عطاياهم. وقرأ الباقون: "خطيئاتهم"(١)، وهما جمْعا: خطيئة.

وفي قراءة ابن مسعود: "من خطيئاتهم"(٢).

قوله تعالى: ﴿دَيّاراً﴾ من الأسماء المستعملة في النفي العام.

قال ابن قتيبة(٣): يقال: ما بالمنازل ديّار؛ أي: ما بها أحد.

قال الزجاج(٤): أصلها: ديوار، فقلبت الواو ياء [وأدغمت](٥) إحداهما في الأخرى.

قال المفسرون: إنما دعا عليهم؛ لأن [الله](٦) تعالى أوحى إليه: ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾(٧) [هود:٣٦].

قوله تعالى: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قد ذكرنا فيما مضى أن اسم أبيه: [لمك](٨) بن متوشلخ، واسم أمه: شمخا بنت أنوش.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٦)، والكشف (٢/ ٣٣٧)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٣).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٣٧)، والدر المصون (٦/ ٣٨٦).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٨٨).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣١).

(٥) في الأصل: وأغدمت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) أخرجه الطبري عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٢٩٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٨) في الأصل: ملك. والتصويب من ب.

قال المفسرون: كانا مؤمنين[١].

وقرأ سعيد بن بن جبير وسعيد بن المسيب والجحدري: "ولوالدي" على التوحيد، وهي قراءة أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٢].

وقرأ ابن مسعود وأبو العالية والزهري والنخعي: "ولِوَلَدَيَّ" من غير ألف، على التثنية[٣]، يريد: ابنيه.

وفي استغفار نوح لوالديه وإبراهيم أيضاً في قوله: ﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ [إبراهيم:٤١] شريعة[٤] وتنبيه لكل مؤمن على الاستغفار لوالديه، إلا أن يموتا على الكفر، فلا وجه لاستغفاره لهما.

أخبرنا حنبل بن الفرج إذناً قال: أخبرنا ابن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر ابن حمدان، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثني أبي، حدثنا يزيد، حدثنا حماد بن سلمة، عن عاصم [بن][٥] أبي النجود، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك»[٦].

قوله تعالى: ﴿ولمن دخل بيتي مؤمناً﴾ أي: منزلي. وقيل: مسجدي.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٠٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٧٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٧٥)، والدر المصون (٦/ ٣٨٧).

(٣) مثل السابق.

(٤) في ب: شرعية.

(٥) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩ ح١٠٦١٨).

و"مؤمناً" نصب على الحال[1].

﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾ عام في كل من آمن، من الرجال والنساء.

﴿ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ أي: هلاكاً.

فإن قيل: ما فعل بصبيانهم حين أغرقوا؟

قلتُ: عنه أجوبة:

أحدها: أنه قد روي أن الله أعقم نساءهم أربعين سنة، فلم يكن لهم عند الغرق صبيان.

الثاني: أنهم كانوا كفاراً في علم الله تعالى؛ لأن نوحاً لم يُقدم على قوله: ﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾ إلا بطريق الوحي.

الثالث: أنهم أُغرقوا بآجالهم لا على وجه العقوبة لهم. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٣٨٧).

سورة الجن

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني وعشرون آية[1]. وهي مكية بإجماعهم.

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ
رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ
شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ
كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ
ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾

قوله تعالى: ﴿قل أوحي إلي﴾ قال الزجاج[2]: وقُرئت: "أُحِيَ إليّ" بغير واو، [وهو من][3] وَحَيْتُ إليه، [والأكثر][4] أوحيتُ. والأصل: يعني في "أُحِيَ": وُحِيَ، ولكن الواو إذا انضمت فقد تُبدل منها الهمزة، نحو: ﴿وإذا الرسل

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٦).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٣).

(٣) زيادة من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وأكثر. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

أقتت﴾ [المرسلات:١١]، أصله: وُقّتت؛ لأنه من الوقت.

قال الزمخشري[١]: هو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة؛ وقد أطلقه المازني في المكسورة أيضاً؛ كإشاح، وإسادة، وإعاء أخيه.

وقرأ ابن أبي عبلة: "وُحِيَ" على الأصل[٢].

﴿أنه استمع نفر من الجن﴾ [اتفق][٣] القراء العشرة وأكثر القراء على فتح هذه الهمزة، وذلك أنه مفعولٌ [قام][٤] مقام الفاعل لـ"أوحي". وقد ذكرنا في الأحقاف سبب نزول هذه الآية، وسبب استماعهم، وعددهم، ومعنى النَّفَر[٥].

قال المفسرون: كانوا من الشيصبان -قبيلة من الجن[٦]-، وهم أكثر الجن عدداً، وعامة جنود إبليس منهم[٧].

﴿فقالوا﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ بديعاً يُعجب منه؛ لبلاغته، وهو مصدر وُضع موضع العجب.

﴿يهدي إلى الرشد﴾ يدعو إلى الصواب من التوحيد والإيمان والطاعة.

﴿فآمنا به﴾ أي: بالقرآن.

قوله تعالى: ﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٢٥).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٣٣٩)، والدر المصون (٦/ ٣٨٨).

(٣) في الأصل: اتفقوا. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل: أقام. والتصويب من ب.

(٥) عند الآية رقم: ٢٩.

(٦) قوله: "قبيلة من الجن" ساقط من ب.

(٧) الكشاف (٤/ ٦٢٥).

"وأنه" بفتح الهمزة وما بعدها إلى قوله: ﴿وأنا منا المسلمون﴾، وهي اثنتا عشرة همزة. وكسرها الباقون[(١)].

فمن فتح ذلك حمله على "أوحي"، ومن كسر فعلى الاستئناف.

وقرأ أبو جعفر المدني: ﴿وأنه تعالى﴾، ﴿وأنه كان [يقول][(٢)]﴾ ، ﴿وأنه كان رجال﴾ بالفتح فيهن؛ لما ذكرناه، وكَسَرَ ما عدا هذه المواضع الثلاثة على الاستئناف[(٣)].

قال الزجاج[(٤)]: والذي يختاره النحويون: قراءة نافع وأبي عمرو وعاصم في هذا؛ لأنه عندهم ما كان محمولاً على الوحي، فهو "أنه" بالفتح، وما كان من قول الجن [فهو][(٥)] مكسور معطوف على قوله: ﴿قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾. وعلى هذه القراءة يكون المعنى: وقالوا إنه تعالى جدّ ربنا، [وقالوا إنه كان يقول سفيهنا][(٦)].

فأما من فتح؛ [فذكر][(٧)] بعض النحويين: أنه معطوف على الهاء، المعنى عنده: فآمنا به وبأنه تعالى جَدُّ ربنا، وكذلك بعد هذا عنده.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٦٨-٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٧-٧٢٨)، والكشف (٢/ ٣٣٩)، والنشر (٢/ ٣٩١)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) النشر (٢/ ٣٩١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٣-٢٣٤).

(٥) في الأصل: فهور. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٢٣٤).

(٧) في الأصل: فقال. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

وهذا رديء في القياس لا يُعطف على الهاء المخفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه: أن يكون محمولاً على معنى: آمنا به صدّقنا، فيكون المعنى: وصدّقنا أنه تعالى جَدّ ربنا.

ومعنى: جَدّ ربنا: عظمته. تقول العرب: جَدَّ فلان في عيني، بمعنى: عَظُمَ، ومنه الحديث: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ فينا، أي: عَظُمَ»(١).

وقال أبو عبيدة(٢): جَدُّه: ملكه وسلطانه.

وقيل: غناه. ومنه: «لا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَد»(٣).

وقوله تعالى: ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ بيانٌ لـ"جدّ ربنا" جل وعلا.

قوله تعالى: ﴿وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططاً﴾ قال مجاهد وقتادة: هو إبليس(٤).

وقال مقاتل(٥): كفارهم، "على الله شططاً": جوراً وكذباً، وهو [وصفه](٦) بالشريك والولد.

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا﴾ كان في ظن هؤلاء النفر من الجن أن أحداً من الثقلين لن يكذب على الله، وهذا القول خارج مخرج الاعتذار من سوء ما سلف منهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠ ح١٢٢٣٦).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٩ ح٨٠٨)، ومسلم (١/ ٣٤٧ ح٤٧٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٠٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٩٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٥).

(٦) في الأصل: وصف. والتصويب من ب.

والاستعتاب.

و"كذباً" صفة مصدر محذوف، تقديره: قولاً كذباً، أو هو بمعنى: مكـذوب فيه.

وقرأتُ ليعقوب: "أن لن تَقَوَّلَ" بفتح القاف والواو وتـشديدها[١]، فيكـون "كذباً": تقوّلاً؛ لأن التقوّل لا يكون إلا كذباً.

﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ قال ابن زيد وغيره: كان الرجل في الجاهلية إذا [سافر][٢] فنزل بِوَادٍ أو قَفْرٍ[٣] مساءً قال: أعـوذ بـسيّد هذا الوادي من شرّ سُفهاء قومه، فيبيتُ في جوار منهم[٤].

قال مقاتل[٥]: كان أولَ من تعوّذ بالجن قومٌ من أهل اليمن، ثم بنو حنيفة، ثم فشا ذلك في العرب.

قال كردم بن أبي السائب[٦]: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة، وذلك أول ما ذُكر رسول الله ﷺ بمكة، فآوانا المبيت إلى راعي غنم، فلما انتصف الليـل جـاء ذئب فأخذ حَمَلاً من الغنم، فوثب الراعي، فنادى: يا عامر الوادي جارك، فنـادى

---

(١) انظر: النشر (٢/ ٣٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٥).

(٢) في الأصل: سنافر. والتصويب من ب.

(٣) القفر والقفرة: الخلاء من الأرض وجمعه قفور. وقيل: القفر مفازة لا نبات فيها ولا ماء، وقـالوا: أرض مقفر أيضاً (لسان العرب، مادة: قفر).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ١١١)، والواحدي في الوسـيط (٤/ ٣٦٣-٣٦٤).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٥).

(٦) كردم بن أبي السائب الأنصاري، له صحبة، سكن المدينة (الإصابة ٥/ ٥٧٧).

مُنادٍ لا نراه: يا سرحان[١] أرْسِلْهُ، فإذا الحَمَلُ يشتدُّ[٢] حتى دخل الغنم فلم تُصبه كَدْمَة[٣]، فأنزل الله تعالى على رسوله بمكة: ﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾[٤].

قال مقاتل[٥] وجمهور المفسرين: زاد الإنس الجن بسبب تعوذهم بهم رهقاً، وذلك أن رؤساؤهم قالوا: قد سُدْنا الجن والإنس.

وقيل: زاد الجن والإنس رهقاً.

قال الحسن: شراً[٦].

---

(١) السرحان: الذئب، وقيل: الأسد، وجمعه: سراح وسراحين (النهاية ٢/ ٣٥٨).

(٢) أي: يسرع.

(٣) الكَدْمُ: تَمَشْمُش العظم وتعرّقه، وقيل: هو العض بأدنى الفم كما يَكْدُمُ الحمار، وقيل: هو العض عامة، كدَمَه يكدُمُه ويكْدِمُه كَدْماً؛ إذا أثّرت فيه بحديدة (لسان العرب، مادة: كدم).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٩١ ح٤٣٠) وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٦٦٥ ح١١٠٥٢٥)، والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٠١ ح١١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٢٩٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والعقيلي في الضعفاء والطبراني وأبي الشيخ في العظمة وابن عساكر.

قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٣٠): وروي عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي نحوه، ثم قال: وقد يكون هذا الذئب الذي أخذ الحمل وهو ولد الشاة، كان جنياً حتى يرهب الإنسي ويخاف منه، ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه. والله تعالى أعلم.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٦) ذكره البغوي في تفسيره (٤/ ٤٠٢).

وقال مقاتل[١]: غياً.

وأصل الرَّهَق: الغشيان. المعنى: [زادوهم][٢] اجتراء على غشيان الإثم والمحارم.

ثم أخبر الله تعالى أن الجن كانوا على نحو ما كان عليه كفار قريش من إنكار البعث بعد الموت فقال تعالى: ﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾.

وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿وأنا لمسنا السماء﴾ قال الكلبي: أتيناها[٣].

وقال غيره: اللَّمْسُ: المَسُّ، فاستعير للطلب؛ لأن الماسّ طالب متعرف.

والمعنى: طلبنا بلوغ السماء، واستماع كلام أهلها.

﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾ الحرس: اسم مفرد في معنى الحُرَّاس، [كالخدم][٤] في معنى الخُدّام، والحَرَس: الملائكة الذين يحرسون السماء من استراق السمع، ﴿وشُهباً﴾ جمع شِهاب، وهو النجم المضيء. وقد ذكرناه في قوله: ﴿فأتبعه

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٢) في الأصل: زادهم. والتصويب من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٥).

(٤) في الأصل: كاخدم. والتصويب من ب.

شهاب ثاقب﴾ [الصافات: ١٠].

والرَّصَدُ: مثل الحرس، اسم مفرد في معنى الجمع، على معنى: ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب.

ويجوز أن يكون صفة للشهاب، بمعنى: الراصد.

قوله تعالى: ﴿وأنا لا ندري أشَرٌّ أريد بمن في الأرض﴾ يعني: أشرّ أريد بهم بحراسة السماء بالشهب، أي: عذاب وبلاء، ﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾ خيراً ورحمة.

قال مقاتل[١]: هذا قول مؤمني الجن، قالوا: لا ندري أَشَرٌّ أُرِيد بمن في الأرض، بإرسال محمد إليهم فيكذبونه فيهلكون، أم أراد بهم ربهم رشداً، وهو أن يؤمنوا به فيهتدوا.

ثم أخبروا عن حال أنفسهم فقالوا: ﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي: الأبرار المتقون، ﴿ومنا دون ذلك﴾ أي: قوم دون الصالحين.

وقولهم: ﴿كنا طرائق قِدَداً﴾ بيان للقسمة المذكورة، أي: كنا ذوي مذاهب مختلفة.

قال الحسن: الجن أمثالكم، منهم قَدَرية ومرْجئة[٢] ورافضة وشيعة[٣].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٦).

(٢) الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير. والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة بالمعنى الأول فهو صحيح لأنهم كانوا يأخرون العمل على النية. والمرجئة أصناف أربعة مرجئة الخوارج، ومرجئة القدرية ومرجئة الجبرية والمرجئة الخالصة. (انظر: الملل والنحل ١/ ١٢٥).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٠).

وقال مجاهد: يعنون: مسلمين وكافرين(١).

والطَّرائق: جمع طريقة، والقِدَد: جمع قِدَّة، وهي القطعة، وأنشد ابن عباس رضي الله عنهما:

ولقدْ قُلْتُ وزيدٌ حَاسِرٌ يومَ ولَّتْ خيلُ زيدٍ قِدَدا(٢)

وفيه إضمار، تقديره: ذوي طرائق أو في [طرائق](٣).

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ۝١٦ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٧﴾

قوله تعالى: ﴿وأنا ظننا﴾ أي: أيقنا ﴿أن لن نعجز الله في الأرض﴾ أي: لن نفوته طلباً إذا طلبنا، ﴿ولن نعجزه هرباً﴾.

قال الزمخشري(٤): قوله: "في الأرض"، "هرباً": حالان، أي: لن نعجزه كائنين في الأرض، ولن نعجزه هاربين منها إلى السماء. وهذه صفات أحوال الجن

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٤) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر البيت في: الدر المنثور (٨/ ٣٠٤).

(٣) في الأصل: طريق. والتصويب من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٢٩).

وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم.

قوله تعالى: ﴿وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ أي: لما سمعنا القرآن صدّقنا أنه من عند الله، ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ أي: فهو لا يخاف، ولولا تقدير هذا المبتدأ لكان وجه الكلام: لا [تخف][1].

﴿بخساً﴾ نقصاناً من ثواب عمله، ﴿ولا رهقاً﴾ ظلماً ومكروهاً يغشاه.

قوله تعالى: ﴿ومنا القاسطون﴾ أي: الجائرون الظالمون بالكفر. يقال: قَسَطَ: إذا جار، فهو قاسط. وأقسط: إذا عدل، فهو مُقسط[2].

﴿فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً﴾ قال الفراء[3]: أَمُّوا الهدى.

وقال غيرُه: تحرّوا: توخّوا وقصدوا الحق.

﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾ أي: وقوداً للنار.

ويروى: أن الحجاج [قال][4] لسعيد بن جبير حين أراد قتله: ما تقول فيّ؟ قال: قاسط عادل، فقال القوم: ما أحسن ما قال، حسبوا أنه وصفه بالقسط والعدل، فقال الحجاج: يا جهلة، إنه سماني ظالماً مشركاً، وتلا لهم قوله تعالى: ﴿وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً﴾، وقوله تعالى: ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾[5] [الأنعام:١].

---

(١) في الأصل: تخاف. والمثبت من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: قسط).

(٣) معاني الفراء (٣/ ١٩٣).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٠)، والمناوي في: فيض القدير (٢/ ٤٧٢).

﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ قال صاحب الكشاف[١]: "أنْ" مخففة من الثقيلة، فهو من جملة [الموحى. والمعنى][٢]: وأوحي إليّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى، أي: [لو][٣] ثبت أبوهم الجانّ على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر، وتبعه ولده على الإسلام، ﴿لأسقيناهم ماء غدقاً﴾. ويجوز أن يكون معناه: وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع، ولم ينتقلوا عنها إلى الإسلام، لوسّعنا عليهم الرزق مستدرجِين لهم.

وقال مقاتل[٤] وجمهور المفسرين: هذا إخبار عن أهل مكة. المعنى: وأن لو استقاموا على طريقة الهدى.

وذهب قوم: إلى أن المراد بها: طريقة الكفر. وهو قول محمد بن كعب والربيع والفراء وابن قتيبة[٥].

فعلى الأول يكون المعنى: لو آمنوا لوسّعنا عليهم ﴿لنفتنهم﴾ لنختبرهم فننظر كيف شكرهم.

وعلى الثاني يكون المعنى: وأن لو استقاموا على طريقتهم في الكفر لوسّعنا عليهم لنوقعهم في الفتنة.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٣٠-٦٣١).

(٢) في الأصل و ب: الوحي المعنى، والمثبت من الكشاف (٤/ ٦٣٠).

(٣) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٠).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٧).

(٥) معاني الفراء (٣/ ١٩٣)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٩٠). وذكره الماوردي (٦/ ١١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨١).

والماء الغَدَق: الكثير، وإنما ذُكر لأن عامة الخير والرزق [به][١].

وقيل: المعنى: لأكثرنا لهم الماء فأغرقناهم كقوم نوح.

وليس هذا القول بشيء.

قوله تعالى: ﴿نَسْلُكْهُ﴾ وقرأ أهل الكوفة: "يَسْلُكْهُ" بالياء[٢] ﴿عذاباً﴾ أي: في عذاب، إما بتقدير حذف الجار، وإما لكون "نسلكه" في معنى: ندخله ﴿صَعَداً﴾ شاقاً.

والمعنى: ذا صعود.

وجاء في التفسير: أنه جبل في النار يكلّف صعوده. وسنذكره إن شاء الله عند قوله: ﴿سأرهقه صَعُوداً﴾ [المدثر:١٧].

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

قوله تعالى: ﴿وأن المساجد لله﴾ اتفق القُرَّاء على فتح الهمزة هاهنا، وفيه وجهان:

---

(١) في الأصل: منه، والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٦٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

أحدهما: أن يكون من جملة الموحى.

والثاني: أن يكون المعنى: ولأن المساجد لله ﴿فلا تدعوا﴾. فتكون اللام متعلقة: بـ"لا تدعوا". على معنى: فلا تدعوا ﴿مع الله أحداً﴾ في المساجد؛ لأنها لله خالصة. ومثله: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ [المؤمنون:٥٢]، أي: ولأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون، أي: لهذا فاتقون. وهذا مذهب الخليل.

قال أبو علي[١]: ويجوز أيضاً في غير هذا الحرف مما قُرئ بالفتح أن يحمل على هذا التأويل إذا كان مما يليق به.

وفي معنى المساجد أربعة أقوال:

أحدها: أنها المساجد المعهودة. قاله ابن عباس[٢].

قال قتادة: كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهُم أشركوا بالله، [فأمر الله][٣] عز وجل المسلمين أن يخلصوا له الدعاء إذا دخلوا مساجدهم[٤].

الثاني: أنها الأعضاء السبعة التي يَسجد عليها العبد. قاله سعيد بن جبير[٥].

على معنى: أنها لله خلقاً وملكاً، فلا يُذللها لغيره جل وعلا.

وهي على التفسير الأول: جمع مَسْجِد، بكسر الجيم. وعلى الثاني: جمع مَسْجَد، بفتح الجيم.

---

(١) انظر: الحجة (٤/ ٦٩).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٢).

(٣) زيادة من ب، ومصادر التخريج.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٢).

الثالث: أن المراد بالمساجد: البقاع كلها. قاله الحسن[١]. على معنى: أن الأرضَ كلَّها مواضعُ للسجود، وهي كلها لله فلا تعبدوا عليها غيره.

الرابع: أن المساجد: السجود. يقال: سَجدتُ سُجُوداً ومَسْجَداً -بفتح الجيم-، كما يقال: ضربت في الأرض ضَرْباً ومَضْرَباً، ثم يُجمع [فيقال][٢]: المساجد والمضارب. قاله ابن قتيبة[٣].

فيكون المعنى: وأن السجود لله مختصٌّ به لا يُشارَكُ فيه، فلا تعبدوا[٤] غيره.

قوله تعالى: ﴿وأنه﴾ من جملة المُوحَى أيضاً ﴿لما قام عبد الله﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿يدعوه﴾ يصلي ببطن نخلة، على ما ذكرناه في الأحقاف[٥]، ﴿كادوا﴾ يعني: الجن ﴿يكونون عليه لِبَداً﴾ يَركبُ بعضهم بعضاً، حرصاً على سماع القرآن[٦].

وقيل: هو من قول الجن حين رجعوا إلى قومهم، [فوصفوا][٧] لهم أصحاب رسول الله ﷺ، وما رأوا من ائتمامهم به في الركوع والسجود والقيام. والقولان عن ابن عباس[٨].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣).

(٢) في الأصل: ويقال. والمثبت من ب، وتفسير غريب القرآن (ص:٤٩١).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩١).

(٤) في الأصل زيادة قوله: به.

(٥) عند الآية رقم: ٢٩.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣) من رواية عطية عن ابن عباس.

(٧) في الأصل و ب: وصفوا. والمثبت من زاد المسير (٨/ ٣٨٣).

(٨) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٣-٣٨٤).

وقال الحسن وقتادة: المعنى: لما قام عبدُالله يدعو الله [أي][(١)]: يعبده ويوحده ويدعو إليه، كاد الإنس والجن يكونون عليه لبداً، ليبطلوا الحق الذي جاء به[(٢)].

وقرأ هشام عن ابن عامر: "لُبَداً" بضم اللام[(٣)].

قال الفراء[(٤)]: ومعنى القراءتين واحد، يقال: لُبَدَة ولِبَدة.

وقال غيره: لُبَداً: جمع لُبْدَة، وهي ما يلبد بعضه على بعض، ومنها: لِبْدَة الأسد.

قال الزجاج[(٥)]: معنى "لُبَداً": يَركبُ بعضهم بعضاً، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبّدته، ومن هذا اشتقاق هذه اللُّبود التي [تُفْرَش][(٦)].

وقرأ جماعة، منهم: عاصم الجحدري: "لُبَّداً" بضم اللام وتشديد الباء[(٧)].

قال الزجاج[(٨)]: هو جمع لاَبِدٌ [ولُبَّد][(٩)]، مثل: راكِعٌ ورُكَّع.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٥)، والسبعة (ص:٦٥٦).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٩٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

(٦) في الأصل: تفترش. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٨٣)، والدر المصون (٦/ ٣٩٦).

(٨) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

(٩) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

﴿قال إنما أدعو ربي﴾ وقرأ عاصم وحمزة: "قُلْ" على الأمر[١].

قال مقاتل[٢]: إن كفار مكة قالوا للنبي ﷺ: إنك جئت بأمر عظيم لم يُسمع بمثله فارجع عنه، فأنزل الله: ﴿قل إنما أدعو ربي﴾.

ومن قرأ "قال" حَمل هذا على [أن][٣] النبي ﷺ أجابهم بهذا.

﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي: لا أقدر لكم على ضر ولا نفع.

وقيل: المراد بالضر: الغي.

وفي قراءة أبيّ بن كعب: "لا أملك لكم غياً ولا رشداً"[٤].

وقيل: المعنى: لا أقدر على دفع ضر عنكم، ولا على جلب رشد لكم.

﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ قال المفسرون: كان المشركون قالوا لرسول الله ﷺ: أُترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك[٥]، فأنزل الله تعالى: ﴿قل إني لن يجيرني من الله أحد﴾ أي: لن يمنعني منه أحد إن عصيته، ﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾ ملتجأً. وقد ذكرناه في الكهف[٦].

قوله تعالى: ﴿إلا بلاغاً من الله ورسالاته﴾ استثناء من قوله: ﴿لا أملك لكم ضراً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٢٩)، والكشف (٢/ ٣٤٢)، والنشر (٢/ ٣٩٢)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٧).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٧).

(٣) زيادة من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٦٣٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٦٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٤).

(٦) عند الآية رقم: ٢٧.

المعنى: لا أملك لكم إلا بلاغاً من الله، وما بينهما جملة اعتراضية.

وقال الزجاج[1]: "إلا بلاغاً" بدلٌ من قوله: "ملتحداً". المعنى: ولن أجد من دونه منجىً إلا بلاغاً، أي: لا ينجيني إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلتُ به.

وقال غيره: "إلا" هي "إن لا"، ومعناه: إن لا أبلغ بلاغاً، كقولك: إن لا قياماً فقعوداً.

"ورسالاته" عطف على "بلاغاً"، كأنه قيل: لا أملك لكم إلا التبليغ والرسالات، و"من" ليست بصلة للتبليغ، إنما هي بمنزلة "مِنْ" في قوله: ﴿براءة من الله﴾ [التوبة:١].

المعنى: بلاغاً كائناً من الله.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾
قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ
بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ
بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا﴾ يعني: كفار قريش ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب في الدنيا والآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذ ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ جنداً أهم أم المؤمنون.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٧).

فلما سمع ذلك النضر بن الحارث قال: متى هذا الذي تُوعدنا؟ فأنزل الله: ﴿قل إن أدري﴾ أي: ما أدري ﴿أقريب ما توعدون﴾ من العذاب ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ غاية بعيدة. هذا قول جمهور المفسرين.

وقال بعض المحققين[(١)]: الأمد يكون قريباً وبعيداً، ألا ترى إلى قوله: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ [آل عمران: ٣٠].

وكان رسول الله ﷺ يستقرب الموعد، فكأنه قال: ما أدري أهو حال [متوقع][(٢)] في كل ساعة، أو هو مؤجل ضربت له غاية[(٣)].

قوله تعالى: ﴿عالم الغيب﴾ أي: هو عالم الغيب، [أو هو][(٤)] نعت لـ"ربي". والمعنى: عالم ما غاب عن العباد، ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ من خلقه.

﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ أي: إلا المرتضى المخصوص بالرسالة، فإنه يطلعه على ما يشاء من غيبه.

وفي هذا إبطال لأمر النجوم، وما يدّعي أصحابها من علم ما غاب عن العباد بالنظر فيها.

قال العلماء بالتفسير: من ادّعى أن النجوم تدلُّه على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن.

﴿فإنه يسلك من بين يديه﴾ أي: من بين يدي من ارتضاه لرسالته، ﴿ومن

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٣٤).

(٢) في الأصل: مستوقع. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٤).

(٣) في ب: أو مؤجل له غاية.

(٤) في الأصل: وهو. والتصويب من ب.

خلفه رصداً﴾ حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويحرسونه من الوساوس؛ لئلا يُلبِّسوا عليه، حتى يُبلّغ ما أوحي إليه على الوجه الصحيح.

قال الضحاك: ما بُعث نبي إلا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبّهوا بصورة المَلَك(١).

وقال السدي: يحفظون الوحي، فما جاء من عند الله قالوا إنه من عند الله، وما كان ألقاه الشيطان قالوا إنه من الشيطان(٢).

قوله تعالى: ﴿ليعلم﴾ قال الزجاج(٣): أي: ليعلم الله أن قد أبلغوا رسالاته. وما بعده يدل على هذا، وهو قوله: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾.

وقال ابن قتيبة(٤): ليعلم الله ذلك موجوداً.

وقال قتادة: ليعلم [محمد](٥) ﷺ أن الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم وحفظوا(٦).

وقال سعيد بن جبير: ليعلم محمد ﷺ أن جبريل بلغ إليه رسالة ربه(٧).

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٠٩-٣١٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٨).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٤٣٤).

(٥) في الأصل: محمداً. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧٨).

وقرأ يعقوب من رواية رويس: "لِيُعْلَمَ" بضم الياء[١]، وهي قراءة ابن عباس، على معنى: ليعلم الناس.

قال ابن قتيبة[٢]: تُقرأ: "لتَعلم" بالتاء، يريد: لتعلم الجن أن الرسل [قد][٣] بلَّغت لا هُم بما رجوا من استراق السمع.

﴿وأحاط بما لديهم﴾ أي: بما عند الرسل من الحِكَم والشرائع ﴿وأحصى كل شيء﴾ من الرمل والقطر وورق الأشجار وغيرها ﴿عدداً﴾ المعنى: فكيف لا يُحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه.

و"عدداً" حال، أي: وضبط كل شيء معدوداً محصوراً.

وقال الزجاج[٤]: يجوز أن يكون عدداً في موضع المصدر المحمول[٥]، على معنى: وأحصى، أي: وَعَدَّ كل شيء [عدداً][٦]. والله تعالى أعلم.

---

(١) النشر (٢/ ٣٩٢)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٦).

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٢).

(٣) زيادة من ب، وتفسير غريب القرآن (ص:٤٩٢).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٣٨).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٠).

(٦) في الأصل: عداً. والمثبت من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

سورة المزمل ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني عشرة آية في المدني، وعشرون بالكوفي[1].

وهي مكية إلا قوله: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم...﴾ إلى آخر السورة[2].

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ
زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ
نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا
﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا
هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

قال الله تعالى: ﴿يا أيها المزمل﴾ قرأ الأكثرون: "المزّمل" بإدغام التاء في الزاي؛ لقربها منها.

وقرأ جماعة، منهم: أبي بن كعب، والأعمش: "المتزمّل" بإظهار التاء على

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٧).

(٢) انظر الإتقان (١/ ٥٤)، وزاد المسير (٨/ ٣٨٧).

قال السيوطي في الإتقان: ويرده: ما أخرجه الحاكم عن عائشة أنه نزل بعد نزول صدر السورة بسنة، وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس.

الأصل[١].

وقرأ عكرمة: "المُزَمِّل" بحذف التاء وتخفيف الزاي[٢]، على معنى: يا أيها المزَمّل نفسه.

والمزّمّل: هو الذي تَزَّمَّلَ في ثيابه، أي: تَلَفَّفَ فيها.

قال أبو [عبدالله][٣] الجدلي[٤]: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله عز وجل: ﴿يا أيها المزمل﴾ ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مِرْطاً، طولُه أربع عشرة ذراعاً، نصفه عليّ وأنا نائمة، ونصفه على رسول الله ﷺ وهو يصلي. قال أبو عبدالله: فسألتها: ما كان؟ [فقالت: والله ما كان][٥] خَزّاً ولا قَزّاً ولا مِرْعِزَّى[٦] ولا إبريسم [ولا صوفاً][٧]، كان سَداهُ شَعْراً ولُحْمته وَبَراً[٨].

[وقال][٩] السدي: كان قد تزمّل للنوم[١٠].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٨٨)، والدر المصون (٦/ ٤٠١).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: أبو عبيد الله. والمثبت من ب. وكذا وردت في الموضع التالي.

(٤) أبو عبد الله الجدلي الكوفي، اسمه: عبد بن عبد، وقيل: عبد الرحمن بن عبد. ثقة رُمي بالتشيع (تهذيب التهذيب ١٢/ ١٦٥، والتقريب ص:٦٥٤).

(٥) زيادة من ب.

(٦) المِرْعِزَّى: الليّن من الصوف (اللسان، مادة: رعز).

(٧) في الأصل: وصوفا. والتصويب من ب.

(٨) ذكره الثعلبي (١٠/ ٥٨).

(٩) في الأصل: قال. والمثبت من ب.

(١٠) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٨٨).

وقال مقاتل[١]: خرج من البيت وقد لبس ثيابه، فناداه جبريل: "يا أيها المزمل".

وقال ابن عباس: يا أيها المزمل بالقرآن[٢].

وقال عكرمة: يا أيها المزمل بالنبوة[٣].

فإن قيل: ما الحكمة في ندائه هاهنا بالمزمل دون النبي والرسول؟

قلتُ: لأن هذه الآية من أول ما خُوطب به رسول الله ﷺ، فلما رسخ قدمه في النبوة والرسالة، فُخِّمَ وعُظِّمَ بالخطاب المنوّه بهما.

﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ يعني: قُمْهُ مصلِّياً.

قال المفسرون: كان قيام الليل فرضاً عليه.

وتقديره: قم الليل نصفه إلا قليلاً. فـ"نصفه" بدل من "الليل"[٤]، كما تقول: ضربت زيداً رأسه.

و"قليلاً": استثناء منه، قدّم المستثنى على المستثنى منه، والضمير في "منه" و"عليه" للنصف[٥].

والمعنى: التخيير بين أمرين، وهما القيام أقلّ من نصف الليل على البَتِّ والقطع، [أو اختيار][٦] أحد الأمرين، وهما النقصان من النصف والزيادة عليه.

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٠٩).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٥).

(٣) مثل السابق.

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠١).

(٥) مثل السابق.

(٦) في الأصل: واختيار. والتصويب من ب.

ويجوز أن يكون "نصفه" بدلاً من "قليلاً"[(١)].

﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ قال ابن عباس: بيِّنه تبييناً[(٢)].

قال الزجاج[(٣)]: البيانُ لا يتم بأن تَعْجَلَ في القراءة، وإنما يتم التبيين بأن تُبَيِّنَ جميعَ الحروف وتُوَفِّي حقها من الإشباع.

قال أبو [جمرة][(٤)]: قلت لابن عباس: إني رجل في قراءتي وفي كلامي عَجَلَة، فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة أُرتِّلها أحبّ إليّ من أقرأ القرآن كله[(٥)].

وسُئلت عائشة عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقالت: لا كَسَرْدِكُم هذا، لو أراد السامعُ أن يَعُدَّ حروفه لعدّها[(٦)].

وقال عمر رضي الله عنه: شَرُّ السَّيْر: الحَقْحَقَة، وشَرُّ القراءة: الهَذْرَمَة[(٧)].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٢).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٢٥٥ ح٨٧٢٥، ٦/ ١٤١ ح٣٠١٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٣) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن منيع في مسنده ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٤) في الأصل: حمزة. وهو خطأ. والتصويب من ب. وأبو جمرة هو: نصر بن عمران. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٣)، وتهذيب التهذيب (١٠/ ٣٨٥).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٢/ ٤٨٩ ح٤١٨٧)، وابن المبارك في الزهد (ص:٤٢٠).

(٦) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٨).

(٧) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٨).
والحقحقة: شدّة السَّيْر (اللسان، مادة: حقق).
والهذرمة: السُّرْعَة في القراءة (اللسان، مادة: هذرم).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن [عمرو][1] عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتِّل كما كنت تُرَتِّلُ في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها»[2].

فصل

قال أهل التفسير: كان النبي ﷺ وطائفة من المؤمنين يقومون من الليل على نحو هذه المقادير، وشق ذلك على رسول الله ﷺ والمؤمنين لموضع احتياطهم وخوفهم من فوات القدر الواجب، فكانوا يقومون الليل كله، حتى خفّف الله عنهم، فأنزل آخر السورة: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾.

قال سعيد بن هشام: قلت لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ؟ فقالت: ألست تقرأ: ﴿يا أيها المزمل﴾؟ قلت: بلى، قالت: فإن [الله][3] افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها اثنا عشر شهراً في السماء، حتى أتى أمرُ الله في آخر هذه السورة بالتخفيف، فصار قيامُ الليل تطوعاً بعد [فريضة][4].

وذهب جماعة من العلماء إلى أن الله تعالى نسخ فرضيّة قيام الليل في حق النبي ﷺ بقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي حق المؤمنين

---

(١) في الأصل: عمر. والتصويب من ب، والمسند (٢/ ١٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢ ح٦٧٩٩).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل: فرضه. والتصويب من ب، والصحيح. والحديث أخرجه مسلم (١/ ٥١٣ ح٧٤٦).

بالصلوات الخمس.

وقال [قوم][١]: نُسخ في حق الأمة وبقي فرضاً عليه ﷺ.

قوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ يريد: القرآن.

وفي معنى ثقله خمسة أقوال:

أحدها: ما كان يجده النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو [أشدّه][٢] عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي المَلَكُ رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصّد عرقاً»[٣]. هذا حديث متفق على صحته، وأخرجه مسلم عن أبي بكر عن أبي أسامة عن هشام.

وفي الصحيحين أيضاً من حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول لعمر رضي الله عنه: «ليتني أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي، فلما كان رسولُ الله ﷺ بالجعرانة جاءه رجل فسأله عن شيء، فجاءه الوحي، فأشار عمر إلى يعلى أن تعال،

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: أشد. والتصويب من الصحيح ومن ب.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٤ ح٢)، ومسلم (٤/ ١٨١٦ ح٢٣٣٣).

فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو [مُحْمَرٌّ][١] يَغِطُّ كذلك ساعة، ثم سُرِّيَ عنه»[٢].

وفي حديث زيد بن ثابت [قال][٣]: «إني لقاعد إلى جنب النبي ﷺ إذ أوحي إليه وغشيَتْه السكينةُ، ووقع فخذه على فخذي، فلا والله ما وجدتُ شيئاً قط أثقل من فخذ رسول الله ﷺ»[٤]. وقد ذكرنا الحديث في سورة النساء عند قوله: ﴿لا يستوي القاعدون﴾ [النساء:٩٥].

وقال أبو أروى الدوسي: «رأيت الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وإنه على راحلته، حتى أظن أن ذراعها ينقصم، فربما بركت وربما قامت مُوتِدة يديها، حتى يُسَرَّى عنه من ثقل الوحي، وإنه ليتحدر عنه مثل [الجمان][٥]»[٦].

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن كان ليوحى إلى رسول الله ﷺ وهو على راحلته فتضرب بِجِرَانِها[٧].

وقال عبادة بن الصامت: كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحي كَرِبَ له، وتربّد وجهه[٨].

القول الثاني: أن المراد بثقله: مشاقُّ تكاليفه.

---

(١) في الأصل: محمد ﷺ. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٧٣ ح٤٠٧٤)، ومسلم (٢/ ٨٣٧ ح١١٨٠).

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه أبو داود (٣/ ١١ ح٢٥٠٧).

(٥) في الأصل: الجمانة. والتصويب من ب، والطبقات الكبرى (١/ ١٩٧).

(٦) ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/ ١٩٧).

(٧) أخرجه أحمد (٦/ ١١٨ ح٢٤٩١٢).

(٨) أخرجه مسلم (٤/ ١٨١٧ ح٢٣٣٤).

قال قتادة: [ثقيلٌ][١] والله! فرائضُه وحدودُه[٢].

وقال الحسن: إن الرجل ليَهُذُّ[٣] السورة، ولكن العمل به ثقيل[٤].

الثالث: أنه يثقل[٥] في الميزان يوم القيامة. قاله ابن زيد[٦].

الرابع: أن معنى ثقله: رصانة ألفاظه ومبانيه، وصحة معانيه، كما تقول: هـذا قولٌ له وزن؛ إذا استجدّته.

قال الزجاج[٧]: معناه: أنه له وزنٌ في صحته وبيانه ونفعه.

قال الفراء[٨]: ليس بالخفيف ولا بالسفساف؛ لأنه كلام الرب عز وجل.

الخامس: أنه مهيب، [كما][٩] يقال للرجل العاقل: رزين راجح. قاله عبد العزيز بن يحيى[١٠].

قوله تعالى: ﴿إن ناشئة الليل﴾ يعني: ساعاته.

---

(١) في الأصل: تثقل. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن نصر.

(٣) الهذّ: سرعة القطع، تقول: تهذ القرآن هذّاً فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر (النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٥٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧).

(٥) في ب: ثقيل.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٧).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٨) معاني الفراء (٣/ ١٩٧).

(٩) زيادة من ب.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٠).

قال المفسرون واللغويون: الليل كله ناشئة.

قال الزجاج[١]: كل ما نشأ منه، أي: كل ما حدث منه فهو ناشئة.

قال أبو علي الفارسي[٢]: كأنّ المعنى: إن صلاة ناشئة الليل أو عمل ناشئة الليل.

قالت عائشة رضي الله عنها: الناشئة: القيام بعد النوم[٣]. وإلى هذا المعنى ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية المروذي عنه.

وقال أنس بن مالك: هي ما بين المغرب والعشاء[٤].

وقال الحسن ومجاهد وقتادة: هي بعد العشاء[٥].

وقال عكرمة: ما قمتَ من أول الليل فهو ناشئة[٦].

وقال يمان وابن كيسان: هي القيام من آخر الليل[٧].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٠).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧١).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

(٤) أخرجه البيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠ ح٤٥٢٩)، وابن أبي شيبة (٢/ ١٥ ح٥٩٢٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٧) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف وابن نصر والبيهقي في سننه.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٢٨، ١٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/ ٢٠ ح٤٥٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٦-٣١٧) وعزاه لعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن نصر والبيهقي في سننه. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن نصر.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩١).

قال صاحب الكشاف[١]: "ناشئة الليل": هي النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض وترتفع، من نشأتِ السحابةُ؛ إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه؛ إذا نهض، قال:

نَشَأنا إلى [خُوصٍ بَرَى][٢] نَيَّهَا السُّرَى   وألصقَ منها مُشْرِفَاتِ المَقَاحِد[٣]

قلت: [الخَوْصُ][٤]: ضِيقُ العين وغُؤُورُها[٥]، والنيّ: الشحم، والمقَاحِد: جمع مِقْحَاد، وهي الناقة الضخمة السنام، والقَحَدَة: أصل السنام[٦].

قال[٧]: أو قيام الليل، على [أن][٨] الناشئة مصدر من نشأ؛ إذا قام ونهض، على فاعلة؛ كالعافية. ويدل عليه قول عائشة رضي الله عنها، وقد ذكرته.

﴿هي أشد وَطْأً﴾ قرأ ابن عامر وأبو عمرو: "وِطَاءً" بكسر الواو وفتح الطاء والمد. وقرأ الباقون بفتح الواو وسكون الطاء من غير مد[٩].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٢) في الأصل: حوض يرى. والمثبت من ب.

(٣) انظر البيت في: الكشاف (٤/ ٦٣٩)، والبحر (٨/ ٣٥٤)، والدر المصون (٦/ ٤٠٤)، وروح المعاني (٢٩/ ١٠٥).

(٤) في الأصل: الحوص. والتصويب من ب.

(٥) في ب: وعوورها.

(٦) انظر: الصحاح للجوهري (٢/ ٥٢١-٥٢٢).

(٧) أي: الزمخشري في الكشاف.

(٨) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٩) الحجة للفارسي (٤/ ٧١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٠)، والكشف (٢/ ٣٤٤)، والنشر (٢/ ٣٩٢-٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٨).

فالقِراءة الأولى مصدر [وَاطَأَ][(١)] يُواطِئُ وِطَاءً، مثل: قَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالاً.

والمعنى: إن ناشئةَ الليل هي خاصةً دون ناشئة النهـار أشـدُّ مواطـأة يـواطئ [قلبها][(٢)] لسانها؛ إن أردت النفس، أو يواطئ فيها [قلـب][(٣)] القـائم لـسانه؛ إن أردت القيام أو العبادة أو الساعات.

وقال الحسن: أشد موافقة بين السر والعلانية، لانقطاع رؤية الخلائق[(٤)].

قال ابن قتيبة وأبو علي وغيرهما[(٥)]: من قرأ: "وَطْأً" على فَعْـل، فـالمعنى: أنـه أشقّ على الإنسان من القيام بالنهار؛ لأن الليل للدَّعَة والسكون، ومنه الحـديث: «اللهم اشْدُد وطأتك على مضر»[(٦)].

﴿وأَقْوَمُ قيلاً﴾ أسدُّ مقالاً وأصحُّ قراءة؛ لهُدُوّ الأصوات، وسكون القلوب، وعدم الشواغل.

وفي قراءة أنس: "وأصوب قيلاً"[(٧)].

قوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ قال ابن عباس: فراغـاً لنومـك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك[(٨)].

---

(١) في الأصل: وطأ. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: قبلها. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: قبل. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٣٩).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧١)، وتأويل مشكل القرآن (ص:٣٦٥).

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٣٤١ ح٩٦١)، ومسلم (١/ ٤٦٦ ح٦٧٥).

(٧) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٤٠٥)، والكشاف (٤/ ٦٤٠).

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ١٢٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٢).

وقال غيره: السَّبْح: سرعة الذهاب، ومنه: السباحة في الماء، وفرس سابح، أي: شديد الجَرْي(١).

فالمعنى: إن لك في النهار تصرفاً وتقلُّباً في مُهمّاتك وحوائجك.

قال الواحدي(٢): السَّبْحُ: التَّقَلُّبُ، ومنه: السابح في الماء؛ لتقلبه بيديه ورجليه(٣).

وقرأ جماعة، منهم: ابن مسعود، وابن يعمر، وأبو عمران: "سَبْخاً" بالخاء المعجمة(٤).

قال الزجاج(٥): معناه قريب من معنى السَّبْح.

قال غيره: أراد خفّةً [وَسَعَةً](٦) واستراحة، ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد دَعَتْ على سارق سرقها: «لا تُسبّخي بدعائك عليه، أي: لا تخفّفي»(٧).

والتَّسْبِيخ: توسيع القطن والصوف ونفشهما، يقال للمرأة: سَبِّخي قطنك، ويقال لقطع القطن إذا نُدف: سبائخ(٨).

قال الأخطل يصف القناصَ والكلاب:

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سبح).

(٢) الوسيط (٤/ ٣٧٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سبح).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٢)، والدر المصون (٦/ ٤٠٥).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٤١).

(٦) في الأصل: وسرعة. والمثبت من ب.

(٧) أخرجه أبو داود (٢/ ٨٠ ح١٤٩٧).

(٨) انظر: اللسان (مادة: سبخ).

فَأَرْسَلوهُنَّ يُذْرِينَ الترابَ كَمَا يُذْرِي سبائخَ قُطْنٍ نَدْفُ أوتارِ[(١)]

قال ثعلب: ومنه قول النبي ﷺ: «إن الحمّى من فيح جهنم فسبّخوها بالماء»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ أي: انقطع إلى الله في العبادة، ومنه قيل لمريم: البَتُول.

والمعنى: بتّل نفسك. وعليه جاء المصدر مراعاة للفواصل.

قوله تعالى: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وأهل الكوفة إلا حفصاً: "ربِّ" بالجر على البدل من "ربك".

وقرأ الباقون من العشرة: "ربُّ" بالرفع على المدح[(٣)]. أو هو مبتدأ، خبره: ﴿لا إله إلا هو﴾[(٤)]. وقد سبق تفسيره.

وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلًا

(١) البيت للأخطل. انظر: ديوانه (ص:١٤٠)، واللسان (مادة: سبخ)، والطبري (٢٩/ ١٣٢)، والقرطبي (١٩/ ٤٣)، والبحر (٨/ ٣٥٥)، والدر المصون (٦/ ٤٠٥)، وروح المعاني (٢٩/ ١٠٦)، وتاج العروس (مادة: سبخ، ندف)، والعين (٤/ ٢٠٤).

(٢) ذكره بهذا اللفظ: القرطبي (١٩/ ٤٣). وأصل الحديث أخرجه البخاري (٣/ ١١٩١ ح٣٠٩١)، ومسلم (٤/ ١٧٣١ ح٢٢٠٩) من حديث ابن عمر ولفظهما: "الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء".

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣١)، والكشف (٢/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٦)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٧١)، والدر المصون (٦/ ٤٠٦).

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولاً ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلاً ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿واصبر على ما يقولون﴾ أي: على ما يقولون من التكذيب والأذى، ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ لا جزع فيه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

﴿وذرني والمكذبين أولي النَّعْمة﴾ أي: أولي التنعّم.

المعنى: لا تهتم بهم فإني أكفيك أمرهم.

قالت عائشة رضي الله [عنها](١): لما نزلت: ﴿وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾ لم يكن إلا يسيراً حتى كانت وقعة بدر(٢).

قوله تعالى: ﴿إن لدينا أنكالاً﴾ وهي القيود، واحدها: نَكْل.

قال الكلبي: أغلالاً من حديد(٣).

وقال أبو عمران الجوني: قيودٌ لا تُحلّ(٤).

﴿وجحيماً * وطعاماً ذا غصة﴾ لا يسوغ في الحلق.

(١) في الأصل: عنهما. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٦٣٦ ح٨٧٥٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والطبري (٢٩/ ١٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٨/ ٥٦ ح٤٥٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣١٨) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣١٩) وعزاه لعبد بن حميد.

قال ابن عباس: هو شوك يأخذ [بالحلق][1] فلا يدخل فيه ولا يخرج[2].

وقال [مقاتل][3]: هو الزقوم.

وقال الزجاج[4]: هو الضريع.

أخرج إسحاق بن راهويه في تفسيره، عن وكيع، عن حمزة الزيات، عن حمران بن أعين، عن ابن عمر: أن النبي ﷺ سمع قارئاً قرأ: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾ فصعق[5].

قرأتُ على الشيخ أبي عبدالله أحمد بن محمد بن طلحة البغدادي بالموصل، أخبركم أبو القاسم يحيى بن أسعد فأقر به، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، حدثنا أبو بكر[6] أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا أبي، حدثنا يونس، وحدثنا صالح،

---

(١) في الأصل و ب: الحلق. والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٩ ح٣٨٦٧)، والطبري (٢٩/ ١٣٥)، وابن أبي الدنيا في صفة النار (ص:٩١). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في صفة النار وعبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في البعث.

(٣) زيادة من ب. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤١٠).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٠)، وأحمد في الزهد (ص:٣٦)، وهناد في الزهد (١/ ١٨٠ ح٢٦٧)، والبيهقي في الشعب (١/ ٥٢٢ ح٩١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣١٩) وعزاه لأحمد في الزهد وهناد وعبد بن حميد ومحمد بن نصر.

(٦) في الأصل زيادة قوله: بن. وهو وهم.

عن خليد بن حسان[١]، قال: أمسى الحسن صائماً، فجئناه بطعامه عند إفطاره، فلما قُرِّب إليه عرضت له هذه الآية: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة وعذاباً أليماً﴾ فتقلَّصت يده عنه، فقال: ارفعوه، فرفعناه. قال: فأصبح صائماً، فلما أراد أن يفطر ذكر الآية ففعل ذلك أيضاً، فلما كان اليوم الثالث انطلق ابنه إلى ثابت البناني ويحيى البكّاء وأناسٍ من أصحاب الحسن فقال: أدركوا أبي فإنه لم يذق طعاماً منذ ثلاثة أيام، كلما قربنا إليه الطعام ذكر هذه الآية: ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً * وطعاماً ذا غصة﴾ فتركه، قال: فأتوه، فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق[٢].

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف﴾ قال الزجاج[٣]: "يومَ" منصوب بقوله: "إن لدينا أنكالاً" أي: نُنَكِّل بالكافرين ونعذّبهم يوم ترجف ﴿الأرض والجبال﴾، أي: تُزلزل وتُحرّك.

﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾ قال الفراء[٤]: الكثيب: الرمل، والمهيل: الذي تُحرّك أسفله فينهال عليك من أعلاه.

وما بعده ظاهر أو مُفسّر إلى قوله تعالى: ﴿أخذاً وبيلاً﴾ أي: ثقيلاً، ومنه: الوَابِلُ والوَبِيلُ: العصا الضخمة[٥].

---

(١) خليد بن حسان، أبو حسان البحري العصري، سكن بخارى. يروي عن الحسن، روى عنه خازم بن خزيمة، يخطىء ويهم (الثقات ٦/ ٢٧١).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٤٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٢).

(٤) معاني الفراء (٣/ ١٩٨).

(٥) انظر: (اللسان، مادة: وبل).

قوله تعالى: ﴿يوماً﴾ مفعول به[١]، أي: فكيف تتقون أنفسكم يوم القيامة وعذابه إن بقيتم على كفركم؟.

ويجوز أن يكون ظرفاً، على معنى: فكيف لكم بالتقوى في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا.

وقرأت من بعض طرق حفص: "تتقونِ" بكسر النون[٢]، فيكون "يوماً" نصباً على الظرف، على ما ذكرنا، أو مفعولاً لـ"كفرتم"[٣]، على معنى: جحدتم يوماً، أي: كيف تتقون وتخشون إن جحدتم يوم القيامة، والمجازاة على الأعمال؛ لأن تقوى الله خوف عقابه.

ثم نبّه على أهوال ذلك اليوم وشدائده بقوله: ﴿يجعل الولدان﴾ أي: الأطفال الذين لم يتلبّسوا بالإجرام ولم يتدنّسوا بالآثام ﴿شيباً﴾.

وقرأ أبي بن كعب وأبو عمران: "نجعل" بالنون[٤].

ثم بالغ في وصف أهواله فقال: ﴿السماء مُنفطرٌ به﴾ يعني: لنزول الملائكة، كقوله تعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ [الانفطار:١].

قال ابن قتيبة[٥]: المعنى: السماء مُنشقٌّ به، أي فيه، يعني: في ذلك اليوم.

وقال غيره[٦]: الباء في "به" مثلها في قولك: فطرتُ العود بالقدوم فانفطر به،

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤٠٨).

(٢) انظر هذه القراءة في: القرطبي (١٩/ ٥٠).

(٣) في الأصل: كفرتم. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٤)، والدر المصون (٦/ ٤٠٨).

(٥) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٤).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٣).

يعني: أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله، كما ينفطر الشيء بما يُفطر به.

قال الفراء[١]: السماء تذكّر وتؤنّث، وأنشد:

فلو رَفَعَ السماءُ إليهِ قَوْماً ... لَحِقْنا بالسماءِ معَ السحاب[٢]

وقال الزجاج وغيره[٣]: ذكّر على تأويل السماء بالسقف. وقيل: التقدير: السماء شيء مُنفطر به.

﴿كان وعده مفعولاً﴾ أي: وعد الله بالبعث مفعولاً، كائناً لا محالة.

وقيل: الضمير في "وعده" لليوم، فيكون من باب إضافة المصدر إلى المفعول.

﴿إن هذه﴾ الآيات الناطقة بهذا الوعيد الشديد ﴿تذكرة﴾ موعظة ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بالإيمان والطاعة.

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا

---

(١) معاني الفراء (٣/ ١٩٩).

(٢) انظر البيت في: اللسان (مادة: سما)، والطبري (٢٩/ ١٣٩)، والقرطبي (١٩/ ٥١)، والبحر (١/ ٢١٩، ٨/ ٣٥٧)، والدر المصون (١/ ١٣٦، ٦/ ٤٠٩)، وزاد المسير (٨/ ٣٩٤)، وروح المعاني (١/ ١٧١، ٢٩/ ١١٠).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٣).

حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى﴾ أي: أقل ﴿من ثُلُثَي الليل﴾ وقرأ هشام: "ثُلْثَي" بسكون اللام[1]، وهما لغتان.

قرأ ابن كثير وأهل الكوفة: "ونِصْفَهُ وثُلُثَه" بالنصب فيهما، على معنى: وتقوم النصف والثلث.

وقرأ الباقون من العشرة: بالجر فيهما، عطفاً على "ثُلُثَي الليل"[2]، أي: وأدنى من نصفه، وأدنى من ثلثه.

قال مكي[3]: النصب أقوى؛ لأن الفرض كان على النبي ﷺ قيام ثُلُث الليل، فإذا نصبت ["ثلثه"][4] أخبرت أنه كان يقوم ما فرض الله عليه وأكثر، وإذا [خفضت][5] "ثلثه" أخبرت أنه كان يقوم أقلّ من الفرض.

﴿وطائفة من الذين معك﴾ وهم المؤمنون المخلصون، ﴿والله يقدر الليل والنهار﴾ يعلم مقادير ساعاتها، لا يعلمها على الحقيقة سواه، ﴿علم أن لن

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٣)، والكشف (٢/ ٣٤٦)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣١-٧٣٢)، والكشف (٢/ ٣٤٥)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٨).

(٣) الكشف (٢/ ٣٤٥).

(٤) زيادة من الكشف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: نصبت. والتصويب من ب، والكشف، الموضع السابق.

تحصوه﴾ قال مقاتل[(١)]: علم أن لن تطيقوا قيام ثلثي الليل ولا ثلث الليل ولا نصف [الليل][(٢)].

وقال الفراء[(٣)]: علم أن لن تحفظوا مواقيت الليل.

وقال غيره[(٤)]: الضمير في "تحصوه" لمصدر "يقدر".

﴿فتاب عليكم﴾ عاد عليكم بالرحمة والتخفيف ﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾ أي: فَصَلُّوا ما تيسّر عليكم.

وعبّر عن الصلاة بالقراءة؛ لاشتمالها عليها، كما عبّر عنها بالركوع والسجود.

قال الماوردي[(٥)]: يحتمل وجهين:

أحدهما: ما يتطوع به من نوافله.

الثاني: أنه محمول على [فروض][(٦)] الصلوات الخمس؛ لانتقال الناس من قيام الليل إليها. ويكون قوله: "ما تيسر" محمولاً على صفة الأداء في القوة والضعف، والصحة والمرض.

وذهب كثير من المفسرين إلى أن المعنى: فاقرؤوا في الصلاة ما تيسير من القرآن.

ويروى أن ابن عباس أمّ الناس بالبصرة، فقرأ في أول ركعة بالحمد وأول آية

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤١١).

(٢) في الأصل: الثلث. والتصويب من ب، وتفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٠).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٤).

(٥) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٢).

(٦) في الأصل: فرض. والتصويب من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

من البقرة، ثم قام في الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة، فلما قضى صلاته قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾. قال علي بن عمر الحافظ: هذا حجة لمن يقول: فاقرؤوا ما تيسر منه [فيها][1] بعد الفاتحة[2].

قال بعضهم: هو أمرٌ بقراءة القرآن.

ثم اختلفوا: هل هذا الأمر على وجه الإيجاب أم الاستحباب؟

والحق أن يقال: يجب على المسلم أن يتعلم من القرآن ما يتوقّف[3] صحة الصلاة عليه.

قال الماوردي[4]: وفي قدر ما تضمّنه هذا الأمر من القراءة خمسة أقوال:

أحدها: جميع القرآن؛ لأن الله تعالى قد يسّره على عباده. وهو قول الضحاك.

والثاني: ثلث القرآن. حكاه جويبر.

والثالث: مائتا آية. قاله السدي.

والرابع: مائة [آية][5]. قاله ابن عباس.

والخامس: ثلاث آيات كأقصر سورة. قاله أبو خالد الكناني[6].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الدارقطني (١/ ٣٣٨ ح٢)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٤٠ ح٢٢٠١) من حديث قيس بن أبي حازم. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٣) وعزاه للدارقطني والبيهقي في السنن.

(٣) في الأصل زيادة قوله: على. وانظر: ب.

(٤) تفسير الماوردي (٦/ ١٣٣).

(٥) زيادة من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

(٦) في هامش ب: أسند البزار عن جابر: كتب علينا قيام الليل ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا =

ثم نبّه على حكمة التخفيف بما ذكر من أعذار الناس فقال: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ المعنى: فلا تُطيقوا قيام الليل ﴿وآخرون يضربون في الأرض﴾ أي: يسافرون ﴿يبتغون من فضل الله﴾ أي: يطلبون الرزق بالتجارة فلا يستطيعون قيام الليل؛ إما لمشقة السفر، وإما لكثرة السهر، ﴿وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾.

قال بعض العلماء: سوّى الله تعالى بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال[١].

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتي رحل أضرب في الأرض أبتغي من فضل الله[٢].

قوله تعالى: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ يريد: الصلوات الخمس، ﴿وآتوا الزكاة﴾ قال ابن عباس: صلة الرحم، وقرى الضيف[٣]. يشير إلى أن الزكاة لم تكن بعدُ فُرضت.

قال عكرمة وقتادة: زكاة الأموال[٤].

= قليلاً﴾ فقمنا حتى انتفخت أقدامنا. فأنزل الله تبارك وتعالى الرخصة: ﴿علم أن سيكون منكم مرضى... إلى آخر السورة﴾.

قلت أنا: وفي هذا نظر، فإن هذا كان كله بمكة، وجابر أنصاري...

(١) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٤٤).

(٢) ذكره القرطبي (٨/ ٣٢٣). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر عن عمر بن الخطاب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٣٩٦).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

وقيل: صدقة الفطر[١].

﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ مُفسّر في البقرة[٢].

والمراد بها هاهنا: النفقة في سبيل الله، في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

والنوافل بعد الفرض، في قول ابن زيد[٤].

وقال زيد بن أسلم: النفقة على الأهل[٥].

قوله تعالى: ﴿هو خيراً﴾ قال الزجاج[٦]: "خيراً" منصوب بمفعول ثاني لـ"تجدوه"، ودخلت "هو" فَصْلاً.

قال المفسرون: ومعنى: "هو خيراً" هو أفضل مما أعطيتم، ﴿وأعظم أجراً﴾ من الذي تؤخرون إلى وقت الوصية عند الموت.

﴿واستغفروا الله﴾ من ذنوبكم ﴿إن الله غفور﴾ للمستغفرين ﴿رحيم﴾ بالمؤمنين.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٢) عند الآية رقم: ٢٤٥.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٢). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٣٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٤).

سورة المدثر ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس وخمسون آية في المدني، [وست][1] في الكوفي[2]. وهي مكية بإجماعهم.

واستثنى مقاتل آية وهي قوله: ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾[3].

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «[جاورتُ][4] بحِراء شهراً، فلما قضيتُ جواري نزلتُ فاستبطنتُ بطن الوادي، فنُوديت، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وعن شمالي، فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دَثِّروني، وصبوا عليّ ماء بارداً، وأنزل عليّ ﴿يا أيها المدثر﴾»[5].

قوله: "فإذا هو جالس" يعني: جبريل عليه السلام.

[أخبرنا][6] الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا

---

(١) في الأصل: ست. والتصويب من ب.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٥٨).

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٣٩٨).

(٤) في الأصل: جاوت. والتصويب من ب، والصحيحين.

(٥) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٥ ح٤٦٤٠)، ومسلم (١/ ١٤٤ ح١٦١).

(٦) في الأصل: وأخبرنا. والمثبت من ب.

عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا المَلَكُ الذي جاءني بحِراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فَجُئِثْتُ(١) منه رعباً، [فرجعت](٢) فقلت: زَمِّلوني زَمِّلوني، فدثّروني، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى قوله: ﴿والرجز فاهجر﴾. قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع»(٣).

قال الخطابي: "فجُئِثْتُ": أي: فَرَقْتُ، يقال: رجل مَجْؤُوثٌ. وقد صحّفه بعضهم فقال: "فجبنت"، من الجُبن. وهذا يدل على أن هذا من أول ما نزل من القرآن. وقد ذكرنا الصحيح من ذلك في مقدمة الكتاب.

فصل

اختلف العلماء في الشهر الذي ابتُدئ فيه الوحي؛ فقال أبو هريرة: نزل جبريل على النبي ﷺ بالرسالة يوم سبعة وعشرين من رجب، وهو أول يوم هبط فيه(٤).

وقال ابن إسحاق: ابتُدئ رسول الله ﷺ بالتنزيل في شهر رمضان، فأما اليوم الذي ابتُدئ فيه بالوحي، فقد روى مسلم في صحيحه: «أن النبي ﷺ سئل عن

---

(١) فجئثت: أي: ذُعِرْتُ وخِفْتُ (اللسان، مادة: جأث).

(٢) في الأصل: فرعت. والتصويب من ب، والبخاري (٤/ ١٨٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٥-١٨٧٦ ح٤٦٤١، ٤٦٤٢).

(٤) ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه (٨/ ٢٨٩) مطولاً.

صوم يوم الاثنين؟ فقال: فيه وُلدت، وفيه أُنزل عليّ»(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾

فصل

قرأ الأكثرون: "المدَّثِّر". وقرأ أبي بن كعب وأبو عمران الجوني والأعمش: "المتَدَثِّر"(٢).

وقرأ أبو رجاء وعكرمة: "[المدَثَّر](٣)" بتخفيف الدال(٤). وقد نبهنا على علّة ذلك في أول المزمل.

والأكثرون على أنه من التَّدثير بالثياب.

وقيل: المدثر بالنبوة، كما في المزمّل.

﴿قم فأنذر﴾ أي: قم من مضجعك.

وقيل: هو أمرٌ له [بالتشمير](٥) في الإنذار والجِدّ فيه، فأنْذِرْ كفار مكة وغيرهم، وحَذِّرْهُمْ عقوبة الله إن لم يؤمنوا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٠ ح١١٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ٤١١).

(٣) في الأصل: المتدثر. وهو خطأ. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٣٩٩)، والدر المصون (٦/ ٤١١).

(٥) في الأصل: بالتشهير. والتصويب من ب.

﴿وربك فكبر﴾ أي: عَظِّم.

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: «لما نزلت [قال رسـول الله ﷺ][١]: "الله أكبر"، فكبّرت خديجة وفرحت، وأيقنت أنه الوحي»[٢].

﴿وثيابك فطهِّر﴾ قال مجاهد وقتادة: نفسك فطهِّر من الذنوب[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: كنَّى عن الجسم بالثياب؛ لأنها تشتمل عليه. ويشهد له قول عنترة:

فَشَكَكْتُ بالرمحِ الأصمِّ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنَا بمُحَرَّمِ[٥]

وهو قريبٌ من قول من قال: وعملك فأصلح[٦].

قال السدي: يقال للرجل إذا كان صالحاً: إنه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجراً: إنه لخبيث الثياب[٧].

---

(١) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٤٧).

(٢) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٤٧)، والقرطبي (١٩/ ٦٢).

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ١٤٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٠).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٥).

(٥) البيت لعنترة. وهو في: اللسان (مادة: طهر)، والأغاني (٩/ ٢٥٤)، ومجمع الأمثال (١/ ٣٤٤)، والقرطبي (١٩/ ٦٣)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

(٦) هو قول مجاهد. أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٧) ذكره البغوي (٤/ ٤١٣).

وقال ابن عباس: لا تلبسها على معصية ولا على غدرة[١].

قال غيلان بن سلمة الثقفي:

وإني [بحمدِ][٢] الله لا ثوبَ فَاجرٍ لبستُ ولا مِنْ غَدْرَةٍ أتقنَّعُ[٣]

وروي عن ابن عباس أيضاً: أن المعنى: لا تكن ثيابك من كسب[٤] غير طاهر[٥].

وقال ابن سيرين وابن زيد: أمره بتطهير ثيابه من النجاسات التي لا تجوز معها الصلاة[٦].

وقال سعيد بن جبير: وقلبك فطهر[٧]. ويشهد له قول امرئ القيس:

فإنْ تكُ قد ساءتكَ مني خليقةٌ فَسُلِّي ثيابي من ثيابكِ تنسُلي[٨]

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٦) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وغيرهم.

(٢) في الأصل: وبحمد. والمثبت من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لغيلان بن سلمة. وهو في: اللسان (مادة: قوا)، والطبري (١٥/ ١٠١، ٢٩/ ١٤٥)، والقرطبي (١٠/ ٢٧٦، ١٩/ ٦٣)، والماوردي (٦/ ١٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٣٦٣)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

(٤) في ب: مكسب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٠).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٦-١٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٨) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٣)، والأغاني (٩/ ٨٥)، والماوردي (٦/ ١٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٠١)، وروح المعاني (٢٩/ ١١٧).

أي: قلبي من قلبك.

وقال طاووس والزجاج[١]: وثيابك فقصّر؛ لأن تقصير الثوب أبعدُ من النجاسة.

﴿والرجز فاهجر﴾ وقرأ حفص: "والرُّجْزَ" بضم الراء[٢].

قال عامة المفسرين: يريد: الأوثان.

وقيل: الإثم.

قال الزجاج[٣]: الرجز في اللغة: العذاب. ومعنى الآية: اهجر ما يؤدي إلى عذاب الله.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ قال الزجاج[٤]: "تستكثر" حالٌ متوقعة[٥].

وهذا للنبي ﷺ خاصة، وليس على الإنسان إثم في أن يُهدي هدية يرجو بها ما هو أكثر منها. والنبي ﷺ أدبه الله تعالى بأشرف الآداب، وأجلّ الخلائق.

قال جمهور المفسرين: المعنى: لا تُعطِ شيئاً لتُعطى أكثر منه[٦].

وقال الحسن: لا تمنن بعملك فتُكَثِّرَهُ على ربك[٧].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٣)، والكشف (٢/ ٣٤٧)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٩).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤١٢).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٨-١٤٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وانظر: الدر (٨/ ٣٢٧).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٨).

وقال مجاهد: لا تَضْعُفْ عن الخير أن تستكثر منه(١).

وقرأ الحسن: "تستكثرْ" بالسكون.

قال الزمخشري(٢): وفيه ثلاثة أوجه: الإبدال من "تَمْنُن". كأنه قيل: [ولا](٣) تمنن لا تستكثر؛ على أنه من المنّ في قوله عز وجل: ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى﴾؛ لأن من شأن المنّان بما يعطي أن يستكثره، أي: يراه كثيراً ويعتدّ به، وأن يشبّه [ثِرْوَ](٤) بعَضُد، فيسكّن تخفيفاً، وأن يُعتبر حال الوقف.

وقرأ الأعمش بالنصب بإضمار "أنْ" كقوله:

ألا [أيّهذا](٥) الزاجري أحضر الوغى ....(٦)

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "ولا تمنن أن تستكثر"(٧).

ويجوز في الرفع أن تحذف "أنْ" ويبطل عملها، كما روي: أحضُرُ الوغى.

قوله تعالى: ﴿ولربك فاصبر﴾ أي: لأجل ربك، أو لثواب ربك، فاصبر على أذى المشركين، والقيام بأعباء الرسالة، وكل ما شُرع لك الصبر عليه.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٤٩). وذكره الماوردي (٦/ ١٣٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الكشاف (٤/ ٦٤٨).

(٣) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٤) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٤٨).

(٥) في الأصل: أيها. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) تقدم.

(٧) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٦٤)، والدر المصون (٦/ ٤١٢).

قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ أي: نُفخ في الصور. [وهل][١] المراد بذلك النفخة الأولى أو [الثانية][٢]؟

فيه قولان: أظهرهما: أنها [الثانية][٣]؛ لقوله: ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾. وقد سبق ذكر "الصور" في الأنعام[٤].

قرأتُ على أبي عبدالله أحمد بن محمد بن طلحة بن الحسن بن طلحة، أخبركم يحيى بن أسعد بن بَوْش، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المذهب، [أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي][٥]، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا أبو خباب القصاب قال: صلى بنا زرارة بن أوفى صلاة الصبح فقرأ: ﴿يا أيها المدثر﴾ حتى إذا بلغ: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خرّ ميتاً[٦].

قال الزجاج[٧]: و﴿يوم عسير﴾ يرتفع بقوله: ﴿فذلك﴾. المعنى: فذلك يوم عسير يوم النفخ في الصور.

و"يوم" يجوز أن يكون رفعاً، ويجوز أن يكون نصباً. فإذا كان نصباً فإنما بُني على الفتح؛ لإضافته إلى "إذ"؛ لأن "إذ" غير متمكنة. وإذا كان رفعاً فهو على

---

(١) في الأصل: وقيل. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: الثالثة. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: الثالثة. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٧٣.

(٥) زيادة على الأصل. وفي هامش ب: سقط اسم القطيعي.

(٦) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٣٠٢). وأصله عند الترمذي، انظر: (٢/ ٣٠٦ ح٤٤٥).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٦).

معنى: فذلك يوم عسير يوم ينفخ في الصور.

وقال صاحب الكشاف[١]: إن قلت: كيف صح أن يقع "يومئذ" ظرفاً لـ"يوم عسير"؟

قلتُ: المعنى: فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير؛ لأن يوم القيامة يأتي ويقع حين يُنقر في الناقور.

فإن قلت: فما فائدة قوله: ﴿غير يسير﴾ و﴿عسير﴾ مُغْنٍ عنه؟

قلتُ: لما قال: ﴿على الكافرين﴾ فقصَرَ العُسْرَ عليهم قال: ﴿غير يسير﴾ ليُؤذن لهم بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيراً هيناً، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم، وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يُراد به أنه عسير لا يُرجى أن يرجع يسيراً، كما [يُرجى][٢] تيسير العسير من أمور الدنيا.

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا
﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا
عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾
ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾
فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ
﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا
تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٤٨-٦٤٩).

(٢) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٦٤٩).

قوله تعالى: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ قد سبق تفسير "ذرني"(١). والعائد على الاسم الموصول محذوف، تقديره: ومن خلقته.

[و"وحيداً"](٢) حال من المخلوق، على معنى: خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد. وهذا قول مجاهد(٣).

وقيل: إن "وحيداً" حالٌ من الله تعالى، ثم فيه وجهان:

أحدهما: أنه حال من الضمير المنصوب في "ذرني"، على معنى: ذرني وحدي، فأنا أكفيك أمره وأنتقم لك منه، وأجزيك عن كل منتقم منه.

[قال](٤) مقاتل(٥): خلّ بيني وبينه فأنا أكفيك هلاكه.

الثاني: أنه حال من الضمير المرفوع في "خَلَقْتُ"، أي: ذرني ومن خلقته وحدي لم يشركني في خلقه أحد(٦).

قال ابن عباس: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال له: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً، فإنك أتيت محمداً تتعرّض لما قبله، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له، قال: وماذا أقول،

---

(١) في سورة القلم، عند الآية رقم: ٤٤.

(٢) في الأصل: وحيداً. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤١٥).

فوالله ما [فيكم][1] رجل أعلم بالأشعار مني، والله ما يُشبهها الذي يقول، والله إن لِقَوْلِه حلاوة، وإن عليه طلاوة، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدقٌ أسفله، وإنه ليَعْلُوا وما يُعلى. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: [فدعني][2] حتى أفكر فيه، فقال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثُره عن غيره، فنزلت هذه الآيات[3].

قال مجاهد: قال الوليد لقريش: إن لي إليكم حاجة، فاجتمعوا في دار الندوة، فقال: إنكم ذَوو أحساب وأحلام، وإن العرب يأتونكم وينطلقون من عندكم على أمر مختلف، فأجمعوا على شيء واحد، ما تقولون في هذا الرجل؟ قالوا: نقول: إنه شاعر، فعَبَسَ عندها وقال: قد سمعنا الشعر وما يشبه قوله الشعر، فقالوا: نقول: إنه كاهن، فقال: إذاً يأتونه فلا يجدونه يُحدّث ما تحدث [به][4] الكهنة، قالوا: نقول: إنه مجنون، قال: إذاً يأتونه فلا يجدونه مجنوناً، قالوا: نقول: إنه ساحر، قال: وما الساحر؟ قالوا: بشرٌ يُحبّبون بين المتباغضين، ويبغّضون بين المتحابين، قال: فهو ساحر، فخرجوا لا يلقى أحد النبي ﷺ إلا قال: يا ساحر، فاشتدّ ذلك [عليه][5]، فأنزل الله عز وجل هذه الآيات[6].

---

(١) في الأصل: منكم. والمثبت من ب.

(٢) في الأصل: دعني. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٠ ح٣٨٧٢) وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه، والبيهقي في الشعب (١/ ١٥٦-١٥٨ ح١٣٤). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٠) وعزاه للحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل.

(٤) زيادة من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) الوسيط (٤/ ٣٨٣)، وأسباب النزول للواحدي (ص:٤٦٨)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٣-٤٠٤).

قوله تعالى: ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ كثيراً مبسوطاً.

وقال الزجاج[(١)]: غير منقطع.

قال عمر بن الخطاب رضي الله [عنه][(٢)]: غَلَّةُ شهر بشهر[(٣)].

قال مقاتل[(٤)]: كان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره شتاءً ولا صيفاً.

وقال ابن عباس ومجاهد: ألف دينار[(٥)].

وقال قتادة: أربعة آلاف دينار[(٦)].

﴿وبنين شهوداً﴾ أي: حضوراً عنده قد أغنيتهم عن الضرب في الأرض لابتغاء الرزق.

وفي عددهم أربعة أقوال:

أحدها: أنهم كانوا عشرة. قاله مجاهد وقتادة[(٧)].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٦).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٠) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والدينوري في المجالسة.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره الماوردي (٦/ ١٣٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٢) كلاهما عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

الثاني: ثلاثة عشر. قاله سعيد بن جبير[١].

الثالث: اثنا عشر. قاله السدي[٢].

الرابع: سبعة. قاله مقاتل[٣]. قال: وهم: خالد، وعمارة، وهشام، وهؤلاء أسلموا، والعاص، وقيس، وعبد شمس، والوليد.

قوله تعالى: ﴿ومهدتُ له تمهيداً﴾ أي: بسطتُ له في العيش بسطاً.

وقال ابن عباس: يعني: المال بعضه على بعض، كما يمهد الناس[٤] الفرش[٥].

وقال غيره[٦]: بسطتُ له الجاه العريض والرئاسة في قومه، فأتممت عليه نعمتَي الجاه والمال، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا، ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون: زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد من وُجهاء قريش وصناديدهم، ولذلك لُقِّبَ الوحيد، وريحانة قريش.

﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ قال مقاتل[٧]: يطمع أن أزيده في المال والولد.

وقال الحسن: يطمع أن أدخله الجنة[٨].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٢٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٤) قوله: "الناس" ساقط من ب.

(٥) ذكره القرطبي (١٩/ ٧٢) من قول مجاهد، والبغوي (٤/ ٤١٤) من قول الكلبي.

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٥٠).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٦).

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٥).

قال المفسرون: كان الوليد يقول: إن كان [محمد][(١)] صادقاً، فما خُلقت الجنة إلا لي.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ له، وقطعٌ لرجائه وطمعه.

قال المفسرون: منعه الله المال والولد، ولم يزل بعد نزول هذه الآية في نقصان حتى مات فقيراً.

﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾ أي: معانداً. وهو كلام مستأنف خارج مخرج التعليل للردع، كأنّ قائلاً [قال][(٢)]: لم لا يُزاد؟ فقال: إنه عاند آيات [النعم][(٣)] عليه.

﴿سأرهقه صعوداً﴾ أي: سأحمله على مشقة من العذاب، أو سأغشيه عقبة شاقة المصعد.

وفي الترمذي من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «الصعود عقبة في النار، يتصعَّد فيها الكافر سبعين خريفاً، فهو كذلك أبداً»[(٤)].

وفي لفظ آخر: «جبل من نار، يُكلّف أن يصعده، فإذا وضع يده عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله عليه ذابت، فإذا رفعها عادت، يصعد سبعين خريفاً، ثم يهوي فيه كذلك أبداً»[(٥)].

---

(١) في الأصل: محمداً. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في الأصل: المنعم. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٧٠٣ ح٢٥٧٦).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٦٦ ح٥٥٧٣)، والطبري (٢٩/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٣).

قوله تعالى: ﴿إنه فكر﴾ يعني: ماذا يقول في القرآن ﴿وقدّر﴾ [هيأ][١] القول في نفسه. ﴿فقتل كيف قدر﴾ أي: لُعن وعُذّب على أيّ حال قدر من الكلام.

قال صاحب النظم[٢]: وهذا كما يقال: لأضربنه كيف صنع، أي: على أيّ حال كانت منه.

وقيل: هو تعجيب من إصابته [المحز][٣] في تقديره.

﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكريراً لمعنى التوكيد.

﴿ثم نظر﴾ عطف على "فكّر وقدّر"، والدعاء: اعتراض بينهما، فيما يدفع به القرآن ويرده.

وقال مقاتل[٤]: نظر في الوحي.

وقيل: نظر في وجوه الناس.

﴿ثم عبس وبسر﴾ أي: كرّه وجهه وقطَّب، وأنشدوا:

وقدْ [رَابَنِي][٥] منها صُدُودٌ رأيتُهُ وإعراضُهَا عن حَاجَتِي وبُسُورُها[٦]

وقيل: قدّر ما تقوله، ثم نظر فيه، ثم عَبَسَ لما ضاقت عليه الحيل ولم يَدْرِ ما يقوله.

---

(١) في الأصل: منا. والتصويب من ب.

(٢) هو: الحسين بن يحيى الجرجاني.

(٣) في الأصل: المخز. والتصويب من ب.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٧).

(٥) في الأصل: رأيتني. والتصويب من ب.

(٦) البيت لتوبة الخفاجي. وهو في: الطبري (٢٩/ ١٥٦)، والقرطبي (١٩/ ٧٦)، والماوردي (٦/ ١٤٢)، وزاد المسير (٨/ ٤٠٧)، وروح المعاني (٢٩/ ١٢٤).

﴿ثم أدبر﴾ عن الحق ﴿واستكبر﴾ عنه، فقال ما قال.

[ولما][(١)] كان قوله [لكلمته][(٢)] الشنعاء عقيب استنباطها من غير توقّف وتثبّت، جاء بحرف التعقيب وهو الفاء دون حرف المهلة، وذلك قوله: ﴿فقال إن هذا إلا سحر يؤثر﴾. أي: يأثره محمد عن غيره.

وقيل: معناه: تؤثره النفوس لحلاوته.

﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ يريد: أنه ليس من كلام الله.

قال الله تعالى [مبيناً][(٣)] جزاءه على ذلك: ﴿سأصليه سقر﴾، وهو اسمٌ من أسماء جهنم. وقد ذكرناه في القمر[(٤)].

ثم عظّم شأن سقر فقال: ﴿وما أدراك ما سقر﴾.

ثم أخبر عنها فقال: ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ أي: لا تُبقي لهم لحماً إلا أكلته، ولا تذرهم من العذاب.

وقال مجاهد: لا تُبقي من فيها حياً، ولا تذره ميتاً[(٥)].

﴿لوّاحة للبشر﴾ أي: مغيّرة للجلود الظاهرة.

قال أبو رزين: تلفَحُ الجلد حتى تدعه أشد سواداً من الليل[(٦)].

---

(١) في الأصل: ما. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: وكلمته. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: فبينا. والتصويب من ب.

(٤) عند الآية رقم: ٤٨.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٤٣).

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٩)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٩ ح٣٤١٢٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٢) وعزاه لابن أبي شيبة وأحمد.

وقال عطية: تحرق البشر حتى يلوح العظم[١].

قوله تعالى: ﴿عليها تسعة عشر﴾ يريد: خزنتها، وهم مالك وأعوانه، أعينهم كالبرق الخاطف، وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، تَسَعُ كفُّ أحدهم مثل ربيعة ومضر.

ويروى في الحديث: «إن لأحدهم قوةَ الثقلين، يسوق أحدهم الأمّة، على رقبته جبل، فيرمي بهم في النار، ويرمي بالجبل عليهم»[٢].

قال ابن عباس وقتادة والضحاك: لما نزلت هذه الآية قال أبو جهل لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أيعْجِزُ كلُّ عشرة منكم أن يَبطشوا بواحد منهم، ثم نخرج من النار، فقال أبو الأشدين الجمحي -واسمه: كلدة بن خلف. وقال مقاتل[٣]: أسيد بن كلدة-: يا معشر قريش إذا كان يوم القيامة فأنا أمشي بين [أيديكم][٤] إلى الصراط، فأرفع عشرة بمنكبي الأيمن وتسعة بمنكبي الأيسر في النار وندخل الجنة، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾[٥].

وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٣).

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٤).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٧).

(٤) في الأصل: أيدكم. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٥٩-١٦٠) بأقصر منه. وذكره الواحدي في الوسيط (٦/ ٣٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٠٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٣٣) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ
أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾
لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾

أي: ما جعلناهم رجالاً من جنسكم تُطِيقُونهم، وإنما جعلناهم ملائكة أشداء يَعجز طوقُ البشر عن مغالبتهم.

﴿وما جعلنا عدتهم﴾ قليلة ﴿إلا فتنة﴾ ضلالة ﴿للذين كفروا﴾ حتى قالوا ما قالوا، ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ما عندهم من ذكر عدَّتِهم؛ لأن عِدَّتهم في كتابهم تسعة عشر.

وقيل: ليستيقنوا صدق محمد ﷺ بكونه أخبر بعدد خَزَنة جهنم، على الوجه المذكور عندهم.

﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ منهم ومن غيرهم بمحمد ﷺ ﴿إيماناً﴾.

قوله تعالى: ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: لا يتخالجهم شك ولا ريب في عدد الخَزَنة، فينضم إلى يقينهم وتصديقهم عدم الريب بسبب تواطئهم وتوافقهم على ذلك، نظراً إلى تصديق كل واحد من الكتابَيْن والنبيَّيْن لصاحبه.

قوله تعالى: ﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ أي: شك ونفاق.

﴿والكافرون﴾ مشركوا العرب ﴿ماذا أراد الله بهذا﴾ الحديث والخبر ﴿مثلاً﴾. و"مَثَلاً" تمييز لـ"هذا"، أو حال منه[١].

قال الزمخشري[٢]: إن قلت: لم سموه مَثَلاً؟

قلتُ: هو استعارة من المثل المضروب؛ لأنه مما غَرُبَ من الكلام وبَدُعَ، استغراباً منهم لهذا [العدد][٣] واستبداعاً. والمعنى: أيّ شيء أراد الله بهذا العدد العجيب، وأيّ [غرض][٤] قصد في أن جعل الملائكة تسعة عشر، ومرادهم إنكاره من أصله، وأنه ليس من عند الله، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص.

قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ الكاف الأولى في موضع نصب، و"ذلك": إشارة إلى ما تقدم ذكره من معنى الإضلال والهدى.

والمعنى: كما أضل الله من أنكر عدد الخَزَنة، وهدى من صدّق ذلك ﴿يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾.

﴿وما يعلم جنود ربك﴾ يعني: من الملائكة ﴿إلا هو﴾ فلا يتوهموا أن قلّة عدد الخَزَنة لقلّة جنوده الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، يشير إلى أن مع كل واحد من الخزنة من الجنود والأعوان مما لا يعلم عددهم إلا الله. هذا معنى قول عطاء[٥].

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤١٨).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٥٤).

(٣) في الأصل: العد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: شيء. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر: البغوي (٤/ ٤١٧).

ويحتمل عندي: أن يراد بذلك عموم الملائكة.

قال ابن عباس: كان رسول الله ﷺ يقسم غنائم حنين وجبريل إلى جنبه، فأتاه مَلَكٌ فقال: إن ربك يأمرك بكذا وكذا، فخشي رسول الله ﷺ أن يكون شيطاناً، فقال: يا جبريل تعرفه؟ فقال: هو مَلَك، وما كُلُّ ملائكة ربك أعرفه[1].

وقال الأوزاعي: قال موسى ﷺ: يا رب! من معك في السماء؟ قال: ملائكتي، قال: كم عدّتهم يا رب؟ قال: اثنا عشر سبطاً، قال: كم عدة كل سبط؟ قال: عدد التراب[2].

قوله تعالى: ﴿وما هي﴾ يريد: سقر ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ موعظة للناس.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ أي: حقاً.

وقيل: ردعٌ لمن ينكر أن تكون إحدى الكبر نذيراً.

ثم أقسم سبحانه وتعالى بعجائب مخلوقاته فقال: ﴿والقمر * والليل إذ أدبر﴾ قرأ نافع وحمزة وحفص: "إذ" بغير ألف، "أدبر" بهمزة قبل الدال.

ومَرَّ وَرْش على أصله في إلقاء حركة الهمزة على الساكنين قبلها، جعلوه أمراً قد تقضّى ومضى؛ لأن "إذ" ظرف لما مضى من الزمان.

وقرأ الباقون: "إذا دَبَر" بغير همز[3]، جعلوه أمراً لم يمض؛ لأن "إذا" لما يُستقبل من الزمان.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧/ ٢٢٥ ح٧٣٣٩).

(٢) ذكره القرطبي (١٩/ ٨٣).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٧٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٣)، والكشف (٢/ ٣٤٧)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٥٩).

وأَدْبَرَ ودَبَرَ لغتان. قاله الفراء[(١)] والأخفش وثعلب.

وقال أبو عبيدة وابن قتيبة[(٢)]: دَبَر بمعنى: خَلَفَ، وأدبر بمعنى: ولّى، يقال: دبرني، بمعنى: جاء خلفي.

﴿والصبح إذا أسفر﴾ أضاء وتبيّن.

﴿إنها﴾ يعني: سقر ﴿لإحدى الكُبَر﴾.

قال ابن قتيبة[(٣)]: "الكُبَر" جمع: كُبْرى، مثل: الأُوَل والأُولى، والصُّغَر والصُّغْرى، وهذا كما يقال: إنها لإحدى العظائم.

قال الحسن: والله ما أنذر الله بشيء أدهى منها[(٤)].

وقال الكلبي ومقاتل[(٥)]: أراد بالكُبَر: دركات جهنم السبعة.

قوله تعالى: ﴿نذيراً للبشر﴾ قال الزجاج[(٦)]: نصب "نذيراً" على الحال[(٧)].

والمعنى: إنها للكبيرة في حال الإنذار.

وقال الزمخشري[(٨)]: "نذيراً" تمييز من "إحدى"، على معنى: إنها لإحدى

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٠٤).

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٧٥-٢٧٦)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤٩٧).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٤٩٧).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٠).

(٥) ذكره مقاتل (٣/ ٤١٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٤٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٠).

(٨) الكشاف (٤/ ٦٥٥).

الدواهي إنذاراً، كما تقول: هي إحدى النساء [عفافاً][1].

وقيل: "نذيراً" متعلق بقوله في أول السورة "قُمْ"، على معنى: قُمْ نذيراً[2].

وفيه بُعْد.

قوله تعالى: ﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من قوله: "للبشر"[3].

﴿أن يتقدم﴾ في الخير والإيمان ﴿أو يتأخر﴾ عنه.

يريد: أن الإنذار شامل للمؤمنين والكفار.

كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ
مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ
ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا
تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ
حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ
صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ
﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ
وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

(١) في الأصل: عقافاً. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٥٥).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٠).

(٣) مثل السابق.

قوله تعالى: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ قال صاحب الكشاف[١]: "رهينة" ليست بتأنيث رهين في قوله: ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ [الطور:٢١]، لتأنيث النفس؛ لأنه لو قصدت الصفة لقيل: رهين؛ لأن فعيلاً بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى: الرهن، [كالشتيمة][٢] بمعنى: الشتم، كأنه قيل: كل نفس بما كسبت رهن.

وفي معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: كل نفس بالغة رهينةٌ بعملها لتُحاسب عليه، ﴿إلا أصحاب اليمين﴾، وهم أطفال المسلمين؛ لأنه لا حساب عليهم، لأنهم لا ذنوب لهم. قاله علي عليه السلام[٣]، واختاره الفراء[٤].

الثاني: كل نفس من أصحاب النار رهينة في النار، إلا أصحاب اليمين وهم المؤمنون فإنهم في الجنة. قاله الضحاك[٥].

الثالث: كل نفس مرتهنة بعملها لتحاسب عليه، إلا أصحاب اليمين فإنهم لا يحاسبون. قاله ابن جريج[٦].

وقال ابن السائب: هم الذين قال لهم: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهم الذين

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٥٥).

(٢) في الأصل: كالشتمة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) ذكره الطبري (٢٩/ ١٦٥)، والماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٥) بمعناه. وذكره الماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١١).

كانوا على يمين آدم[١].

وقال مقاتل[٢]: هم الذين أُعْطوا كتبهم بأيمانهم.

﴿في جنات﴾ أي: هم في جنات ﴿يتساءلون * عن المجرمين﴾ يسأل بعضهم بعضاً، أو يتساءلون غيرهم.

وقال مقاتل[٣]: إذا خرج أهل التوحيد من النار قال المؤمنون لمن بقي في النار: ﴿ما سلككم في سقر﴾.

قال الفراء[٤]: وهذه الآية تُقوّي أنهم الولدان؛ لأنهم لم يعرفوا الذنوب، فسألوا: "ما سلككم في سقر".

وقال غيره: سألوهم مع علمهم بحالهم؛ توبيخاً وتقريعاً لهم.

والمعنى: ما أدخلكم النار؟.

﴿قالوا لم نَكُ من المصلين﴾ أي: من أهل الصلاة.

﴿ولم نَكُ نُطعم المسكين﴾ لله عز وجل.

﴿وكنا نخوض﴾ [تكذيباً][٥] واستهزاءً ﴿مع الخائضين﴾ بالباطل.

﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أي: بيوم الجزاء والحساب.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ وهو الموت.

---

(١) ذكره القرطبي (١٩/ ٨٧)، والبغوي (٤/ ٤١٨) كلاهما عن مقاتل.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٩).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤١٩).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٥).

(٥) في الأصل: مع تكذيبنا. والتصويب من ب.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ قال المفسرون: هذا بعد الشفاعة.

قال ابن عباس: يريد: شفاعة الملائكة والنبيين، كما نفعت الموحدين[١].

وقال الحسن: لم تنفعهم شفاعة مَلَك ولا شهيد ولا مؤمن[٢].

قال ابن مسعود: يشفع نبيكم ﷺ رابع أربعة؛ جبريل، ثم إبراهيم، ثم موسى وعيسى، ثم نبيكم [صلى الله عليهم][٣] أجمعين، لا يُشفَّع أحدٌ في أكثر مما يُشفَّع فيه نبيكم، ثم النبيون، ثم الصدّيقون، ثم الشهداء. ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم: ﴿ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين﴾ قرأ إلى قوله: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾. قال ابن مسعود: فهؤلاء الذين يبقون في جهنم[٤].

﴿فما لهم عن التذكرة﴾[٥] أي: عن التذكير، يريد: الموعظة بالقرآن وغيره من المواعظ، ﴿معرضين﴾ نصب على الحال[٦]، كما تقول: ما لك قائماً.

﴿كأنهم﴾ لشدة نفرتهم عن التذكرة ﴿حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾.

قرأ نافع وابن عامر: "مستنفَرة" بفتح الفاء، على معنى: أنها استدعيت للنفار من القَسْوَرة، فهي مفعول بها في المعنى.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٧).

(٢) مثل السابق.

(٣) في الأصل: ﷺ. والتصويب من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٧).

(٥) في الأصل زيادة قوله: ﴿معرضين﴾، وستأتي بعد.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٣)، والدر المصون (٦/ ٤٢٢).

وقرأ الباقون: بكسر الفاء[١]، جعلوها فاعلة. ويدل عليه قولهم: ﴿فـرّت﴾.
يقال: نَفَرَ واسْتَنْفَرَ بمعنىً، مثل: عجب واستعجب.

قال أبو عبيدة[٢]: المعنى: كأنهم حُمُرٌ مذعورة، وأنشد الفراء والزجاج[٣]:

أَمْسِكْ حمارَكَ إنه مُستنفرُ ....[٤]

والقَسْوَرَة: فَعُولَة من القَسْر، وهو القهر والشدة، وكل شديدٍ عند العرب فهو [قَسْوَرَة][٥]. قال لبيد:

إذا ما هَتَفْنَا هَتْفَةً في نَدِيِّنَا أَتَانَا الرجالُ العائذونَ القَسَاوِرُ[٦]

ثم اختلفوا فيه؛ فقال ابن عباس في رواية عنه: هو الأسد بلغة الحبشة[٧]. وهو قول أبي هريرة[٨].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٤)، والكشف (٢/ ٣٤٧-٣٤٨)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٦٠).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٦).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٠).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (في إثْر أَحْمِرَةٍ عَمَدْنَ لِغُرَّب)، وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: نفر)، والطبري (٢٩/ ١٦٨)، والماوردي (٦/ ١٤٨)، والبحر (٨/ ٣٧٢)، والدر المصون (٦/ ٤٢٢)، وزاد المسير (٨/ ٤١٢). ويروى البيت: "اربط" بدل: "أمسك".

(٥) في الأصل: قسور. والتصويب من ب.

(٦) البيت للبيد بن ربيعة. وهو في: القرطبي (١٩/ ٨٩)، والبحر (٨/ ٣٦٢)، والدر المصون (٦/ ٤٢٣).

(٧) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد =

قال ابن عباس: الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه، كذلك هـؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي ﷺ هربوا منه[١].

وسُئل أمير المؤمنين علي عليه السلام عنه فقال: هـو الأسـد، ومنـه قولـه في أراجيزه عليه السلام:

أنا الذي سَمَّتْنِي أمِّي حيدره ... ضِرْغَامُ آجام شَدِيدٌ قسورة[٢]

وقال ابن عباس في رواية أخرى: القسورة: الرماة[٣].

وقال أيضاً: هم عصب من الرجال[٤].

وقال أيضاً: أصوات الناس[٥].

وقال سعيد بن جبير: هو القَنَّاص[٦]، يريد: الصَّيَّاد.

وقال جماعة، منهم عكرمة: ظلمة الليل[٧].

= وابن جرير وابن المنذر.

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٢).

(٢) انظر نحو هذا البيت في: البداية والنهاية (٤/ ١٨٧)، وتاريخ الطبري (٢/ ١٣٧)، واللسان (مادة: حدر).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لسفيان بن عيينة في تفسيره وعبد الرزاق وابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٦٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٣٩) وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٣).

قوله تعالى: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ أي: كتباً منشورة.

وكان كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: إن سرّك أن نتبعك، فليصبح عند رأس كل واحد[1] منا كتاب منشورٌ: إلى فلان بن فلان من الله تبارك وتعالى، يؤمر فيه باتباعك[2].

وقال أبو صالح: طلبوا أن يأتي كل واحد منهم كتاب من الله تبارك وتعالى فيه براءة له من النار[3].

وقيل: إنهم قالوا: بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان إذا أذنب ذنباً أصبح وذنبه مكتوب في رقعة، فما لنا لا نرى ذلك، فنزلت هذه الآية[4].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن تلك الإرادة، وزجر عن اقتراح الآيات ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ أي: لا يحذرون عذابها. فلذلك اقترحوا عليك الآيات، وتعنّتوك هذا [التعنّت][5].

﴿كلا إنه﴾ يعني: القرآن ﴿تذكرة﴾ أي: عظة بليغة.

﴿فمن شاء ذكره﴾ أي: اتّعظ به، فإن الله تعالى جعل له آلة تُوصله إلى ذلك.

ثم رد المشيئة إلى نفسه تعالى فقال: ﴿وما يذكرون إلا أن يشاء الله﴾ وقرأ نافع:

---

(١) في ب: رجل.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر أيضاً.

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٤٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٣).

(٥) في الأصل: التعنيت. والتصويب من ب.

"تذكرون" بالتاء، على الخطاب[١].

﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ أخبرنا الشيخ أبو العباس الخضر بن كامل بن سالم المعبر الخاتوني بدمشق، في شوال سنة ست وستمائة قال: أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ سبط الشيخ أبي منصور، في المحرم سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن النقور البزاز، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبدالله بن الحسين الدقاق، المعروف بابن أخي ميمي، حدثنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا سهيل بن أبي حزم، حدثنا ثابت البناني، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ قال في هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ قال رسول الله ﷺ: «يقول ربكم: أنا أهل أن أتّقى فلا يُشرك بي غيري، وأنا أهلٌ لمن اتقى أن يُشرك بي أن أغفر له»[٢].

وأخرج الإمام أحمد قال: حدثني عبدالقدوس بن بكر قال: سمعت محمد بن [نضر][٣] الحارثي يقول في قوله تعالى: ﴿أهل التقوى وأهل المغفرة﴾ قال: «أنا أهلٌ أن يتقيني عبدي، فإن لم يفعل كنتُ أهلاً أن أغفر له»[٤].

---

(١) الحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٥)، والكشف (٢/ ٣٤٨)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٧)، والسبعة (ص:٦٦٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ ح٤٢٩٩).

(٣) في الأصل و ب: نصر. والتصويب من الزهد (ص:٤٤١). وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٧٥).

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٤٤١).

سورة القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربعون آية في الكوفي، وإلا آية في المدني[1]. وهي مكية بإجماعهم.

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَـٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ اتفقوا على أن المعنى: أقسم بيوم القيامة. واختلفوا في "لا" فقال ابن عباس وسعيد بن جبير وأبو عبيدة[2]: هي صلة، وأنشدوا:

تذكَّرْتُ ليلى [فاعْتَرَتْنِي][3] صَبَابَةٌ ... وكادَ ضميرُ القلب لا يتقطَّع[4]

أراد: وكاد ضمير القلب يتقطّع، ومثله: ﴿لئلا يعلم أهل

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (:٢٥٩).

(٢) انظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧)، والطبري (٢٩/ ١٧٢-١٧٣)، والماوردي (٦/ ١٥٠).

(٣) في الأصل: فاعترتي. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٤) انظر البيت في: تفسير الماوردي (٦/ ١٥٠)، وتفسير النسفي (٤/ ٢٩٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٩١، ٢٠/ ٥٩) وفيه: "صميم" بدل: "ضمير".

الكتاب﴾ [الحديد:٢٩].

وقال أبو بكر بن عياش وغيره: دخلت "لا" توكيداً للقسم، كقولك: لا والله[١]، ومنه قول امرئ القيس:

لا وأبيكِ ابنةَ العامريِّ لا يَدَّعِي القومُ [أني][٢] أفرّ[٣]

وقال الفراء[٤]: "لا" ردٌّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار.

ويدل على هذا قراءة من قرأ "لأُقْسِمُ" يجعلها لاماً دخلت على "أُقْسِم". وهي قراءة ابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن وعكرمة وابن محيصن، وبها قرأتُ لابن كثير بخلاف عنه، ولأبي عمرو من رواية عبدالوارث[٥].

قال الزجاج[٦]: وهذه القراءة بعيدة في العربية؛ لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلا مع النون، تقول: لأضربنَّ زيداً، ولا يجوز: لأضربُ زيداً.

وقال غيره في هذه القراءة[٧]: اللام للابتداء، و"أُقْسِم": خبر مبتدأ محذوف،

---

(١) ذكره الطبري (٢٩/ ١٧٣)، والماوردي (٦/ ١٥٠).

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٣) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥٤)، والمحتسب (٢/ ٢٧٣)، والخزانة (٤/ ٤٨٩)، والقرطبي (١٩/ ٩٢)، والماوردي (٦/ ١٥٠)، والبحر (٨/ ٣٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٢٤)، وتاج العروس (مادة: سند)، وروح المعاني (٥/ ٧١، ٢٧/ ١٥٢، ٢٩/ ١٣٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٧).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٥)، والكشف (٢/ ٣٤٩)، والنشر (٢/ ٢٨٢)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٧).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٠).

معناه: لأَنا أقسم، ويعضده أنه في الإمام بغير ألف.

قوله تعالى: ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال قتادة: حكمُها حكمُ الأولى[1].

قال الحسن: أقسَمَ بالأولى، ولم يُقسم بالثانية[2].

قال الماوردي[3]: يكون تقدير الكلام: أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة.

والصحيح: انتظامهما في سلك واحد، وأنهما قَسَمان[4].

فإن قيل: المقسَم عليه ما دل عليه قوله: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه﴾، كأنه قيل: أقسَمَ لتُبعثن. فعلى هذا؛ القسم بيوم القيامة [معقول][5]؛ لما يشتمل عليه من الأهوال، والأمور العِظام الدالَّة على قدرة خالقها، وعظمة مُوجِدِها، والتذكير بذلك اليوم العظيم ليُهَيِّجُهُم على الإيمان به، والاستعداد له، فما معنى القَسَم بالنفس اللوامة؟

قلتُ: النفس اللوامة هي التي [تتلوَّم][6] حين لا ينفعها التَّلوُّم، وذلك يوم القيامة. فهو منتظم في معنى القَسَم الأول.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ١٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ١٥١).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ١٥١).

(٤) وهو اختيار الطبري (٢٩/ ١٧٣)، قال: لأنه جعل "لا" رداً لكلام قد كان تقدمه من قوم وجواباً لهم.

(٥) في الأصل: مفعول. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: تلوم. والمثبت من ب.

قال الفراء[(١)]: ليس من نفس برّةٍ ولا فاجرةٍ إلا وهي تلوم نفسها، إن كانت عملت خيراً قالت: هلاّ [ازددتُ][(٢)]، وإن كانت عملت شراً قالت: ليتني لم أفعل. وهذا معنى ما رواه عطاء عن ابن عباس.

وقيل: هي التي لا تزال تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان.

قال الحسن: لا ترى المؤمن إلا لائماً لنفسه[(٣)]، وإن الكافر يمضي قُدُماً لا يعاتب نفسه[(٤)].

فعلى هذا؛ يكون القسم بالنفس المؤمنة الشديدة الخوف من ربها، أقسم بها مُؤذناً بشرفها، معرّضاً بتوبيخ الكفار لإعراضهم عن مراقبة ربهم، ومحاسبة أنفسهم، ظناً منهم أنها مُهملة، لا تُجمع لفصل القضاء والعَرْض على الله للجزاء.

وقيل: هي نفس آدم لم تزل [تتلوّم][(٥)] على فعلها الذي خرجت به من الجنة[(٦)].

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان﴾ يريد: الكافر، فهو اسم جنس.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٠٨).

(٢) في الأصل: ازدت. والتصويب من ب.

(٣) في ب: نفسه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (ص:٢٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس.

(٥) في الأصل: تلوم. والمثبت من ب.

(٦) انظر: القرطبي (١٩/ ٩٣).

وقال ابن عباس: يريد: أبا جهل[١].

وقال مقاتل[٢] وغيره: نزلت في عدي بن ربيعة، وذلك أنه قال للنبي ﷺ: لو عاينت يوم القيامة لم أصدقك ولم أؤمن بك، أو يجمع الله العظام؟ فنزلت هذه الآية.

والاستفهام في معنى الإنكار.

والمعنى: ﴿أن لن نجمع عظامه﴾ بعد تفرُّقها وتمزُّقها.

﴿بلى﴾ أوجبت ما بعد النفي، وهو جمع العظام، أي: بلى نجمع عظامه ﴿قادرين﴾ حال من الضمير في "نجمع"[٣].

والمعنى: نجمع العظام قادرين على تأليفها وجمعها بعد أن صارت رميماً، ونسفتها الرياح.

﴿على أن نسوي بنانه﴾ يريد: أصابعه.

وخُصّ البنان بالذِّكْر؛ لموضع صغر عظامه؛ إشارة إلى أنَّ من قَدَرَ على جمع العظام الصغار كان على جمع العظام الكبار أقْدَر. وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج[٤].

وقال جمهور المفسرين: المعنى: بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوي أصابع يديه ورجليه، أي: نجعلها مستوية شيئاً واحداً؛ كخف البعير، وحافر

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢١).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٤)، والدر المصون (٦/ ٤٢٦).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:٣٤٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥١).

الحمار، فلا يتمكن من القبض والبسط، وعمل الأشياء اللطيفة التي تعمل بالأصابع؛ كالكتابة والخياطة وغيرهما[١].

وفي قراءة ابن أبي عبلة: "قادرون"، على معنى: نحن قادرون[٢].

قوله تعالى: ﴿بل يريد الإنسان﴾ قال الزمخشري[٣]: "بل يريد" عطف على "أيحسب"، فيجوز أن يكون مثله استفهاماً، وأن يكون إيجاباً على أن يُضرب عن مُستَفهم عنه إلى آخر. أو يُضرب عن مستَفهم عنه إلى موجب.

﴿ليفجر أمامه﴾ أي: ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الزمان، لا ينزع ولا يرجع عن كفره ومعصيته. هذا معنى قول مجاهد والحسن وعكرمة والسدي[٤].

وقال ابن عباس: يُكَذِّبُ بما أمامه من البعث والحساب[٥].

وقال سعيد بن جبير: يقدم الذنب ويؤخر التوبة، يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيه الموت على شر أحواله، وأسوأ أعماله[٦].

قوله تعالى: ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ أي: يسأل الإنسان تكذيباً واستهزاءً متى يوم القيامة، ونحوه: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ [يونس:٤٨].

---

(١) ذكره الطبري (٢٩/ ١٧٥-١٧٦)، والماوردي (٦/ ١٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٢٦).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٦١).

(٤) انظر: الطبري (٢٩/ ١٧٧).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٤) وعزاه لابن أبي حاتم وابن جرير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٧٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٨).

قال الله عز وجل: ﴿فإذا بَرِقَ البصر﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وأبان عن عاصم: "بَرَقَ" بفتح الراء، وكسرها الباقون من العشرة[١].

فمن فتح فعلى معنى: لَمَعَ وشَخَصَ عند الموت، ومن كسر فعلى معنى: حَارَ وفَزِعَ عند البعث أو عند الموت، أو عند رؤية جهنم، وأصله من بَرِقَ الرجل؛ إذا نظر إلى البرق، فَدَهَشَ بصره[٢].

وقيل: إن اللغتين بمعنى واحد.

قال الفراء[٣]: العرب تقول: بَرِقَ البصر يَبْرَقُ، وبَرَقَ يَبْرُقُ؛ إذا رأى هولاً يفزع منه، وبَرِقَ أكثر وأجود. قال الشاعر:

فنفسَكَ فَانْعَ ولا تَنْعَنِي ... ودَاوِ الكُلُومَ ولا تَبْرَقِ[٤]

بالفتح، أي: لا تفزع من هول الجراح التي بك.

قوله تعالى: ﴿وخَسَفَ القمر﴾ أي: ذهب ضوؤه.

وقرأ أبو حيوة: "وخُسِفَ" بضم الخاء وكسر السين[٥]؛ لقوله: ﴿وجُمِعَ الشمس والقمر﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٦)، والكشف (٢/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٢) انظر: اللسان (مادة: برق).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩).

(٤) البيت لطرفة بن العبد. انظر: ديوانه (ص:٧٠)، واللسان (مادة: برق، حنن)، والطبري (٢٩/ ١٧٩)، والقرطبي (١٩/ ٩٦)، والماوردي (٦/ ١٥٣)، وزاد المسير (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٢٧)، وتاج العروس (مادة: برق).

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٢٧).

وفي قراءة ابن مسعود: "وجمع بين الشمس والقمر"[١].

قال الفراء[٢]: إنما لم يقل: وجمعت؛ لأن المعنى: وجمع بينهما.

وقال الكسائي: لأن المذكر والمؤنث إذا اجتمعا غُلِّب المذكر؛ لقوّته وخفّته.

وقال أبو عبيدة[٣]: إنما قال: وجُمع؛ لتذكير القمر.

قال الفراء والزجاج[٤]: المعنى: جمع بينهما في ذهاب نُورهما.

وقال جمهور المفسرين: جمع بين ذاتيهما.

قال ابن مسعود: جُمعا كالبعيرين القرينين[٥].

قال مجاهد: يرمى بهما في النار كالثورين العقيرين[٦].

قرأتُ على الشيخ أبي عبدالله محمد بن داود بن عثمان الدربندي بمسجد الخليل ﷺ، أخبركم الحافظ أبو طاهر السلفي بثغر الإسكندرية فأقرَّ به، قال: أخبرنا أبو عبدالله القاسم بن الفضل بن أحمد الثقفي الأصفهاني، أخبرنا أبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن محمد المزكِّي بنيسابور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأموي، حدثنا محمد بن المنادي، حدثنا يونس -يعني: بن محمد المنادي-، حدثنا عبدالعزيز بن المختار، عن عبدالله الداناج قال: شهدت

---

(١) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ١٨٠)، والقرطبي (١٩/ ٩٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٠٩)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤١٩).

(٦) انظر: القرطبي (١٩/ ٩٧)، والبغوي (٤/ ٤٢٢).

أبا سلمة[١] بن عبدالرحمن بن عوف زمن خالد بن عبدالله بن أسيد في هذا الجامع بالبصرة قال: وجاء الحسن فجلس إليه قال: فحدّث قال: حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «تُحَوَّلُ الشمس والقمر ثورين مكوّرين في النار يوم القيامة. قال: وقال الحسن: وما ذنبهما؟ قال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، قال: فسكت الحسن»[٢]. رواه البخاري عن مسدد عن عبد العزيز.

وقال عطاء بن يسار: يُجمعان يوم القيامة ثم يُقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى[٣].

وقيل: المعنى: جُمع بينهما في الطلوع من المغرب.

ويروى عن علي وابن عباس: أنهما يُجعلان في نور الحجب[٤].

قوله تعالى: ﴿يقول الإنسان﴾ أي: المكذّب بالبعث ﴿يومئذ أين المفر﴾.

قرأ العشرة وعامة القرّاء: "المفَرُّ" بفتح الفاء.

وقرأ جماعة، منهم: ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين، وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك، والزهري: "المَفِرُّ" بكسر الفاء[٥].

قال الكسائي: هما لغتان.

وقال غيره[٦]: "المَفَر": بالفتح، المصدر، وبالكسر: المكان.

---

(١) في ب: أبان.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١١٧١ ح٣٠٢٨).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٥) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ٩٧).

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٢٨)، وزاد المسير (٨/ ٤١٩-٤٢٠).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦١).

قال الزجاج وغيره[١]: من فتح فهو بمعنى الفرار، ومن كسر فعلى معنى: أين مكان الفرار، [تقول][٢]: جلستُ مَجْلَساً -بفتح اللام- بمعنى: جُلُوساً، وإذا قلت: مَجْلِساً، [فأنت][٣] تريد المكان.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ أي: لا ملجأ، وكلُّ ما التجأت إليه من جبل وغيره، أو تخلصت به فهو وَزَرُك.

﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أي: إلى ربك خاصة يوم القيامة مُستقر العباد كلهم، مؤمنهم وكافرهم، وطائعهم وعاصيهم. أو إلى حكم ربك مرجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره. [أو إلى][٤] ربك مستقرهم، أي: موضع قرارهم، من جنة أو نار، أي: مفوّض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة، ومن شاء أدخله النار.

قوله تعالى: ﴿ينبأ الإنسان﴾ أي: يخبر[٥] ﴿يومئذ بما قدم﴾ من عمله ﴿وأخَّر﴾ منه.

وقال ابن مسعود: بما قدم قبل موته من صالح وطالح، وما سَنَّ من شيء يُعمل به بعد موته[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٢).

(٢) في الأصل: يقال. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: فلت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: وإلى. والتصويب من ب.

(٥) في ب: يخير.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٦) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

وقال زيد بن أسلم: بما قدّم: من أمواله لنفسه، وما أخّر: خلّف للورثة[١].

وقال قتادة: بما قدم من معصية وما أخّر من طاعة[٢].

قوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ قال الفراء[٣]: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي: رُقباء يشهدون عليه بعمله، وهي الجوارح.

قال ابن قتيبة[٤]: فلما كانت جوارحه منه أقامها مقامه.

وقال أبو عبيدة[٥]: جاءت الهاء في "بصيرة" في صفة المذكّر، كما جاءت في: رجل راوية، وطاغية، وعلاَّمة.

وقيل: المعنى: بل الإنسان على نفسه عينٌ بصيرة، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه.

قوله تعالى: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ قال الزجاج[٦]: المعنى: ولو أدلى بكل حجة.

قال[٧]: وجاء في التفسير: أن المعاذير: سُتور، واحدها: مِعْذار.

قلتُ: وهو قول الضحاك والسدي[٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٠).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢١١).

(٤) تأويل مشكل القرآن (ص:١٩٣).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٧٧).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٣).

(٧) أي: الزجاج.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٨٦) عن السدي. وذكره الماوردي (٦/ ١٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٧) وعزاه لابن المنذر عن الضحاك.

قال الماوردي[١]: هو بلغة اليمن. وأنشد قول الشاعر:

ولكِنَّها ضَنّتْ بمنزلِ ساعةٍ   علينا ولطَّت دُوننا بالمعَاذِرِ[٢]

قلتُ: ومعنى: لطَّت -بالطاء المهملة-: سَتَرَت.

قال ابن دريد[٣]: كُلُّ شيء سترته فقد لَطَطْتَهُ، ولَطَّتْ الناقة بذنبها؛ إذا جعلته بين فخذيها في عَدْوها[٤].

قال صاحب الكشاف[٥]: فإن صح؛ فلأنه يمنع رؤية المحتجب، كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ أي: بالقرآن.

أخرج [الشيخان][٦] في الصحيحين والنسائي والترمذي وغيرهم من حديث

---

(١) تفسير الماوردي (٦/ ١٥٥).

(٢) انظر البيت في: الماوردي (٤/ ١٥٥)، و القرطبي (١٩/ ١٠٠)، والبحر (٨/ ٣٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٢٩) وفيهم: "وأطّت" بدل: "ولطّت".

(٣) جمهرة اللغة (١/ ١٠٨).

(٤) انظر: اللسان (مادة: لطط).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٢).

(٦) في الأصل: البخاري. والمثبت من ب.

ابن عباس في هذه الآية قال: «كان النبي ﷺ يُعالج من التنزيل شدة»(١).

وفي رواية الترمذي: «يحرك به لسانه يريد أن يحفظه»(٢).

وفي رواية: «يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل مخافة أن لا يحفظ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾»(٣).

ونظير هذه الآية قوله: ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه:١١٤].

﴿إن علينا جمعه وقرآنه﴾ جمعه في صدرك، "وقرآنه" أي: وإثبات قرآنه في لسانك. أو إن علينا قراءته عليك، أي: إن جبريل يقرأه عليك حتى تحفظه.

﴿فإذا قرأناه﴾ أي: إذا فرغ جبريل من قراءته.

قال الزمخشري(٤): جعل قراءة جبريل قراءته، والقرآن القراءة.

﴿فاتبع قرآنه﴾ فكن مُقَفِّياً له فيه ولا تراسله.

وقال ابن عباس: اعمل به(٥). فكان النبي ﷺ بَعْدَ هذا إذا نزل عليه جبريل بالوحي أطرق، فإذا فرغ وذهب قرأه كما وعده الله.

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ تبيينه بلسانك، فتقرأه كما أقرأك جبريل. هذا قول ابن

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦ ح٥)، ومسلم (١/ ٣٣٠ ح٤٤٨)، والنسائي (١/ ٣٢٤ ح١٠٠٧)، وأحمد (١/ ٣٤٣ ح٣١٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠ ح٣٣٢٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٦٢).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٨٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

عباس[١].

وقال قتادة: علينا بيان ما فيه من الأحكام، والحلال والحرام[٢].

وقال الحسن: علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد ووعيد[٣].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للنبي ﷺ عن العجلة، وحثٌ على التؤدة.

وقال عطاء: المعنى: لا يؤمن أبو جهل بالقرآن وببيانه[٤].

﴿بل تحبون العاجلة﴾ قرأ نافع وأبو جعفر وأهل الكوفة: "تحبون"، "وتذرون" بالتاء فيهما على المخاطبة، على معنى: قل لهم يا محمد: بل تحبون العاجلة. وعلى معنى: أنتم يا بني آدم تحبون العاجلة، وهي الدنيا فتعملون لها، ﴿وتذرون الآخرة﴾ لا تعملون لها.

وقرأ الباقون من العشرة: "يحبون"، "ويذرون" بالياء فيهما على المغايبة، حملاً على ما قبله من لفظ الغيبة[٥].

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ناضرة﴾ ناعمة غَضَّة حسنة. يقال: شجرة ناضر، وروض ناضر.

قال المفسرون: مُشْرِقةٌ بالنعيم.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩١). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٧٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٦)، والكشف (٢/ ٣٥٠)، والنشر (٢/ ٣٩٣)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

قال الزمخشري[١]: الوجه: عبارة عن الجملة.

﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال ابن عباس: يريد: إلى الله ناظرة[٢].

وقال في رواية أخرى: تنظر إلى الله لا تُحجب عنه[٣].

قال مقاتل[٤]: تنظر إلى ربها معاينة.

وقد ذكرتُ طرفاً من ذلك في سورة يونس[٥]، وأقمت حجة الله على منكري نظر المؤمنين إلى ربهم في الجنة. وهذا قول عامة المفسرين.

ويروى عن ابن عمر ومجاهد: أن المعنى: إلى ثواب ربها ناظرة[٦]، على حذف المضاف.

قال الزمخشري[٧]: سمعتُ سَرَوِيَّةً مُستجديةً[٨] بمكة وقت الظهر حين يُغلق الناسُ أبوابَهم، ويأوون إلى مقائلهم، تقول: عُيَيْنَتي نُوَيْظِرة إلى الله وإليكم.

وهذا لا ينفي إثبات الرؤية لله؛ لأنها ثابتة بأدلة أُخَر لا يتطرّق إليها تأويل.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٦٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٣-٣٩٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢٦.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٦). قال القرطبي (١٩/ ١٠٨): حكاه -أي: القول- الماوردي عن ابن عمر وعكرمة أيضاً، وليس معروفاً إلا عن مجاهد وحده.

قلت: كذا القول الثاني ليس بصحيح. وقد ثبت عن عكرمة خلافه.

(٧) الكشاف (٤/ ٦٦٣).

(٨) أي: امرأة سائلة من جبال السَّرَاة.

والأول هو الصحيح، وإليه ذهب علماء السنة وجمهور الأمة.

قوله تعالى: ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ قال قتادة: كالحة[1].

قال ابن قتيبة[2]: مُقطِّبة عابسة.

﴿تظن أن يفعل بها فاقرة﴾ قال مجاهد: داهية[3].

قال غيره[4]: داهية تقصِم فَقَار الظهر.

قال ابن زيد: الفاقرة: دخول النار[5].

وقال ابن السائب: هي أن تُحجب عن ربها فلا تَنظُر إليه[6].

كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ
ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾
وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ
﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٠).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٣).

نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ
ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن إيثار الدنيا على الآخرة ﴿إذا بلغت﴾ قال جماعة من المحققين(١): يعني: النفس، وإن لم يَجْرِ لها ذكر؛ لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها، كما قال حاتم:

أَمَا وِيَّ ما يُغني الثراءُ عن الفَتَى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضَاقَ بها الصَّدْرُ(٢)

والتَّراقي: العظام المكتَنِفَة لثُغْرَة النحر، عن يمين وشمال، واحدها: تَرْقُوَة(٣).

قال بعض العلماء(٤): ذكّرهم صعوبة الموت الذي هو أول مراحل الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وقيل مَنْ راق﴾ كان حفص يُظهر النون مِنْ "مَنْ" ويقف عليها وقفة يسيرة(٥).

[قال أبو العالية ومقاتل](٦): تقول الملائكة: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة،

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٢) البيت لحاتم، انظر: اللسان (مادة: قرن)، والقرطبي (١٧/ ٢٣٠)، والطبري (١٣/ ٣٠)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٦).

(٣) انظر: اللسان (مادة: ترق).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٤).

(٥) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٥٥-٥٦)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦١).

(٦) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وما بين المعكوفين في الأصل: وقال أبو العالية مقاتل. والتصويب من (ب).

أو ملائكة العذاب[١].

وقال عكرمة وقتادة والضحاك وابن زيد: المعنى: يقول أهله: من يرقيه برقية تشفيه[٢].

قال قتادة: التَمَسُوا له الأطباء فلم يُغنُوا عنه من قضاء الله شيئاً[٣]. والقولان عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿وظن أنه الفراق﴾ أي: تيقّن الذي بلغت روحه التراقي أنه مُفارق للدنيا.

قوله تعالى: ﴿والتفّت الساق بالساق﴾ قال عطاء: شدة الموت بشدة الآخرة[٤].

وقال سعيد بن جبير: اجتمع فيه الحياة والموت[٥].

وقال الشعبي: التفّت ساقاه عند الموت[٦].

قال الحسن: ماتت رجلاه فلم تحملاه، وقد كان عليهما جوّالاً[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر عن أبي العالية.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٥).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٣٩٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤) عن الحسن ومجاهد، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦٢) وعزاه لعبد بن حميد عن مجاهد.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ١٥٨).

وقال سعيد بن المسيب: هما ساقاه حين يُلفّان في أكفانه[١].

وقيل: التفّت آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة[٢].

قوله تعالى: ﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾ أي: إلى الله الذي لا يخفى عليه خافية، يُساق العباد يوم القيامة، وهو الذي يتولى جزاءهم.

قوله تعالى: ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ قال المفسرون: نزلت في أبي جهل بن هشام لعنه الله.

ويجوز أن يراد: الإنسان، بدليل قوله أولاً: ﴿أيحسب الإنسان﴾ [القيامة:٣]، وثانياً: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾ [القيامة:٣٦].

قال قتادة: فلا صدّق بكتاب الله، ولا صلى لله[٣].

وقيل: فلا صدّق بماله.

وقد قيل: "لا" بمعنى "لم"، أي: [لم][٤] يُصدِّق ولم يُصلّ.

﴿ولكن كذب﴾ بكتاب الله ﴿وتولى﴾ عن الإيمان به.

﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطّى﴾ أي: يتبخْتَر، وأصله: يتمطَّط، أي: يتمدَّد؛ لأن المتبختر يَمُدُّ خُطاه.

وقال الفراء والزجاج[٥]: هو مأخوذٌ من المَطَا، وهو الظهر.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٤).

(٢) قاله الزجاج. انظر: معاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ١٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٣) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) زيادة من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢١٢)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

قال الزمخشري[١]: لأنه يلويه. ومنه الحديث: «إذا مَشَتْ أمتي المُطَيْطَاء وخدمتهم فارس والروم فقد جُعل بأسهم بينهم»[٢].

يعني: كذَّبَ رسولَ الله ﷺ وتولى عنه، ثم ذهب إلى أهله يتبختر افتخاراً بذلك.

﴿أولى لك فأولى﴾ يعني: ويل لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره.

قال الزجاج[٣]: العرب تقول: أولى لفلان؛ إذا دَعَتْ عليه بالمكروه.

قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدى﴾ أي: [يُهمل][٤] فلا يُؤمر ولا يُنهى ولا يُحاسب ولا يُعاقب، وأنشدوا:

فَأُقْسِمُ بالله جهدَ اليمينِ ما تَرَكَ اللهُ أمْراً سُدَى[٥]

ثم دلَّهم على البعث بقوله: ﴿ألم يك نطفة من مني تمنى﴾ وقرأ حفص: بالياء[٦]، جعل الفعل للمنيّ، وهو مذكر.

والباقون جعلوا الفعل للنُّطفة.

﴿ثم كان علقة﴾ بعد أن كان نطفة ﴿فخلق فسوى﴾ أي: فقدّر فعدّل نسمة

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٦٥).

(٢) أخرجه ابن حبان (١٥/ ١١٢ ح٦٧١٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٤).

(٤) في الأصل: يمهل. والمثبت من ب.

(٥) انظر البيت في: الماوردي (٦/ ١٦٠)، والبحر (٨/ ٣٧٤)، والدر المصون (٦/ ٤٣٤)، وروح المعاني (٢٩/ ١٤٩)، والقرطبي (١٩/ ١١٦).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٧٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٣٥١)، والنشر (٢/ ٣٩٤)، والإتحاف (ص:٤٢٨)، والسبعة (ص:٦٦٢).

تسعى.

﴿فجعل منه﴾ أي: من الإنسان ﴿الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والأنثى﴾.

﴿أليس ذلك﴾ الذي أنشأ هذا [الإنشاء][١] ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأبو رجاء وعاصم الجحدري: "يَقْدِرُ"[٢] على صيغة الفعل المضارع، من قَدَرَ يَقْدِر.

أخرج أبو داود في سننه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين.

ومن قرأ: ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ فانتهى إلى: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ فليقل: بلى.

ومن قرأ: ﴿والمرسلات﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ فليقل: آمنا بالله»[٣].

---

(١) في الأصل: الإنسان. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٢٦)، والدر المصون (٦/ ٤٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (١/ ٢٣٤ ح٨٨٧).

سورة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى وثلاثون آية(١).

قال مجاهد وقتادة وجمهور المفسرين: هي مدنية(٢).

واستثنى الحسن: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾(٣).

وقال مقاتل(٤): هي مكية.

وقال قوم: من أولها إلى قوله: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ مدني، وباقيها مكي(٥).

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾

قال الله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٦٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٨/ ٤٢٧).

(٣) انظر: الإتقان (١/ ٤٤)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٥).

(٥) انظر: الماوردي (٦/ ١٦١)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧).

قال الفراء[(١)]: [معناه][(٢)]: قد أتى، و"هَلْ" تكون خبراً وتكون جحداً، فهذا من الخبر؛ لأنك تقول: هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟ فتقرّره بأنك قد فعلت ذلك. والجحد أن تقول: هل يقدر أحد على مثل هذا. وهذا قول المفسرين وأهل اللغة[(٣)].

وقيل: إنه استفهام في معنى التقرير، تقديره: أليس قد أتى على الإنسان.

والمراد بالإنسان: آدم عليه السلام، والحين الذي أتى عليه: أربعون سنة، وذلك حين كان جسداً مصوراً من طين قبل أن يُنفخ فيه الروح. وهذا قول أكثر أهل العلم[(٤)].

ويروى عن ابن عباس وابن جريج: أنه اسم جنس[(٥)].

فعلى هذا؛ المراد بالحين: زمن كونه نطفة وعلقة ومضغة.

وقوله: ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ في محل النصب على الحال من "الإنسان"[(٦)]، تقديره: هل أتى عليه حين غير مذكور. أو في محل الرفع على الوصف

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢١٣).

(٢) زيادة من ب، ومعاني الفراء، الموضع السابق.

(٣) انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٢)، والماوردي (٦/ ١٦١)، والدر المصون (٦/ ٤٣٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٢٧-٤٢٨).

(٤) ذكره الطبري في تفسيره (٢٩/ ٢٠٢)، والماوردي في تفسيره (٦/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٦٧) وعزاه لابن المنذر عن ابن عباس.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥).

لـ"حين"(١).

والمعنى: لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً.

وقال قطرب والفراء(٢) وثعلب: قد كان شيئاً ولم يكن شيئاً مذكوراً.

أخبرنا الشيخ أبو عبدالله أحمد بن طلحة البغدادي، أخبرنا أبو القاسم يحيى بن أسعد، أخبرنا أبو طالب ابن يوسف، أخبرنا أبو علي ابن المذهب، أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبدالله بن الإمام أحمد قال: حدثني أبي، ثنا علي بن إسحاق، أخبرنا عبدالله، أخبرنا أبو عمر زياد بن أبي مسلم، عن أبي الخليل، أو زياد بن مخراق، سمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقرأ: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ فقال عمر: ليتها تمّت(٣).

وقال عون بن عبدالله: قرأ رجلٌ عند ابن مسعود هذه الآية، فقال: ألا ليت ذلك لم يكن(٤).

قوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج﴾ قال الزمخشري(٥): هو كبُرْمَةٍ أعْشَارٍ، وبُرْدٍ أكْيَاشٍ، وهي ألفاظ مفردة غير جموع، ولذلك وقعت صفات للأفراد. ويقال أيضاً: نطفة مشج. قال الشمّاخ:

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٣٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢١٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في الزهد (ص:٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٧ ح٣٤٥٥٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٦-٦٦٧).

طَوَتْ أحشاءَ مُرْتِجَةٍ لوقتْ على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِين[١]

ولا يصح "أمشاج" أن يكون تكسيراً له، بل هما مِثْلان في الإفراد، لوصف المفرد بهما.

وقال غيره: واحد الأَمْشَاج: مَشْجٌ ومَشِيجٌ، ويقال: مشجت هذا بهذا، أي: خلطته، فهو مَمْشُوجٌ ومَشِيجٌ، مثل: مَخْلُوطٌ وخَلِيطٌ.

والمعنى: من نطفة قد امتزج واختلط فيها الماءان.

قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والربيع وجمهور المفسرين: يريد: ماء الرجل وماء المرأة، يختلطان في الرحم، فيكون منهما جميعاً الولد[٢].

وماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا [ماء][٣] صاحبه كان الشبه له.

وقال قتادة: هي أطوار الخلق، تكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظماً، ثم يُكسى العظم لحماً، ثم ينشئه الله خلقاً آخر[٤].

وقال الضحاك وابن عباس في رواية الوالبي: أراد: اختلاف ألوان النطفة،

---

(١) البيت للشماخ. انظر: ديوانه (ص:٣٢٨)، واللسان (مادة: مشج، سلل)، والقرطبي (١٩/ ١٢٠)، والبحر (٨/ ٣٨٤)، والدر المصون (٦/ ٤٣٧)، وتاج العروس (مادة: سلل).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧١١)، و(ص:٧١٢) عن الحسن، والطبري (٢٩/ ٢٠٣-٢٠٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن الربيع، وعزاه لعبد بن حميد.

(٣) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

فنطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة خضراء وصفراء، فهي مختلفة الألوان[١].

وقال ابن مسعود وأسامة بن زيد: هي العروق التي تكون في النطفة[٢].

وقال الحسن: نعم والله خُلقت من نطفةٍ مُشجت بدم، وهو دم الحيض، فإذا [حبلت][٣] ارتفع الحيض[٤].

قوله تعالى: ﴿نبتليه﴾ حال مقدرة[٥]. أي: خلقناه مُبْتَلِينَ له. بمعنى: مريدين ابتلاءه؛ كقولك: مررت برجل [معه][٦] صقر صائداً به غداً.

قال المفسرون: المعنى: نبتليه بالأمر والنهي.

وقال الفراء[٧] وغيره: فيه تقديم وتأخير، تقديره: ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٤-٢٠٥) عن ابن عباس ومجاهد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وانظر: تفسير البغوي (٤/ ٤٢٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٨) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٥) عن ابن مسعود وعن أسامة بن زيد عن أبيه، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠) عن ابن مسعود. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٧-٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر. ومن نفس الطريق عزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن زيد بن أسلم وعزاه لابن المنذر.

(٣) في الأصل و ب: جبلت. والصحيح ما أثبتناه. وفي الدر المنثور: حملت.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٦٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٣٨).

(٦) زيادة من ب.

(٧) معاني الفراء (٣/ ٢١٤).

لنبتليه؛ لأن الابتلاء يقع بعد تمام الخلق.

قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل﴾ قال عطاء: سبيل الهدى، أي: بيناه له، بنصب الأدلة وإرسال الرسل[١].

﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ حالان من الهاء في "هديناه"[٢].

والمعنى: أوضحنا له السبيل، إما موحّداً في علمنا، وإما كفوراً.

قال الفراء[٣]: بيّنّا له الطريق إن شكر أو كفر.

ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد فقال عزّ من قائل[٤]:

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾

﴿إنا أعتدنا للكافرين سلاسل﴾ قرأ نافع والكسائي وأبو بكر وهشام:

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢٨) بلا نسبة.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٥)، والدر المصون (٦/ ٤٣٨).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢١٤).

(٤) في ب: عز وجل.

"سَلاسِلاً" بالتنوين. وقرأ الباقون: بغير تنوين[1].

وهو الوجه؛ لأنه مثلُ مساجد ومنابر، لا ينصرف في معرفة ولا نكرة، ومن صرفه فلمجاورته "أغلالاً"، كما قالوا: الغدايا والعشايا، وهذا أولى بالجوار.

قال الأخفش: سمعنا من العرب من يصرف هذا، ويصرف جميع ما لا ينصرف[2].

قال غيره: أكثر ما يُصرف هذا، وشِبْهُه في الشعر. فأما في الكلام فهو قليل.

وقال أبو علي[3]: هذه الجموع أشبهت الآحاد؛ لأنهم قالوا: صواحبات يوسف، فلما جمعوا هذه الجموع [جَمْعَ الآحاد المنصرفة][4] جعلوها في حكمها، فصرفوها.

واختلف القراء [أيضاً][5] في الوقف، فأثبت بعضهم الألف، وهم الذين قرؤوا بالتنوين، ووافقهم جماعة ممن لم يُنوّن اتباعاً لخط المصحف، وتشبيهاً له بالقوافي التي تُشبع فيها الفتحة، حتى تصير ألفاً؛ كـ"الظنونا"، و"الرسولا"، و"السبيلا"[6].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٧)، والكشف (٢/ ٣٥٢)، والنشر (٢/ ٣٩٤)، والإتحاف (ص:٤٢٨-٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٣).

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٨٠).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٨١).

(٤) في الأصل: جمعوا الآحاد المتصرفة. والتصويب من ب، والحجة، الموضع السابق.

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٨١-٨٢)، والنشر (٢/ ٣٩٤-٣٩٥)، والكشف (٢/ ٣٥٣)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٣).

وقد ذكرنا "الأغلال" فيما مضى، و"السعير" في سورة النساء[١].

قوله تعالى: ﴿إن الأبرار﴾ واحدهم: بَرٌّ وبَارٌّ، وهم الصادقون. وقيل: المطيعون.

قال الحسن: هم الذين لا يؤذون الذرّ[٢].

﴿يشربون من كأس﴾ سبق تفسيره أيضاً.

﴿كان مزاجها كافوراً﴾ قال مجاهد ومقاتل[٣]: هو الكافور المعروف، وليس ككافور الدنيا.

والمقصود بمزجه به: طيب الرائحة والطعم.

قال قتادة: تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك[٤].

وقال ابن كيسان: طيّبت بالكافور [والمسك والزنجبيل][٥].

وقال عطاء وابن السائب وغيرهما: الكافور: اسم عين ماء في الجنة، ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده[٦].

---

(١) الأغلال في سورة الرعد، عند الآية رقم: ٥، والسعير في سورة النساء عند الآية رقم: ١٠.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) في الأصل: والمشرجيل. والتصويب من ب. وانظر قول ابن كيسان في: القرطبي (١٩/ ١٢٥)، والبغوي (٤/ ٤٢٧).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٥)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٠).

قوله تعالى: ﴿عيناً﴾ بدل إما من "كافوراً"، على قول عطاء ومن وافقه. [وإما][(١)] من محل "من كأس" بتقدير حذف المضاف، تقديره: يشربون خمراً خمر عين[(٢)].

وقال الأخفش[(٣)]: هي منصوبة على وجه المدح، بمعنى: أَعْنِي عَيْناً.

وقال الزجاج[(٤)]: الأجود أن يكون المعنى: من عين.

﴿يشرب بها﴾ قيل: الباء زائدة.

وقيل: المعنى: يشرب منها.

وقيل: المعنى: يشرب بها عباد الله الخمر.

والمراد بعباد الله: أولياؤه.

﴿يفجرونها تفجيراً﴾ يُجْرُونها حيث يريدون.

قوله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ هذا من صفاتهم في الدنيا. المعنى: كانوا يوفون بالنذر.

وقال الزمخشري[(٥)]: "يوفون" جواب من عسى، يقول: ما لهم يرزقون ذلك، والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر[(٦)] على أداء الواجبات؛ لأن من وفى بما

---

(١) في الأصل: إما. والمثبت من ب.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٠).

(٣) معاني الأخفش (ص:٣٠١).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٨).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٨).

(٦) في ب: بالتوفير.

[أوجبه][(١)] هو على نفسه لوجه الله، كان بما أوجب الله عليه أوفى.

قال مجاهد وعكرمة: إذا نذروا في طاعة الله وفوا به[(٢)].

وقال قتادة: يوفون بما فرض الله عليهم، من الصلاة والزكاة والحج والعمرة [وغيرها][(٣)] من الواجبات[(٤)].

قال الواحدي[(٥)]: ومعنى النذر في اللغة: الإيجاب. والمعنى: ما أوجبه الله عليهم من الطاعات.

﴿ويخافون يوماً﴾ قال الكلبي: يخافون عذاب يوم[(٦)].

﴿كان شرُّه مُستطيراً﴾ فاشياً منتشراً، ومنه: الفجر المستطير[(٧)].

قال مقاتل[(٨)]: كان شره فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكوّرت الشمس والقمر، وفي الأرض [فنسفت][(٩)] الجبال، وغارت المياه، وتَكَسَّرَ كلُّ شيء على وجه الأرض من جبل وبناء.

---

(١) في الأصل: أوجب. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٦٦٨).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣١).

(٣) في الأصل: وغيرهما. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥) الوسيط (٤/ ٤٠٠).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٦).

(٧) وهو الذي انتشر ضوءه واعترض في الأفق (اللسان، مادة: طير).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧).

(٩) في الأصل: فبسّت. والمثبت من ب، وتفسير مقاتل (٣/ ٤٢٧).

قوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قال ابن عباس ومقاتل[١] وجمهور المفسرين: الضمير للطعام[٢]، أي: على حُبِّ الطعام، وشهوتهم إياه، وحاجتهم إليه، كما قال: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران:٩٢].

وقال الداراني: [على][٣] حب الله[٤].

[ويجوز عندي: أن يعود الضمير إلى][٥] الإطعام المدلول عليه بقوله: "ويطعمون"، على معنى: أنهم يطعمون الطعام، وهم يحبون الإطعام، ولا يتكرّهون به، ولا يحملون أنفسهم عليه، بل يفرحون به ويستبشرون عند بذله. [وباعتبار][٦] هذا جعلوا بيت زهير أمدح بيت قالته العرب:

تراهُ إذا ما جِئْتَهُ مُتهللاً ... كأنكَ تُعطيه الذي أنتَ سائلُه[٧]

ومثله قول أبي نوفل الثقفي:

ولئنْ فَرحتَ بما يُنيلكَ إنه ... لَبِمَا يُنيلكَ منْ نَدَاهُ أفْرحُ[٨]

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٨).

(٢) انظر: الطبري (٢٩/ ٢٠٩)، والماوردي (٦/ ١٦٦)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٣) زيادة من ب.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٥) في الأصل: ويجوز الضمير عندي أن يعود إلى. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل: وبالاعتبار. والتصويب من ب.

(٧) البيت لزهير، وهو في: الأغاني (١٤/ ٢٢٢)، والمستطرف (٢/ ٣٦٨)، وخزانة الأدب (١/ ٤٢٣)، واللسان وتاج العروس (مادة: هلل)، والعين (٣/ ٣٥٢).

(٨) انظر البيت في: نهاية الأرب للنويري (١/ ٣٠٩)، وديوان المعاني لأبي هلال العسكري (١/ ٦).

ومثله قول أبي تمام:

[أسائلُ نصرٍ لا تسله](١) فإنه أحنُّ إلى الإرفَادِ منكَ إلى الرِّفْد(٢)

وممن أبدع في ذلك: البحتري في قوله:

سلامٌ وإن كانَ السلامُ تحيةً فوجهُكَ دُونَ الردِّ يكفي المُسَلِّمَا(٣)

وممن أجاد في هذا المعنى: أبو الأسود الدينوري في قوله:

ولائمـةٌ لامتـكَ يـا فَـيْضُ في النَّـدَى فقلـتُ لهـا لـن يَقـدحَ اللَّـوْمُ في البَحْـر

أرادتْ لِتَثْنِي الفيضَ عن عادةِ النَّـدَى ومن ذا الذي يَثْنِي السَّحابَ عن القَطْـر

إذا مـا أتـاهُ الـسائلونَ توقَّـدَتْ عليـه مـصابيحُ الطَّلاقـةِ والبِـشْر

لـه في بَنـي الحاجـاتِ أيـدٍ كأنَّهـا مواقـعُ مـاءِ المُـزْنِ في البَلَـدِ القَفْـر(٤)

وقد سبق معنى المسكين واليتيم في البقرة(٥).

وفي الأسير أربعة أقوال:

أحدها: أنه المسجون من أهل القبلة. قاله مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير(٦).

---

(١) في الأصل: أسأل نصر لا تسأله. والتصويب من ب.

(٢) انظر البيت في: ديوان المعاني للعسكري (١/ ٦)، ونهاية الأرب للنويري (١/ ٣٠٩).

(٣) انظر البيت في: تاريخ النقد الأدبي (١/ ١٥٣)، وديوان المعاني للعسكري (١/ ٦).

(٤) انظر الأبيات في: الأغاني (١٤/ ١٣٣)، وجمهرة الأمثال (١/ ١٠٢).

(٥) عند الآية رقم: ٨٣.

(٦) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد.

الثاني: المرأة. قاله أبو حمزة الثمالي[١]. دليله قوله عليه السلام: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم»[٢].

الثالث: العبد. حكاه الماوردي[٣].

الرابع: أنه الأسير المشرك. قاله الحسن وقتادة[٤]. وهو الأظهر.

قال الحسن: كان رسول الله ﷺ يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول: أحسن إليه، فيكون عنده اليومين والثلاثة، فيؤثره على نفسه[٥].

قال القاضي أبو يعلى: وهذا محمول على صدقة التطوع، فإن الفرض لا يجوز صرفه إلى الكافر[٦].

وزعم بعض المفسرين: أن إطعام الأسير منسوخ بآية السيف[٧].

وليس قوله بشيء.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٤٦٧ ح١١٦٣)، وابن ماجه (١/ ٥٩٤ ح١٨٥١).

(٣) تفسير الماوردي (٦/ ١٦٦).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٠١ ح١٠٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧١) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن مردويه عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد بن حميد.

(٥) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٦٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٤).

(٧) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩١)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٢).

فصل

ذهب ابن عباس [في رواية](١) عطاء وعامة المفسرين: إلى أن هذه الآية وما في حيِّزها نزل في علي بن أبي طالب عليه السلام، آجر نفسه يسقي نخلاً بشيء من شعير ليلةً حتى أصبح، فلما قَبَضَ الشعيرَ طحن ثلثه وأصلحوا منه شيئاً يأكلونه، فلما استوى أتى مسكينٌ فأخرجوه إليه، ثم عَمِلَ الثلث الثاني، فلما تمّ أتاه يتيم فأطعموه، ثم عمل [الثلث](٢) الثالث، فلما تمّ جاء أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. فنزلت هذه الآيات(٣).

وقيل: نزل فيهم من قوله: ﴿يوفون بالنذر﴾.

قوله تعالى: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي: لطلب رضاه وثوابه.

قال المفسرون: لم يتكلّموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم، وعلم من نيّاتهم أنهم فعلوا ذلك خوفاً من الله [ورجاء ثوابه](٤).

﴿لا نريد منكم جزاء﴾ بالفعل ﴿ولا شكوراً﴾ بالقول.

قال الزمخشري(٥): الشكور والكفور: مصدران؛ كالشكْر والكفْر.

---

(١) في الأصل: ورواية. والتصويب من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص: ٤٧٠)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٢).

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١١)، والبيهقي في الشعب (٥/ ٣٥١ ح٦٨٩٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٦٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد. وما بين المعكوفين زيادة من ب.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٦٩).

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾ قال مقاتل والكلبي[١]: تعبس فيه الوجوه من هول ذلك اليوم فلا تنبسط.

قال بعض أهل المعاني[٢]: وصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين:

أحدهما: أنه يُوصف بصفة أهله من الأشقياء، كقولك: نهارك صائم.

الثاني: أنه يُشبَّه في شدته بالأسد العبوس، أو [بالشجاع][٣] الباسل.

والقَمْطَرِير: الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه[٤]. وهذا مروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة[٥].

وقال الزجاج[٦]: يقال: يومٌ قمطريرٌ [وقُمَاطِرٌ][٧]: إذا كان شديداً غليظاً.

ويروى عن ابن عباس: أن القمطرير: الطويل[٨].

قوله تعالى: ﴿فوقاهم الله﴾ وقرئ: "فوقّاهم" بالتشديد[٩]، ﴿شر ذلك اليوم ولقّاهم نضرة وسروراً﴾ أي: وأعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٨). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٢).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٦٩).

(٣) في الأصل: بالشاع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) انظر: اللسان، مادة: (قمطر).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

(٧) في الأصل: وقمطار. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٨) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٧٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٩) انظر هذه القراءة في: البحر المحيط (٨/ ٣٨٨).

وجوههم، وسروراً في قلوبهم.

وهذا يدل على المجاز الأول في وصف اليوم بالعبوس.

﴿وجزاهم بما صبروا﴾ على طاعة الله وعن معصيته.

وقيل: [وجزاهم][1] بصبرهم على الإيثار وما يؤدي إليه من الجوع والعـري ﴿جنة﴾ فيها مأكل هني ﴿وحريراً﴾ فيه ملبس بهي.

مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيۡهِمۡ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيۡهِم بِـَٔانِيَةٖ مِّن فِضَّةٖ وَأَكۡوَابٖ كَانَتۡ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٖ قَدَّرُوهَا تَقۡدِيرٗا ﴿١٦﴾ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمۡ جَزَآءٗ وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ مذكور في الكهف[2].

قال الزجاج[3]: والنصب في "متكئين" على الحال، أي: جزاهم جنة في حـال

(١) في الأصل: جزاهم. والمثبت من ب.

(٢) عند الآية رقم: ٣١.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

اتكائهم فيها. قال[1]: وكذلك: ﴿ودانيةً﴾[2].

﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي: لا يجدون فيها حَرّاً ولا برداً.

والزَّمْهَرير: البرد الشديد[3]. وفي الحديث: «هواءُ الجنة سجسج، لا حرّ ولا قرّ»[4].

وقال ثعلب: الزمهرير: القمر بلغة طيء[5]. [وأنشد][6]:

وليلةٍ ظَلامُها قد اعْتكَر قَطَعْتُها والزَّمْهَريرُ ما ظَهَرْ[7]

فيكون المعنى: الجنة ذات ضوء لا تحتاج إلى شمس ولا قمر.

قوله تعالى: ﴿ودانيةً عليهم ظلالها﴾ قد ذكرنا قول الزجاج في النصب.

وقال الفراء والمبرد والزجاج أيضاً[8]: [جائز][9] أن يكون [نعتاً للجنة][10].

المعنى: وجزاهم جنة دانية، فحذف الموصوف.

---

(١) أي: الزجاج.

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣).

(٣) انظر: اللسان، مادة: (زمهر).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٠ ح٣٣٩٧٠)، وابن المبارك في الزهد (ص:٢١٣).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٦٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٥).

(٦) في الأصل: فأنشد. والتصويب من ب.

(٧) ويروى: ما زهر، كما في ب وبعض المصادر. انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ١٣٨)، والماوردي (٦/ ١٦٩)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٥)، والبحر (٨/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣)، وروح المعاني (٢٩/ ١٥٨).

(٨) معاني الفراء (٣/ ٢١٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٥٩).

(٩) في الأصل: جائزاً. والتصويب من ب.

(١٠) في الأصل: نعتاً لجنة. وفي ب: نعت الجنة. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

وقال الزمخشري[١]: "ودانية" عطف على الجملة التي قبلها؛ لأنها في موضع الحال من المجزيين، تقديره: غير رائين فيها شمساً ولا زمهريراً، ودانية عليهم ظلالها.

وقرئ: "ودانيةٌ" بالرفع[٢]، على أن "ظلالها": مبتدأ، "ودانية": خبر، والجملة في موضع الحال.

والمعنى: لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً، والحال أن ظلالها دانية عليهم.

فإن قلت: علام عطف ﴿وذُلِّلَت﴾؟

قلتُ: هي -إذا رُفعت "ودانيةٌ"- جملة فعلية معطوفة على جملةٍ ابتدائيةٍ، وإذا نصبتها على الحال، فهي حالٌ من دانية، أي: تدنو ظلالها عليهم في [حال][٣] تذليل قطوفها لهم. أو معطوفة عليها [على][٤]: ودانية عليهم ظلالها، [ومذللة][٥] قطوفها؛ وإذا نصبتَ ["ودانية"][٦] على الوصف، فهي [صفة][٧] مثلها؛ ألا ترى أنك لو قلت: جنةٌ ذُلِّلت قطوفها: كان صحيحاً.

قال مقاتل[٨] في قوله: "ودانية عليهم ظلالها": يعني: شجرها قريب منهم.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٧١).

(٢) وهي قراءة أبي حيوة. انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٨٨)، والدر المصون (٦/ ٤٤٣).

(٣) زيادة من الكشاف (٤/ ٦٧١).

(٤) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: مذللة. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) في الأصل: دانية. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٢٩).

وقال ابن عباس في قوله: ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾: إذا هـمَّ أن يتناول من ثمارها تدلّت إليه حتى يتناول منها ما يريد[١].

وقد سبق هذا المعنى.

وقد ذكرنا الأكواب في الزخرف[٢].

قوله تعالى: ﴿كانت قواريراً﴾ أي: تكوّنت [بتكوين][٣] الله قوارير.

ثم بيّن جوهرها فقال: ﴿قوارير من فضة﴾ قال المفسرون: جعل الله قوارير أهل الجنة من الفضة، فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير[٤].

قال ابن عباس: لو ضَرَبْتَ فضةَ الدنيا حتى جعلْتَها مثل جناح الذباب لم تر الماء من ورائها، وقوارير الجنة من فضة في صفاء القارورة[٥].

واختلف [القُرّاء][٦] في هذا الحرف؛ فقرأ نافع والكسائي وأبو بكر: "قواريراً قواريراً" بالتنوين فيهما. وقرأ ابن كثير: بالتنوين في الأول. وقرأ الباقون: بغير تنوين فيهما[٧].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦).

(٢) عند الآية رقم: ٧١.

(٣) في الأصل: بتكون. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور والبيهقي في البعث.

(٦) زيادة من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٨٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٨)، والكشف (٢/ ٣٥٤)، والنشر (٢/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٤).

قال الزجاج[١]: وهو اختيار النحويين؛ لأن كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. ومن صرف الأول؛ فلأنه آخر آية، ومن ترك صرف الثاني؛ فلأنه ليس بآخر آية. ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، وإنما الخرب من نعت الجُحْر.

واختلفوا في الوقف عليهما، فمنهم من يقف بالألف، ومنهم من يقف بغير ألف، والحجة فيه: ما أشرنا إليه في "سلاسل".

قرأ العشرة وجمهور القرّاء: "قَدَّروها" بفتح القاف وتشديد الدال[٢].

وقرأ ابن عباس وأبو عبد الرحمن وأبو عمران والجحدري: بضم القاف وكسر الدال [وتشديدها][٣].

وقرأ حميد وعمرو بن دينار: "قَدَرُوها" بفتح القاف وتخفيف الدال[٤].

وبها قرأتُ على شيخنا أبي البقاء لعاصم من رواية أبان عنه، وضمير الفاعل على قراءة الأكثرين: للشاربين، على معنى: قَدَّروها في أنفسهم، فجاءت على ما قدّروا. وهذا معنى قول الحسن[٥].

وقيل: للطائفين بها، على معنى: قدروها على مقدار ريّهم، لا يزيد عن ريّهم ولا ينقص منه فتطلب الزيادة، وهذا ألذّ الشراب. وهو معنى قول مجاهد

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٢) في ب: والتشديد.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٣٧)، والدر المصون (٦/ ٤٤٥). وما بين المعكوفين في الأصل: وتشيدها. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

وغيره[١].

قال مجاهد: لا تفيض ولا تغيض[٢].

والضمير على قراءة ابن عباس: للشاربين.

قال الزجاج[٣]: المعنى: جُعلت لهم على قدر إرادتهم.

وقال غيره[٤]: جُعلوا قادرين لها كما شاؤوا، من قولهم: قدّرني فلان على كذا؛ إذا جعلك قادراً له.

قوله تعالى: ﴿ويسقون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾.

قال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار[٥].

قال غيره[٦]: سُميت بذلك؛ لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذُّه وتستطيبُه.

قال الأعشى:

كَأَنَّ القَرَنْفُلَ والزَّنْجَبيلَ ... بَاتَا بِفِيها وأَرْياً مُشَارَا[٧]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢١٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٠).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٥) ذكره الطبري (٢٩/ ٢١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٨).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٧) البيت للأعشى، انظر: ديوانه (ص:٨٥) واللسان، مادة: (زنجبيل، شور)، وزاد المسير (١/ ٤٨٧، ٨/ ٤٣٨)، والدر المصون (٦/ ٤٤٦)، وروح المعاني (٢٩/ ١٦٠). ولفظ الديوان:

كأنه جَنِياً من الزنجبيل ... خالط فاها وأرياً مشورا

وقال آخر:

وكأنَّ طعمَ الزنجبيلِ به إذ ذُقْتُهُ وسُلافَةَ الكَرْم[(١)]

ويروى: وسُلافَةَ الخَمْر.

وقال السدي: تُمزج الكأس بالزنجبيل، وهو مما تستطيبُه العرب، فإنه [يحذو][(٢)] اللسان ويهضم المأكول[(٣)].

قال ابن عباس: كلُّ ما ذكَرَ الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثلٌ في الدنيا، لكن الله سماه بالاسم الذي يُعرف[(٤)].

وقد سبق آنفاً في قوله: ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ ما له ارتباط بهذا الموضع.

قوله تعالى: ﴿عيناً فيها تسمى سلسبيلاً﴾ "عيناً" بدل من "زنجبيلاً"[(٥)]، إذا قلنا هو اسم لعين.

وقال الزجاج[(٦)]: يُسقون عيناً، و"سَلْسَبيل": اسم للعين، إلا أنه صرف؛ لأنه رأس آية. وسَلْسَبيل في اللغة: اسم لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين -والله تعالى أعلم- سُميت بصفتها.

---

(١) البيت للمسيب بن علي، انظر: الماوردي (٦/ ١٧١)، وزاد المسير (٨/ ٤٣٧)، والبحر (٨/ ٣٨٥)، والدر المصون (٦/ ٤٤٦).

(٢) في الأصل: يحد. وفي ب: يحذا. والتصويب من الماوردي (٦/ ١٧٠).
وحَذَا اللبنُ اللسانَ والخَلُّ فاه يَحْذيه حَذْياً: قَرَصه (اللسان، مادة: حذا).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٠).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٣).

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٦)، والدر المصون (٦/ ٤٤٠).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٦١).

وقال غيره[١]: يقال: شراب سَلْسَل وسِلْسَال وسَلْسَبيل، أي: سائغ سهل الدخول في الحلق.

وقرئ: "سَلْسَبيلَ" على منع الصرف؛ لاجتماع العلمية والتأنيث.

وقد حكي عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أن المعنى: سَلْ سبيلاً إليها[٢].

قال الزمخشري[٣]: وهذا غير مستقيم على ظاهره. إلا أن يراد أن جملة قول القائل: سل سبيلاً، جُعلت علماً للعين، كما قيل: تأبط شراً، وذرّى حَباً. وسميت بذلك؛ لأنه لا يَشربُ منها إلا من سأل إليها سبيلاً بالعمل الصالح، وهو مع استقامته في العربية تكلُّفٌ وابتداع، وعزوه إلى مِثْل علي عليه السلام أبدع.

قوله تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ مُفسّر في الواقعة[٤].

﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ قال عطاء: يريد: في بياض اللؤلؤ وحسنه. واللؤلؤ إذا نُثر من الخيط على البساط كان أحسن منه منظوماً[٥].

وقيل: شُبّهوا باللؤلؤ المنثور؛ [لانتشارهم][٦] في أنواع الخدمة[٧].

وقيل: شُبّهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه؛ لأنه أحسن وأكثر ماء[٨].

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ١٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٧٢-٦٧٣).

(٤) عند الآية رقم: ١٧.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٩) بلا نسبة.

(٦) في الأصل: لانتشاره. والمثبت من ب.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٣٩).

(٨) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٦٧٣).

قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثَمَّ﴾ قال الزمخشري[1]: "رأيت" ليس له مفعول ظاهر ولا مقدّر ليشيع ويعمّ، كأنه قيل: وإذا وجدت الرؤية ثَمّ، ومعناه: أن بصر الرائي أينما وقع لم يتعلق إدراكه إلا بنعيم كثير ومُلْك كبير.

و"ثَمَّ" في معنى موضع النصب على الظرف، يعني: في الجنة. ومن قال: معناه: "ما ثم" فقد أخطأ؛ لأن "ثَمَّ" صلة لـ"ما"، ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة.

وقوله تعالى: ﴿عَالِيَهُمْ﴾ قرأ نافع وحمزة: "عَالِيْهُم" بسكون الياء، على أنه مبتدأ، ﴿ثياب سندس﴾: خبره، أي: ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس.

وقرأ الباقون: "عَالِيَهُمْ" بنصب الياء[2]، على أنه حال من الهاء والميم في "يطوف عليهم".

المعنى: يطوف على الأبرار ولدانٌ، عالياً الأبرار ثياب سندس، أو في حسبتهم، على معنى: حسبتهم لؤلؤاً في حال عُلوّ الثياب إياهم.

أو حال من الضمير المنصوب في "ولقّاهم"، أو في "وجزاهم"[3].

قال أبو علي[4]: ويجوز أن يكون ظرفاً؛ لأنه لما كان عالٍ بمعنى فوق أُجري مجراه في هذا. وردّ هذا الوجه الزجاج وقال[5]: لو كان ظرفاً لما جاز إسكان الياء.

(١) الكشاف (٤/ ٦٧٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٨٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٣٩-٧٤٠)، والكشف (٢/ ٣٥٤)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٢٩)، والسبعة (ص:٦٦٤).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٤٨).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٨٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٢).

قال مكي[١]: ويكون "ثياب سندس": مبتدأ، والظرف الخبر. [ويجوز][٢] رفع "ثياب" بـ"عال"، إذا جعلته حالاً، أو بالاستقرار إذا جعلت "عالياً" ظرفاً.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وأبو بكر: "خُضْرٍ" بالجر، ورفعه الباقون[٣].

وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم: "وإستبرقٌ" بالرفع، وجرّه الباقون[٤].

فمن رفع "خضراً" جعله نعتاً للثياب، وحَسُنَ ذلك؛ لأن الثياب والخُضر جمعان، ويؤيده قوله: ﴿ويلبسون ثياباً خُضْراً﴾ [الكهف:٣١].

ومن جرّ "خُضْراً" جعله وصفاً لـ"سندس"، وضعّفه بعض النحويين؛ لأن الخُضْر جمع أخضر، والسندس واحد. وقد قيل: إن السُّنْدُس جمع سُنْدُسة.

وقيل: إنه اسم جنس، فهو في معنى الجمع.

وقد أجاز الأخفش وصفَ الواحد الذي يدل على الجنس بالجمع، فأجاز: أهلك الناس الدينار الصفر، والدرهم البيض[٥]. وهو قبيح من جهة اللفظ، حَسَنٌ من جهة المعنى.

ومن رفع "استبرق" عطفه على الثياب، على معنى: وعاليهم ثياب استبرق، بحذف المضاف، فهو مثل قولهم: على زيدٍ ثوبُ خزٍّ وكتّان، أي: وثوب كتان.

---

(١) الكشف (٢/ ٣٥٥).

(٢) في الأصل: وجوز. والتصويب من ب، والكشف، الموضع السابق.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٨٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٠)، والكشف (٢/ ٣٥٥)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٢٩-٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٤-٦٦٥).

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) انظر: القرطبي (١٩/ ١٤٦).

[ومن جَرَّه][١] عطفه على "سُنْدس"؛ لأنه جنس من الثياب [مثله][٢].

وقد سبق في الكهف[٣] تفسير السُّندس، والإستبرق، والأساور.

[فإن][٤] قيل: قد ذكر هاهنا أن أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب؟

قلتُ: يُحَلَّوْنَ بالجميع؛ لأن في اجتماع الحِلْيتين معنىً ليس في الانفراد؛ لأن كلَّ واحد من النوعين يُظهر حُسْن الآخر.

قوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ قال الفراء[٥] وغيره: ليس من خمر الدنيا فيكون نجساً.

وقال غيره[٦]: لم يُعصر فتمسّه الأيدي الوَضِرة [وتدوسه][٧] الأقدام الدنسة.

قال مقاتل[٨]: هو عين ماء على باب الجنة، من شرب منها نزع الله ما كان في قلبه من غِشٍّ وغِلٍّ وحَسَد.

وقال أبو قلابة وإبراهيم: يُؤتَون بالطعام، فإذا كان آخر ذلك أُتُوا بالشراب الطهور فيشربون، فتضمُرُ بذلك بطونهم، ويفيض عرق من جلودهم مثل

---

(١) في الأصل: وجره. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: ومثله. والتصويب من ب.

(٣) عند الآية رقم: ٣١.

(٤) في الأصل: فا. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢١٩).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٧٤).

(٧) في الأصل: وتدنسه. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣١-٤٣٢).

المسك[1].

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى ما وصف من نعيم الجنة ﴿كان لكم جـزاء﴾ بأعمالكم الصالحة ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾.

قال عطاء: شكرتُكم عليه [وأثبتكم][2] أفضل الثواب.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلاً ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ
ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ
فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ
وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا
بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلاً ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ
سَبِيلاً ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ أي: فصلناه في الإنزال، ولم نُنزله جملة واحدة.

وقد أشرنا إلى حكمة ذلك فيما مضى.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٢-٢٢٣). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٧٧) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر عن أبي قلابة. ومن طريق آخر عن إبراهيم التيمي.

(٢) في الأصل: وآتيكم. والمثبت من ب.

قوله تعالى: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ مُفسّر في مواضع[١].

وبعض المفسرين يقولون: هو منسوخ بآية السيف[٢]. وقد ذكرنا صواب القول في هذا وأمثاله.

﴿ولا تطع منهم﴾ أي: من مشركي مكة ﴿آثماً﴾ وهو عتبة بن ربيعة، ﴿أو كفوراً﴾ يريد: الوليد بن المغيرة. وكانا قالا له: ارجع عن هذا الأمر ونحن نرضيك بكل ما تريد، من مال ورئاسة وغيرهما.

وقيل: الصفتان لأبي جهل.

فإن قيل: ما الفائدة في "أو"، وهلاّ قال: آثماً وكفوراً؛ ليكون نهياً عن طاعتهما جميعاً؟

قلتُ: هذه أو التي للتخيير، إذا قلت: اضرب زيداً أو عَمْراً، فمعناه: اضرب أحدهما. فإذا قلت: لا تضرب زيداً أو عمراً، فمعناه: لا تضرب أحدهما. فالمعنى هاهنا: لا تُطع أحدهما، فيكون منهياً عن طاعتهما معاً بطريق الفحوى، كقوله: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [الإسراء:٢٣]، بخلاف قوله: لا تطعهما، فإنه يجوز من حيث اقتضاء الوضع أن يطيع أحدهما، وليس في فحوى الخطاب ما يقتضي المدلول الذي ذكرناه في قوله: لا تطع أحدهما.

قوله تعالى: ﴿واذكر اسم ربك﴾ أي: اذكره بالتعظيم والتنزيه ﴿بكرة وأصيلاً﴾.

---

(١) في سورة الطور، عند الآية رقم: ٤٨، وسورة القلم عند الآية رقم: ٤٨.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٢)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٣)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٣).

قال المفسرون: يعني: اذكره في صلاة الفجر، وصلاة العصر.

وبعضهم يقول: الظهر والعصر.

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ يريد: صلاة المغرب والعشاء، ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ يريد: صلاة الليل، وكانت فرضاً عليه، وهي نافلة لأمته.

قوله تعالى: ﴿إن هؤلاء يحبون العاجلة﴾ يعني: كفار مكة، أي: يؤثرون الدار العاجلة وهي الدنيا، ﴿ويذرون وراءهم﴾ أي: قدّامهم. وقيل: يدعون خلف ظهورهم لا يعبؤون به ﴿يوماً ثقيلاً﴾ عسيراً شديداً.

قوله تعالى: ﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾ أصلُ الأسْر: الرَّبْطُ والتَّوثيق، ومنه: أُسِرَ الرجل؛ إذا أوثق بالقِدّ، وفرسٌ مأسور به الحق، وترس مأسور بالعقب[1].

والمعنى: شددنا خلقهم وأحكمنا أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب.

﴿وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً﴾ يعني: إذا شئنا أهلكناهم وأتينا بأمثالهم، فجعلناهم بدلاً منهم.

قوله تعالى: ﴿إن هذه﴾ يعني: السورة أو الآيات القريبة.

والآية مُفسّرة في المزمل[2].

قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون﴾ قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو: "يشاؤون"

---

(١) انظر: اللسان، مادة: (أسر).

(٢) عند الآية رقم: ١٩.

بالياء[١]؛ حملاً على قوله: ﴿فمن شاء﴾، وقوله: ﴿نحن خلقناهم﴾، وما في حيزها.

وقرأ الباقون بالتاء، على الخطاب العام لجميع الخلق.

والمعنى: وما يشاؤون اتخاذ السبيل وغيره، ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أنهم لا يشاؤون شيئاً إلا بمشيئة الله تعالى. ﴿إن الله كان عليماً حكيماً﴾.

﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ قال عطاء: من صدّق نبيه أدخله جنته[٢].

﴿والظالمين﴾ يريد: المشركين[٣]، ونصبه بفعل مُضْمر يُفسِّره ما بعده.

وقرأ جماعة، منهم: ابن الزبير، وأبو العالية، وأبو الجوزاء، وابن أبي عبلة: "والظالمون" بالرفع على الابتداء[٤]، ﴿أعد لهم عذاباً أليماً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤١)، والكشف (٢/ ٣٥٦)، والنشر (٢/ ٣٩٦)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٥).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٦).

(٣) في ب: الكافرين.

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٤٢)، والدر المصون (٦/ ٤٥٢).

سورة المرسلات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمسون آية[١]، وهي مكية.

واستثنى ابن عباس آية واحدة وهي قوله: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ فقال: هي مدنية[٢].

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

قال الله تعالى: ﴿والمرسلات عُرفاً﴾ أقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح يتبع بعضها بعضاً، كعُرْف الفرس. وهذا المعنى مروي عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة[٣].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦١).

(٢) انظر: الإتقان (١/ ٥٤)، والماوردي (٦/ ١٧٥)، وزاد المسير (٨/ ٤٤٣).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٨-٢٢٩) من طرق عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة، وابن =

﴿فالعاصفات عَصْفاً﴾ وهي الرياح الشديدة الهبوب.

﴿والناشرات نَشْراً﴾ قال ابن مسعود: هي الرياح التي تنشر السحاب[١].

وقال الحسن: هي الرياح التي ينشرها الله بين يدي رحمته. هذا قول جمهور المفسرين.

﴿فالفارقات فَرْقاً﴾ قال مجاهد: هي الرياح تُفَرِّقُ بين السحاب فتبَدِّده[٢].

وقيل: المرسلات: الملائكة.

فيكون سبحانه قد أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهن بالمعروف من أمره سبحانه، فعصفن في مشيهنّ، كما تعصف الرياح مسارعة في امتثال أمره [بطوائف][٣] منهم، نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهنّ بالوحي، أو[٤] نشرن الكتب [ففرقن][٥] بين الحق والباطل، فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام.

=

أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢) عن ابن مسعود. وانظر: الماوردي (٦/ ١٧٥، ١٧٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٨١-٣٨٢).

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢). وذكره الماوردي في تفسيره (٦/ ١٧٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٨١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٧).

(٣) في الأصل: وبطوائف. والتصويب من ب.

(٤) في الأصل زيادة قوله: عند.

(٥) في الأصل: ففرن. والتصويب من ب.

وقال أبو هريرة وابن مسعود في رواية مقاتل[١]: المرسلات: الملائكة[٢].

قال الزجاج[٣]: العاصفات: الملائكة تعصف بروح الكافر.

وقال الضحاك: الناشرات: الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد[٤].

وقال الحسن وقتادة: "الفارقات": آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام[٥].

وقال قطرب: المُلْقيات: الرسل يلقون ما أنزل الله إليهم إلى الأمم[٦].

فإن قيل: ما وجه النصب في "غرقاً"؟

قلتُ: نصبه على الحال، على التفسير الذي ذكرناه أولاً، على معنى: متتابعة. ويجوز أن يكون مفعولاً له إذا أريد بالمرسلات: الملائكة، أي: أُرسلن للمعروف الذي هو نقيض المنكر.

قوله تعالى: ﴿عذراً أو نذراً﴾ قرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر: بضم الذال

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٢٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢)، والحاكم (٢/ ٥٥٥ ح٣٨٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨١) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن ابن مسعود، وعزاه لابن جرير.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٥).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٥).

(٥) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٨٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٦).

فيهما. وقرأهما الباقون: بالإسكان[١]. وهما لغتان، والضم الأصل، والإسكان للتخفيف، وهما مصدران في موضع المفعول لهما، أي: للإعذار والإنذار. ويجوز أن يكونا منصوبين على البدل من "ذكراً"[٢]، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إنما توعدون لواقع﴾ والمعنى: إنما توعدون من البعث والجزاء لكائن.

قوله تعالى: ﴿فإذا النجوم﴾ مبتدأ، خبره: ﴿طُمِسَت﴾.

وقيل: "النجوم" رفع بفعل مضمر دل عليه "طمست"، والجملة في موضع الجر بـ"إذا"، والعامل في إذا مضمر، تقديره: فاذكر إذا النجوم طمست، وإن شئت كان التقدير: فإذا النجوم طمست بِعُثْتُم[٣]. وإعراب ما بعده من المواضع الثلاثة كإعرابه.

[ومعنى][٤] قوله: "طُمِسَت": مُحِيَ نورُها.

﴿وإذا السماء فُرِجَت﴾ فُتحت فكانت أبواباً.

﴿وإذا الجبال نُسِفَت﴾ قُلعت من أماكنها. وقد ذكرناه في طه[٥].

﴿وإذا الرسل أُقِّتَت﴾ قرأ أبو عمرو: "وُقِّتَت" بالواو، ومثله أبو جعفر غير أنه خفف القاف.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٨٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٢)، والكشف (٢/ ٣٥٧)، والنشر (٢/ ٢١٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٤).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٥٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) عند الآية رقم: ١٠٥.

وقرأ الباقون "أُقِّتَت" بالهمزة وتشديد القاف[1].

والمعنى: جُمعت لوقتها الذي تَشْهَدُ فيه على الأمم.

وأصلها: وُقِّتَت بالواو، فأبدلوا من الواو المضمومة همزة.

قال الزجاج وغيره[2]: كل واو [انضمت][3] وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة.

قال الفراء[4]: تقول: صلى القوم أُحداناً. وهذه [أجوهٌ][5] حسان.

ومن خفف فهو كقوله: ﴿كتاباً موقوتاً﴾ [النساء:١٠٣].

قوله تعالى: ﴿لأي يوم أُجِّلَت﴾ تعظيمٌ لذلك اليوم، وتعجيب للعباد من هوله.

﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل، وهو اليوم الذي يُفصل فيه بين الخلائق.

ثم عظّمه فقال: ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾.

ثم أخبر عن حال الذين كذبوا به فقال: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾. وقد ذكرنا معنى "ويل" في البقرة.

قال الزجاج[6]: "ويلٌ" مرفوع بالابتداء، و"للمكذبين": الخبر[7].

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٢-٧٤٣)، والكشف (٢/ ٣٥٧)، والنشر (٢/ ٣٩٦-٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٦).

(٣) في الأصل: اضمت. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٢٢-٢٢٣).

(٥) في الأصل: أجرة. والتصويب من ب، ومعاني الفراء (٣/ ٢٢٣).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٧).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٨)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

قال الزمخشري[١]: فإن قلت: كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾؟

قلتُ: هو في أصله مصدر منصوب، سَادٌّ مَسَدَّ فعله، ولكنه عدل به إلى الرفع؛ للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه. ونحوه ﴿سلام عليكم﴾ [الأنعام:٥٤]. ويجوز: "ويْلاً"، بالنصب؛ ولكنه لم يُقرأ به.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝٢١ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢٢ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ۝٢٣ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٤ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ۝٢٧ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٨﴾

قوله تعالى: ﴿ألم نُهْلِكِ الأولين﴾ وقرأ قتادة: "نَهْلِكِ" بفتح النون[٢]، من هلكه بمعنى: أهلكه.

قرأ الأكثرون: ﴿ثم نُتْبِعُهُمُ الآخرين﴾ برفع العين على الاستئناف، [ويؤيده][٣] قراءة ابن مسعود: "ثم سنتبعهم"[٤].

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٧٩).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

(٣) في الأصل: ويده. والتصويب من ب.

(٤) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٥).

وقرأ الأعرج: "نُتْبِعْهُم" بجزم العين[١]، عطفاً على "نهْلك".

وهذا تهديد لكفار مكة.

قال ابن جرير[٢]: الأولون: قومُ نوح وعاد وثمود، والآخرون: قومُ إبراهيم ولوط ومدين.

﴿كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أي: مثلُ ذلك الفعل الشنيع نفعل بكل من أجرم.

قوله تعالى: ﴿ألم نخلقكم﴾ وقرأتُ لقالون من رواية أحمد بن صالح عنه: "نخلُقْكُم" بإظهار القاف.

﴿من ماء مهين﴾ ضعيف. والمراد من ذلك: تذكيرهم بقدرته على ما يريد من البعث وغيره.

﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ وهو الرحم. ﴿إلى قدر معلوم﴾ وهو مدة الحمل.

﴿فقدَرْنا﴾ وقرأ نافع والكسائي: "فقدَّرنا" بتشديد الدال[٣].

قال أبو علي[٤]: قَدَّرَ وقَدَرَ لغتان. فمن قرأ: "فقَدَرنا" بالتخفيف؛ فلقوله: ﴿فنعم القادرون﴾، فـ"القادرون" أشكل بـ"قَدَرْنا"، ويجوز "القادرون" مع قدّر، فيجيء باللغتين، كما قال: ﴿فمهل الكافرين أمهلهم﴾ [الطارق:١٧].

وقال غيره: المخففة من القدرة والمُلْك، [والمشددة من التقدير][٥] والقضاء.

---

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٣٩٧)، والدر المصون (٦/ ٤٥٦).

(٢) تفسير الطبري (٢٩/ ٢٣٥).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٣)، والكشف (٢/ ٣٥٨)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٠)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٩١).

(٥) في الأصل: والمشدة من القدر. والتصويب من ب، وزاد المسير (٨/ ٤٤٩).

ويؤيد القراءة بالتشديد قوله: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ [عبس:١٩].

قوله تعالى: ﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ معنى الكَفت في اللغة: الضم والجمع، والكفات هاهنا: اسم لما يكفِت، مثل: الضمام والجماع: اسم لما يُضمّ ويجمع.

قال الزمخشري[١]: [وبه][٢] انتصب ﴿أحياءً وأمواتاً﴾ كأنه قيل: كافتة أحياءً وأمواتاً. أو بفعل مضمر يدل عليه وهو: يكفت.

وقال الأخفش: انتصب على الحال.

والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها. هذا قول قتادة وجمهور المفسرين[٣].

وقال مجاهد وأبو عبيدة: المعنى: ألم نجعل الأرض أحياء بالنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب والجفاف[٤].

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ جبالاً ثوابتَ عالياتٍ، وكلُّ عالٍ فهو شامخ.

﴿وأسقيناكم﴾ مفسرٌ في الحِجْر[٥].

﴿ماءً فُراتاً﴾ عذباً. وقد سبق أيضاً تفسيره.

قال مقاتل[٦]: وهذا كله أعجب من البعث.

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٠).

(٢) في الأصل: به. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٧). وانظر: معاني الفراء (٣/ ٢٢٤)، والوسيط (٤/ ٤٠٨).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٤٩). ولم أقف عليه في مجاز القرآن لأبي عبيدة.

(٥) عند الآية رقم: ٢٢.

(٦) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٧).

ثم ذكر ما يقال لهم في الآخرة، فقال:

ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ أي: انطلقوا إلى العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.

ثم كرر فقال: ﴿انطلِقُوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ وقرأتُ ليعقوب من رواية رويس عنه: "انطلَقوا إلى ظل" بفتح اللام[1]؛ إخباراً عن امتثالهم ما أُمروا به من الانطلاق، وهي قراءة أبيّ بن كعب وأبي عمران.

قال ابن قتيبة وغيره[2]: الظِّلّ هاهنا: ظل من دخان نار جهنم، سَطَعَ ثم افترق ثلاث فِرَق، وهكذا شأن الدخان العظيم تراه [يتفرّق][3] ذوائب إذا ارتفع، فيقال لهم: كونوا فيه إلى أن يُفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه.

قال مجاهد: تكون شُعبة فوق الإنسان، وشُعبة عن يمينه، وشُعبة عن شماله،

---

(١) النشر (٢/ ٣٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٠).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٣١٩).

(٣) في الأصل: يفترق. والمثبت من ب.

فيحيط به دخان جهنم[١].

ثم وصف ذلك الظل فقال: ﴿لا ظليل﴾ يعني: لا يظل من الحر، ﴿ولا يغني من اللهب﴾.

قال الكلبي: لا يردّ عنهم لهب جهنم[٢].

وقد ذكرنا فيما مضى: أن اللهب ما يعلو على النار إذا أضرمت من أصفر وأحمر وأخضر.

ثم وصف النار فقال: ﴿إنها ترمي بشَرَرٍ كالقصر﴾ الشَّرَرُ: جمع شَرَرَة، وهو ما تطاير من النار متفرقاً.

والقَصْر: واحد القُصُور المبنية، في قول ابن مسعود وابن عباس وجمهور المفسرين[٣].

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس قال: كنا نرفع الخشب للشتاء ثلاثة أذرع أو أقل، ونسميه القصر. ﴿كأنه جمالات صُفْر﴾ أي: حبال السفن، تُجمع حتى تكون كأوساط الرجال[٤].

وقال مجاهد: القَصْرُ: الجبل[٥].

وقال الضحاك وسعيد بن جبير: القَصْرُ: أصولُ النخل والشجر

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥٠).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٠٩).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٧٩ ح٤٦٤٨).

(٥) انظر: القرطبي (١٩/ ١٦٤).

العظام[١]، واحدتها: قَصْرَة، مثل تمرة وتمر، وجمرة وجمر.

وقرأ علي عليه السلام وابن عباس وأبو رزين ومجاهد وأبو الجوزاء: "كالقَصَر" بفتح الصاد[٢]، مثل: شَجَرة وشَجَر.

قال الزجاج[٣]: أراد: أعناق الإبل.

وقال ابن قتيبة[٤]: أراد: أصول النخل المقطوعة.

وقرأ ابن مسعود وأبو هريرة والنخعي: بضم القاف والصاد[٥]، بمعنى: القصور، كَرَهْن ورُهُن.

وقرأ سعيد بن جبير بخلاف عنه: بكسر القاف وفتح الصاد[٦]، جمع قَصَرَة.

قال أبو حاتم: ولعله لغة. ونظيرها من الكلام: حَوَجَة وحِوَج.

قال ابن جني[٧]: وقالوا أيضاً في حَلْقَة الحديد: حَلَقَة وحَلَقٌ -بفتح اللام-، وقالوا: حِلَق؛ بكسر الحاء.

وقرأ أبو الدرداء وغيره: "كالقُصْر" بضم القاف وسكون [الصاد،

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤٠) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٦) وعزاه لابن جرير عن الضحاك.

(٢) انظر هذه القراءة في: الطبري (٢٩/ ٢٤٠)، وزاد المسير (٨/ ٤٥٠).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٧).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥٠)، والدر المصون (٦/ ٤٥٨).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥٠-٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٨).

(٧) المحتسب (٢/ ٣٤٦).

بتخفيف][1] قُصُر[2].

ثم أردف التشبيه بمثله فقال: ﴿كأنه جمالات صفر﴾.

قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر: "جِمَالَةٌ" على التوحيد، جمع جَمَل، [مثل][3]: حَجَر وحجارة.

قال مكي[4]: لحقته هاء التأنيث؛ لتأنيث الجمع، كما قالوا: فَحْل وفِحَال وفِحَالَة.

ومثلهم قرأ أبو رزين، وحميد، وأبو حيوة، غير أنهم ضموا الجيم[5]، [وهو حبل][6] السفينة.

وقرأ الباقون من السبعة: بكسر الجيم وزيادة ألف على الجمع[7].

وضَمَّ الجيم رويس عن يعقوب[8].

قال الزجاج[9]: من قرأ "جِمالات" بالكسر، فهي جمع جِمَال، كما تقول: بُيوت

(١) في الأصل: الدال وتخفيف. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١). وعزاها لأبي العالية وأبي عمران وأبي نهيك ومعاذ القارئ، دون أبي الدرداء، وجعل قراءة أبي الدرداء كقراءة سعيد بن جبير المتقدمة.

(٣) في الأصل: من. والتصويب من ب.

(٤) الكشف (٢/ ٣٥٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٩).

(٦) في الأصل: وحبل. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ٩١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٤)، والكشف (٢/ ٣٥٨)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٦).

(٨) النشر (٢/ ٣٩٧)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣١).

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

وبيُوتات، وهو جمع الجمع. ومن قرأ "جُمالات" بالضم، فهو جمع جُمالة، وهو القَلْس[١]، من قُلُوس سفن البحر، ويقال: كالقَلْس، من قلوس الجسر.

قال الفراء[٢]: الصُّفر: سود الإبل، لا ترى الأسود من الإبل إلا وهو مُشْرَبٌ صُفْرة، فلذلك سَمّت العرب سودَ الإبل: صُفْراً. وهذا قول الحسن ومجاهد وقتادة وعامة المفسرين[٣].

قوله تعالى: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ قال الزجاج[٤]: يومُ القيامة له مواطن ومواقيت، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

قال عكرمة: تكلموا واختصموا، ثم ختم على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فحينئذ لا ينطقون، ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾[٥].

وقال ابن الأنباري: لا ينطقون بحجة تنفعهم.

وقرأ أبو رجاء، والقاسم بن محمد، والأعمش: "يومَ" بنصب الميم[٦]، على معنى: هذا الذي قصصنا عليكم واقع يوم لا ينطقون، وهو يوم القيامة، ولا يؤذن لهم فيعتذرون.

---

(١) القَلْسُ: هو حبل السفينة (اللسان، مادة: قلس).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤١). وذكره الماوردي (٦/ ١٨٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٨٦) وعزاه لابن جرير عن الحسن. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٦٨).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٥١).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٨/ ٤٥١)، والدر المصون (٦/ ٤٥٩).

قال الزمخشري[(١)]: "فيعتذرون" عطف على "يؤذن" منخرط في سلك النفي. والمعنى: ولا يكون لهم إذن [واعتذار][(٢)] متعقب له، من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن، ولو نَصَبَ [لكان][(٣)] مُسبباً عنه لا محالة.

قوله تعالى: ﴿هذا يوم الفصل﴾ إشارة إلى يوم القيامة، يُفصل فيه بين أهل الجنة وأهل النار، ﴿جمعناكم﴾ أيها [المكذبون][(٤)] من هذه الأمة ﴿و﴾ المكذبين ﴿الأولين﴾.

وقوله: ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ تقريعٌ لهم على كيدهم لدين الإسلام، وتسجيلٌ [عليهم][(٥)] بالعجز والاستكانة.

قال مقاتل[(٦)]: المعنى: فإن كان لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم.

ثم ذكر سبحانه وتعالى ما أعدّ للمؤمنين فقال:

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَـٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟
هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٢).

(٢) في الأصل: وإعذار. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في الأصل: لمكان. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: المكذبين. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: لهم. والمثبت من ب.

(٦) تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٧).

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿إن المتقين في ظلال﴾ [يعني: ظلال][1] الشجر وأكنان القصور، ﴿وعيون * وفواكه مما يشتهون﴾.

﴿كلوا﴾ على إضمار القول، تقديره: يقال لهم: كلوا، ﴿واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ في الدنيا بطاعة الله.

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ مُفسّر فيما مضى[2].

ثم قال لكفار مكة مهدّداً لهم: ﴿كلوا وتمتعوا قليلاً﴾ زمناً قليلاً، أو تمتعاً قليلاً مدة بقائكم في الدنيا ﴿إنكم مجرمون﴾.

قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون﴾ قال مقاتل[3]: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة وقالوا: لا ننحني، [فإنها][4] مَسَبَّةٌ علينا، فنزل ذلك فيهم.

وقال رسول الله ﷺ: «لا خير [في دين][5] ليس [فيه][6] ركوع ولا سجود»[7]. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد.

وقال ابن عباس في رواية العوفي: إنما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يُدعون إلى

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في سورة الصافات، عند الآية رقم: ٨٠.

(٣) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: الماوردي (٦/ ١٨١)، وزاد المسير (٨/ ٤٥٢).

(٤) في الأصل: فإنه. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) أخرجه أبو داود (٣/ ١٦٣ ح٣٠٢٦).

السجود فلا يستطيعون[1]. فيكون أمْرُهُم بالركوع؛ تقريعاً لهم.

قوله تعالى: ﴿فبأي حديث بعده﴾ أي: بعد القرآن المفصل بالمواعظ والحكم ﴿يؤمنون﴾.

قال أهل المعاني: ليس [ترديد قوله][2] في هذه السورة: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بتكرار؛ لأن كل واحد جاء عقيب جملة مخالفة لصاحبتها، فأثبت الويل لمن كذّب بها.

وقد أشرنا إلى معنى ذلك في مواضع، منها سورة الرحمن.

---

(١) أخرجه الطبري (٢٩/ ٢٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٨٨) وعزاه لابن جرير.

(٢) في الأصل: يريد بقوله. والتصويب من ب.

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي أربعون آية، مكية[1].

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ
أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ
لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا
سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله تعالى: ﴿عَمَّ يتساءلون﴾ أصله: عَنْ مَا، على أنه حرف جر دخل على "ما" الاستفهامية. والمراد: تفخيم القصة بهذا الاستفهام، كأنه قيل: عن أي شيء يتساءلون. وأدغمت النون في الميم، وحذفت ألف "ما"، كقولهم: فِيمَ وبِمَ.

قرأ عكرمة وعيسى بن عمر: "عَمَّا يتساءلون" بإثبات الألف[2]، وأنشدوا لحسان:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٢).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦١).

على ما قَامَ يَشْتمني لَئِيمٌ   كخنزيرٍ تمرَّغ في رَمَادِ[١]

وقد سبق ذلك فيما مضى.

قال المفسرون: لما بُعث رسولُ الله ﷺ جعل كفار قريش بمكة يتساءلون بينهم: ما الذي أتى به محمد؟ ويختصمون فيه، فنزلت هذه الآية[٢].

ثم ذكر تساءلهم عَمَّ هو فقال: ﴿عن النبإ العظيم﴾ أي: الخبر العظيم الشأن.

وهو القرآن، في قول مجاهد ومقاتل[٣].

والبعث، في قول قتادة[٤].

وقيل: هو أمر محمد ﷺ[٥].

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ إن قلنا: هو القرآن، فاختلافهم فيه ظاهر، فمنهم من قال: شعر، ومنهم من قال: كهانة، ومنهم من قال: أساطير الأولين.

وإن قلنا: هو البعث، فاختلافهم فيه تصديق بعضهم به، وتكذيب بعض حين أُخبروا به.

---

(١) تقدم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٤) كلاهما عن الحسن. وذكره الماوردي (٦/ ١٨٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤١١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن الحسن.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧١٩)، والطبري (٣٠/ ٢). وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٠) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٢).

وقيل: تصديق المؤمنين وتكذيب الكافرين.

وإن قلنا: هو أمر النبي ﷺ، فاختلافهم فيه ظاهر.

قوله تعالى: ﴿كلاّ﴾ ردعٌ للمتسائلين على وجه الاستهزاء والتكذيب.

ثم توعدهم بقوله: ﴿سيعلمون﴾ والمعنى: سوف يعلمون عاقبة استهزائهم وتكذيبهم، أو سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه [ويضحكون][1] منه حق لا محالة.

ثم كرّر ذلك توكيداً فقال: ﴿ثم كلا سيعلمون﴾.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري: "ستعلمون" بالتاء فيهما[2]، [من طريق التغلبي][3] عن ابن ذكوان.

ثم دلهم على كمال قدرته على إيجاد ما أراد من البعث وغيره بقوله: ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ أي: فراشاً، ﴿والجبال أوتاداً﴾ للأرض؛ لئلا تميد بهم، ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ ذكراناً وإناثاً.

﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ قال ابن قتيبة[4]: راحة لأبدانكم. وقد فسرناه في الفرقان[5].

﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ ساتراً بظلمته، كما يستر الثوب لابسه.

---

(١) في الأصل: فيضحكون. والتصويب من ب.

(٢) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٩٢)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٣) في الأصل: عن طريق الثعلبي. والتصويب من ب.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٨).

(٥) عند الآية رقم: ٤٧.

﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي: وقت معاشٍ تتقلبون فيه لحوائجكم ومكاسبكم.

﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾ يريد: السموات السبع. ويعني بشدتها: إتقانها وإحكامها، وأن مرور الدهور لا يؤثر فيها كما يؤثر في الأبنية المتعارفة.

﴿وجعلنا سراجاً وهّاجاً﴾ أي: وقّاداً، يجمع النور والحرارة. يعني: الشمس.

﴿وأنزلنا من المُعْصِرات﴾ وهي السموات، في قول أبي بن كعب، والحسن، وسعيد بن جبير[(١)].

والرياح، في قول ابن عباس وعكرمة[(٢)].

قال زيد بن أسلم: هي الجنوب[(٣)].

قال الأزهري[(٤)]: هي الرياح ذوات الأعاصير.

و"مِنْ" بمعنى الباء، تقديره: بالمعصرات، سُمّيت بذلك؛ لأن الرياح تستدرّ المطر.

والسحاب، في قول أبي العالية، والضحاك، والربيع، وابن عباس في رواية الوالبي، قالوا: هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولمّا تمطر، كالمرأة المعصر، وهي

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥) عن الحسن. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٣٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وأبي يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم والخرائطي من طرق عن ابن عباس.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦).

(٤) تهذيب اللغة (٢/ ١٥).

التي دنا حيضها[١].

قال أبو النجم:

.... قَدْ أَعْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارَهَا[٢]

وقد ذكرنا في سورة الحجر عند قوله: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾[٣] ما له ارتباط بهذه الآية، فاعلم ذلك.

وقوله: ﴿ماءً ثجاجاً﴾ قال مقاتل[٤]: يريد: مطراً كثيراً منصبّاً يتبع بعضه بعضاً. يقال: ثَجَّه وثَجّ بنفسه.

﴿لنخرج به حباً﴾ مما يأكله الناس، ﴿ونباتاً﴾ يأكله الناس والأنعام.

وقال الزجاج[٥]: كل ما حُصد فهو حَب، وكل ما أكلته الماشية من الكلأ فهو نبات.

وقيل: الحب: اللؤلؤ، والنبات: العشب.

قال عكرمة: ما أنزل الله من السماء قطراً إلا أنبت به في البحر لؤلؤاً، وفي البرّ عُشباً[٦].

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٣٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) عجز بيت لأبي النجم العجلي، وصدره: (تمشي الهُوَيْنا مائلاً خمارها). وهو في: اللسان (مادة: عصر، سفا)، والقرطبي (١٩/ ١٧٢)، والبحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦٢).

(٣) عند الآية رقم: ٢٢.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٢).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٨٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧). وفي ب: الأرض عشباً.

﴿وجنات ألفافاً﴾ مُلتفّة.

قال صاحب الكشاف(١): لا واحد له، [كالأوزاع](٢) والأخياف. وقيل: الواحد: لف. وقال صاحب الإقليد: أنشدني الحسن [بن](٣) علي الطوسي:

جَنَّةٌ لِفٌّ وعَيْشٌ مُغْدِقٌ ... ونَدامَى كُلُّهُمْ بيضٌ زُهُرُ

وزعم ابن قتيبة(٤) أنه لَفَّاء ولُفٌّ، ثم أَلْفَافٌ، وما أظنه واجداً له نظيراً من نحو: خُضْر وأَخْضَار، وحُمْر وأَحْمَار، ولو قيل: هو جمع مُلتفَّة، بتقدير حذف الزوائد، لكان قولاً وجيهاً. هذا آخر قول صاحب الكشاف.

والذي حكاه عن ابن قتيبة قد ذكره جماعة، منهم: أبو عبيدة(٥)، وأبو العباس.

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾
وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ
جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا
يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ
كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٧).

(٢) في الأصل: كأوزاع. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل﴾ يريد: يوم القيامة ﴿كان ميقاتاً﴾ لما وعد الله من الثواب وأوعد من العقاب.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من "يوم الفصل"، أو عطف بيان[1]، ﴿فتأتون أفواجاً﴾ زمراً زمراً للحساب.

﴿وفُتِّحَتِ السماء﴾ وقرأ أهل الكوفة: "وفُتِحَتِ" بالتخفيف[2]، ﴿فكانت أبواباً﴾ ذوات أبواب لنزول الملائكة.

﴿وسُيِّرَتِ الجبال﴾ عن أماكنها ﴿فكانت﴾ بعد اشتدادها وتصلب أجزائها ﴿سراباً﴾ هباءً مُنبثاً، أي: تصير شيئاً كلا شيء؛ لتفرّق أجزائها.

قوله تعالى: ﴿إنَّ جهنم كانت﴾ وقرأ ابن يعمر: "أَنَّ جهنم" بفتح الهمزة[3]؛ على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت ﴿مرصاداً * للطاغين﴾.

قال الأزهري[4]: المِرْصَاد: هو المكان الذي يَرْصُدُ فيه الراصد العدوّ.

ثم بيّن لمن هي مرصاد فقال: ﴿للطاغين﴾.

قال ابن عباس: للمشركين[5].

﴿مآباً﴾ مرجعاً يرجعون إليه.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٧٩)، والدر المصون (٦/ ٤٦٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٥)، والكشف (١/ ٤٣٢ وَ ٤٦٢)، والنشر (٢/ ٣٦٤)، والإتحاف (ص:٣٧٧، ٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٥)، والدر المصون (٦/ ٤٦٤).

(٤) تهذيب اللغة (١٢/ ١٣٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٣).

قوله تعالى: ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ قرأ حمزة: "لَبِثِينَ" بغير ألف[١].

قال أبو علي[٢]: من قرأ: "لابثين" جاء باسم الفاعل من لبث على فاعل، نحو: شَرِبَ فهو شارب، ومن قرأ بغير ألف جاء به على فَعِلَ، نحو: حَذِرَ فهو حَذِرٌ. وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فَاعِل وفَعِل.

وقال الزمخشري[٣]: اللبث أقوى؛ لأن اللابث مَنْ وُجِدَ منه اللبث، ولا يقال "لبث" إلا لمن شأنه اللبث، كالذي يجثِم بالمكان لا يكاد ينفك عنه.

﴿فيها أحقاباً﴾ قال الحسن: لم يجعل الله لأهل النار مدةً، بل قال: أحقاباً، فوالله ما هو إلا أنه إذا مضى [حُقْبٌ][٤] دخل آخر ثم آخر ثم آخر كذلك إلى الأبد[٥].

قال ابن قتيبة[٦]: هذا لا يدل على غاية؛ لأنه كلما مضى حُقْبٌ تبعه حُقْبٌ. ولو أنه قال: لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية.

وقال الزجاج[٧]: والأحقاب واحدها: حُقْب، والحقب: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم منها مقدار ألف سنة من سنيّ الدنيا.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٥)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٨).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٨٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٤).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٣).

قال[١]: والمعنى: أنهم يلبثون أحقاباً، لا يذوقون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً، كما قال الله عز وجل: [﴿خالدين فيها أبداً﴾][٢] [الجن:٢٣].

قال صاحب الكشاف[٣]: يجوز أن يراد: لابثين فيها أحقاباً غير ذائقين برداً ولا شراباً، إلا حميماً وغساقاً، ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغَسَّاق من جنس آخر من العذاب.

قوله تعالى: ﴿لا يذوقون فيها بَرْدَاً ولا شراباً﴾ قال ابن عباس: لا يذوقون فيها برد الشراب ولا الشراب[٤].

وقال الحسن وعطاء: لا يذوقون فيها برداً، [أي][٥]: روحاً وراحة[٦].

وقال مقاتل[٧]: لا يذوقون فيها برداً ينفعهم من حرها، ولا شراباً ينفعهم من عطش.

وقال مجاهد والسدي والكسائي والفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة[٨]: البَرْدُ:

---

(١) أي: الزجاج.

(٢) زيادة من معاني الزجاج (٥/ ٢٧٣).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٨٨-٦٨٩).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨).

(٥) زيادة من ب.

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٢).

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٥٠٩)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/ ٢٨٢)، وزاد المسير (٩/ ٨).

النوم. والعرب تقول: منع البَرْد البَرْد.

قال الفراء[١]: إن النوم ليبرد صاحبه، وإن العطشان لينام فيبرد غليله، فلذلك سمي النوم برداً. قال الشاعر:

فإنْ شِئتُ حَرّمتُ النِّساءَ سِواكُمُ وإنْ شئتُ لم أُطْعَمْ [نُقاخاً][٢] ولا برداً[٣]

قال ابن قتيبة[٤]: [والنُّقَاخ][٥]: الماء، والبرد: النوم.

وأنشد أبو عبيدة[٦] قول الكندي:

بَرَدَتْ مراشِفُها عليَّ فصدَّني عنْها وعنْ قُبلاتِها البَرْد[٧]

قوله تعالى: ﴿إلا حميماً وغساقاً﴾ سبق تفسيره.

وقد ذكرنا في أواخر صاد[٨] اختلاف القراء في "غساق"، وتوجيه القراءتين.

قوله تعالى: ﴿جزاءً وفاقاً﴾ قال الزجاج[٩]: جوزوا [جزاء][١٠] وفق أعمالهم.

قال مقاتل[١١]: وافَقَ عذابُ النار الشركَ؛ لأنهما عظيمان، فلا ذنب أعظم من

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٢٨).

(٢) في الأصل: نفاخاً. والتصويب من ب.

(٣) تقدم.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٠٩).

(٥) في الأصل: والنفاخ. والتصويب من ب.

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٢).

(٧) البيت للكندي، وهو في: القرطبي (١٩/ ١٨٠)، والطبري (٣٠/ ١٢)، والماوردي (٦/ ١٨٧).

(٨) عند الآية رقم: ٥٧.

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(١٠) زيادة من ب.

(١١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٢).

الشرك، ولا عذاب أعظم من النار.

قال الزمخشري(١): "وفاقاً" وصفٌ بالمصدر، أو ذا وفاق.

قوله تعالى: ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ أي: لا يخافون أن يُحاسبوا. يريد: كانوا لا يؤمنون بالبعث.

وقال الزجاج(٢): لا يرجون ثواب حسابهم؛ لأنهم لا يؤمنون بالبعث.

﴿وكذبوا بآياتنا كذّاباً﴾ أي: تكذيباً.

قال الفراء(٣): هي لغة يمانية فصيحة، يقولون: كَذَّبْتُ كِذَّاباً، وخَرَّقْتُ القميص خِرَّاقاً، وكلُّ "فَعَلْتُ" مصدرها: فِعَّالٌ في لغتهم -مُشدَّد-.

قال(٤): وقال لي أعرابي منهم على المروة يستفتيني: الحلقُ أحبُّ إليك أم القِصَّار؟.

وقال صاحب الكشاف(٥): وسمعني بعضهم أفسّر آية فقال: لقد فسّرتها فسّاراً ما سُمع بمثله.

وقرأ علي عليه السلام: "كِذَاباً" بالتخفيف(٦)، في الموضعين من هذه السورة.

قال الزمخشري(٧): وهو مصدر كَذَبَ، بدليل قوله:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٢٩).

(٤) أي: الفراء.

(٥) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

(٦) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٠٦)، والدر المصون (٦/ ٤٦٧).

(٧) الكشاف (٤/ ٦٨٩).

فَصَدَقْتُها وكَذَبْتُها والمرءُ [ينفعُه][1] كِذَابُه[2]

قلتُ: والبيت للأعشى.

قوله تعالى: ﴿وكُلَّ شيءٍ أحصيناه كتاباً﴾ قال الزجاج[3]: "كلَّ" منصوب بفعل مضمر يفسره: "أحصيناه". والمعنى: وأحصينا كل شيء، و"كتاباً" توكيد لـ"أحصيناه"؛ لأن معنى أحصيناه وكتبناه فيها يحصل ويثبت واحد، فالمعنى: كتبناه كِتَاباً.

وقال غيره[4]: يجوز أن يكون "كتاباً" حالاً في معنى: مكتوباً في اللوح، وفي [صُحُف][5] الحفظة.

قال المفسرون: وكل شيء من الأعمال أثبتناه في اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿فذوقوا﴾ على إضمار القول، أي: فيقال لهم: ذوقوا جزاء أعمالكم، ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

---

(١) في الأصل: وينفعه. والتصويب من ب.

(٢) البيت للأعشى. وهو ليس في ديوانه. وهو في: الدر المصون (٦/ ٤٦٦)، وابن يعيش (٦/ ٤٤)، والطبري (٣٠/ ٢٠)، والقرطبي (١٩/ ١٨١)، وزاد المسير (٩/ ١٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١٦).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٤).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٦٨٩-٦٩٠).

(٥) في الأصل: مصحف. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٩٠).

قوله تعالى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ أي: موضع فوز، أو فوزاً وظفراً بإدراك البغية.

قال ابن عباس: مفازاً: متنزهاً[(١)].

وقال قتادة: فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة[(٢)].

ثم فسّر ذلك الفوز فقال: ﴿حدائق وأعناباً﴾ قال ابن قتيبة[(٣)]: الحدائق: بساتين النخل، واحدها: حديقة.

وقال غيره: البساتين فيها أنواع الشجر المثمر.

﴿وكواعب أتراباً﴾ قال ابن عباس: الكواعب: النّواهد[(٤)].

وقال الضحاك: العذارى[(٥)].

قال ابن فارس[(٦)]: يقال: كَعَبَتِ المرأة كَعَابَةً، وهي كَاعِبٌ؛ إذا نَتَأَ ثَدْيُها.

والأتراب: اللِّدَات[(٧)]. وقد سبق ذلك.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٠).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٥) الماوردي (٦/ ١٨٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن المنذر.

(٦) معجم مقاييس اللغة (٥/ ١٨٦).

(٧) انظر: تاج العروس (مادة: ترب).

﴿وكأساً دهاقاً﴾ قال الحسن وقتادة وابن زيد: "دهاقاً": مملوءة[١].

وقال سعيد بن جبير: متتابعة[٢]، ومنه قول الشاعر:

دُونَكَها مُتْرَعَةً دِهَاقَا ....[٣]

وعن ابن عباس ومجاهد كالقولين[٤].

قال ابن عباس: سمعتُ أبي في الجاهلية يقول: أسقنا كأساً دهاقاً[٥].

وقال عكرمة: صافية[٦]. وعليه أنشدوا:

لأَنْتَ إلى الفؤادِ أحبُّ قُوتاً من الصَّادي إلى كأسٍ [دِهَاقِ][٧]

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون فيها﴾ أي: في الجنة ﴿لغواً﴾ باطلاً من الكلام ﴿ولا كِذَّاباً﴾ تكذيباً، أي: لا يكذّب بعضهم بعضاً، على ما هو المتعارف من شاربي خمر

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير وقتادة ومجاهد والضحاك والحسن.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لعبد بن حميد عن سعيد بن جبير والضحاك.

(٣) صدر بيت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعجزه: (كأساً زُعافاً مُزِجَت زُعُافَا). وهو في: اللسان (مادة: زعق)، وتاج العروس (مادة: زعق، ودق)، والعين (١/ ١٣٣).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٢)، والطبري (٣٠/ ١٩-٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٥).

(٥) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٦ ح٣٨٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن جرير.

(٧) انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ١٦٣)، والبحر (٨/ ٤٠٢)، والدر المصون (٦/ ٤٦٧)، والماوردي (٦/ ١٨٩)، وفيهم: "قرباً" بدل: "قوتاً". وما بين المعكوفين في الأصل: دهاقا. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

الدنيا.

وقرأ الكسائي: "كِذَاباً" بالتخفيف[١]، مصدر: كَذَبَ، كما أن الكتاب مصدر: كَتَبَ، وإنما شُدِّدَ الموضع الأول؛ لقوله: ﴿وكذّبوا﴾.

قوله تعالى: ﴿جزاء من ربك عطاءً حساباً﴾ قال الزجاج[٢]: "جَزَاءً" منصوب بمعنى: ﴿إن للمتقين مفازاً﴾ [النبأ:٣١]؛ لأن معنى أعطاهم وجازاهم واحد.

قال الزمخشري[٣]: و "عَطَاءً" نصب بـ"جزاء" نصب المفعول به. أي: جزاهم عطاءً. و "حساباً" صفة بمعنى: كافياً، من أحْسَبَه الشيء؛ إذا كفاه حتى قال: حسبي. وقيل: على حسب أعمالهم.

قال الكلبي: حاسَبَهُم فأعطاهم بالحسنة عشراً[٤].

قرأ الحرميان وأبو عمرو: ﴿ربُّ السماوات﴾ برفع الباء. وقرأ الباقون بالخفض. وقرأ عاصم وابن عامر: بالخفض[٥]، ورفعه الباقون[٦].

فمن رفع الاسمين قطع الكلام مما قبله، فـ"ربُّ" مبتدأ و"الرحمن" خبره، ثم استأنف ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٦)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١)، والسبعة (ص:٦٦٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٥).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩٠).

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ١٨٥).

(٥) أي: بخفض كلمة: "الرحمن".

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ٩٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٧)، والكشف (٢/ ٣٥٩)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣١-٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٦٩).

ومن خفض الاسمين أتبعهما المخفوض قبلهما، وهو قوله: "من ربك" على البدل.

ومن رفع "الرحمن" جعله مبتدأ، والخبر ما بعده، أو على معنى: هو الرحمن.

والضمير في قوله: "لا يملكون": لأهل السموات والأرض.

قال مقاتل[1]: لا يَقْدِرُ الخلقُ أن يُكلموا الربّ إلا بإذنه.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفاً﴾ الظرف متعلق بقوله: "لا يملكون" أو بقوله: "لا يتكلمون"، أو بمضمر تقديره: اذكر.

وفي الروح خمسة أقوال:

أحدها: أنهم خَلْقٌ من خلق الله، على صورة بني آدم يأكلون ويشربون، وليسوا بملائكة. قاله مجاهد[2]. وروي معناه مرفوعاً إلى النبي ﷺ[3].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٤) بمعناه.

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٢-٧٢٣)، والطبري (٣٠/ ٢٢-٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/ ٨٧٠ ح٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه عن ابن عباس، رفعه.

الثاني: أنه مَلَكٌ ما خلق الله مَلَكاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفاً، وقامت الملائكة كلهم صفاً واحداً، فيكون عِظَم خلقه مثل صفوفهم[١].

قال ابن مسعود: هو أعظمُ من خَلْقِ السموات والجبال والملائكة[٢].

الثالث: أنها أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين، قبل أن تُـردَّ إلى الأجساد[٣]. وهذه الأقول الثلاثة مروية عن ابن عباس.

الرابع: أنه جبريل عليه السلام. قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك[٤].

الخامس: أنهم بنو آدم. قاله الحسن وقتادة[٥]. على معنى: يقوم ذووا الروح.

قال الشعبي: هما سماطان، سماط من الروح، وسماط من الملائكة[٦]. فيكـون المعنى على هذا: يقوم الروح صفاً والملائكة صفاً.

وقال ابن قتيبة[٧]: معنى قوله: "صفاً": صفوفاً.

وقوله: ﴿لا يتكلمون﴾ جائز أن يكون في محل الحال، وجائز أن يكـون جملـة

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦) كلاهما عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠) وعزاه لابن جرير.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠-٤٠١) وعزاه للبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢) عن الضحاك والشعبي، وأبـو الـشيخ في العظمـة (٢/ ٧٧٨ ح١٥، ٣/ ٨٧٣ ح٤١٣) عن الضحاك. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٠) وعزاه لعبد بن حميـد وأبي الشيخ عن الضحاك.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٦)، وأبـو الـشيخ في العظمـة (٣/ ٨٧٤ ح٤١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٣٩٩) وعزاه لابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٥١١).

مستأنفة. ﴿إلا من أذن له الرحمن﴾ في الكلام، ﴿وقال صواباً﴾ حقاً في الدنيا وعمل به.

وقال أبو صالح: قال: لا إله إلا الله(١).

وقال صاحب الكشاف(٢): هما شريطتان: أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام، وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى.

قوله تعالى: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ أي: مرجعاً بالطاعة.

ثم خوّف كفار مكة فقال: ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ وهو عذاب الآخرة.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ قال الزمخشري(٣): "المرء": هو الكافر؛ [لقوله](٤): ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾، والكافر: ظاهر وُضع موضع الضمير لزيادة الذم.

وقال أكثر المفسرين: المرء: اسم جنس يشمل الصالح والطالح، أخبر الله أنهم يرون يوم القيامة ما قَدَّموا في الدنيا من الأعمال السيئة والحسنة مُثْبَتاً في صحائف أعمالهم.

وقال قتادة: هو المؤمن(٥).

و"ما" موصولة، والراجع إلى الصلة محذوف.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٦٩١).

(٣) الكشاف (٤/ ٦٩١).

(٤) في الأصل: كقوله. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٦٩١).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٥) عن الحسن. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن.

ويجوز أن تكون استفهامية، على معنى: أيّ شيء قدمت يداه.

﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت تراباً﴾ قال عبدالله بن عمرو: إذا كان يوم القيامة، مدّت الأرض مد الأديم، وحُشرت الدواب والبهائم والوحش[1]، ثم يُجعل القصاص بين الدواب، حتى يقتصّ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء تنطحها، فإذا فُرغ من القصاص قال لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[2].

وقال الحسن: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة فقضى بين الثقلين الجن والإنس وأنزلهم منازلهم، قال لسائر الخلق: كونوا تراباً، فحيئنذ يقول الكافر: يا ليتني كنت تراباً[3].

وقيل: المراد بالكافر: إبليس، يرى آدمَ وولدَه وثوابَهم، فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال: ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [الأعراف:١٢].

وقال الزجاج[4]: وقيل المعنى: يا ليتني كنتُ تراباً، أي: يا ليتني لم أُبعث، كما قال: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة:٢٥].

---

(١) في ب: والوحوش.
(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٦١٩ ح٨٧١٦)، والطبري (٣٠/ ٢٦).
(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٧).
(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٧٦).

سورة النازعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وتسمى الطامة. وهي أربع وخمسون آية في المدني، وست في الكوفي، وهي مكية بإجماعهم[1].

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا
ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا
لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ
﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

قال الله تعالى: ﴿والنازعات غرقاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تنزع أرواح الكفار[2].

قال مقاتل[3]: مَلَكُ الموت وأعوانُه، ينزعون روح الكافر، كما يُنزع السَّفُّود[4]

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٣).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٥).

(٤) السَّفُّود: حديدة ذات شُعَب معقّفة، معروف، يشوى بها اللحم (اللسان، مادة: سفد).

الكثير الشُّعب من الصوف المبتل، فتخرج نفسه كالغريق في الماء. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقال مجاهد: هو الموت ينزع النفوس[١].

قال السدي: النازعات: النفوس حين تنزع[٢].

وقال الحسن وقتادة: هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق، ومن مشرق إلى مغرب[٣]. وهي اختيار أبي عبيدة[٤] والأخفش.

وقال عطاء وعكرمة: هي القسي تنزع بالسهم[٥].

وقيل: هي الوحوش تنزع وتنفر[٦].

وقيل: هي الرماة[٧].

"غرقاً": إغراقاً وإبعاداً في النزع، فهو اسم أُقيم مقام الإغراق.

قوله تعالى: ﴿والناشطات نشطاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تنشط

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٤) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨) عن عطاء. وذكره الماوردي (٦/ ١٩٢) عن عطاء، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥) عن عطاء وعكرمة، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٢) حكاية عن يحيى بن سلام.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥) حكاية عن الثعلبي.

أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تُخرجها من أجوافهم بالكَرْب والغم(١).

قال مقاتل(٢): ينزعُ ملكُ الموت روحَ الكافر، فإذا بلغت ترقوته عَوَّقَها في حلقه، فيعذبه في حياته [قبل أن يميته](٣)، ثم يُنشِطها من حلقه، -أي: يجذبها- كما يُنْشَطُ السَّفُّودُ من الصوف المبتلّ.

وقال مجاهد: هو الموت ينشط النفوس(٤).

وقال ابن عباس: هي الملائكةُ تَنْشُطُ أرواحَ المؤمنين بسرعة(٥).

وقال أيضاً: هي أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج. وذلك أنه ليس من مؤمن يحضره الموت إلا عُرضت [عليه](٦) الجنة قبل أن يموت، فيرى فيها ما يدعوه إليها، فتنشط نفسه لذلك(٧).

وقال قتادة وأبو عبيدة والأخفش: هي النجوم التي تَنْشَطُ من مطالعها إلى مغاربها(٨).

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٥).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥).

(٦) زيادة من ب.

(٧) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩)، وزاد المسير (٩/ ١٥).

(٨) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩) عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣) عن قتادة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

وقال عطاء وعكرمة: هي الأوهاق[١].

وقيل: هي الوحش حين ينشط من بلد إلى بلد، كما أن الهُموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد. قاله أبو عبيدة[٢]. وأنشد قول [هميان][٣] بن قحافة:

أمْسَتْ هُمومي تَنْشَطُ المَنَاشِطَا ... الشَّام [بي][٤] طَوْراً ثم طَوْرَاً وَاسِطَا[٥]

قوله تعالى: ﴿والسابحات سبحاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين[٦].

قال ابن السائب: يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء، فأحياناً ينغمس وأحياناً يرتفع، يَسُلُّونها سَلاً رفيقاً، ثم يدعونها حتى تستريح، كالسابح بالشيء في الماء يرفق به[٧].

وقال أبو صالح ومجاهد: هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩) عن عطاء. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٤).

(٣) في الأصل و ب: هيمان. والتصويب من مجاز القرآن، الموضع السابق. وانظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (٨/ ٩٥).

(٤) زيادة من مجاز القرآن، الموضع السابق، ومصادر البيت.

(٥) البيت لهميان بن قحافة السعدي. وهو في: الطبري (٣٠/ ٢٩)، والقرطبي (١٩/ ١٩٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٨٤)، واللسان (مادة: نشط)، والماوردي (٦/ ١٩٣)، والبحر (٨/ ٤٠٩)، وزاد المسير (٩/ ١٦)، والدر المصون (٦/ ٤٧٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٤).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

للفرس الجواد [سابح][١]؛ إذا أسرع في جريه[٢].

وقال مجاهد أيضاً: هو الموت يسبَح في نفوس بني آدم[٣].

وقال قتادة: هي النجوم والشمس والقمر، كُلٌّ في فلك يسبحون[٤].

وقيل: هي خيل الغزاة[٥].

وقال عطاء: هي السفن[٦].

قوله: ﴿فالسابقات سبقاً﴾ قال علي عليه السلام: هي الملائكةُ تَسْبِقُ الشياطينُ بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام[٧].

وقال الحسن: سبقت إلى الإيمان[٨].

وقال مجاهد: [تَسْبِقُ][٩] بأرواح المؤمنين إلى الجنة[١٠].

وقال ابن مسعود: هي أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد

---

(١) زيادة من زاد المسير (٩/ ١٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠) عن مجاهد. وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي صالح.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٤) مثل السابق.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٣) حكاية عن ابن شجرة.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٨) مثل السابق.

(٩) في الأصل: تسجق. وكذا وردت في المواضع الثلاث التالية. والتصويب من ب.

(١٠) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

عاينت السرور شوقاً إلى لقاء الله ورحمته وكرامته[١].

وروي عن مجاهد: أنه الموت يسبق إلى النفوس[٢].

وقال قتادة: هي النجوم يسبق بعضُها بعضاً في السير[٣].

وقال عطاء: هي الخيل[٤].

قوله تعالى: ﴿فالمدبرات أمراً﴾ قال ابن عباس وجمهور المفسرين: هي الملائكة[٥]، على معنى: تُدَبِّرُ أمراً من علم الحساب وغيره.

وقال عبد الرحمن بن سابط: يدبّر أمر الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل عليهم السلام. فأما جبريل فهو موكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل[٦] فهو ينزل بالأمر عليهم[٧].

وقيل: جبريل للوحي، وإسرافيل [للصور][٨].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١). وذكره الماوردي وابن الجوزي، الموضعان السابقان.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٨)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٦) في الأصل زيادة قوله: فموكل، ولعلها زيادة من الناسخ، وهي غير موجودة في ب.

(٧) أخرجه البيهقي في الشعب (١/ ١٧٧ ح١٥٨)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٥٩ ح٣٤٩٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٨) في الأصل: الصور. والمثبت من ب.

فإن قيل: من أول السورة إلى هاهنا قَسَم، فأين جوابه؟

قلتُ: إما محذوف، تقديره: لتبعثن، بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة. وإما قوله: ﴿إن في ذلك لعبرة لمن يخشى﴾ [النازعات:٢٦].

قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ العامل في الظرف: جواب القسم المحذوف.

والراجفة: الواقعة التي ترجف عندها الأرض والجبال، أي: تضطرب، وهي النفخة الأولى، وُصفت بها يحدث بحدوثها.

﴿تتبعها الرادفة﴾ وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، وكل [شيء][١] تبع شيئاً فقد ردفه.

وقيل: "الراجفة": الأرض والجبال، و"الرادفة": السماء والكواكب؛ لأنها تنشق وتنثر [كواكبها][٢] على إثر ذلك.

ومحل "تَتْبَعُهَا" من الإعراب: النصب على الحال[٣]، أي: ترجف تابعتها [الرادفة][٤].

﴿قلوبٌ يومئذ واجفة﴾ الوجيف والوجيب بمعنىً، أي: شديدة الاضطراب من أهوال القيامة.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: كوابها. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٠)، والدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٤) في الأصل: المرادفة. والتصويب من ب.

و"قلوبٌ": رفع بالابتداء[1].

﴿أبصارها خاشعة﴾ [هو][2] الخبر، "واجفة": صفة القلوب[3]، ولذلك جاز الابتداء بها، وهي نكرة لتخصُّصها بالوصف، كقوله: ﴿ولعبدٌ مؤمنٌ خيرٌ من مشرك﴾ [البقرة:٢٢١].

ومعنى: "خاشعة": ذليلة خاضعة.

والمراد: [أبصار أصحابها][4]، والإشارة إلى منكري البعث، بدليل قوله: ﴿يقولون أئنا لمردودون في الحافرة﴾.

وقرأ أبو جعفر: "إنا لمردودون" بهمزة واحدة على الخبر[5].

وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة ويعقوب إلا زيداً ورويساً: بهمزتين محقَّقَتين. وفَصَلَ بينهما بألف: هشام، الباقون: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفصل بينهما بألف: نافع إلا وَرْشاً وأبو عمرو وزيد عن يعقوب، وتركه ابن كثير[6] ووَرْش [ورويس][7].

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب: "إذا كنا" على الخبر. وقرأ عاصم

---

(١) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٢) في الأصل: هي. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٧١).

(٤) في الأصل: أيضاً ذا صاحبها. والتصويب من ب.

(٥) النشر (٢/ ٣٧٣)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٢).

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ٩٧)، والنشر (١/ ٣٧٣)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧٠).

(٧) في الأصل: ورىوس. والتصويب من ب.

وحمزة وخلف: بتحقيق الهمزتين على الاستفهام، الباقون: بتحقيق الأولى وتليين الثانية. وفَصَلَ بينهما بألف: أبو عمرو وأبو جعفر، وتركه ابن كثير(١).

قال أهل اللسان: يقال: رجع فلان [في](٢) حافرته، أي: في طريقه [التي](٣) جاء فيها فحَفَرَها، أي: أثّر فيها بمشيه فيها، جعل أثر قدمه حَفْراً، ومنه: حَفِـرَتْ أسنانه؛ إذا أثَّر الأُكالُ في أسناخها، ومنه: الخط المحفور في الصخر(٤).

المعنى: أنُرَدُّ إلى أول [حالنا](٥) وابتداء أمرنا.

قال ابن عباس: المعنى: أئنا لمردودون في الحياة بعد الموت(٦).

وقيل: الحافرة: الأرضُ [التي](٧) تُحفر فيها قبورهم.

المعنى: أئنا لمـردودون في الأرض خلقـاً جديـداً. وهـذا معنـى قـول مجاهـد والحسن(٨).

والاستفهام في الموضعين للإنكار، وقد نبهنا على معنى الخبر والاستفهام في

---

(١) انظـر: الحجـة للفـارسي (٤/ ٩٧)، والنـشر (١/ ٣٧٣)، والإتحـاف (ص:٤٣٢)، والـسبعة (ص:٦٧٠).

(٢) في الأصل: على. والمثبت من ب.

(٣) في الأصل: الذي. والمثبت من ب.

(٤) انظر: اللسان (مادة: حفر).

(٥) في الأصل: حالتنا. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٥-٤٠٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) في الأصل: الذي. والمثبت من ب.

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٧٢٦)، والطبري (٣٠/ ٣٤). وذكره السيوطي في الـدر (٨/ ٤٠٧) وعـزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد.

سورة الرعد(١).

قال الخليل وغيره: حافرة بمعنى: محفورة، كما [قالوا](٢): ﴿ماء دافق﴾ [الطارق:٦] بمعنى: مدفوق(٣)، و﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة:٢١].

قال الزمخشري(٤): وقرأ أبو حيوة: "الحَفِرَة"، والحَفِرَة بمعنى: المحفورة. يقال: حَفِرَتْ أسنانه، وهي حَفِرَة. قال: وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى: المحفورة.

قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "نَاخِرَة". وقرأ الباقون: "نَخِرَة" بغير ألف(٥).

وروي عن الكسائي التخيير بين حذف الألف وإسقاطها(٦)، وهما لغتان بمعنى واحد.

يقال: نخِرَ العَظْمُ فهو نخِرٌ وناخِرٌ، مثل: طَمِعَ فهو طَمِعٌ وطَامِعٌ، إلا أن فَعِلَ أبلغ من فاعل.

والنَّخِرُ: البالي [الأجوف](٧)، الذي تمر فيه الريح فيُسمع له نخير.

والعامل في "إذا" محذوف، تقديره: إذا كنا عظاماً نرد ونبعث.

---

(١) عند الآية رقم: ٥.

(٢) في الأصل. قال. والمثبت من ب.

(٣) قوله: "بمعنى مدفوق" سقطت من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٦٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٨)، والكشف (٢/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٣٩٧)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧٠).

(٦) انظر: المصادر السابقة.

(٧) في الأصل: الأخوف. والتصويب من ب.

﴿قالوا تلك إذاً كرةٌ خاسرة﴾ منسوبة إلى الخسران، أو خاسر أصحابها. وهذا على وجه الفرض والتقدير منهم، أي: إن صح هذا فتلك إذاً كَرَّةٌ خاسرة. وهو كلام يُنبئ [عن][1] استحكام تكذيبهم واستهزائهم، وأن ذلك غير كائن ولا واقع.

قوله تعالى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي: لا تستبعدوا تلك الكَرَّة، [فإنما][2] هي زجرة واحدة، أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية.

﴿فإذا هم بالساهرة﴾ وهي وجه الأرض[3]، في قول جمهور المفسرين واللغويين، قالوا: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأن به نوم الحيوان وسهرهم.

والمعنى: فإذا هم على ظهر الأرض أحياء، بعد أن كانوا في بطنها أمواتاً.

قال وهب بن منبه: "فإذا هم بالساهرة": جبل عند بيت المقدس[4].

وقال قتادة: "فإذا هم بالساهرة": جهنم[5].

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ

---

(١) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: إنما. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٦)، والماوردي (٦/ ١٩٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤١٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٨). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٧)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٠٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) مثل السابق.

إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْآيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْآخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد جاءك خبره.

﴿إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى﴾ قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: "طُوىً" بالتنوين. وقرأ الباقون بغير تنوين[١].

وقد ذكرتُ وجه القراءتين مع ما لم أذكره هاهنا في طه[٢].

قرأ الحرميان: "تَزَّكّى" بتشديد الزاي. وخففها الباقون[٣]، أصلها: تتزكى. فمن شدّد أدغم التاء في الزاي، ومن خفف حذف التاء الثانية طلباً للخفة، [وهو][٤] مثل: "تظاهرون" و"تساءلون".

والمعنى: هل لك أن تتطهر من الشرك. والعرب تقول: هل لك إلى كذا.

﴿وأهديك إلى ربك﴾ أرشدك إلى معرفته، ﴿فتخشى﴾ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر:٢٨].

قوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ وهي قلب العصا حية، وهي أصل آياته،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٤٥١)، والكشف (٢/ ٩٨)، والنشر (٢/ ٣١٩)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٢) عند الآية رقم: ٩.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ٩٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والكشف (٢/ ٣٦١)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٢)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٤) في الأصل: وهم. والتصويب من ب.

وأكبر معجزاته.

وقال جمهور المفسرين: هي العصا واليد، وجعلهما "آية"؛ لانتظامهما في سلك واحد، وتساوُقهما معاً.

﴿فكذب﴾ بموسى وآياته، ﴿وعصى﴾ الله بعد صحة علمه أن الطاعة قد وجبت عليه.

وقيل: عصى رسوله.

﴿ثم أدبر﴾ عن الإيمان ﴿يسعى﴾ يعمل بالفساد[1].

وقيل: أدبر حين رأى انقلاب العصا حية.

"يسعى": يُسرع في مشيه خوفاً منها.

﴿فحشر﴾ أي: فجمع قومه وجنوده.

وقيل: جمع السحرة، بدليل قوله: ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ [الشعراء:٥٣].

﴿فنادى﴾ في المقام الذي اجتمعوا فيه. يُروى أنه قام فيهم خطيباً.

ويجوز أن يكون المعنى: أمر منادياً فنادى بهذه الكلمة الشنيعة.

﴿فقال أنا ربكم الأعلى﴾ أي: لا رَبَّ فوقي.

وقيل: أراد: أن الأصنام أربابٌ وأنه فوقها.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد بن علي المقرئ الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن أحمد بن محمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا

---

(١) في ب: بعمل الفساد.

المؤمل بن محمد، أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا موسى بن إسماعيل القاضي، حدثنا محمد بن أحمد [بن البراء](١)، حدثنا عبدالمنعم بن إدريس، حدثنا عبدالصمد بن معقل(٢)، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول: أنا ربكم الأعلى، [ويكذب](٣) آياتك، ويجحد رسلك، فأوحي إليه: أنه كان حَسَنَ الخُلُق، سَهْلَ الحِجَاب، فأحببتُ أن أُكافئه»(٤).

قوله تعالى: ﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولى﴾ قال الزجاج(٥): النَّكَال: منصوب مصدر مؤكد؛ لأن معنى: "أخذه الله": نَكَّلَ به، "نكال الآخرة والأولى" أي: أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة.

قال(٦): وجاء في التفسير: أن نكال الآخرة والأولى؛ لقوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص:٣٨]، وقوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، فنكّل الله به نكال هاتين الكلمتين.

---

(١) في الأصل و ب: البزار. والتصويب والزيادة من البيهقي (٦/ ٥٣). وانظر: ترجمته في: تاريخ بغداد (١/ ٢٨١).

(٢) عبد الصمد بن معقل بن منبه بن كامل اليماني، ثقة صدوق، مات سنة ثلاث وثمانين (تهذيب التهذيب ٦/ ٢٩٣، والتقريب ص:٣٥٦).

(٣) في الأصل: وكذب. والمثبت من ب.

(٤) أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٥٣ ح٧٤٧٦، ٦/ ٢٥٠ ح٨٠٤٢).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٠).

(٦) أي: الزجاج.

قلتُ: وهذا المعنى الثاني الذي حكاه الزجاج هو قول جمهور المفسرين.

قال ابن عباس: كان بين الكلمتين أربعون سنة[١].

قال السدي: بقي بعد الآخرة ثلاثين سنة[٢].

والمعنى الأول؛ قول الحسن وقتادة[٣].

﴿إن في ذلك﴾ الذي فَعَلَ بفرعون حين كذّب وعصى ﴿لعبرة لمن يخشى﴾.

ثم خاطب منكري البعث فقال:

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء﴾ أي: أأنتم فيما عندكم [أصعب][٤] خلقاً وأعجب إيجاداً وإنشاء بعد الموت أم السماء؟، وهذا كقوله: ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ [غافر:٥٧].

قال الزجاج[٥]: قال بعض النحويين: "بناها" من صلة "السماء". المعنى: التي بناها.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ١٩٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٠٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) في الأصل: أضعف. والتصويب من ب.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٠).

وقال بعضهم: السماء ليس مما يوصل، ولكن المعنى: أأنتم أشد خلقاً أم السماء أشد خلقاً.

ثم بيّن كيف خَلَقَها فقال: ﴿بناها﴾.

ثم بيّن البناء فقال: ﴿رفع سَمْكَهَا﴾.

قال الزمخشري(١): جعل مقدار ذهابها في سَمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام، ﴿فَسَوَّاها﴾ فعدّلها مستوية ملساء، ليس فيها تفاوُتٌ ولا فطورٌ، أو فتمّمها بما علم أنها تَتِمُّ به وأصلحها، من قولك: سوّى فلانٌ أمر فلان.

قوله تعالى: ﴿وأغْطَشَ ليلها﴾ أي: أظْلَمَه، والغَطَشُ والغَبَشُ: الظُّلْمَة، ورجل أغْطَش: أعمى.

﴿وأخرج ضحاها﴾ أبرز ضوءَ شمسِها، بدليل قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس:١] أي: وضوؤها، وأضيف الليل والشمس إلى السماء؛ لأنهما ينزلان منها وينشآن عنها.

﴿والأرض بعد ذلك﴾ أي: بعد خلق السماء ﴿دحاها﴾.

قال ابن عباس وغيره من المفسرين واللغويين: "دحاها" بمعنى: بَسَطَها(٢). والدَّحْوُ: البَسْط.

قال عبد الله بن عمر وعكرمة وعطاء وجمهور المفسرين: خلق الأرض قبل

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٩٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٦-٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ١٩٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١١) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

السماء، ثم خلق السماء، ثم دحى الأرض بعد خلق السماء[١].

وحمل القائلون بتكامل خلق الأرض قبل السماء "بعد" على معنى: قبل، كقوله: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾ [الأنبياء:١٠٥]، ومنهم من قال: "بعد" بمعنى: مع، قالوا: ومنه قوله: ﴿عتل بعد ذلك﴾ [القلم:١٣]، أي: مع ذلك. ويؤيده قراءة مجاهد: "عند ذلك دحاها".

وقد ذكرنا في البقرة اختلاف العلماء في السابقة[٢] بالخلق، وبيّنّا الصواب من ذلك.

قوله تعالى: ﴿أخرج منها ماءها﴾[٣] قال ابن عباس: فجَّر الأنهارَ والبحارَ والعيون[٤].

﴿ومرعاها﴾ ما يأكله الناس والأنعام، وهو قوله: ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾.

واستعير الرعي للإنسان كما استعير الرتع في قوله: ﴿يرتع ويلعب﴾ [يوسف:١٢].

قال الزمخشري[٥]: "مرعاها": رعيها، وهو في الأصل موضع الرعي. ونصَبَ الأرض والجبال بإضمار "دحا" و"أرسى"، وهو الإضمار على شريطة التفسير.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤١٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) في الأصل زيادة قوله: في.

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿ومرعاها﴾. وستأتي بعد.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢١).

(٥) الكشاف (٤/ ٦٩٧).

وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء(١).

فإن قلت: هلاَّ أدخل حرف العطف على "أخرج"؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون [معنى](٢) "دحاها" بسطها ومهّدها للسكنى، ثم فسّر التمهيد بما لا بد منه في تَأَتِّي سكناها، من تسوية أمر المأكل والمشرب؛ وإمكان القرار عليها، والسكون بإخراج الماء والمرعى، وإرساء الجبال وإثباتها أوتاداً لها حتى تستقر ويستقر عليها.

والثاني: أن يكون "أخرج" حالاً بإضمار "قد" كقوله: ﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم﴾ [النساء:٩٠].

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ
ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ
ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ
ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن
يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ يريد: القيامة.

---

(١) انظر هذه القراءة في: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٢-٤٣٣).

(٢) في الأصل: بمعنى. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٦٩٧).

وقيل: الساعة التي يتصدَّعون فيها، فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير.

وقيل: النفخة الثانية.

وسميت طامّة؛ لأنها تطم وتغمُر الدواهي.

﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ ما عمل من خير وشر.

وقيل: إذا رأى أعماله مدوّنة في كتابه تذكَّرها، وكان قد نسيها، كقوله: ﴿أحصاه الله ونسوه﴾ [المجادلة:٦].

﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ قال مقاتل(١): يُكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق.

وقرأ أبو مجلز وابن السميفع: "لمن ترى" بالتاء، على الخطاب للنبي ﷺ(٢).

وقيل: لمن ترى الجحيم، كما قال: ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾.

وقرأ ابن مسعود وابن عباس: "لمن رأى" بهمزة بين الراء والألف(٣).

وجواب قوله: ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾؛ قوله: ﴿فأما من طغى﴾.

أي: فإذا جاءت الطامة فإن الأمر كذلك.

قال الزجاج(٤): ومعنى: ﴿هي المأوى﴾: هي المأوى له.

قال(٥): وقال قوم: الألف واللام بدلٌ من الهاء، المعنى: هي مأواه؛ لأن الألف

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٩) بمعناه.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٤)، والدر المصون (٦/ ٤٧٦).

(٣) مثل السابق.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨١).

(٥) أي: الزجاج في معاني القرآن، الموضع السابق.

واللام بدلٌ من الهاء، وهذا كما تقول للرجل: غُضَّ الطرف، تُريد: طَرْفَك.

قال الزمخشري[(١)]: ليس [الألف][(٢)] واللام بدلاً من الإضافة، ولكن لما علم أن الطاغي هو صاحب المأوى، وأنه لا يغضُّ الرجل طرف غيره: تُركت الإضافة.

قال[(٣)]: ودخول حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف؛ لأنهما معروفان، و"هي" فصل أو مبتدأ.

قال مقاتل[(٤)]: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ هو الرجل يهمُّ بالمعصية، فيذكر [مقامه للحساب][(٥)] فيتركها.

قوله تعالى: ﴿فيم أنت من ذكراها﴾ أي: في أيِّ شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتُعلمهم به. يعني: ما أنت وذلك؟ أي: لست تعلمه.

وقال ابن عباس: فيمَ يسألك المشركون عنها ولستَ ممن يعلمها[(٦)].

وقال عروة بن الزبير: فيمَ تسأل أنت يا محمد عنها، وليس لك السؤال عنها[(٧)].

ثم [أخبر][(٨)] أنه سبحانه هو المستأثر بعلمها فقال: ﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي:

---

(١) الكشاف (٤/ ٦٩٨).

(٢) في الأصل: للألف. والتصويب من ب.

(٣) أي: الزمخشري.

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٤٩) بمعناه.

(٥) في الأصل: مقام الحساب. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٠).

(٧) مثل السابق.

(٨) زيادة من ب.

منتهى علمها.

﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي: إنما بُعثت لتنذر من أهوالها.

وإنما خَصَّ الخَاشِينَ بالذكر مع كونه منذراً للثقلين من لدنه إلى أن تقوم الساعة؛ لموضع انتفاعهم بالإنذار.

وقرأتُ على الشيخ أبي البقاء لأبي جعفر ولأبي عمرو من رواية الحلبي عن عبد الوارث: "منذرٌ" بالتنوين[(١)].

قال الفراء[(٢)]: التنوين وتركه صواب؛ كقوله: ﴿بالغٌ أمره﴾ [الطلاق:٣] و﴿موهنٌ كيد الكافرين﴾ [الأنفال:١٨].

وقال الزمخشري[(٣)]: التنوين هو الأصل، والإضافة تخفيف، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال، فإذا أريد الماضي فليس إلا الإضافة؛ كقولك: هو منذر زيدٍ أمس.

﴿كأنهم يوم يرونها﴾ يعاينون أهوالها ويعانون شدائدها ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا. وقيل: في القبور ﴿إلا عشية﴾ وهي ما بعد العصر، ﴿أو ضحاها﴾ وهو ما كان إلى ارتفاع الشمس.

والمعنى: كأنهم لم يلبثوا إلا هذا القدر من الزمان.

وصحّ إضافة الضحى إلى العشية في قوله: ﴿أو ضحاها﴾؛ لاجتماعهما في يوم واحد.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ٩٧)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧١).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٣٤).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٠٠).

قال بعضهم[1]: وفائدة الإضافة: الدلالة على أن مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً، ولكن ساعة من يوم عشية أو ضحاها، فلما ترك اليوم أضافه إلى عشية، فهو كقوله: ﴿كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار﴾ [يونس:٤٥].

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٠).

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي اثنتان وأربعون آية. وهي مكية بإجماعهم[1].

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ
أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾
كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ
مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾

قال الله تعالى: ﴿عبس وتولى * أن جاءه الأعمى﴾ أخرج مالك في الموطأ من حديث عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزلت: "عبس وتولى" في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله من عظماء المشركين، فجعل رسول الله يُعرض عنه ويُقبل على الآخر ويقول: أترى بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، ففي هذا أنزل»[2].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٤).

(٢) أخرجه مالك (١/ ٢٠٣ ح٤٧٦).

ولا خلاف بين أهل [العلم][١] أنها نزلت فيه، وكان من بني عامر بن لؤي بغير خلاف، واسم أمه أم مكتوم: عاتكة بنت عبدالله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم، واسمه: عبدالله، وقيل: عمرو، وهو الأشهر والأكثر.

واختلفوا في اسم أبيه؛ فقيل: زائدة بن الأصم. وقيل: قيس بن مالك بن الأصم بن رواحة بن صخر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي القرشي [العامري][٢]. وقيل: غير ذلك.

كان قديم الإسلام بمكة، وهاجر إلى المدينة مع مصعب بن عمير قبل رسول الله ﷺ.

وقال الواقدي: قدمها بعد بدر بيسير، وكان رسول الله ﷺ يستخلفه في أكثر غزواته، وهو ابن خال خديجة بنت خويلد، وشهد فتح القادسية، وكان معه اللواء يومئذ، واستُشهد رضي الله عنه[٣].

قال المفسرون: أتى ابنُ أم مكتوم رسولَ الله ﷺ، وكان عند رسول الله ﷺ الملأ من قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية وأبيّ ابنا خلف، والوليد بن المغيرة، ورسول الله ﷺ يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم، فجعل ابن أم مكتوم يقول: علمني يا رسول الله مما علمك الله، وجعل يكرر ذلك النداء ولا يدري أنه مشغول عنه بغيره، فكلح رسول الله ﷺ وأعرض عنه، وأقبل على صناديد قريش يدعوهم إلى الله، فأنزل الله هذه الآيات. فكان

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: العامر. والمثبت من ب.

(٣) انظر: الإصابة (٤/ ٦٠١)، والاستيعاب (٣/ ٩٩٧).

رسول الله ﷺ إذا رآه بعد ذلك يقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي، ويكرمه ويقول: هل لك من حاجة؟[١].

ومعنى: "عَبَسَ": قَطَّبَ وكلّح.

وقرئ: "عبَّس" بالتشديد؛ للتكثير[٢].

"وتولّى": أعرض بوجهه.

"أنْ جَاءَهُ" منصوب بـ"تولى"[٣]، أو بـ"عبس"[٤]. ومعناه: عبس لأن جاءه الأعمى وأعرض لذلك.

وقرأ أُبيّ بن كعب والحسن: "آن جاءه" بهمزة واحدة مفتوحة ممدودة[٥].

وقرأ ابن مسعود وابن السميفع: بهمزتين مقصورتين مفتوحتين[٦].

فيكون الوقف على قوله: "وتولى"، ثم يبتدئ: "[أأن جاءه][٧]"، أي: ألأن جاءه الأعمى، فَعَلَ ذلك إنكاراً عليه، ثم الرجوع من المغايبة إلى المخاطبة بقوله: ﴿وما يدريك﴾ مُشعر بزيادة الإنكار.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤١٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧١).

(٢) وهي قراءة زيد بن علي. انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٧٨).

(٣) هو قول البصريين. وهذا هو المذهب المختار؛ لعدم الإضمار في الثاني.

(٤) هو قول الكوفيين.

(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٣).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٧)، والدر المصون (٦/ ٤٧٨).

(٧) في الأصل: أأجاءه. والتصويب من ب.

قال الزمخشري[١]: وفي ذكر الأعمى نحوٌ من ذلك، كأنه يقول: قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى، وكان يجب أن يزيده لعَمَاهُ تعطُّفاً وترؤُّفاً وتقريباً وترحيباً.

قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعله يَزَّكَّى﴾ أي: يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح، وبما يتعلمه منك.

﴿أو يَذَّكَّرُ﴾ يتّعظ ﴿فَتَنْفَعُهُ الذكرى﴾. قرأ عاصم: "فَتَنْفَعَهُ" بالنصب، على جواب "لعل". وقرأ الباقون: بالرفع[٢]؛ عطفاً على "يزكّى" و"يذكّر"، تقديره: ولعله تنفعه الذكرى.

قوله تعالى: ﴿أما من استغنى﴾ قال ابن عباس: استغنى عن الله عز وجل وعن الإيمان بما له من المال[٣].

﴿فأنت له تَصَدَّى﴾ قرأ ابن كثير ونافع: "تصَّدَّى" بتشديد الصاد، وخففها الباقون[٤].

فمن شدّد أدغم التاء في الصاد، أصلها: تتصدى، بتاءين. ومن خفف أسقط التاء الثانية. وقد أشرنا إلى هذا في مواضع.

والمعنى: فأنت تتعرض بالإقبال عليه.

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٠٢).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والكشف (٢/ ٣٦٢)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ٩٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٤٩)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣).

والمُصَادَاةُ: المُعَارَضَة[١].

﴿وما عليك ألا يزَّكَّى﴾ أي: وليس عليك بأس في أن لا يزكى بالإسلام، فإنه كان ﷺ حريصاً على إيمان قومه، متهالكاً على إيمان الأشراف منهم.

وقال الزجاج[٢]: المعنى: أيّ شيء عليك في أن لا يسلم من تدعوه إلى الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وأما من جاءك يسعى﴾[٣] [يسرع][٤] في طلب الخير، ﴿وهو يخشى﴾ الله تعالى.

وقيل: يخشى الكفار وأذاهم بسبب مجيئه إليك.

﴿فأنت عنه تَلَهَّى﴾ تتشاغل وتُعرض عنه، تقول: لَهِيتُ عن الشيء ألْهَى؛ إذا تشاغلت عنه[٥].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردع للنبي ﷺ عن العود إلى مثل ما عاتبه عليه.

﴿إنها﴾ يريد: آيات القرآن، أو هذه السورة ﴿تذكرة﴾ عِظة وتذكير.

﴿فمن شاء ذكره﴾ قال ابن عباس: فمن شاء الله ألهمه وفهّمه القرآن حتى يَذْكُرَهُ ويتّعظ به[٦].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: صدي).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿وهو يخشى﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: فيسرع. والتصويب من ب.

(٥) انظر: اللسان (مادة: لها).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣).

قال الزجاج[١]: "إنها تذكرة" يعني به: الموعظة التي وعظ الله بها النبي ﷺ، "فمن شاء ذكره"؛ لأن معنى الموعظة والوعظ واحد. والمعنى راجع إلى [جملة][٢] القرآن. المعنى: إن شاء أن يُذكّره ذَكَّرَه.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بجلالة القرآن عنده فقال: ﴿في صُحُفٍ مكرمة﴾ أي: هو في صُحُف، كتبت من اللوح المحفوظ.

وقال مقاتل[٣]: يريد: اللوح المحفوظ.

وقيل: كُتُب الأنبياء عليهم السلام.

﴿مرفوعة﴾ في السماء.

وإن قلنا هي: كُتُب الأنبياء، فمعنى "مرفوعة": عالية القدر، مفخّمة الشأن.

﴿مطهّرة﴾ منزهة عن أيدي الشياطين، لا يمسها إلا المطهرون، وهم الملائكة.

وقال الحسن: مطهرة لا تُنزل على المشركين[٤].

وقال مقاتل[٥]: مطهرة من الشرك والكفر.

﴿بأيدي سفرة﴾ وهم الملائكة، في قول جمهور المفسرين[٦].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٢) في الأصل: حملة. والتصويب من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٣) عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

وأصحاب محمد ﷺ، في قول وهب بن منبه[١].

وقيل: السَّفَرَة: القُرّاء. قاله جماعة، منهم: قتادة[٢].

قال الزجاج وغيره[٣]: والسَّفَرَة: جمع، الواحد: سَافِر، مثل: كاتِبٍ وكَتَبَة، وكافِرٍ وكَفَرَة. وإنما قيل للكُتَّاب: [سَفَرَة][٤]، وللكاتِب: سافِر؛ لأن معناه أنه يبين الشيء ويوضحه، يقال: أَسْفَرَ الصبح؛ إذا أضاء، وسَفَرَتِ المرأة؛ إذا كشفت النقاب عن وجهها، ومنه: سَفَرْتُ بين القوم، أي: كشفت ما في قلب هذا [وقلب][٥] هذا لأصلح بينهم[٦]. وأنشد الفراء[٧]:

وَمَا أَدَعُ السِّفَارَةَ بينَ قومِي ... وَمَا أَمْشِي بغِشٍّ إنْ مشيتُ[٨]

﴿كِرامٍ﴾ على ربهم ﴿بَرَرَةٍ﴾ مطيعين.

قال الزجاج[٩]: [هو][١٠] جمع بَارّ.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٤).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(٤) في الأصل و ب: سفر. والتصويب من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: وقبل. والتصويب من ب.

(٦) انظر: اللسان (مادة: سفر).

(٧) معاني الفراء (٣/ ٢٣٦).

(٨) البيت لم أعرف قائله. وهو في: الطبري (٣٠/ ٥٤)، والقرطبي (١٩/ ٢١٦)، والماوردي (٦/ ٢٠٤)، وزاد المسير (٩/ ٣٠)، والبحر (٨/ ٤١٧)، والدر المصون (٦/ ٤٨٠).

(٩) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٤).

(١٠) في الأصل: هم. والتصويب من ب.

قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ
فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ
﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا
صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾
وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾
مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾

قوله تعالى: ﴿قتل الإنسان﴾ أي: لعن الكافر.

قال الضحاك: وهو أمية بن خلف[1].

وقال مقاتل[2]: عتبة بن أبي لهب.

وقال مجاهد: كل كافر[3].

﴿ما أكْفَرَه﴾ أي: ما أشدّ كفره بالله.

قال الزجاج[4]: معناه: اعجبوا أنتم من كُفْرِه.

ثم أخذ الله سبحانه وتعالى في وصف حاله من ابتداء كونه إلى انتهائه، مُذَكِّراً له بأَنْعُمِهِ وقدرته فقال: ﴿من أي شيء خلقه﴾ استفهام في معنى التقرير.

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٠٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٠).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤١٩) وعزاه لابن المنذر.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٥).

ثم بَيَّنَ الشيءَ الذي خلقه منه بقوله: ﴿مِن نطفة خلقه فقدَّرَه﴾ قال ابن السائب: قدّر أعضاءه، رأسه وعينيه ويديه ورجليه[١].

وقال مقاتل[٢]: قدّره أطواراً، نطفة، ثم علقة، إلى آخر خلقه.

وقال الزجاج[٣]: قدّره على الاستواء.

﴿ثم السبيل يسَّرَه﴾ انتصب "السبيل" بإضمار: "يسّر"، وفَسَّره بيسّره.

والمعنى: ثم سهّل سبيله، وهو مخرجه من بطن أمه.

وقال الحسن ومجاهد: سهّل له العلم بطريق الحق والباطل[٤].

﴿ثم أماته فأقْبَرَه﴾ جعله ذا قبر يُوارى فيه تكرمة له، ولم يجعله على وجه الأرض جَزَراً للسباع والطير، كسائر الحيوان.

يقال: أقْبَرَ الميت؛ إذا جعل له قبراً، وقَبَرَه: إذا دفنه بيده[٥] فهو [قابره][٦].

قال الأعشى:

ولوْ أسندتَ ميتاً إلى نحْرِهَا عَاشَ ولم يُسْلَمْ إلى قَابِرِ[٧]

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٣-٤٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣١).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٥).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٥٥). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: قبر).

(٦) في الأصل: قابر. والمثبت من ب.

(٧) البيت للأعشى. انظر: ديوانه (ص:٩٢)، والأغاني (١٦/ ٣٠٣)، وصبح الأعشى (١/ ٤٤٤)، والطبري (٣٠/ ٥٦)، والقرطبي (١٩/ ٢١٩)، والماوردي (٦/ ٢٠٦)، والبحر المحيط (٨/ ٤٢٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٠)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٤).

أي: إلى دافن يدفنه بيده.

﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ بعثه بعد الموت. يقال: أنشر الله الميت؛ إذا [أحياه][1]، ونُشِرَ هو: [حيا][2] بنفسه[3]. قال الأعشى:

حتى يقولَ الناسُ مما رأوْا   يا عجباً للميتِ النَّاشر[4]

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للإنسان عما هو عليه.

وقال الحسن: حقاً[5].

﴿لما يقض﴾[6] (أي: لم يقض ﴿ما أمره﴾ به ونهاه عنه، يريد: الكافر.

وقيل: معناه: لم يقض)[7] ما عاهد الله[8] في الميثاق الأول.

وقال مجاهد: لا يقضي أحدٌ أبداً كُلَّ ما افترض الله عز وجل عليه[9].

فيكون عاماً في المؤمن والكافر.

قوله تعالى: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان

---

(١) في الأصل: أحيا. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: يحيى. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: نشر).

(٤) تقدم.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٤).

(٦) في الأصل زيادة قوله: ﴿ما﴾. وستأتي بعد.

(٧) ما بين القوسين سقط من ب.

(٨) في ب: عهد إليه.

(٩) أخرجه مجاهد (ص:٧٣١)، والطبري (٣٠/ ٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٩٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٠) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

بالنظر إلى طعامه، الذي هو سبب حياته، ومادّة بقائه، ليستدل بعجيب [تدبير][(١)] الله في إيجاده وإنباته على صحة البعث وكونه.

قرأ أهل الكوفة: "أَنَّا صَبَبْنا" بفتح الهمزة، وكسرها الباقون[(٢)].

فمن فتحها فعلى البدل من الطعام. ومن كسرها فعلى الاستئناف.

والمعنى: أنا صَبَبْنا الغيث صَبّاً.

﴿ثم شققنا الأرض﴾ بالنبات ﴿شقاً﴾.

﴿فأنبتنا فيها حباً﴾ قال الزجاج[(٣)]: هو كل ما حُصِد؛ كالحنطة والشعير، وكل ما يتغذى به من ذي حَبّ.

﴿وعنباً وقضباً﴾ يريد: الرَّطْبة التي تُعلف بها البهائم، وهو القَتُّ أيضاً.

قال ابن قتيبة[(٤)]: سُمي بذلك؛ لأنه يُقْضَبُ مرة بعد مرة، أي: يُقطع. وكذلك القصيل؛ لأنه يُقْصَل، أي: يُقطع.

﴿وحدائق غُلْباً﴾ قال الفراء[(٥)]: كل بستان يُحاط عليه حائط فهو حديقة، والغُلْبُ: ما غَلُظَ من النخل.

قال أبو عبيدة[(٦)]: يقال: شجرةٌ غَلْبَاء؛ إذا كانت غليظة.

---

(١) في الأصل: تدبر. والمثبت من ب.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ٩٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٠)، والكشف (٢/ ٣٦٢)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٣)، والسبعة (ص:٦٧٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٤).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٣٨).

(٦) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٦).

وقال ابن قتيبة[(١)]: الغُلْبُ: الغلاظُ الأعناق.

وقال الزجاج[(٢)]: هي المُتكاثِفَة العظام.

﴿وفاكهة﴾ ألوان الفاكهة مما يأكله الناس، ﴿وأَبّاً﴾ [ما][(٣)] تأكله الأنعام. وهذا قول عامة المفسرين واللغويين.

قال الزجاج[(٤)]: الأَبُّ: جميع الكلأ التي تعتلفه الماشية.

ويروى عن ابن عباس: أن الأَبُّ: الثمار الرَّطبة[(٥)]. والأول أصح.

وسُمّي المَرْعَى أَبّاً؛ لأنه يُؤَبُّ، أي: يُؤَمُّ ويُنْتَجَعُ، والأَبُّ والأَمُّ بمعنىً، وأنشدوا:

جِذْمُنَا [قَيْسٌ ونجدٌ][(٦)] دَارُنا   ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ[(٧)]

فإن قيل: كيف خفي على أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب[(٨)] رضي الله

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في الأصل: وقيس نجد. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٧) انظر البيت في: اللسان، وتاج العروس (مادة: أبب)، والقرطبي (١٩/ ٢٢٢)، والبحر (٨/ ٤١٨)، والدر المصون (٦/ ٤٨٢)، والكشاف (٤/ ٧٠٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٤٧).

(٨) حديث عمر، أخرجه الحاكم (٢/ ٥٥٩ ح٣٨٩٧)، وسعيد بن منصور (١/ ١٨١ ح٤٣)، وابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦ ح٣٠١٠٥)، والطبري (٣٠/ ٦٠-٦١)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٤٢٤ ح٢٢٨١).

عنهما [مع كونهما][1] من الفصحاء وأهل اللسان معنى الأبّ، حتى قالا ما ذكرته في مقدمة الكتاب، وجَهِلا معرفته، وعَرَفَه غيرهما من بعدهما؟

قلتُ: لا يلزم من ذلك إحاطتهما [بجميع][2] لغة العرب. فإن العربي الفصيح قد يجهل بعض لغة قومه فضلاً عن لغة غيرهم. وقد فهما في الجملة أن الأَبّ: نبت، وأنه من جملة ما امتنّ الله به على عباده، وطَلَب منهم شكره، فصَدَفَا عن القول فيه بغير يقينٍ وعلمٍ إلى العمل بشُكر الله وغيرُهما عَلِمَ معناه فقَالَه، فتناقَلَه الخلف عن السلف، واشتَهَر بينهم علمُه، وهكذا يجب على كل عالم أن يتورَّع عن القول في كتاب الله بغير علم وبصيرة، وأن لا يُقدم على تفسير شيء منه إلا بنقل فيما طريقُه النقل، أو استنباطٍ يشهد العلم بصحته، على ما أوضحته في مقدمة الكتاب.

قوله تعالى: ﴿متاعاً لكم﴾ أي: منفعة لكم ﴿ولأنعامكم﴾.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾
تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ قال الزجاج[3]: هي الصيحة التي تكون عندها

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: بالجميع. والتصويب من ب.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٧).

القيامة، تَصُخُّ الأسماع، أي: تُصِمُّها فلا تسمع إلا ما تُدعى به؛ لإحيائها.

قال ابن قتيبة[(١)]: يقال: رجل أَصَخُّ وأَصْلَخ؛ إذا كان لا يسمع، [والداهية][(٢)]: صاخَّةٌ أيضاً[(٣)].

وقال ابن فارس[(٤)]: الصَّاخَّة: الصَّيْحَة تَصُمّ [الآذان][(٥)].

وقال صاحب الكشاف[(٦)]: يقال: صَخّ لحديثه، مثل: أصاخ له، فوُصفت النفخة بالصاخّة مجازاً؛ لأن الناس يصخُّون لها.

ثم أخبر الله متى تكون الصاخّة فقال: ﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته﴾ زوجته وقرينته في الدنيا، ﴿وبنيه﴾.

فصل

سألني يوماً رجلٌ من الأكابر في محفل محشودٍ بالعلماء والفقهاء بالموصل فقال: لم بدأ بالأخ من بين الأقارب؟

قلتُ: غير خافٍ ما طُبعت عليه النفوس العربية الأبيّة من العصبيّة والمدافعة والممانعة، وحفظ [الذمار][(٧)]. ومعلوم أن المكافئ للإنسان عند حاجته إلى المعاضدة والمناصرة إنما هم الإخوة؛ لأن الآباء في مظنة الكِبَر، والأبناء في مظنة

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٢) في الأصل: الداهية. والتصويب من ب.

(٣) انظر: اللسان (مادة: صخخ، صلخ).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/ ٢٨١).

(٥) زيادة من معجم مقاييس اللغة، الموضع السابق.

(٦) الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٧) في الأصل: الذمام. والمثبت من ب. والذمار: كل ما يلزمك حفظه (اللسان، مادة: ذمر).

الصِّغَر، وهم حالتا ضعف وعجز. والمقصود من سياق هذه الآية: بيان شدائد القيامة وأهوالها، فأعلم الله عز وجل أن الناس في القيامة تُخامرهم مخاوف وزلازل تُذهل القريب المرجوّ لدفع الكرب والشدائد، وتُوجب فراره عن أعزّ الناس عليه، وأقربهم إليه، فبدأ بالأخ؛ لما بينه وبين أخيه من القرابة القريبة، وكونه أشدّ معاضدة لأخيه ومناصرة له، على المعنى الذي ذكرناه.

ثم رأيت بعد ذلك صاحب الكشاف قد ذكر معنى آخر غير هذا فقال(١): بدأ بالأخ، ثم بالأبوين؛ لأنهما [أقرب](٢) منه، ثم بالصاحبة والبنين؛ لأنهم أقرب وأحبّ، كأنه قيل: يفر من أخيه، بل من أبويه، بل من صاحبته وبنيه.

قوله تعالى: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ قال الفراء(٣): يشغله عن قرابته.

وقال ابن قتيبة(٤): يَصرِفُه.

وقال غيرهما(٥): "يُغْنِيه" بمعنى: يكفيه في الاهتمام به.

وقرأ جماعة، منهم: أبو عبد الرحمن السلمي، والزهري، وأبو العالية، وابن السميفع: "يَعْنِيِه" بفتح الياء وعين مهملة(٦)، بمعنى: شأن لا يُهِمُّه غيره.

أخبرنا المؤيد بن محمد في كتابه قال: أخبرنا عبد الجبار بن أحمد بن محمد

(١) الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٢) في الأصل: قريب. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٣٨).

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٥).

(٥) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٦).

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٣٥)، والدر المصون (٦/ ٤٨٢).

الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا محمد بن عبدالله بن الحاكم، أخبرنا أحمد بن سليمان[١]، [حدثنا إسماعيل بن إسحاق][٢]، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا أبي، عن محمد بن أبي عياش[٣]، عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبعث الناس حُفاةً عُراةً غُرْلاً[٤]، يَلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان. قالت: قلت: يا رسول الله، واسوءتاه! ينظر بعضنا إلى بعض!! قال: شُغِلَ الناس عن ذلك، وتلا رسول الله ﷺ: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»[٥].

وبالإسناد قال النيسابوري: أخبرنا الحسن بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عبدالله بن حمدون، أخبرنا أحمد بن الحسن الحافظ، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا يزيد بن عبد ربه[٦]، حدثنا [بقية][٧]، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن

---

(١) أحمد بن سليمان بن الحسن بن إسرائيل، أبو بكر النجاد، كان صدوقاً عارفاً، صنف ديواناً كبيراً في السنن، توفي سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٠٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٦٨).

(٢) زيادة من الوسيط (٤/ ٤٢٥). وإسماعيل بن إسحاق روى عن إسماعيل بن أبي أويس (انظر: الجرح والتعديل ٢/ ١٥٨).

(٣) في ب: محمد بن عباس.

(٤) غرلاً: الغرل: جمع الأغْرَل، وهو الأقلف. والغُرْلَة: القلفة (اللسان، مادة: غرل).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩ ح٣٨٩٨)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٤ ح٩١)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٥).

(٦) يزيد بن عبد ربه الزبيدي، أبو الفضل الحمصي المؤذن الجرجسي، ثقة، كان ينزل بحمص عند كنيسة جرجس فنسب إليها، توفي سنة أربع وعشرين ومائتين (تهذيب التهذيب ١١/ ٣٠١، والتقريب ص:٦٠٣).

(٧) في الأصل و ب: شعبة. والتصويب من مصادر التخريج.

عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «يبعث الناس يوم القيامة حُفاةً عُراةً غُرلاً، فقالت عائشة رضي الله عنها: يا نبي الله، فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾»[١].

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ مضيئة. من أسفر الصبح؛ إذا أضاء[٢].

قال عطاء: مسفرة من طول ما اغبرّت في سبيل الله[٣].

وقال الضحاك: من آثار الوضوء[٤].

﴿ووجوه يومئذ عليها غَبَرَة﴾ أي: غبار.

وقال مقاتل[٥]: سوادٌ وكآبة.

﴿ترهقها قَتَرَة﴾ أي: تعلوها وتغشاها ظُلْمَة.

وقال الزجاج[٦]: يَعْلُوها سوادٌ كالدُّخان.

﴿أولئك هم الكَفَرَة الفَجَرَة﴾ جمع كافر وفاجر.

قال بعض العلماء[٧]: كأنّ الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر. والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ١١٤ ح٢٠٨٣)، وأحمد (٦/ ٨٩ ح٢٤٦٣٢)، والحاكم (٤/ ٦٠٨ ح٨٦٨٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٢-٤٢٦).

(٢) انظر: اللسان (مادة: سفر).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٠). وذكره القرطبي (١٩/ ٢٢٦).

(٤) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٢٦).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٤).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٨٧).

(٧) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٠٦).

سورة التكوير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي تسع وعشرون آية. وهي مكية بإجماعهم[1].

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ
﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ
﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

أخرج الحاكم في صحيحه من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن ينظر في يوم القيامة فليقرأ: ﴿إذا الشمس كُوِّرت﴾»[2].

واختلفوا في معنى: "كُوِّرت"؛ فقال جمهور المفسرين واللغويين: هو من كَوَّرْتُ العِمَامَة؛ إذا [لفَفْتَها][3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٥).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٠).

(٣) في الأصل: لفيتها. والتصويب من ب. وقد ذكر هذا المعنى: الطبري (٣٠/ ٦٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٨).

فالمعنى: يُلَفُّ ضوؤها لَفّاً، [فيذهب][١] انبساطه في الآفاق.

وهذا معنى قول ابن عباس: أظْلَمَتْ[٢].

وقول مجاهد: اضمحلَّت[٣].

وقول سعيد بن جبير: غُوِّرَت[٤].

وقال الربيع بن خثيم: يرمى بها في البحر فتصير ناراً[٥].

وقيل: ترمى في النار.

وقيل: تُعاد إلى ما خُلقت منه.

وقيل: هو من قولهم: طَعَنَهُ فكَوَّرَه؛ إذا ألْقَاهُ[٦]. فالمعنى: تُلقى وتُطرح من فَلَكِها.

قوله تعالى: ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ أي: تناثرت وتساقطت. يقال: انكدر الطائر من الهواء؛ إذا انقضّ[٧].

---

(١) في الأصل: فذهب. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٦) انظر: اللسان (مادة: كور).

(٧) انظر: اللسان (مادة: كدر).

وأنشدوا قول العَجّاج[١]:

أَبْصَرَ خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانكَدَرْ تَقَضِّيَ البَازي إذا البازي [كَسَرْ][٢]

قال عطاء وابن السائب: تُمطر السماء يومئذ نجوماً، فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على الأرض؛ وذلك أنها في قناديل معلّقة بين السماء والأرض بسلاسل من النور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة، فإذا مات من في السموات ومن في الأرض تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة؛ لأنه مات من كان يمسكها[٣].

قوله تعالى: ﴿وإذا الجبال سُيِّرَت﴾ أُزيلت عن أماكنها.

قال مقاتل[٤]: سُوِّيت بالأرض كما خُلقت أول مرة، ليس عليها جبل ولا فيها وَاد.

وقيل: سيرت في الجو، كقوله: ﴿وهي تمرُّ مَرَّ السحاب﴾ [النمل:٨٨].

---

(١) البيت للعجاج يصف بازياً. انظر: ديوانه (ص:٢٨)، واللسان (مادة: ظفر)، وتاج العروس (مادة: خرب، ظفر)، والقرطبي (١٩/ ٢٢٧)، والماوردي (٦/ ٢١٢)، والبحر (٨/ ٤٢٢)، والدر المصون (٦/ ٤٨٤).

ورواية الديوان:

دَانَى جناحَيْه من الطور فمرّ تقضي البازي إذا البازي كسر

أبصر خِرْبَانَ فَضَاءٍ فانكَدَر شاكي الكلاليب إذا أهوى اطَّفَر

وانظر أيضاً: الخصائص (٢/ ٩٠)، وأمالي القالي (٢/ ١٧١)، والمحتسب (١/ ١٥٧)، ومجاز القرآن (٢/ ٣٠٠)، وابن يعيش (١٠/ ٢٥٠)، والهمع (٢/ ١٥٧)، والأشموني (٤/ ٣٣٦)، والطبري (١/ ٣٢٤)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٠).

(٢) في الأصل: كرر. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٥).

قوله تعالى: ﴿وإذا العشار عطّلت﴾ العشار: جمع عُشَرَاء، وهي الناقة الحامل إذا أتت عليها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما تكون عند أهلها[١].

ومعنى: "عُطِّلَت": تُركت مهملة مُسيّبة؛ لما دهمهم من أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حُشِرَت﴾ قال ابن عباس: ماتت[٢].

وقال جماعة من الصحابة والتابعين: جُمعت فاختلطت بالناس من هول القيامة.

وقال السدي وغيره: حُشرت لفصل القضاء، حتى يقتص للجَمَّاء من القَرْنَاء[٣].

قوله تعالى: ﴿وإذا البحار سُجِّرَت﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "سُجِرَتْ" بتخفيف الجيم. وشددها الباقون على التكثير[٤].

قال ابن عباس: أُوقدت فصارت ناراً تضطرم[٥].

فعلى هذا؛ هو من سَجَرْتُ التَّنُّورَ؛ إذا أحميته، ورجلٌ أَسْجَرُ العين؛ إذا كانت

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عشر).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٧)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨-٤٢٩) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢١٣).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٠)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٨).

فيه حُمْرة[١].

وقيل: هو مثل قوله تعالى: ﴿والبحر المسجور﴾ [الطور:٦] أي: المملوء.

قالوا: ومعنى: سَجَرْتُ التنور: مَلأْتُهُ حَطَباً.

قال مجاهد والضحاك ومقاتل وابن السائب وغيرهم: فُجِّرَ بعضها إلى بعض، فصارت بحراً واحداً[٢].

وهو معنى قول الربيع بن خثيم: فَاضَتْ[٣].

وقول الفراء[٤]: مُلِئَتْ وكَثُرَ ماؤها.

قال المفسرون: صارت مياهها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن البصري رحمه الله وقتادة: "سُجِّرت": يبست وذهب ماؤها[٥].

قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زُوِّجَت﴾ أي: قُرِنت بأشكالها.

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سئل عن هذه الآية: يُقْرَنُ الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، ويُقْرَنُ الرجل السوء مع الرجل

---

(١) انظر: اللسان (مادة: سجر).

(٢) ذكره مقاتل (٣/ ٤٥٥)، والطبري (٣٠/ ٦٨)، والماوردي (٦/ ٢١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٨) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٣٩).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٨) عن الحسن وقتادة، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٣) عن قتادة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٧-٤٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة. ومن طريق آخر عن الحسن والضحاك وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

السوء في النار[١]. وهذا قول الحسن وقتادة.

وقال [الشعبي][٢]: رُدت الأرواح إلى الأجساد[٣].

وعن عكرمة كالقولين[٤].

وقال عطاء: زُوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين[٥].

قوله تعالى: ﴿وإذا الموؤودة سُئلت * بأي ذنب قُتلت﴾ قال المفسرون واللغويون: الموؤودة: البنت تُدفن وهي حَيَّة. وكان هذا من فعل الجاهلية، على ما أشرنا إليه في مواضع.

قال الزجاج[٦]: ومعنى سؤالها: تبكيتُ قاتليها في القيامة؛ لأن جوابها: قُتِلْتُ بغير ذنب.

وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن: "سَأَلَتْ" بفتح السين والهمزة، "قُتِلْتُ" بسكون اللام وضم التاء[٧]، على

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٦٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٤)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٩٩ ح٣٤٤٩٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٢٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن أبي شيبة وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في البعث وأبي نعيم في الحلية.

(٢) في الأصل: الحسن. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٠) وعزاه لابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٠). وذكره الماوردي (٦/ ٢١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٩).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٠).

(٧) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٦).

معنى: سألَتْ ربها أو قاتلها على وجه الخصام والطلب بحقها.

أخرج أبو داود من حديث ابن مسعود: أن رسول الله ﷺ قال: «الوائدة والموؤودة في النار»(١).

قوله تعالى: ﴿وإذا الصحف نُشِّرَت﴾ قرأ نافع وعاصم وابن عامر: "نُشِرَت" بالتخفيف. وقرأ الباقون بالتشديد على معنى التكثير(٢).

والمراد: نشر صُحف الأعمال يوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿وإذا السماء كُشطت﴾ قال الزجاج(٣): قُلِعَت كما يُقلع السقف.

وقرأ ابن مسعود: "قُشِطَتْ" بالقاف(٤). والمعنى واحد.

قال الفراء وغيره(٥): القاف والكاف يتعاقبان لتقاربهما، قالوا: قُشط وكُشط، وقافور وكافور، ولَبَكْتُ الثَّريد ولبَقْتُه.

قوله تعالى: ﴿وإذا الجحيم سُعِّرَت﴾ قرأ نافع وابن عامر بخلاف عنه وحفص: "سُعِّرَت" بالتشديد. وقرأ الباقون بالتخفيف(٦).

والمعنى: أوقدت إيقاداً شديداً.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٢٣٠ ح٤٧١٧).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥١)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩١).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٠)، والدر المصون (٦/ ٤٨٦).

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٤١).

(٦) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥١)، والكشف (٢/ ٣٦٣)، والنشر (٢/ ٣٩٨)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

قوله تعالى: ﴿وإذا الجنة أُزْلِفَت﴾ أي: أُدنيت وقُرِّبت من المتقين، كما قال: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾ [ق:٣١].

فصل

اعلم أن هذه اثنتا عشرة خصلة، ستة منها بين يدي الساعة، وستة في الآخرة.

فإن قيل: أين جواب: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكوير:١] وما في [حيزه][١]؟

قلتُ: قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ أي: من خير وشر.

فإن قيل: كل نفس تعلم ما أحضرت، فما معنى قوله عز وجل: ﴿علمت نفس﴾؟

قلتُ: قد أجاب عنه الزمخشري فقال[٢]: هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يُعكس عنه. ومنه قوله عز وجل: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ [الحجر:٢] ومعناه: معنى كم، وأبلغ منه قول القائل:

قد أترك القرن مصفرّاً أنامله ....[٣]

وتقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان؟ فيقول: رب فارس عندي، أو لا تعدم عندي فارساً، وعنده المقانب[٤]. وقصده بذلك: التمادي في تكثير فرسانه. ولكنه أراد إظهار براءته من التَّزيُّد، وأنه ممن يُقلِّل كثير ما عنده،

---

(١) في الأصل: خبره. والمثبت من ب.

(٢) الكشاف (٤/ ٧١٠).

(٣) صدر بيت للهذلي، وعجزه: (كأن أثوابه مجّت بفرصاد). وهو في: اللسان (مادة: قدد، أسن)، وتاج العروس (مادة: قدد)، والكتاب (٤/ ٢٢٤)، والدر المصون (١/ ٤٧)، وروح المعاني (٧/ ١٣٤).

(٤) المقانب: جماعة الخيل (الصحاح، مادة: قنب).

فضلاً أن يتزيَّد، فجاء بلفظ التقليل، ففُهم منه معنى [الكثرة][١] عن الصحة واليقين.

ويروى أن ابن مسعود رضي الله عنه سمع قارئاً يقرأ هذه السورة، فلما انتهى إلى قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال: وانقطاع ظهراه[٢].

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبۡحِ
إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ
﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ
ٱلۡمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾
فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ
﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالخنس * الجواري الكنس﴾ قال الزجاج وغيره[٣]: "لا" مزيدة مؤكدة. والمعنى: فأقسم بالخنس.

والخُنَّس: جمع خَانِس وخَانِسَة، والكُنَّس: جمع كَانِس وكَانِسَة، والجواري: جمع جارية، وعامة المفسرين يقولون: هي النجوم.

قال ابن قتيبة[٤]: وإنما سَمَّاها خُنَّساً؛ لأنها تسير في البروج والمنازل كسير

(١) في الأصل: التكثير. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧١٠).
(٢) انظر هذه القراءة في: الكشاف (٤/ ٧١٠)، والبحر (٨/ ٤٢٥).
(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩١).
(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٧).

الشمس والقمر، ثم تخنُس، أي: ترجع، بينا ترى أحدها في آخر البروج كرَّ راجعاً إلى أوله، وسَمّاها كُنّساً؛ لأنها تكنِس، أي: تستتر، كما تكنِسُ الظباء.

قال قتادة: تبدو بالليل وتخفى بالنهار فلا تُرى(١).

قال الزجاج(٢): تَخْنِسُ: أي: تغيب، (وكذلك تَكْنِسُ، أي: تدخل في كناسها أي: تغيب)(٣) في المواضع(٤) التي تغيب فيها.

ويروى: أن رجلاً من مراد قال لعلي عليه السلام: ما الخُنَّس الجواري الكُنَّس؟

قال: هي الكواكب تخنس بالنهار فلا تُرى، وتكنس بالليل فتأوي إلى مجاريها.

قال: وهن: بهرام، وزحل، وعطارد، والزهرة، والمشتري(٥).

قال الماوردي(٦): وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

أحدهما: [لأنها](٧) تستقبل الشمس. وهذا قول بكر بن عبدالله المزني.

والثاني: لأنها تقطع المجرّة. وهذا قول ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢).

(٣) ما بين القوسين سقط من ب.

(٤) في ب: الموضع.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٤-٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٣١) وعزاه لسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه.

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٢١٦).

(٧) في الأصل: أنها. والتصويب من ب، وتفسير الماوردي، الموضع السابق.

وذهب جماعة، منهم: ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، وجابر بن زيد، إلى أنها: بقر الوحش(١).

وقال سعيد بن جبير وابن عباس في رواية العوفي عنه: هي الظباء(٢).

والمرادُ بانْخِنَاسِها: رجوعُها بعد جَرْيِها إلى كِنَاسِها، وهو اسمٌ للمكان الذي تأوي إليه؛ لأنها تَكْنِسُ فيه، أي: تدخل وتستتر.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا عَسْعَس﴾ يقال: عسعس الليل، وقد يُقلب فيقال: سَعْسَعَ. قال اللغويون: هو من الأضداد، يقال: عَسْعَسَ الليل؛ إذا أقبل، وعَسْعَسَ؛ إذا أدبر(٣). وأنشدوا:

حتى إذا الصبحُ لَهَا تَنَفَّسَا ... وانجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا(٤)

والمعنيان مذكوران في التفسير، ورجح بعضهم المعنى الثاني بقوله: ﴿والصبح إذا تنفس﴾. قال [الزجاج](٥): تنفّس الصبح: امتدّ وصار نهاراً بيّناً.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٥-٧٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٥)، والحاكم (٢/ ٥٦٠ ح٣٩٠٣)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢١٩ ح٩٠٦٣)، وابن سعد في الطبقات (٦/ ١٠٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣١-٤٣٢) وعزاه لعبد الرزاق وسعيد بن منصور والفريابي وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٢) وعزاه لابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس.

(٣) انظر: اللسان (مادة: عسس).

(٤) البيت لعلقمة بن قرط. وهو في: الطبري (٣٠/ ٧٩)، والقرطبي (١٩/ ٢٣٨)، ومجاز القرآن (٢/ ٢٨٨)، وزاد المسير (٩/ ٤٣)، والبحر (٨/ ٤٢٢)، والماوردي (٦/ ٢١٧)، وروح المعاني (٣٠/ ٥٨). ونسبه السمين الحلبي في الدر المصون (٦/ ٤٨٧) للعجاج.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢). وما بين المعكوفين زيادة من ب.

ثم ذكر جواب القسم فقال: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾.

قال الزجاج[١]: يعني: القرآن نزل به جبريل عليه السلام.

ثم وصف جبريل بقوله: ﴿ذي قوة﴾، فهو كقوله: ﴿شديد القوى * ذو مرة فاستوى﴾ [النجم:٥-٦] والمعنى: ذي قوةٍ على أعداء الله، ﴿عند ذي العرش﴾ صاحبه وهو الله عز وجل ﴿مكين﴾ رفيع المنزلة والمكانة عند ذي العرش.

﴿مُطاعٍ﴾ في الملائكة ممتثل الأمر فيهم، علماً منهم بأن إيراده وإصداره منوط بإذن رب العزة جل وعلا.

قال المفسرون: من طاعة الملائكة لجبريل عليه السلام: أنه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد ﷺ أبوابها فدخلها، ورأى ما فيها، وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها[٢].

وقال بعض العلماء[٣]: ﴿ثَمَّ﴾ إشارة إلى الظرف [المذكور][٤]، وهو: عند ذي العرش، فالمعنى: مطاع في ملائكة الله المقربين.

وقرئ: "ثُمَّ" بضم الثاء[٥]؛ تعظيماً لأمانة جبريل، وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة.

وقد سبق في غير موضع: أن جبريل عليه السلام أمين الوحي ورسول الله إلى

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٢).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٣).

(٣) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٣).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٤٣)، والدر المصون (٦/ ٤٨٧).

أنبيائه.

قوله تعالى: ﴿وما صاحبكم بمجنون﴾ يعني: [محمداً][١] ﷺ. وكان كفار مكة رَمَوْه بالجنون، فَسَلَبَ عنه ما أثبتوه له بهتاً وعناداً منهم. ونسبتُه إليهم بقوله: "وما صاحبكم[٢]" كلام يلوح منه التوبيخ لهم، والإشعار بأنهم كذبة عند أنفسهم.

المعنى: وما صاحبكم الذي صحبتموه الزمان الطويل وعرفتموه بضدّ ما به قرفتموه، وما زال مشهوراً بينكم بالرزانة، موصوفاً بالأمانة، بمجنون، فكيف استجزتم لأنفسكم عظيم الاجتراء على المكابرة والافتراء؟

قوله تعالى: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ أي: رأى ربه.

وقيل: جبريل، رآه على صورته التي خُلق عليها، بالأفق التي تطلع منه الشمس، فتُبيّن الأشياء وتُظهرها. وقد ذكرنا ذلك في النجم[٣].

قوله تعالى: ﴿وما هو على الغيب﴾ أي: وما محمد ﷺ على ما يُخبر به من الغيب من الوحي والإخبار عما كان ويكون ﴿بظنين﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "بظَنِين" بالظاء، أي: بمتّهم على ما يُخبر به من ذلك عن الله عز وجل. وقرأ الباقون "بضَنِين" بالضاد[٤]، من الضَّنِّ، وهو البخل، أي: وما هو ببخيل فيبخل عليكم بما ينفعكم من الوحي.

---

(١) في الأصل: محمد. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل زيادة قوله: بمجنون.

(٣) عند الآية رقم: ٧.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٠١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٢)، والكشف (٢/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٣).

والقراءة بالظاء أشبه بسياق الآية، وهو في مصحف ابن مسعود: بالظاء، وفي مصحف أبيّ: بالضاد.

قوله تعالى: ﴿وما هو﴾ يعني: القرآن ﴿بقول شيطان رجيم﴾ نفيٌ لقول كفار مكة: هذا كهانة.

قال مقاتل[(١)]: قال كفار مكة: إنما تجيء به الشياطين، فتلقيه على لسان محمد ﷺ.

قوله تعالى:﴿فأين تذهبون﴾ قال الزجاج[(٢)]: أيّ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بيّنتُ لكم.

وقال غيره[(٣)]: هذا استضلال للكفار، كما يقال لتارك الجادة اعتسافاً أو ذهاباً[(٤)] في بنيات الطريق: أين تذهب؛ مُثّلَتْ حالهم بحاله في تركهم الحق، وعدولهم عنه إلى الباطل.

قوله تعالى:﴿إن هو﴾ يعني: القرآن ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ [موعظة للخلق أجمعين.

﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من "للعالمين"[(٥)]][(٦)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٧).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٣).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٤).

(٤) في ب: وذهاباً.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٢)، والدر المصون (٦/ ٤٨٧).

(٦) زيادة من ب.

وإنما صح إبدال الذين [شاؤوا الاستقامة][(١)] من "العالمين"؛ لأنهم لموضع اختصاصهم بالنفع، كأنه لم يوعظ به سواهم، وإن كان الوعظ بالقرآن للجميع أن يستقيم على الحق والإيمان.

والمعنى: أن القرآن إنما يتّعظ به من استقام على الحق.

ثم أعلم أن المشيئة في التوفيق إليه فقال: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.

قال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ قال أبو جهل: الأمر إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[(٢)].

فصل

ذهب جماعةٌ مِنْ نَقَلَةِ التفسير إلى أن قوله: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾، وقوله في عبس: ﴿فمن شاء ذكره﴾ [عبس:١٢]، وقوله في الإنسان وفي المزمل[(٣)]: ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ منسوخ بقوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾[(٤)].

---

(١) في الأصل: شاء بالإستقامة. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٨٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٦) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة. ومن طريق آخر عن سليمان بن موسى، وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٣).

(٣) في سورة الإنسان عند الآية رقم: ٢٩، وفي المزمل عند الآية رقم: ١٩.

(٤) انظر: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٥٩)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٤)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٠) قال: وليس هذا بكلام من يدري ما يقول.

وهذا ليس بصحيح؛ لأنه لا تنافي بين ما ادّعوه ناسخاً ومنسوخاً، وإنما هو إعلامٌ أن مَشِيئَتَهُم منُوطةٌ بمشيئَتِهِ سبحانه وتعالى، والأمر كذلك.

قال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله لها[1].

---

(١) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٤٣).

سورة الانفطار

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع عشرة آية، وهي مكية بإجماعهم[1].

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ﴿٤﴾ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ
صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ
لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿١٢﴾

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إذا السماء انفطرت﴾ يعني: انشقت، كقوله: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ [الفرقان:٢٥].

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت.

قال ابن عباس: تسقط سُوداً لا ضوء لها[2].

﴿وإذا البحار فُجِّرَت﴾ فُتِحَ بعضها إلى بعض، فامتزج العذب بالملح وصارت بحراً واحداً.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٦).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٠).

﴿وإذا القبور بُعْثِرَت﴾ أي: بُحْثِرَت وقُلِبَت؛ لِبَعْثِ مَنْ فيها من الموتى.

وقال الفراء[١]: تُخْرِجُ ما في بطنها من الذهب والفضة، وذلك من أشراط الساعة أن تُخْرِجَ الأرضُ ذهبَها وفضَّتها، ثم تُخرج الموتى.

وجواب "إذا": ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ وهو مُفسّر في قوله: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة:١٣].

قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ الإنسان: اسم جنس، يريد: الكافر.

وقال ابن عباس: يريد: أبا الأشدّين[٢]، وقد ذكرناه في المدثر[٣].

وقال عطاء: يريد: الوليد بن المغيرة[٤].

وقال عكرمة: أبيّ بن خلف[٥].

والاستفهام في معنى [إنكار][٦] الاغترار به جلّت عظمته.

قال الزجاج[٧]: ما خَدَعَكَ وسَوَّلَ لك، حتى أَضَعْتَ ما وجب عليك.

وقال غيره: المعنى: ما غرّك بربك الكريم المتجاوز عنك، إذ لم يعاجلك بالعقوبة.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٤٣).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٣) عند الآية رقم: ٣٠.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٩) وعزاه لابن المنذر.

(٦) في الأصل: الإنكار. والتصويب من ب.

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٥).

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: غرَّه والله! جهله وحُمْقُه[١].

وقال الحسن: غرَّه والله! شيطانُه الخبيث[٢].

وقال قتادة: غرَّه عدوُّه المسلّط عليه[٣].

قال مقاتل[٤]: غرَّه عفوُ الله عنه، حين لم يُعاقبه في أول مرة.

وقيل لفضيل بن عياض: لو أقامك الله فقال: ما غرك بربك الكريم؟ ماذا كنت تقول؟ قال: أقول: غرّني سترك المرخى[٥]. فنظمه محمد بن السماك فقال رضي الله عنهما:

يا كَاتِمَ الذَّنْبِ أمَا تَسْتَحِي   واللهُ في الخلوةِ ثَانِيكَا
غَرَّكَ مِنْ ربكَ إمْهَالُهُ   وسَتْرُهُ طُولَ مَسَاوِيكَا

وقال يحيى بن معاذ الرازي: لو أقامني الله بين يديه وقال: ما غرّك بي؟ لقلت: غرّني بك بِرُّكَ بي سالفاً وآنفاً[٦].

قوله تعالى: ﴿فسوَّاك﴾ أي: فجعلك سوياً سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ تعديلاً متناسباً.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٣٩) وعزاه لسعيد بن منصور وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٢) ذكره القرطبي (١٩/ ٢٤٥).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٨٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٤).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٨) وفيه: غَرَّهُ الشيطان. وانظر قول مقاتل في: الوسيط (٤/ ٤٣٤).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٧).

(٦) مثل السابق.

قرأ أهل الكوفة: "فَعَدَلَك" بتخفيف الدال. وقرأ الباقون: بالتشديد[١].

قيل: هما بمعنى واحد.

وقيل: "عدَلك" بالتخفيف، بمعنى: صرفك.

قال الفراء[٢]: صرفك إلى أي صورة شاء.

وقال غيره[٣]: صرفك إلى خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق.

قوله تعالى: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ "ما" مزيدة.

والمعنى: في أي صورة شاء، حسنة أو قبيحة، أو طويل أو قصير، أو ذكر أو أنثى، رَكَّبَك.

وقال مجاهد: في أي صورة من صور القرابات[٤].

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد في كتابه، أخبرنا عبد الجبار بن أحمد بن محمد الخواري، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو معمر المفضل بن إسماعيل بجرجان، أخبرنا جدي أبو بكر الإسماعيلي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن النحاس، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا مُطهّر بن الهيثم الطائي[٥]، حدثنا موسى بن

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٢-٧٥٣)، والكشف (٢/ ٣٦٤)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٤)، والسبعة (ص:٦٧٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٤٤).

(٣) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧١٦).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٨).

(٥) مطهر بن الهيثم بن الحجاج الطائي البصري، متروك الحديث (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٦٣، والتقريب ص:٥٣٥).

علي[1]، عن أبيه[2]، عن جدّه: «أن رسول الله ﷺ قال له: ما وُلِد لك؟ قال: يا رسول الله ما عسى أن يولد لي، إما غلام أو جارية، قال: فمن يشبه؟ قال: يشبه أمه أو أباه. فقال النبي ﷺ: لا تقولن كذا، إن النطفة إذا استقرّت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله: ﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ أي: من نسبك»[3].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الاغترار ﴿بل تكذبون بالدين﴾ وهو الجزاء أو دين الإسلام.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾ ملائكةٌ يحفظون عليكم أفعالكم وأقوالكم، ويكتبونها عليكم؛ لتُجازوا بها.

﴿كِراماً﴾ على ربهم ﴿كاتبين﴾ ما تُملونه عليهم من خير وشر.

وفي قوله: ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ تحقيق لمعنى ضبطهم وإحاطتهم بأعمالهم

---

(١) موسى بن علي بن رباح اللخمي، أبو عبد الرحمن المصري، صدوق ربما أخطأ، ولي إمرة مصر سنة ستين ومائة، ولد بالغرب سنة تسع وثمانين، ومات بالإسكندرية سنة ثلاث وستين ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ٣٢٣، والتقريب ص:٥٥٣).

(٢) علي بن رباح بن قصير اللخمي، أبو عبد الله، ويقال: أبو موسى، تابعي ثقة، مات سنة بضع عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ٧/ ٢٨٠، والتقريب ص:٤٠١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٥/ ٧٤ ح٤٦٢٤)، والطبري (٣٠/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٧).

قال ابن كثير (٤/ ٤٨٢) بعد أن ذكر هذا الحديث: وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مُطهّر بن الهيثم به. وهذا الحديث لو صَحَّ لكان فيصلاً في هذه الآية، ولكن إسناده ليس بالثابت؛ لأن مُطَهَّر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس: كان متروك الحديث. وقال ابن حبان: يروي عن موسى بن علي وغيره بما لا يُشبه حديث الأثبات.

التي يكتبونها.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ۝١٤ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝١٥
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ۝١٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ عن الجحيم، وهذا كقوله: ﴿وما هم بخارجين منها﴾ [المائدة:٣٧].

وقيل: وما هم عن القيامة بغائبين. فيكون الكلام منعطفاً على الأبرار والفجار.

ثم عظّم ذلك اليوم فقال مخاطباً لنبيه محمد ﷺ: ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾.

وقال الكلبي: الخطاب للإنسان لا للنبي ﷺ(١).

ثم كرر ذلك تفخيماً لشأن يوم القيامة فقال: ﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾.

ثم أجمل القول في وصفه فقال: ﴿يومُ لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يومُ" بالرفع، على البدل من "يوم الدين"، أو على معنى: هو يوم. وقرأ الباقون: بالنصب(٢)، على معنى: يُدانون يوم الدين، أو بإضمار: اذكر.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٣٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٤٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٣-٧٥٤)، والكشف (٢/ ٣٦٤-٣٦٥)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٤).

قال مقاتل[١]: [يعني][٢]: لا تملك نفسٌ لنفسٍ كافرةٍ شيئاً.

والصحيح عمومه، وأن أحداً لا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً إلا بأمر الله، ألا تراه يقول: ﴿والأمر يومئذ لله﴾. والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٥٩).

(٢) زيادة من ب.

سورة المطففين

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وثلاثون آية[1].

قال ابن مسعود والضحاك: هي مكية[2].

وقال ابن عباس والحسن وقتادة: مدنية[3].

قال مقاتل: هي أول سورة نزلت في المدينة[4].

واستثنى ابن عباس وقتادة منها ثماني آيات من قوله: ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها فقالا: نزلت بمكة[5].

وقال ابن السائب وجابر بن زيد: نزلت هذه السورة بين مكة والمدينة[6].

قال هبة الله المفسر[7]: نزلت في الهجرة بين مكة والمدينة، نصفها يقارب مكة، ونصفها يقارب المدينة.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٧).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٢٢٥)، وزاد المسير (٩/ ٥١).

(٣) مثل السابق.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٥).

(٥) انظر: الماوردي (٦/ ٢٢٥)، وزاد المسير (٩/ ٥١).

(٦) انظر: المصدرين السابقين، والإتقان (١/ ٤٥).

(٧) في الناسخ والمنسوخ (ص:١٩٥).

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ
أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾
يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

قال الله تعالى: ﴿ويل للمطففين﴾ قال ابن عباس: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾، فأحسنوا الكيل بعد ذلك(١).

وقال السدي: قدم رسولُ الله ﷺ المدينةَ وبها رجل يقال له: أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية(٢).

وقد ذكرنا معنى "ويل" في البقرة(٣).

قال ابن قتيبة(٤): والمُطَفِّفُ: الذي لا يُوفي الكيل. يقال: إناء [طَفَّانٌ](٥)؛ إذا لم يكن مملوءاً(٦).

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٥٠٨ ح١١٦٥٤)، وابن ماجه (٢/ ٧٤٨ ح٢٢٢٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ٣٧١ ح١٢٠٤١)، والشعب (٤/ ٣٢٧ ح٥٢٨٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤١) وعزاه للنسائي وابن ماجه وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان بسند صحيح.

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٧٥)، والوسيط (٤/ ٤٤٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٢).

(٣) عند الآية رقم: ٧٩.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٩).

(٥) في الأصل: طفاف. والتصويب من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: طفف).

وقالِ الزجاج(١): إنما قيل: مُطَفِّفٌ؛ لأنه لا يكاد يَسْرِقُ في الميزان والمكيال إلا الشيء الطفيف، وإنما أُخذ من: طَفِّ الشيء، وهو جانبه.

قال(٢): وقد فَسَّرَ أمرهم في السورة فقال: ﴿الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾.

قال الفراء والزجاج وغيرهما من اللغويين(٣): المعنى: إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل.

و"على" و "مِنْ" يتعاقبان.

ولم يذكر الوزن؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع غالباً، فذِكْرُ أحدهما يدل على الآخر.

﴿وإذا كَالُوهم أو وَزَنُوهُم يُخسرون﴾ أي: كَالوا لهم أو وَزَنُوا لهم. فحذف الحرف الجار وأوصل الفعل، كما قال:

ولقد جَنَيْتُكَ أَكْمُؤاً وعَسَاقِلاً ....(٤)

أي: جنيت لك [هذا](٥)، كقولهم: نصحتك وشكرتك.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٢) أي: الزجاج.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٤٦)، ومعاني الزجاج (٥/ ٢٩٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (ولقد نهيتك عن بنات الأوبر). وهو في: الإنصاف (١/ ٣١٩، ٢/ ٧٢٦)، وأوضح المسالك (١/ ١٨٠)، والخصائص (٣/ ٥٨)، وسر صناعة الإعراب (ص:٣٦٦)، وجمهرة اللغة (ص:٣٣١)، واللسان، (مادة: حجر)، وتاج العروس (مادة: وبر)، والعين (٢/ ٢٩٠)، والمقتضب (٤/ ٤٨)، والمحتسب (٢/ ٢٢٤)، والحجة للفارسي (٢/ ١٨٤).

(٥) في الأصل: وهذا. والمثبت من ب.

قال الفراء[١]: هو من كلام أهل الحجاز وَمَنْ جاورهم.

فعلى هذا: يكون الضميران في موضع نصب.

وقيل: "هم" توكيد.

المعنى: وإذا كَالَ المطففون، فيكون الضميران في موضع رفع.

والأول هو الوجه الصحيح.

ومعنى: "يُخْسِرُون": يُنْقِصُون، كقوله: ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ [الرحمن:٩]، وقد مرّ تفسيره.

ثم وبَّخهم وخوّفهم فقال: ﴿ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم﴾ أي: ألا يتوهَّمون ويخطر ببالهم أنهم مبعوثون ومحاسبون، يريد: أن من توهم البعث والجزاء على الأعمال جدير [بأن][٢] يتحاشى ظلم الناس في أموالهم.

وقال ابن عباس وعامة المفسرين: يريد: ألا يستيقن مَنْ فعل هذا أنه مبعوث ومحاسب[٣].

قال مقاتل[٤]: المُطَفِّفُ في الكيل والوزن شاكٌ في البعث يوم القيامة.

قال الزجاج[٥]: لو ظنوا أنهم يُبعثون ما نقصوا الكيل والوزن.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٤٦).

(٢) في الأصل: أن. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١).

(٤) لم أقف عليه في تفسير مقاتل.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

قال صاحب الكشاف[١]: وفي هذا الإنكار والتعجيب وكلمة الظن، ووصف اليوم بالعِظَم، وقيام الناس فيه لله خاضعين، ووصف ذاته برب العالمين: بيان بليغ لِعِظَم الذنب، وتفاقُم الإثم في التطفيف، وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط، والعمل على التسوية والعدل في كل أخذ وإعطاء، بل[٢] في كل قول وعمل.

فصل: يتضمن نبذة زاجرة عن التطفيف

روى مجاهد وطاووس والضحاك عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خمسٌ بخمسٍ، قالوا: يا رسول الله وما خمسٌ بخمسٍ؟ قال: ما نقض قومٌ العهد إلا سلّط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله عز وجل إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، وما طَفَّفُوا الكيل إلا مُنِعُوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا مَنعوا الزكاة إلا حُبس عنهم القطر»[٣].

وقال مالك بن دينار: دخلتُ على جار لي وقد نزل به الموت، فجعل يقول: جبلين من نار، جبلين من نار. قلت: ما تقول؟ أتهجر[٤]؟ قال: يا أبا يحيى، إن لي مكيالين كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر، قال: فقمت فجعلت أضرب أحدهما

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٢١).

(٢) قوله: "في كل أخذ وإعطاء بل" ساقط من ب.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٤٥ ح١٠٩٩٢)، والديلمي في الفردوس (٢/ ١٩٧ ح٢٩٧٨).
قال الهيتمي في مجمع الزوائد (٣/ ٦٥): رواه الطبراني في الكبير، وفيه إسحاق بن عبدالله بن كيسان المروزي، ليّنه الحاكم، وبقية رجاله موثقون وفيهم كلام.

(٤) هَجَرَ في نومه ومرضه يَهْجُرُ هَجْراً: هذى (اللسان، مادة: هجر).

بالآخر، فقال: يا أبا يحيى، كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد عظماً، فما في وجعه[١].

وقال الفضيل بن عياض: بَخْسُ الميزان سوادُ الوجه يوم القيامة[٢].

وقال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما يمرّ بالبائع فيقول: اتق الله وأوف الكيل والوزن، فإن المطففين يُوقَفُون يوم القيامة، حتى إن العَرَق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، عن هشام صاحب الدستوائي، عن القاسم بن أبي بزة، حدثني من سمع: أن عمر رضي الله عنه قرأ: ﴿ويل للمطففين﴾ فلما بلغ: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ بكى حتى خرّ، وامتنع من قراءة ما بعده[٤].

قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال الزجاج[٥]: "يومَ" منصوب بقوله: "مبعوثون". المعنى: ألا يظنون أنهم يُبعثون يوم القيامة.

قال يزيد الرِّشْك: يقومون بين يديه للقضاء[٦].

وقال سعيد بن جبير: يقومون من قبورهم[٧].

---

(١) أخرج نحوه أحمد في الزهد (ص:٣٩٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١).

(٢) ذكره الزمخشري في: الكشاف (٤/ ٧٢١).

(٣) أخرج نحوه الطبري (٣٠/ ٩٢) من حديث ابن عمر، مرفوعاً. وذكره القرطبي (١٩/ ٢٥٣-٢٥٤)

(٤) أخرجه أحمد في الزهد (ص:٢٤٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٦).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤١) بلا نسبة.

"لرب العالمين" أي: لأمره.

ويدل على صحة هذا: ما أخبرنا به الشيخ أبو العباس الخضر بن كامل المعبر الخاتوني، بظاهر دمشق قراءة عليه وأنا أسمع سنة ست وستمائة، أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن علي بن أحمد الخياط المقرئ سنة سبع وثلاثين وخمسمائة قال: أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور البزاز، أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبدالله الدقاق المعروف بابن أخي ميمي، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي، حدثنا أبو نصر عبدالملك بن عبدالعزيز التمار، حدثنا حماد بن سلمة، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر: «أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ قال: يقومون حتى يبلغ [الرشح][(١)] أطراف آذانهم»[(٢)]. هذا حديث صحيح اتفق الشيخان على إخراجه في صحيحيهما. فرواه البخاري عن إبراهيم بن المنذر، عن معن، عن مالك، عن نافع. وأخرجه مسلم عن أبي نصر التمار، عن حماد بن سلمة. فهو يعلو لي [برجل][(٣)] من طريق[(٤)] الصحيحين.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العرق يوم القيامة ليذهب في الأرض سبعين ذراعاً، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس أو إلى آذانهم»[(٥)].

---

(١) في الأصل: الوسخ. والتصويب من ب.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٤ ح٤٦٥٤)، ومسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٢).

(٣) في الأصل: رجل. والتصويب من ب.

(٤) في ب: طريقي.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٣).

وفي صحيح مسلم من حديث المقداد بن الأسود[1] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة أُدنيت الشمس من العباد حتى تكون [قدر][2] ميل أو ميلين. قال الراوي عن المقداد: فلا أدري أمسافة الأرض، أو الميل الذي [تكحل][3] به العين. قال: ثم [تصهرهم][4] الشمس، فيكونون في العَرَق كقدر أعمالهم، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه، [ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه][5]، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاماً. قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده إلى فيه، قال: يُلجمه إلجاماً»[6].

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود البهراني، أبو الأسود الزهري، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو معبد، المعروف بالمقداد بن الأسود، كان أبوه حليفاً لبني كندة، وكان هو حليفاً للأسود بن عبد يغوث الزهري، فتبنّاه الأسود فنسب إليه، أسلم قديماً، وشهد بدراً والمشاهد، وكان فارساً يوم بدر، مات سنة ثلاث وثلاثين (تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٥٤، والتقريب ص:٥٤٥).

(٢) في الأصل: قد. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: نكحل. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: تظهرهم. والتصويب من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ ح٢٨٦٤).

لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُواْ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ وزجرٌ لهم عن التطفيف، والغفلة عن ذكر البعث.

وقوله تعالى: ﴿إن كتاب الفجار﴾ مبتدأ.

وقال أبو حاتم: "كلا" مبتدأ يتصل بما بعده، على معنى: حقاً إن كتاب الفجار ﴿لفي سجين﴾. وهو قول الحسن[١].

وكتابُهم: كُتُبُ أعمالهم.

قال أبو عبيدة[٢]: "سِجِّين" فِعِّيل من السّجن.

قال قتادة ومجاهد والضحاك ومقاتل: "سِجِّين": الأرض السابعة السفلى[٣].

وفي حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «سجين أسفل سبع أرضين»[٤].

قال عطاء الخراساني: هي الأرض السابعة، وفيها إبليس وذريته[٥].

﴿وما أدراك ما سجين﴾ على وجه التعظيم لأمره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٣).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٤-٩٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد. ومن طريق آخر عن قتادة. وانظر: تفسير مقاتل (٣/ ٤٦١).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٦). وذكره الماوردي (٦/ ٢٢٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٤).

وقال الزجاج(١): المعنى: ليس سجين مما كنت تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسره فقال: ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: مكتوب.

وقال غيره: "مرقوم" أي: مُثبت عليهم، كالرَّقْمِ في [الثوب](٢) لا يُمحى حتى يُجازوا به.

قال صاحب الكشاف(٣): "سجين" كتاب جامع، وهو ديوان الشر، دوَّنَ الله فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والإنس، وهو كتاب مرقوم مسطور بيّن الكتابة، أو مُعْلَمٌ يعلم من رآه أنه لا خير فيه. فالمعنى: أن ما كتب من أعمال الفجار مُثبت في ذلك الديوان. وسمي سِجِّيناً: فِعِّيلاً من السِّجْن، وهو الحبس والتضييق؛ لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، أو لأنه مطروح كما روي تحت الأرض السابعة في مكان وحشٍ مظلم، وهو مسكن إبليس وذريته استهانةً به وإذالةً، وليشهده الشياطين المدحورون، كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون.

وقال الواحدي(٤): ذكر قوم أن قوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ تفسير للسِّجِّين، وهو بعيد؛ لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء، على ما حكينا عن المفسرين، فالوجه أن يجعل هذا بياناً للكتاب المذكور في قوله: ﴿إن كتاب الفجار﴾، على تقدير: هو كتاب مرقوم.

قوله تعالى: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قال صاحب النظم: هذا منتظم بقوله:

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: الثبوت. والتصويب من ب.

(٣) الكشاف (٤/ ٧٢٢).

(٤) الوسيط (٤/ ٤٤٤).

﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾، وما بينهما اعتراض[١].

وما بعده مُفسَّرٌ فيما مضى إلى قوله: ﴿كلا﴾ وهو ردع للمعتدي الأثيم عن قوله: ﴿بل ران﴾.

وقرأ حفص: "بلْ رَان" بإظهار اللام[٢].

قال الزجاج[٣]: الإدغام أجود؛ لقرب اللام من الراء، ولغلبة الراء على اللام. وإظهار اللام جائز؛ لأن اللام من كلمة والراء من كلمة أخرى.

قال[٤]: و"رَانَ" بمعنى غطّى على قلوبهم. يقال: رَانَ على قلبه الذَّنْبُ يَرينُ رَيْناً؛ إذا غشي على قلبه[٥]. ويقال: غَانَ على قلبه يغِينُ غَيْناً، والغَيْنُ: كالغيم الرقيق، والرَّيْن: كالصدأ يغشى على القلب.

وقال غيره: الغين يقال بالراء وبالغين، ففي القرآن: "كلا بل ران".

وفي الحديث: «إنه ليُغَانُّ على قلبي»[٦]، وكذلك الراية تقال بالراء والغين، والرُّمَيْصَاء تكتب [بالغين][٧] وبالراء؛ لأن الرَّمص يكتب بهما.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٥).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٤)، والكشف (١/ ١٨٢)، والنشر (٢/ ٦٠)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٤) أي: الزجاج.

(٥) انظر: اللسان (مادة: رين).

(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ ح٢٧٠٢).

(٧) في الأصل: بالعين. والمثبت من ب.

قال الحسن في هذه الآية: هو ورود الذنب حتى يعمى القلب[١].

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكَتَ في قلبه نُكْتَة[٢]، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الرَّان الذي ذكر الله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾»[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الرجل ليذنب الذنب فيُنكت على قلبه نكتة سوداء، ثم يذنب الذنب فينكت أخرى، حتى يصير قلبه مثل لون الشاة الرَّبْداء»[٤].

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: القلب مثل الكف، فإذا أذنب العبد انقبض وقبض أصبعاً، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصبعاً أخرى، ثم إذا أذنب انقبض وقبض أصابعه، ثم يطبع الله على قلبه، [وكانوا][٥] يرون أن ذلك هو الرَّيْن، ثم قرأ هذه الآية[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٩٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٢٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٤٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) النكتة: أثرٌ قليل كالنُّقْطة شِبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما (النهاية ٥/ ١١٣).

(٣) لم أقف عليه في صحيح البخاري، وقد أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٤ ح٣٣٣٤).

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٤٤٠ ح٧٢٠٤). والرَّبْداء: أي: لونها بين السواد والغبرة (النهاية ٢/ ١٨٣).

(٥) في الأصل: وكا. والتصويب من ب.

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٤١ ح٧٢٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٠٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٦) وعزاه للفريابي والبيهقي.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الذنوب التي توجب الرَّيْن على القلوب، ﴿إنهم﴾ يعني: الفجار ﴿عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾.

قال الزجاج[١]: في هذه الآية دليلٌ على أن الله تعالى يُرى في القيامة، لولا ذلك ما كان في هذه الآية فائدة، ولا خَسَّت منزلة الكفار بأنهم يحجبون عن الله عز وجل. وقال الله في المؤمنين: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة:٢٢-٢٣]، فأعلم الله تعالى أن المؤمنين ينظرون إلى الله تعالى، وأعلم أن الكافرين محجوبون عن الله.

أخبرنا أبو بكر عبدالرزاق بن عبدالقادر الجيلي في كتابه، قال: حدثنا أحمد بن عبدالله بن مرزوق، أخبرنا جعفر بن أحمد بن عبدالواحد الثقفي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن عبدالرحيم، أخبرنا عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، حدثنا الفضل بن [الخصيب][٢]، حدثنا أبو العباس المزني[٣]، حدثنا أبو إبراهيم المزني، عن ابن هرم قال: قال الشافعي رحمه الله: قول الله تبارك وتعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فيه دلالة على أن أولياء الله يرون الله تبارك وتعالى[٤].

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٢) في الأصل: الحصيب. والمثبت من ب. وهو الفضل بن الخصيب ابن العباس بن نصر، المحدث الصدوق الرحال، أبو العباس الأصبهاني، توفي في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٥١-٥٥٢).

(٣) أحمد بن أصرم بن خزيمة بن عباد بن عبد الله بن حسان بن عبد الله بن مغفل، أبو العباس المزني، كان ثقةً شديداً على أهل البدع، توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة خمس وثمانين ومائتين (تاريخ بغداد ٤/ ٤٤).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦).

وقال الربيع بن سليمان: كنت ذات يوم عند الشافعي رضي الله عنه وجاءه كتاب من الصعيد يسألونه عن قول الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فكتب فيه: لما حَجَبَ قوماً بالسُّخْطِ دَلَّ على أن قوماً يَرَوْنَهُ بالرضا. فقلت له: أو تدين بهذا سيدي؟ فقال: والله! لو لم يُوقن محمد بن إدريس أنه يرى ربه في المعاد لما عبده في الدنيا[1].

وقال الكلبي عن ابن عباس: إنهم عن النظر إلى رؤية ربهم لمحجوبون، والمؤمن لا يُحجب عن رؤيته[2].

وقال مقاتل[3]: إنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون إليه نظر المؤمنين إلى ربهم.

وسُئل مالك عن هذه الآية قال: حَجَبَ أعداءه فلم يروه، وتجلى لأوليائه حتى رأوه[4].

وقد ذكرنا في أثناء كتابنا هذا من دلائل الكتاب والسنة وآثار أخبار الأئمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة، ما لا يسع المسلم تركه، فنسأل الله أن يُعيذنا من الزيغ والعناد، وأن يمتّعنا بالنظر إليه إذا حُجب عنه أهل الإلحاد.

ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم بعد حجبهم عنه جل وعلا يدخلون النار فقال: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم * ثم يقال﴾ تصغيراً وتحقيراً وتوبيخاً ﴿هذا﴾

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٦).

العذاب ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن التكذيب. ويجوز أن يكون متصلاً بما بعده بمعنى: حقاً ﴿إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾.

روى البراء بن عازب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «عليين في السماء السابعة تحت العرش»[١].

وقال ابن عباس: هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش، أعمالهم مكتوبة فيه[٢].

وقال كعب وقتادة: هو قائمة العرش اليمنى[٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، والحاكم (١/ ٩٣-٩٤ ح١٠٧)، والطيالسي (١/ ١٠٢ ح٧٥٣)، وابن أبي شيبة (٣/ ٥٤-٥٥ ح١٢٠٥٩)، والبيهقي في الشعب (١/ ٣٥٥ ح٣٩٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة.

ومن طريق آخر عن كعب، وعزاه لعبد بن حميد.

وقال الضحاك: سدرة المنتهى[١].

وقال الحسن: في علو وصعود إلى الله عز وجل[٢].

قال الزجاج[٣]: أعلى الأمكنة.

قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم﴾ الكلام عليه كالكلام [على][٤] نظيره السابق في هذه السورة.

قال صاحب الكشاف[٥]: "عِلِّيُّون": عَلَمٌ لديوان الخير الذي دُوِّن فيه كُلُّ ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع "عِلِّيّ" فِعِّيل من العُلُوّ، كسِجِّين من السِّجن، سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة، حيث يسكن الكَرُوبيُّون، تكريماً له وتعظيماً.

وقال الواحدي[٦]: "كتاب مرقوم" ليس بتفسير "عليين"، وهو يحتمل تأويلين:

أحدهما: أن المرادَ به كتابُ أعمالهم، كما ذكرنا في كتاب الفجار.

الثاني: أنه كتاب في عليين كُتب هناك ما أعدّ الله لهم من الكرامة. وهو معنى قول مقاتل[٧]: مكتوبٌ لهم بالخير في ساق العرش.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٤٨) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٢٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٢٩٩).

(٤) زيادة من ب.

(٥) الكشاف (٤/ ٧٢٣).

(٦) الوسيط (٤/ ٤٤٧-٤٤٨).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٢).

ويدل على صحة هذا قوله: ﴿يشهده المقربون﴾ يعني: الملائكة الذين هم في عليين يشهدون ويحضرون ذلك المكتوب.

قوله تعالى: ﴿على الأرائك ينظرون﴾ سبق تفسير الأرائك، [وأنها][١] السُّرُرُ في الحجال. والمعنى: ينظرون إلى ما أعطاهم الله من الكرامة.

وقيل: ينظرون إلى أعدائهم يُعذَّبون في النار.

قال بعض العلماء[٢]: ما تَحْجُبُ الحِجَالُ أبصارَهم عن الإدراك.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ يعني: بهجته ورونقه.

وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء العكبري رحمه الله لأبي جعفر ويعقوب: "تُعْرَفُ" بضم التاء وفتح الراء، على البناء للمفعول، "نَضْرَةُ" بالرفع[٣].

﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ الرَّحِيق: الخمر[٤]، في قول جمهور المفسرين واللغويين.

قال الخليل بن أحمد: هو أجود الخمر[٥].

قال الأخفش: هو الخالص من الغش[٦].

---

(١) في الأصل: أنها. والتصويب من ب.

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٣) النشر (٢/ ٣٩٩)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٥).

(٤) أخرجه مجاهد (ص:٧٣٩)، والطبري (٣٠/ ١٠٥-١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٤٥١).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٨).

(٦) مثل السابق.

وقال ابن قتيبة[1]: الخمر العتيقة.

وقال الحسن: هو عين في الجنة مَشوبةٌ بالمسك[2].

ومعنى مختوم: أنه خُتم ومُنع من أن يمسه ماسٌّ، أو تتناوله يد إلى أن ينفكّ[3] ختمه للأبرار في الجنة. وهذا معنى قول مجاهد[4].

قال ابن عباس: خُتْمُهُ الذي يُختم به الإناء مِسْكٌ[5].

وقال غيره: ﴿ختامه مسك﴾ [تفسير][6] لقوله: "مختوم"، على معنى: آخر طعمه مسك. أي: رائحة المسك.

وقيل: يمزج بالكافور، ويختم مزاجه بالمسك.

وقرأتُ للكسائي من طرقه المشهورة: "خَاتَمُهُ" بألف قبل التاء[7]. وقرأتُ له من رواية الشيزري: "خَاتِمُهُ" بكسر التاء[8]، وكلتاهما بمعنى واحد.

أي: ما يختم به ويقطع مسك.

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥١٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٥٨).

(٣) في ب: يُفْتَكّ.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٨).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر والبيهقي في البعث.

(٦) في الأصل: تفسيراً. والتصويب من ب.

(٧) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٤)، والكشف (٢/ ٣٦٦)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

(٨) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٥٩)، والدر المصون (٦/ ٤٩٤).

﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ التنافس: كالتشاحّ على الشيء والتنازع فيه. والمعنى: وفي ذلك فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى الأعمال الصالحة الموصلة إليه.

قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال ابن مسعود: هو عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتُمزج لأصحاب اليمين(١).

قال حذيفة بن اليمان: هي عين في جنة عدن(٢). وعدن: دار الرحمن، فأهل عدن جيرانه.

وسُئل ابن عباس عن قوله: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ فقال: هذا مما يقول الله: ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾(٣) [السجدة:١٧].

وقال صاحب الكشاف(٤): "تسنيم": علمٌ لعين [بعينها](٥)، سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه؛ إما لأنها أرفع شراب في الجنة، وإما لأنها تأتيهم من فوق، على [ما](٦) روي أنها تجري في الهواء متسنّمة [فتنصبّ](٧) في أوانيهم.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠)، وابن أبي شيبة (٧/ ٤٤ ح٣٤٠٩١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٢) وعزاه لابن أبي شيبة وابن المبارك وسعيد بن منصور وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٢) وعزاه لابن المنذر.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٤٩).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٢٤).

(٥) في الأصل: بطينها. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٧) في الأصل: فتصب. والمثبت من ب.

و"عَيْناً" نصب على المدح.

وقال الزجاج[١]: نصب على الحال، ويكون "تسنيم" معرفة، و"عَيْناً" نكرة.

قال الزجاج أيضاً[٢]: ويجوز أن تكون منصوبة بقوله: يُسْقَوْن عَيْناً، أي: مِنْ عَيْن.

وقال غيره: يجوز أن يكون تمييزاً.

وقوله: ﴿يشرب بها المقربون﴾ مُفسّر في "هل أتى"[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إن الذين أجرموا﴾ يعني: كفار قريش ﴿كانوا من الذين آمنوا﴾ مثل صهيب وعمار وخباب وبلال، وغيرهم من المستضعفين بمكة ﴿يضحكون﴾ استهزاءً بهم.

﴿وإذا مروا بهم﴾ أي: وإذا مَرَّ المؤمنون بالكفار ﴿يتغامزون﴾ بالأعين والحواجب، على وجه السخرية منهم.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٠١).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٠١).

(٣) عند الآية رقم: ٦.

وقال ابن السائب ومقاتل[١]: نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك أنه مرّ هو ونفر من المؤمنين بالمنافقين فسخروا منهم وضحكوا وتغامزوا، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلع فضحكنا منه، فأنزل الله هذه الآيات قبل أن يصل عَلِيٌّ إلى النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿وإذا انقلبوا﴾ يعني: الكفار ﴿إلى أهلهم انقلبوا فاكهين﴾.

وقرأ حفص: "فَكِهِين" بغير ألف[٢]. وقد ذكرنا وجه القراءتين في يس[٣].

والمعنى: انقلبوا متلذذين بالاستهزاء والسخرية من المؤمنين.

﴿وإذا رأوهم﴾ أي: وإذا رأى كفار مكة أصحاب محمد ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾. وصفوهم بالضلال؛ لمباينتهم عبادة الأصنام، ومخالفتهم ما كان عليه أسلافهم.

قال الله تعالى: ﴿وما أُرسلوا عليهم﴾ يعني: الكفار على المؤمنين ﴿حافظين﴾ يحفظون عليهم أعمالهم أي: [لم][٤] يُوكَّلوا على ذلك، فما لهم يحكمون عليهم بالضلال، ويسجلون عليهم به. وفيه تهكُّم بالكفار.

وجوّز بعضهم أن يكون هذا من تمام قول الكفار، وأنهم إذا رأوا المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لضالون، وأنهم [لم][٥] يرسلوا عليهم حافظين؛ إنكاراً لرسالة

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٣).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٥)، والكشف (٢/ ٣٦٦)، والنشر (٢/ ٣٥٤-٣٥٥)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

(٣) عند الآية رقم: ٥٥.

(٤) زيادة من ب.

(٥) زيادة من ب.

النبي ﷺ، وما كان عليه هو ومن يعاضده من المؤمنين، من صدّهم عن الشرك، ودعائهم إلى التوحيد.

﴿فاليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾.

قال أبو صالح: يقال لأهل النار وهم [فيها](١): اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم، فذلك قوله: ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾(٢).

﴿على الأرائك ينظرون﴾ إلى عذاب عدوهم.

وقوله: "على الأرائك ينظرون" في محل الحال [من](٣) "يضحكون"(٤).

وقد ذكرنا عند قوله في الصافات: ﴿فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾ [٥٥] كيفية اطلاع أهل الجنة على أهل النار.

قوله تعالى: ﴿هل ثُوِّب الكفار﴾ وقرأ حمزة والكسائي: "هل ثوب" بإدغام اللام في الثاء؛ لقرب مخرجهما(٥).

والمعنى: هل جُوزوا. يقال: ثوّبه وأثابه؛ إذا جازاه.

قال أوس:

---

(١) زيادة من ب.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦١).

(٣) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٤) انظر: الدر المصون (٦/ ٤٩٤).

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٦)، والإتحاف (ص:٤٣٥)، والسبعة (ص:٦٧٦).

سَأَجْزِيكِ أَوْ يُجْزِيكِ عَنِّي مُثَوِّبٌ ... وحَسْبُكِ أن يُثْنَى عليكِ وتُحْمَدِي[(١)]

والمعنى: هل جُوزي الكفار بسخريتهم بالمؤمنين في الدنيا.

والاستفهام بمعنى التقرير، ومضمونه: تعظيم ما جُوزوا به من العذاب المهين.

ومن هذا الطرز ما كتبه بعض الفضلاء، المبرّزين في العلوم الشرعية والأدبية إلى قاض، وكان بلغه أنه غَضَّ منه فذكر[(٢)] كلاماً بليغاً في معرض القَدْح فيه إلى أن قال:

يـا حَـاكِماً صَـدّ عَنِّـي ... وسَـلَّ سَـيْفَ التَّجَنِّـي

ضَـيَّعْتَ لي منـك ... مـا قـدْ حفظتُـهُ لَـكَ مِنِّـي

فاسْـمَعْ عِتـابي صريحـاً ... فـإنني لـستُ أَكْنِـي

وإنْ كَنيـتُ فـإني ... بـالقولِ إيـاكَ أعْنِـي

مـاذا دَعَـاكَ إلى أن ... قلبـتَ ظَهْـرَ المِجَـنِّ

فـصرْتَ تَهْـدِمُ مـا ... كنـتُ مـنْ إخَائِـكَ أَبْنِـي

[إلى أن قال][(٣)]:

وصرتَ تُبـدي وَقَـاراً ... وسَـطْوَةً أيْ بـأَنِّي

---

(١) البيت لأوس بن حجر، وهو في: البحر (٨/ ٤٣٥)، والدر المصون (٦/ ٤٩٥)، والكشاف (٤/ ٧٢٥)، وروح المعاني (٣٠/ ٧٧)، والأغاني (١١/ ٧٧).

(٢) قوله: "فذكر" ساقط من ب.

(٣) زيادة من ب.

قَاضـــيكُمُ فــــاعرفوني   وعظِّمُـــــــــوني لأنِّي

ثم قال كلاماً آخر ختمه بقوله:

أوجعـــتَ قلبـــي فقـــل لي   أوجعـــتُ قلبـــكَ أم لا؟

يريد بذلك: تنبيهه على عظيم ما رماه به من القول المُوجع، والأذى المفـرط.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

سورة الانشقاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس وعشرون آية، وهي مكية بإجماعهم[1].

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾
وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾
فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ
أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ
بَصِيرٗا ﴿١٥﴾

قال الله تعالى: ﴿إذا السماء انشقت﴾ قال علي عليه السلام: تنشق السماء من المجرّة[2].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٨).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١). وذكره الماوردي (٦/ ٢٣٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

قال المفسرون: انشقاقُها من علامات الساعة[1]. وذلك مذكور في مواضع من كتاب الله[2].

فإن قيل: أين جواب "إذا"؟

قلتُ: المختار عند المحققين أنه محذوف؛ ليذهب الذهن [إلى][3] كل مذهب من أنواع الأهوال.

قال بعضهم[4]: حذف الجواب اكتفاء بما عُلم في [نظيرتيهما][5]، وهما التكوير والانفطار.

وقيل: جوابها ما دلّ عليه قوله: ﴿فمُلاقيه﴾. أي: إذا السماء انشقت لاقى الإنسان كَدْحَه. وهو اختيار الزجاج[6].

وقال المبرد[7]: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت.

قوله تعالى: ﴿وأذِنَتْ لربها﴾ أي: استمعت له، ومنه قوله عليه السلام: «ما أَذِنَ

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٣)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٢).

(٢) الفرقان آية رقم: (٢٥)، والرحمن آية رقم: (٣٧)، والحاقة آية رقم: (١٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٦).

(٥) في الأصل: نظيرتها. والتصويب من ب.

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٣).

(٧) انظر قول المبرد في: الطبري (٣٠/ ١١٤) بلا نسبة، وزاد المسير (٩/ ٦٣).

الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن»(١).

ومنه قول الشاعر:

صُمٌّ إذا سَمِعُوا خيراً ذُكرتُ به   وإن ذُكرتُ بِشَرٍّ عندهمْ أَذِنُوا(٢)

ومعنى الآية: أطاعت ربها في الانشقاق، وحقّ لها أن تطيعه.

قوله تعالى: ﴿وإذا الأرض مُدَّت﴾ قال ابن عباس: تُمَدُّ مَدَّ الأديم، ويُزاد في سعتها(٣).

قال مقاتل(٤): لا يبقى عليها بناء ولا جبل إلا دخل فيها.

﴿وألقت ما فيها﴾ من الموتى والكنوز ﴿وتخلت﴾ مما في باطنها من ذلك.

﴿وأذنت لربها﴾ في إلقاء ما في باطنها وتخلّيها منه ﴿وحقت﴾ بأن تأذن له.

قوله تعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ قال الزجاج(٥): الكَدْحُ في اللغة: السَّعي والدُّؤوب في العمل في [باب](٦) الدنيا وفي

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٨ ح٤٧٣٥، ٦/ ٢٧٢٠ ح٧٠٤٤)، ومسلم (١/ ٥٤٦ ح٧٩٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البيت لقعنب بن أم صاحب. وهو في: اللسان (مادة: شور، أذن)، والمحتسب (١/ ٢٠٦)، وديوان الحماسة (٢/ ١٧٩)، ومجاز القرآن (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (مادة: أذن)، والطبري (٣٠/ ١١٢)، والقرطبي (١٩/ ٢٦٩)، والماوردي (٦/ ٢٣٤)، والبحر المحيط (٨/ ٤٣٨)، والدر المصون (٦/ ٤٩٧)، وزاد المسير (٩/ ٦٢)، وروح المعاني (١٠/ ١٢٦، ٣٠/ ٧٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٨٥)، والحارث في مسنده (٢/ ١٠٠١ ح١١٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٥/ ٣٤) وعزاه للحارث بن أبي أسامة وابن جرير بسند حسن.

(٤) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: الوسيط (٤/ ٤٥١)، وزاد المسير (٩/ ٦٣).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٤).

(٦) في الأصل: دار. والمثبت من ب، ومعاني الزجاج، الموضع السابق.

باب الآخرة.

قال تميم بن مقبل:

وما الدَّهْرُ إلا تَارتان فمنهُما أموتُ [وأخرى][1] أبتغي العيشَ أكْدَحُ[2]

أي: فتارة أسعى في طلب العيش وأدأب.

وقال مقاتل[3]: إنك ساعٍ إلى ربك سعياً.

وقال ابن عباس وقتادة وعامة المفسرين: إنك عامل لربك عملاً[4].

وقال ابن قتيبة[5]: فيه إضمار، تقديره: إلى لقاء ربك فَمُلاقٍ ربك.

وقيل: فَمُلاق عملك، وهو الكدح.

وابن كثير يصل الهاء في "فملاقيه" بياء. وقد ذكرنا علة ذلك فيما مضى.

قوله تعالى: ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ أي: سهلاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: هو أن يُعَرَّفَ ذنوبه ثم يَتجاوز عنه[6].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم السلمي وأبو الحسن الصوفي قالا: أخبرنا عبد الأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري،

---

(١) في الأصل: أخرى. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٠٤).

(٢) تقدم.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٤).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١١٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٠ ح٣٥٤٩٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٦) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة، وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن أبي شيبة.

(٥) تأويل مشكل القرآن (ص:٥٢١).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١١٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٥٧) وعزاه لابن المنذر.

حدثنا عمرو بن علي، حدثنا يحيى -يعني: ابن سعيد-، عن عثمان ابن[١] الأسود قال: سمعت ابن أبي مليكة قال: سمعت عائشة تقول: سمعت النبي ﷺ.

قال البخاري: وحدثنا سليمان، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ.

قال البخاري: وحدثنا مسدد، عن يحيى، عن أبي يونس حاتم بن أبي صغيرة[٢]، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحدٌ يُحاسب إلا هلك. قالت: قلت: يا رسول الله جعلني الله فداءك، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ قال: ذاك العَرْض يُعرضون، ومن نُوقش الحساب هلك»[٣]. هذا حديث متفق على صحته. وأخرجه مسلم عن عبد الرحمن بن بشر، عن يحيى بن سعيد.

وأخرج الحاكم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثٌ من كُنّ فيه حاسبه الله حساباً يسيراً، وأدخله الجنة برحمته، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: تُعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك. قال: فإذا فعلت ذلك فما لي يا رسول الله؟ قال: تُحاسب حساباً يسيراً، ويدخلك الله الجنة برحمته»[٤].

---

(١) في الأصل و ب زيادة قوله: أبي. انظر ترجمته في: التهذيب (٧/ ٩٨)، والتقريب (ص:٣٨٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٣٩).

(٢) حاتم بن أبي صغيرة، وهو ابن مسلم، أبو يونس القشيري، وقيل: الباهلي مولاهم البصري، ثقة (تهذيب التهذيب ٢/ ١١٢، والتقريب ص:١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٥ ح٤٦٥٥)، ومسلم (٤/ ٢٢٠٥ ح٢٨٧٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٦٣ ح٣٩١٢).

قوله تعالى: ﴿وينقلب إلى أهله﴾ أي: ويرجع إلى أهله في الجنة، من الآدميات والحور العين ﴿مسروراً﴾ بما أوتي من الكرامة.

﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ قال ابن السائب: لأن يده اليمنى مغلولة إلى عنقه، وتكون يده اليسرى خلف ظهره(١).

قال مقاتل(٢): تُخلع يده اليسرى فتكون من وراء ظهره.

﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ يريد: أنه إذا قرأ كتابه دعا: يا ويلاه، يا ثبوراه. وقد ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ [الفرقان:١٣].

قوله تعالى: ﴿ويصلى سعيراً﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة: "ويَصْلَى" بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام، أضافوا الفعل إلى الداخل في النار، فهو الفاعل، وهو مضمر في الفعل، وجعلوا الفعل ثلاثياً يتعدى إلى مفعول واحد، وهو "سعيراً"، ودليله: إجماعهم على قوله: ﴿ويصلى سعيراً﴾، وقوله: ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [الصافات:١٦٣].

وقرأ الباقون: بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام، على ما لم يُسَمَّ فاعله(٣).

﴿إنه كان في أهله مسروراً﴾ أي: إنه كان في الدنيا مسروراً باتباع هواه، وركوب شهواته، لا يهمّه أمر آخرته، ولا ينظر في عاقبة أمره.

﴿إنه ظن أن لن يحور﴾ لن يرجع إلى الله، تكذيباً بالبعث، يقال: حَارَ يَحُورُ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٤) بلا نسبة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٧).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٥-٧٥٦)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

حَوْراً؛ إذا رجع[١]، وأنشدوا قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشِّهابِ وضوئِهِ يحورُ رَمَاداً بعدَ إذ هُو ساطعُ[٢]

﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد النفي في "لن يحور"، أي: بلى ليحورنّ.

﴿إن ربه كان به بصيراً﴾ لا يخفى عليه شيء من أحواله، فهو يجازيه عليها.

وقال الزجاج[٣]: كان به بصيراً قبل أن يخلقه، عالماً بأن مرجعه إليه.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ﴿٢٥﴾

قوله تعالى: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ وهو الحمرة التي تخرج وقت المغرب بغيبوبتها.

قال الفراء[٤]: سمعت بعض العرب يقول وعليه ثوب مصبوغ: كأنه الشفق،

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حور).

(٢) البيت للبيد. انظر: ديوانه (ص:١٦٩)، والبحر (٨/ ٤٣٦)، والدر المصون (٦/ ٤٩٨)، والماوردي (٦/ ٢٣٦)، والقرطبي (١٩/ ٢٧٣)، وزاد المسير (١/ ٢٢٦، ٦/ ٢٥٠، ٩/ ٦٥)، وروح المعاني (٢٣/ ٢، ٣٠/ ٨١)، والأغاني (١٥/ ٣٦٢، ١٧/ ٦٩)، واللسان، وتاج العروس (مادة: حور)، والعين (٣/ ٢٨٧).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٠٥).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٥١).

الشفق، وكان أحمر.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «الشفق: الحُمْرة»[١]. وقد ملّح بعض المتأخرين في قوله:

لو لم يكنْ وجْهُهُ شمسَ النهارِ لما ... لاحتْ على وجْنَتَيْهِ حُمْرَةُ الشَّفَقِ

وقال آخر:

قُمْ يا غلامُ أعِنِّي غيرَ مُحْتَشِمٍ ... على الزَّمانِ بكأسٍ حَشْوُهَا شَفَقُ[٢]

وإلى هذا ذهب عمر بن الخطاب، والعبادلة: ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وأنس بن مالك، والسعيدان: ابن المسيب، وابن جبير، وطاووس، ومكحول، والأوزاعي، وأبو يوسف، وأبو عبيد، وإسحاق بن راهويه، والأئمة الثلاثة؛ مالك، والشافعي، وأحمد، والفراء، والزجاج، وابن قتيبة، وعامة العلماء من الفقهاء والمفسرين واللغويين.

وقال مجاهد وعكرمة: الشفق: النهار كله[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز: البياض[٤]. ويقال أنه رجع عنه.

قوله تعالى: ﴿والليل وما وسق﴾ أي: وما جَمَعَه وضَمَّه، مما كان منتشراً في النهار، وذلك أنه بدخول الليل يأوي كلُّ ذي وطن إلى وطنه، وكلُّ ذي وَكْر إلى وَكْره.

---

(١) أخرجه الدارقطني (١/ ٢٦٩ ح٣).

(٢) انظر البيت في: القرطبي (١٩/ ٢٧٥) وفيه: "مرتبك" بدل: "محتشم".

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٤٢)، والطبري (٣٠/ ١١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٦).

قوله تعالى: ﴿والقمر إذا اتّسق﴾ أي: تكامل وتمّ، وذلك ليلة أربع عشرة.

وقال الفراء[١]: اتِّسَاقُهُ: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة، وست عشرة. وهو افتعل من الوَسْق، وهو الجمع.

وقد ذكرنا في الذاريات معنى القَسَم بهذه الأشياء وأمثالها، وجواب القسم: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾.

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: "لتركبَن" بفتح الباء[٢]، وهي قراءة عمر بن الخطاب، وابن مسعود وأصحابه، وابن عباس، وأبي العالية.

واختلفوا في معناه، فقيل: هو خطاب للنبي ﷺ.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، [حدثنا البخاري][٣]، حدثنا سعيد بن النضر[٤]، حدثنا هشيم[٥]، حدثنا أبو بشر جعفر بن إياس[٦]، عن مجاهد قال: «قال

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٥١).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٦-٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

(٣) زيادة على الأصل. وقد سبق هذا الإسناد كثيراً بهذه الزيادة كما أثبتناه.

(٤) سعيد بن النضر البغدادي، أبو عثمان، سكن آمل جيحون، مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (تهذيب التهذيب ٤/ ٨١، والتقريب ص:٢٤١).

(٥) هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي، قيل: إنه بخاري الأصل، كان ثقةً ثبتاً كثير الحديث، كثير التدليس والإرسال الخفي، ولد سنة أربع ومائة، ومات سنة ثلاث وثمانين ومائة (تهذيب التهذيب ١١/ ٥٣-٥٥، والتقريب ص:٥٧٤).

(٦) جعفر بن إياس وهو ابن أبي وحشية اليشكري، أبو بشر الواسطي، بصري الأصل، ثقة، مات سنة ست وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك (تهذيب التهذيب ٢/ ٧١، والتقريب ص:١٣٩).

ابن عباس: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ قال: حالاً بعد حال. قال هذا نبيكم ﷺ»[١]. انفرد بإخراجه البخاري.

وقال ابن مسعود والشعبي ومجاهد: المعنى: لتركبن يا محمد سماء بعد سماء[٢].

قال الكلبي: تَصعد فيها[٣].

وقيل: لتركبن رتبة بعد رتبة، ودرجة بعد درجة في القربة إلى الله ورفعة المنزلة.

وقال قوم، منهم: قتادة: الإشارة إلى السماء، يريد: أنها تتغير لوناً بعد لون، فتصير تارة كالدهان، وتارة كالمهل، [وتُشقّق][٤] بالغمام مرة، وتُطوى أخرى[٥].

وقيل: الخطاب للإنسان المنادى بقوله: ﴿يا أيها الإنسان﴾.

فإن قيل: لم يُرد إنساناً بعينه، بل هو اسم جنس؟

قلتُ: هو كذلك، لكنه راعى اللفظ، فخاطب خطاب الواحد.

وقرأ الباقون: "لَتَرْكَبُنَّ" بضم الباء، على الخطاب للجنس[٦]، وهي اختيار أبي

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٥ ح٤٦٥٦).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٩٥ ح١٠٠٦٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، والوسيط (٤/ ٤٥٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٥٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر والحاكم في الكنى وابن منده في غرائب شعبه وابن مردويه والطبراني عن ابن مسعود.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٥).

(٤) في الأصل: وتتشقق. والمثبت من ب.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٧) كلاهما عن ابن مسعود.

(٦) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٠٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٦-٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٧)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٧).

عبيد، [قال][(١)]: لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبي ﷺ؛ لأنه إنما ذكر قبل هذه الآية من يؤتى منهم كتابه بيمينه وشماله، ثم قال بعدهما: ﴿فما لهم لا يؤمنون﴾، وذكر ركوبهم طبقاً بعد طبق فيهما.

واختلف المفسرون في معنى: "طبقاً عن طبق"، فقال أكثرهم: حالاً بعد حال، وأمراً بعد أمر في مواقف القيامة[(٢)].

قال ابن عباس: الشدائد والأهوال، ثم الموت، ثم البعث، ثم العرض[(٣)].

وقال الحسن: الرخاء بعد الشدة، والشدة بعد الرخاء، [والغنى][(٤)] بعد الفقر، والفقر بعد الغنى، والصحة بعد السقم، والسقم بعد الصحة[(٥)].

وقال عكرمة: حالاً بعد حال، رضيع، ثم فطيم، ثم غلام، ثم شاب، ثم شيخ[(٦)].

وقال سعيد بن جبير: هو تغيّر حال الإنسان في الآخرة بعد الدنيا، فيرتفع من كان وضيعاً، ويتّضع من كان مرتفعاً[(٧)].

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٢٢-١٢٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١١). وانظر: الدر المنثور (٨/ ٤٥٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٤) في الأصل: والمعنى. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٦) مثل السابق.

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٣٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٠) وعزاه لابن المنذر.

قال بعض الحكماء: من كان اليوم على حالة وغداً على حالة أخرى، فليعلم أن تدبيره إلى غيره[١].

وقال بعض البصراء بالعربية[٢]: الطبق: ما طابق غيره، فيقال: ما هذا بطبق لِذَا، أي: لا يطابقه. ومنه قيل للغطاء: الطبق. وإطباق الثرى: ما تطابق منه، ثم قيل للحال المطابقة لغيرها: طبق. ومنه قوله: ﴿طبقاً عن طبق﴾ أي: حالاً بعد حال، كل واحدة مطابقة [لأختها][٣] في الشدة والهول. ويجوز أن يكون جمع طبقة، وهي المرتبة، من قولهم: هو على طبقات. ومنه: طبق الظهر لفقاره، [الواحدة][٤]: طبقة، على معنى: لتركبن أحوالاً بعد أحوال، هي طبقاتٌ في الشدة، بعضها أرفع من بعض، وهي الموت، وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها.

وهاهنا [تمّ][٥] الكلام.

ثم قال مُنْكِراً على كفار[٦] مكة، موبخاً لهم: ﴿فما لهم لا يؤمنون * وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾.

قال عطاء: لا يصلّون[٧].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨).

(٢) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٢٨-٧٢٩).

(٣) في الأصل: لاتها. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٢٩).

(٤) في الأصل: الواحد. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٢٩).

(٥) في الأصل: ثم. والتصويب من ب.

(٦) في الأصل زيادة قوله: قريش.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٨) كلاهما عن عطاء وابن السائب الكلبي.

وقال غيره: لا [يستكينون][(١)] ولا يخضعون[(٢)].

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا معتمر قال: سمعت أبي، حدثني بكر، عن أبي رافع قال: «صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ: ﴿إذا السماء انشقت﴾ فسجد، فقلت: ما هذه؟ قال: سجدت بها خلف أبي القاسم ﷺ، فلا أزال أسجد فيها حتى ألقاه»[(٣)].

هذا حديث متفق على صحته. أخرجه مسلم عن عبيد الله بن معاذ وغيره عن المعتمر.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «سجدنا مع رسول الله ﷺ في: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ و﴿إذا السماء انشقت﴾»[(٤)].

فصل

احتج من يرى وجوب سجود التلاوة -وهو مذهب جماعة، منهم: سفيان الثوري، وأبو حنيفة وأصحابه، وإسحاق بن راهويه- بهذه الآية.

قال القاضي أبو يعلى رحمه [الله][(٥)]: ولا حجة فيها؛ لأن المعنى: فما لهم لا يخضعون، ألا ترى أنه أضاف السجود إلى جميع القرآن، والسجود يختص بمواضع

---

(١) في الأصل: يستكنون. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ١٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٦٦ ح١٠٢٨)، ومسلم (١/ ٤٠٧ ح٥٧٨).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٤٠٦ ح٥٧٨).

(٥) زيادة من ب.

منه[١].

وذهب[٢] [الإمامان][٣] الشافعي وأحمد: إلى أن سجود التلاوة غير واجب، ولذلك أدلة ليس هذا موضع استقصائها.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله لم يكتبها علينا[٤].

قوله: ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ يعني: بالقرآن والبعث والجزاء.

﴿والله أعلم بما يوعون﴾ في صدورهم من التكذيب والعناد.

﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ اجعل لهم ذلك بدل البشارة. وقد فسرنا[٥] ذلك في مواضع.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ استثناء منقطع.

والممنون عند أهل اللغة: المقطوع.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٦٩).

(٢) في ب: ذهب.

(٣) في الأصل: الإمان. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه النسائي في الصغرى (١/ ٥٠٦ ح٩٠٢)، ومالك في الموطأ (١/ ٢٠٦ ح٤٨٤)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٣٢١ ح٣٥٧٤، ٣/ ٢١٣ ح٥٥٨٧).

(٥) في ب: قررنا.

سورة البروج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي اثنتان وعشرون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿والسماء ذات البروج﴾، وهي البروج الاثنا عشر. وقد ذكرناها في الحجر[2].

﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.

وفي قوله: ﴿وشاهد ومشهود﴾ أقوال كثيرة، أشهرها وأولاها: ما روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «اليوم الموعود: يوم القيامة، والشاهد: يوم الجمعة،

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٦٩).

(٢) عند الآية رقم: ١٦.

والمشهود: يوم عرفة»[١]. وهو مخرج في الترمذي.

وإلى هذا القول ذهب علي عليه السلام، وابن عباس في بعض الروايات عنه، وهو قول أكثر المفسرين.

قال بعضهم: سمي يومُ الجمعة شاهداً؛ لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، وسمي يوم عرفة مشهوداً؛ لأن الناس يشهدون فيه [موسم][٢] الحج، وتشهده الملائكة.

أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي في كتابه قال: أخبرنا عبدالجبار بن أحمد بن محمد [الخواري][٣]، أخبرنا علي بن أحمد النيسابوري، أخبرنا أبو إسحاق المقرئ -يعني: الأستاذ الثعلبي صاحب التفسير- قال: أخبرنا الحسين بن محمد أبو عبدالله الحافظ، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا إبراهيم بن سهلويه، حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي[٤]، حدثنا مالك بن ضيغم الراسبي[٥]، حدثنا أبو سهل المنذراني، عن خباب، عن رجل قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا برجل يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٦ ح٣٣٣٩).

(٢) في الأصل: بموسم. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير (٩/ ٧١).

(٣) في الأصل: الحوري. والتصويب من ب.

(٤) أحمد بن إبراهيم بن كثير بن زيد الدورقي النكري البغدادي، أبو عبد الله، ثقة حافظ، ولد سنة ثمان وستين ومائة، ومات سنة ست وأربعين ومائتين (تهذيب التهذيب ١/ ٩، والتقريب ص:٧٧).

(٥) مالك بن ضيغم بن مالك الراسبي، روى عن أبيه، روى عنه أحمد بن إبراهيم الدورقي (الجرح والتعديل ٨/ ٢١١).

ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم [عرفة][(١)].

فجُزْتُه إلى آخَرَ يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فيوم الجمعة، [وأما][(٢)] المشهود يوم النحر.

فجُزْتُهما إلى غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدث عن رسول الله ﷺ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟ قال: نعم، أما الشاهد فمحمد ﷺ، وأما المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ [الأحزاب:٤٥]، وقال عز وجل: ﴿ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود﴾ [هود:١٠٣].

فسألتُ عن الأول فقالوا: ابن عباس، وسألتُ عن الثاني فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث فقالوا: الحسن بن علي عليهم السلام[(٣)].

قلتُ: وهذا القول المروي عن الحسن بن علي رواه ميمون [بن][(٤)] مهران عن ابن عباس[(٥)].

---

(١) في الأصل: النحر. والمثبت من ب، وتفسير الثعلبي (١٠/ ١٦٥).

(٢) في الأصل: أما. والتصويب من ب.

(٣) أخرجه الثعلبي (١٠/ ١٦٥-١٦٦). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٥٨).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧١). قلت: وقول الحسن بن علي أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ١٨٢ ح٩٤٨٢)، والصغير (٢/ ٢٦٣ ح١١٣٧) من حديث الحسين بن علي، والطبري (٣٠/ ١٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٤) وعزاه لابن جرير وابن مردويه.

وروى الوالبي عنه: أن الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: يوم القيامة[١].

وقال سعيد بن جبير: الشاهد: هو الله تعالى، والمشهود: بنو آدم[٢].

وقال الحسين بن الفضل: الشاهد: هذه الأمة، والمشهود: جميع الأمم. ودليله قوله: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾[٣].

وقال [الترمذي][٤]: الشاهد: الحفظة، والمشهود: بنو آدم[٥].

وقيل: الحجر الأسود والحجيج[٦].

وقال صاحب الكشاف[٧]: وشاهدٍ في ذلك اليوم -يعني: يوم القيامة-، ومشهودٍ فيه، والمراد بالشاهد: من يشهد فيه من الخلائق كلهم؛ وبالمشهود: ما في ذلك اليوم من عجائبه.

وقيل: غير ذلك، والله تعالى أعلم.

فإن قيل: أين جواب القسم؟

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣١) من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. وانظر رواية الوالبي عن ابن عباس في زاد المسير (٩/ ٧١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٤) وعزه لابن جرير من طريق علي عن ابن عباس.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٣).

(٤) في الأصل و ب: اليزيدي. والمثبت من زاد المسير (٩/ ٧٣). وهو محمد بن علي الترمذي، وليس هو صاحب الجامع.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٣).

(٦) مثل السابق.

(٧) الكشاف (٤/ ٧٣٠).

فقلت: عنه جوابان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾. قاله قتادة والزجاج(١).

الثاني: أنه قوله: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾(٢). قاله الفراء(٣).

قال الزمخشري(٤): هو محذوف، يدل عليه: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾، كأنه قيل: أُقسم بهذه الأشياء [أنهم ملعونون](٥)، يعني: كفار قريش، كما لُعن أصحاب الأخدود.

قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ أي: لُعنوا.

والأخدود: الشق المستطيل في الأرض، ويجمع: أخاديد(٦). وهم قوم كفرة، حفروا حفائر، وأوقدوا فيها ناراً، وألقوا فيها من لم يُجبهم إلى الكفر.

وكان من قصتهم: ما أخبرنا به أبو علي بن الفرج في كتابه، أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن الحصين، أخبرنا أبو علي الحسن بن علي الواعظ، أخبرنا أبو بكر بن مالك، أخبرنا عبدالله بن الإمام أحمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن النبي ﷺ قال: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك:

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٥). وانظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٠٧).

(٢) وقال ابن جرير الطبري (٣٠/ ١٣٥): جواب القسم متروك، والخبر مستأنف؛ لأن علامة جواب القسم لا تحذفها العرب من الكلام إذا أجابته.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٥٣).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٠).

(٥) في الأصل: أنه لملعونون. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٦) انظر: اللسان (مادة: خدد).

إني قد كَبِرَتْ سني وحضر أجلي، فادفع إليَّ غلاماً فلأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً وكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام [على][(١)] الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، فكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ [وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟][(٢)]، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر. قال: فبينما هو كذلك [إذا أتى][(٣)] ذات يوم على دابة عظيمة وقد حبست الناس، فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب [أحبُّ][(٤)] إلى الله أم أمر الساحر، وأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى لك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس. فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني! أنت أفضل مني، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ، فكان الغلام يُبرئ الأكمه وسائر الأدواء، ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمي، فسمع به فأتاه، وأتى بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت به دعوتُ الله فشفاك، فآمن، فدعا الله له فشفاه، ثم أتى الملك فجلس معه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من ردَّ عليك بصرك؟ فقال: ربي. قال: أنا، قال: لا، ولكن ربي وربك الله، قال: أو لك ربٌّ

---

(١) في الأصل: إلى. والمثبت من ب، ومسند أحمد (٦/ ١٧).

(٢) زيادة من ب، والمسند، الموضع السابق.

(٣) مثل السابق.

(٤) مثل السابق.

غيري؟ قال: نعم، فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام، فبعث إليه فقال: أي شيء بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص، وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحداً، ما يشفي إلا الله، قال: أنا؟ قال: لا، قال: أو لك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دلَّ على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى، فوضع [المنشار](١) في مفرق رأسه حتى وقع شِقَّاه. وقال للأعمى: ارجع [عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شِقَّاه في الأرض. وقال للغلام: ارجع](٢) عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فَدَهْدِهُوهُ(٣) من فوقه، فذهبوا به، فلما علوا به الجبل، قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فَدُهْدِهُوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله عز وجل، فبعث به في قُرْقُور(٤) في البحر مع نفر، فقال: إذا لججتم البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرّقوه، فلجّجوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت، فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمّس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله عز وجل، ثم قال للملك: إنك لست قاتلي حتى تفعل ما آمرك [به](٥)، فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتني،

(١) في الأصل: الميشار. والمثبت من ب، والمسند (٦/ ١٧).

(٢) زيادة من ب، والمسند، الموضع السابق.

(٣) الدَّهْدَهَة: قذفك الحجارة من أعلى إلى أسفل دحرجةً، ودَهْدَهْتُ الحجر فَتَدَهْدَه: دحرجته فتدحرج (اللسان، مادة: دهده).

(٤) القُرْقُور: ضَربٌ من السفن. وقيل: هي السفينة العظيمة أو الطويلة (اللسان، مادة: قرر).

(٥) زيادة من ب، والمسند (٦/ ١٧).

وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كِنَانَتِي[١]، ثم قل: بسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه وقال: بسم الله ربّ الغلام، فوضع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر، فقد والله نزل بك، فقد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخُدّدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه، وإلا فأقحموه فيها، فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق»[٢]. هذا حديث صحيح انفرد بإخراجه مسلم. فرواه عن هدبة [بن][٣] خالد[٤]، عن حماد بن سلمة. ولم يخرج البخاري عن صهيب شيئاً.

قال سعيد بن المسيب: كنا عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذ ورد عليه قوم فقالوا: إنهم وجدوا ذلك الغلام -يعني: الذي ذكرناه- وهو واضع يده على صدغه، فكلما مُدَّت يده عادت إلى صدغه، فكتب عمر: واروه حيث وجدتموه[٥].

وروي عن علي عليه السلام أنه قال حين اختلف المسلمون في المجوس وما

(١) الكِنانة: جَعْبَة السهام تُتَّخذُ من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها (اللسان، مادة: كنن).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٩ ح٣٠٠٥)، وأحمد (٦/ ١٦-١٧).

(٣) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

(٤) ويقال له: هداب بن خالد، كما جاء في مسلم (٤/ ٢٢٩٩).

(٥) ذكر نحوه الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٠) من قول ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر.

يجري عليهم من الأحكام: هم أهل كتاب، وكانت الخمر قد أحلت لهم، فتناولها ملك من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته فوقع عليها، فلما ذهب عنه السُّكْر ندم وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيت؟ وما المخرجُ منه؟ قالت: تجمع أهل مملكتك فتُعلمهم أن الله قد أحلّ لهم ذلك، ففعل، فأبوا عليه، فخدَّ لهم أخدوداً في الأرض، وأوقدوا فيه النيران، وعرضهم عليها، فمن أبى قبول ذلك قذفه فيها، ومن أجاب خلى سبيله، فأنزل الله فيهم: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ إلى قوله: ﴿وهم عذاب الحريق﴾[(١)].

وقال قتادة: هم [ناس][(٢)] اقتتل مؤمنهم وكافرهم، فظهر المؤمنون، ثم تعاهدوا أن لا يَغْدُرَ بعضُهم ببعض، فغدر الكفار بهم، فأخذوهم، فقال لهم رجل من المؤمنين: أوقدوا ناراً واعرضونا عليها، فمن تابعكم على دينكم فذاك الذي تحبون، ومن لم يُتابعكم اقتحم النار، فاسترحتم منه، ففعلوا، فجعل المسلمون يقتحمونها[(٣)].

وقال الربيع بن أنس: اعتزل قومٌ من المؤمنين الناس في الفترة، فأرسل إليهم جبَّارٌ من عَبَدة الأوثان، فَعَرَضَ عليهم الدخول في دينه، فأبوا، فاتخذ لهم أخدوداً فألقاهم فيه[(٤)].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٠-٤٦١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٤-٧٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٧) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٤).

وقال مقاتل[(١)]: آمن قومٌ من قوم يوسف بن ذي نُواس بأرض العرب، بعدما رُفع عيسى عليه السلام، فَخَدَّ لهم أُخدوداً وأضرم فيه النار، وعرض عليهم الكفر، وحرَّق من أبى منهم.

قال وهب بن منبه: كانوا اثني عشر ألفاً[(٢)].

واختلفوا في أصحاب الأخدود أين كانوا؟ وممن كانوا؟ فقال علي عليه السلام: كانوا في الحبش[(٣)].

وقال الحسن: من اليمن[(٤)].

وقال الضحاك: كانوا [من][(٥)] نصارى اليمن، قبل مبعث رسول الله ﷺ بأربعين سنة[(٦)].

وقال مجاهد: من أهل نجران[(٧)].

وقال ابن عباس: من بني إسرائيل[(٨)].

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٩).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لابن أبي حاتم وابن المنذر من طريق الحسن عن علي.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٥) زيادة من زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٢٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٧٦).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٣)، ومجاهد (ص:٧٤٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٨) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٢). وذكره الماوردي (٦/ ٢٤١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٦٥) وعزاه لابن جرير.

وفي حديث عن النبي ﷺ: أنه كان إذا ذَكَرَ أصحابَ الأخدود تعوَّذَ بالله من [جَهْدِ][(١)] البلاء[(٢)].

قوله تعالى: ﴿النارِ ذات الوقود﴾ بدل من "الأخدود"[(٣)]، كأنه قال: قُتل أصحاب النار.

وفي قوله: "ذات الوقود" إيذان بأنها نارٌ شديدة الاضطرام.

وقرأ أبو رزين وأبو عبد الرحمن ومجاهد: "الوُقود" بضم الواو[(٤)]. وقد ذكرناه في البقرة[(٥)].

قوله: ﴿إذ﴾ ظرف لـ"قُتِلَ"[(٦)]، على معنى: لُعنوا حين قعدوا على حافات الأخدود يعرضون المؤمنين على الكفر أو الإحراق.

قال مجاهد: كانوا قعوداً على الكراسي عند الأخدود[(٧)].

﴿وهم﴾ يعني: الملك وأصحابه ﴿على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ حضورٌ، ينظرون ذلك ويشاهدونه.

يُشير بذلك: إلى قسوة قلوبهم، وفرط اجترائهم على الفساد.

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٧٩ ح٣٤٣٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٦٦) وعزاه لابن أبي شيبة عن عوف.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٧٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٥) عند الآية رقم: ٢٤.

(٦) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

وقيل: معنى شهادتهم على إحراق المؤمنين: أنهم وَكَّلُوا بذلك، وجَعلوا شهوداً يشهد بعضهم لبعض عند الملك، أن أحداً منهم لم يُفرّط فيما أمره وفوّض إليه من التعذيب.

وقيل: هم شهود يُؤدُّون شهادتهم يوم القيامة، ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ [النور:٢٤].

قوله تعالى: ﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله﴾ وقرأ جماعة: منهم أبو حيوة، وابن أبي عبلة: "نَقِمُوا" بكسر القاف[١]. وقد ذكرنا فيما مضى أنهما لغتان.

قال ابن عباس: ما كرهوا منهم إلا أنهم آمنوا[٢].

وقال مقاتل[٣]: ما عابوا عليهم.

وقد ذكرنا فيما مضى أنه كقول الشاعر:

ولا عيب فيهم ....[٤]

وقول الآخر:

ما نَقَمَ الناس من أميّةَ إلا [أنهم][٥] يَحْلُمُون إن غَضِبُوا[٦]

---

(١) انظر هذه القراءة في زاد المسير (٩/ ٧٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٠) ولفظه: ما عذبهم.

(٤) تقدم.

(٥) زيادة من ب.

(٦) البيت لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:٤)، والخزانة (٧/ ٢٨٨)، والبحر المحيط (٥/ ٧٤)، وزاد المسير (٣/ ٤٧١-٤٧٢)، وتهذيب اللغة (٩/ ٢٠٢)، ومجاز القرآن (١/ ١٧٠)، والقرطبي (٨/ ٢٠٧)، والطبري (٦/ ٢٩٢)، وروح المعاني (٦/ ١٧٣، ١٠/ ١٣٩).

﴿والله على كل شيء﴾ من إحراقهم المؤمنين وغيره ﴿شهيد﴾ لم يخفَ عليه ما صنعوا. وهذا وعيدٌ لهم.

قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ وهم أصحاب الأخدود.

ومعنى: "فتنوا": أحرقوا. وقد ذكرناه في قوله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ [الذاريات:١٣].

﴿ثم لم يتوبوا﴾ من شركهم ومعاصيهم وما فعلوا بالمؤمنين ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ جزاءً على كفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ وهو عذابٌ زائد على عذاب جهنم، كأنها نار أخرى تُضرم لهم، فَيَصْلَوْنَها زيادة على ما يستحقه أمثالهم في الكفر.

وقيل: لهم عذاب الحريق في الدنيا.

قال الكلبي: ارتفعت النار من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم[١].

وقال الربيع بن أنس: قبض الله عز وجل أرواح المؤمنين قبل أن تمسهم النار، وخرجت النار على من في شفير الأخدود من الكفار، فأحرقتهم[٢].

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٣٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٤). وذكره الثعلبي (١٠/ ١٧٤).

مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾

قوله تعالى: ﴿إن بطش ربك﴾ أي: إن أخذه الجبابرة والظَّلَمَة بالعنف ﴿لشديد﴾.

﴿إنه هو يبدئ﴾ الخلق في الدنيا ﴿ويعيد﴾هم في الأخرى.

﴿وهو الغفور﴾ لذنوب المؤمنين ﴿الودود﴾ المحبّ لهم أو المتحبّب إليهم.

وقد فسرنا الودود في هود[1].

﴿ذو العرش﴾ صاحبه.

قرأ حمزة والكسائي: "المجيدِ" بالجر، صفة العرش، يشير إلى علوّه وعِظَمِه. وقرأ الباقون: "المجيدُ" بالرفع، صفة لذو العرش[2]. وهو أشبه؛ لأن المجيد لم يُسمع في غير صفة الله تعالى.

﴿فعَّال لما يريد﴾ فلا يُسأل عما يَفعل من تسليط الكافرين على المؤمنين وغيره.

وقال عطاء: لا يَعْجِزُ عن شيء يريدُه[3].

قوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ وهم الذين تجنّدوا وتحزّبوا على أولياء الله.

﴿فرعونَ وثمود﴾ بدلٌ من "الجنود"[4].

---

(١) عند الآية رقم: ٩٠.

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١٠)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٧)، والكشف (٢/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٨).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٢).

(٤) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٤)، والدر المصون (٦/ ٥٠٤).

والمعنى: قد عرفت تكذيبهم للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك ﴿في تكذيب﴾ يريد: في أيّ تكذيب.

وفي ضمن ذلك تسليةٌ للنبي ﷺ، وتخويفٌ لكفار[1] قريش، ألا تراه يقول: ﴿والله من ورائهم﴾ يريد: لا يفوتونه إذا طلبهم، أو لا يَخْفَوْن عليه.

﴿بل هو﴾ إشارة إلى الذين كَذَّبُوا به ﴿قرآن مجيد﴾ كريم عظيم عال على سائر الكتب؛ بما اشتمل عليه من البلاغة والحِكم والأحكام والإخبار بما كان ويكون، لا كما قالوا: سحر، وكهانة، وأساطير الأولين.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو الجوزاء، وأبو عمران، وابن السميفع: "قرآنُ" بغير تنوين، "مجيدٍ" بالجر على الإضافة[2].

﴿في لوح محفوظ﴾ عند الله، محروسٍ من الشياطين.

وقرأ نافع: "محفوظٌ" بالرفع، صفة لـ"قرآن"[3]، كما قال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر:٩].

وقرأ [يحيى][4] بن يعمر: "في لُوحٍ" بضم اللام[5]. واللُّوح: الهواء. يريد [والله][6] أعلم: ما فوق السماء السابعة.

---

(١) في ب: كفار.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٧٩)، والدر المصون (٦/ ٥٠٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٨)، والكشف (٢/ ٣٦٩)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٦)، والسبعة (ص:٦٧٨).

(٤) في الأصل: الجني. والتصويب من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٤٦)، والدر المصون (٦/ ٥٠٥).

(٦) في الأصل: الله. والتصويب من ب.

وقال الثعلبي -في هذه القراءة-[1]: المعنى: أنه يلـوح، وهـو ذو نـور وعلـو وشرف. والله تعالى أعلم.

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٧٥).

سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي سبعة عشر آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ
نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ
۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ
تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿والسماء والطارق﴾ يريد: النجم؛ [لأنه][2] يَطْرُقُ ليلاً.

قال الفراء والزجاج وابن قتيبة[3]: كل من أتاك ليلاً [فقد][4] طَرَقك.

قال المفسرون: يريد: جنس النجوم. ومنه قول هند بنت عتبة:

نحن بنات طارق .... [5]

تريد: أن أبانا نجمٌ في ارتفاع شرفه وعلوّه.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٧٠).

(٢) في الأصل: لا. والتصويب من ب.

(٣) معاني الفراء (٣/ ٢٥٤)، والزجاج (٥/ ٣١١)، وتفسير غريب القرآن (ص: ٥٢٣).

(٤) زيادة من ب، وتفسير غريب القرآن، الموضع السابق.

(٥) تقدم.

ويروى [عن][1] علي عليه السلام: أنه زحل[2].

قال ابن عباس: هو نجم مسكنه في السماء السابعة، لا يسكنها غيره من النجوم[3].

وقال ابن زيد: يريد: الثريا[4].

وقد ذكرنا أنه عَلَمٌ له فيما مضى.

﴿وما أدراك ما الطارق﴾ على معنى التعظيم له، والتفخيم لشأنه.

قال المفسرون: لم يكن النبي ﷺ يدري ما المراد به لو لم يُنبَّه بقوله: ﴿النجم الثاقب﴾ أي: المضيء، كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه.

وجواب القسم: ﴿إن كلُّ نفس لما عليها حافظ﴾، وقد ذكرنا اختلاف القراء السبعة في "لما" في يس عند قوله: ﴿وإن كل لما﴾[5]، وأشرنا إلى تعليل القراءتين، وأوضحنا القول في ذلك إيضاحاً شافياً، فاطلبه هناك.

وقرأ أبيّ بن كعب وأبو المتوكل: "إنَّ كلَّ نفس" بتشديد النون ونصب "كُلّ"[6].

قال ابن عباس: هم الحفظة من الملائكة[7].

---

(١) في الأصل: على. والتصويب من ب.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ١٤٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨١).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨١).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لابن جرير.

(٥) عند الآية رقم: ٣٢.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٨١)، والدر المصون (٦/ ٥٠٦).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٣). وذكره السيبوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لابن جرير.

قال قتادة: يحفظون عملك ورزقك وأجلك، إذا توفّيته يا ابن آدم قبضت إلى ربك[١].

ثم نَبَّهَ على البعث بقوله: ﴿فلينظر الإنسان مم خُلق﴾ أي: فلينظر منكر البعث ببصيرته نظر تفكر واستدلال، من أيّ شيء خلقه الله؟!.

وجواب هذا الاستفهام قوله: ﴿خُلِقَ من ماء دافق﴾ وهو المني. والدَّفْق: صَبٌّ فيه دفع. والمعنى: مدفوق.

قال الفراء[٢]: هو كقول العرب: سِرٌّ كاتم، وَهَمٌّ ناصب، وليلٌ نائم، وعِيشةٌ راضية، وأهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلاً.

وقال الزجاج[٣]: مذهب سيبويه وأصحابه أن معناه: النسب إلى الاندفاق. المعنى: من ماء ذي اندفاق.

قال الزمخشري[٤]: ومعنى دافق: النسبة إلى الدفق الذي هو [مصدر][٥] دفق، كاللاَّبن والتَّامر، أو الإسناد المجازي. والدفق في الحقيقة لصاحبه، قال: ولم يقل ماءين؛ لامتزاجهما في الرحم، واتحادهما حين ابتدئ في خلقه.

قوله: ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ قال الفراء[٦]: يخرج من الصلب

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٧٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١١).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٦).

(٥) زيادة من الكشاف، الموضع السابق.

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

والترائب، تقول للشيئين: ليخرجن من بين هذين خير كثير، ومن هذين خير كثير.

وفي الصلب أيضاً لغات؛ ضم الصاد واللام[١]. -وبها قرأ ابن مسعود، وابن سيرين، وابن السميفع، وابن أبي عبلة-. وفتحهما[٢]، وقد قُرئ [بهـا][٣] أيضاً، وصالب، بزيادة ألف.

والمعنى: يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة.

ويروى عن الحسن وقتادة: من بين صلب الرجل وترائبه[٤].

والترائب: عظام الصدر.

قال الزجاج[٥]: أهل اللغة مجمعون على أن الترائب: موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس:

مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ ... تَرَائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[٦]

قوله تعالى: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾ قد حصر الإمام أبو الفرج ابن الجوزي

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٨٢)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧).

(٢) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٤٩)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧).

(٣) في الأصل: بهما. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٤) عن قتادة. وذكره الماوردي (٦/ ٢٤٦) عن الحسن وقتادة، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٧٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٦) البيت لامرئ القيس. انظر: ديوانه (ص:١٥)، واللسان (مادة: ترب، سجل)، والقرطبي (٢٠/ ٥)، وزاد المسير (٩/ ٨٣)، وروح المعاني (٣٠/ ٩٧)، والدر المصون (٦/ ٥٠٧)، والبحر (٨/ ٤٤٧)، وتاج العروس (مادة: ترب، فيض، هفف، سجل).
والسجنجل: المرآة.

رضي الله عنه أقوال المفسرين، ورتبها ترتيباً حسناً في هذه الآية فقال[١]: الهاء في "إنه" كناية عن الله عز وجل، "على رجعه" الرجع: رد الشيء إلى أول حاله. وفي هذه الهاء -يعني في قوله: "رجعه"- قولان:

أحدهما: أنها تعود على الإنسان، ثم في المعنى قولان:

أحدهما: أنه على إعادة الإنسان حياً بعد موته قادر. قاله الحسن وقتادة[٢].

قال الزجاج[٣]: ويدل على هذا القول قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾.

الثاني: أنه على رجعه من حال الكبر إلى الشباب، ومن حال الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة قادر. قاله الضحاك والفراء[٤].

والقول الثاني: أنها تعود إلى الماء. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: على رد الماء في الإحليل. قاله مجاهد[٥].

الثاني: على رده في الصلب. قاله عكرمة والضحاك[٦].

الثالث: على حبس الماء فلا يخرج. قاله ابن زيد[٧]. انتهى كلام أبي الفرج رحمه الله.

---

(١) زاد المسير (٩/ ٨٣-٨٤).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦) عن قتادة.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦). وانظر: معاني الفراء (٣/ ٢٥٥).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٧٤٩)، والطبري (٣٠/ ١٤٥).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٥).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦).

فإن قيل: ما العامل في قوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾؟

قلتُ: المصدر الذي هو "رجع"، على معنى: إنه على رجع الإنسان لقادر في ذلك اليوم(١). وهذا قول الحسن وقتادة.

قال(٢): وهو الصحيح.

وعلى باقي الأقوال: العامل فيه مضمر، تقديره: اذكر يوم تبلى السرائر، أي: تُختبر الضمائر، وهي كل ما استسرَّ الإنسان به من خير أو شر، وأنشدوا قول الأحوص:

سَتَبْقَى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشَا ... سريرةُ وُدٍّ يومَ تُبلى السرائرُ(٣)

ويروى: أن الحسن سمع رجلاً ينشد هذا البيت فقال: ما أغفله عما في السماء والطارق.

وهذا الأحوص أحد الشعراء الذين تجمّعوا بباب عمر بن عبدالعزيز حين وُلِّيَ، ومنعهم الدخول عليه، وأنشد لكل [شاعر](٤) منهم شعراً جعله [سبب](٥) رده، فكان هذا البيت سبب رد الأحوص وصدّه [من](٦) الإذن له.

قال ابن عمر: يُبدي الله يوم القيامة كل شيء، فيكون زَيْناً في الوجوه وشَيْناً في

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٤٦) من قول قتادة.

(٢) أي: الطبري في تفسيره (٣٠/ ١٤٦)، ولم يتقدم له ذكر في هذه المسألة.

(٣) البيت للأحوص، وهو في: اللسان (مادة: ضمر)، وتاج العروس (مادة: ضمر)، والقرطبي (٢٠/ ٨)، والماوردي (٦/ ٢٤٨)، والبحر (٨/ ٤٥٠).

(٤) في الأصل: واحد. والمثبت من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في الأصل: عن. والتصويب من ب.

الوجوه[١].

قوله تعالى: ﴿فما له﴾ يعني: فما للإنسان[٢] ﴿من قوة﴾ يمتنع بها من عذاب الله ﴿ولا ناصر﴾ يدفع عنه ذلك.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾

قوله تعالى: ﴿والسماء ذات الرجع﴾ يريد: المطر.

قال الزجاج[٣]: سمي بذلك؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر.

وقال الزمخشري[٤]: العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يُرجعه إلى الأرض، أو أرادوا التفاؤل فسموه رَجْعاً ليرجع.

﴿والأرضِ ذات الصَّدْع﴾ قال المفسرون واللغويون: تتصدَّع عن النبات والأشجار.

وجواب القسم: ﴿إنه لقول فَصْل﴾ يريد: القرآنُ يَفصل بين الحق والباطل.

﴿وما هو بالهزل﴾ أي: هو جِدٌّ محضٌ، لا هوادة فيه.

وقيل: الضمير في قوله: "إنه لقول" كناية عن الوعيد المتقدم ذكره.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٦٦).

(٢) في ب: يعني: للإنسان.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٢).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٣٧).

قوله تعالى: ﴿إنهم﴾ يعني: كفار قريش ﴿يكيدون كيداً﴾ يعملون المكايد في إبطال أمري، وإطفاء النور الذي بَعثتُ به رسولي.

﴿وأكيد كيداً﴾ أستدرجهم من حيث لا يعلمون.

﴿فمهِّل الكافرين﴾ ارتقبهم منتظراً ما أُحِلَّ بهم في الدنيا من العذاب والصَّغار، فظهر ذلك في يوم بدر وغيره، حتى استأصل الله تعالى شأفتهم، وأسكت نامتهم.

﴿أمهلهم رويداً﴾ أي: إمهالاً يسيراً. و"رويداً" نصبٌ على المصدر[١].

قال ابن قتيبة[٢]: لا يُتكلم برويداً إلا مُصغّرة مأموراً بها، وجاءت في الشعر بغير تصغير في غير [معنى][٣] الأمر.

وأنشد الكسائي:

تكادُ لا تَكْلِمُ البطحاءَ خُطْوَتُهُ كأنه ثَمِلٌ يمشي على رُود[٤]

وبعض المفسرين يقول: الإمهال منسوخ بآية السيف[٥]. ولا مدخل للنسخ هاهنا، على ما قررنا في غير موضع. [والله أعلم][٦].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٥٠٨).

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص:٥٥٩).

(٣) زيادة من تأويل مشكل القرآن (ص:٥٥٩).

(٤) البيت للجموح الظفري، وهو في: اللسان (مادة: رود)، وابن يعيش (٤/ ٢٩)، وشرح القصائد السبع لابن الأنباري (ص:٤٠٣)، والدر المصون (٦/ ٥٠٨)، وتاج العروس (مادة: رود).

(٥) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٦).

(٦) بياض في الأصل قدر كلمتين. والزيادة من ب.

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسعُ عشرة آية[١]، [وهي مكية][٢] بإجماعهم[٣].

أخرج الإمام أحمد[٤] من حديث علي عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يُحبُّ هذه السورة ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾»[٥].

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ
﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٧١).

(٢) في الأصل: ومكية. والمثبت من ب.

(٣) قال السيوطي في الإتقان (١/ ٤٥): الجمهور على أنها مكية. وقال ابن الغرس: وقيل: إنها مدنية؛ لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها.

(٤) في هامش ب: وأخرج من حديث ابن عباس: "أن النبي ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحان ربي الأعلى" (مسند أحمد ١/ ٢٣٢ ح٢٠٦٦). وأخرجه أبو داود (١/ ٢٣٣ ح٨٨٣) وقال: وروي موقوفاً على ابن عباس، فالله أعلم.

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٩٦ ح٧٤٢).

﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال الفراء[1]: سبح اسم ربك، وسبح باسم ربك: سواء في كلام العرب.

وغيره يقول: الاسْم صلة، كقول لبيد:

.... ثم اسم السلام ....[2]

وقد سبق ذلك.

قال الزجاج[3] وجمهورُ المفسرين واللغويين: نَزِّه ربك عن السوء، وقل: سبحان ربي الأعلى.

وروي عن ابن عباس: أن المعنى: صَلِّ بأمر ربك[4].

وقال ابن جرير الطبري[5]: نَزِّهْ اسم ربك الأعلى أن يسمى باسمه أحد سواه.

﴿الذي خلق فسوّى﴾ أي: خلق كل شيء فسوّى خلقه تسوية تؤذن بحكمة بالغة.

﴿والذي قَدَّرَ فهدى﴾ قال عطاء: قَدَّرَ لكل دابة ما يُصلحها، ثم هداها إليه[6].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

(٢) جزء من بيت للبيد بن ربيعة، وهو:

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما ... وَمَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَد اعْتَذَرْ

وقد تقدم تخريجه.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٥).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٧).

(٥) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥١).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٨).

ومن تَلَمَّحَ شأنَ الإنسان، وتَصَفَّحَ أحوالَ سائر الحيوان، وتطلّب ما استودع من الحِكم البديعة وأُلهم من الطرق التي يهتدي بها إلى مصالحه رأى عجائب.

ويحكى: أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت، وقد ألهمها الله تعالى أن سبب شفائها حكُّ عينيها بورق الرَّازْيَانج الغضّ، وربما كانت في فلاة نائية عن الريف، فتطوي تلك المسافة عمياء، حتى تهجم على بعض البساتين فتحك عينيها بورق الرَّازْيَانج الغضّ، فترجع بصيرة بإذن الله تعالى(١).

وقال مجاهد وغيره: قدَّر الشقاوة والسعادة(٢)، فهدى من [شاء](٣) إلى ما شاء منهما.

وقال السدي: قَدَّرَ مدة الجنين في رحم أمه، ثم هداه للخروج(٤).

وقال مقاتل(٥): قدَّرهم ذكوراً وإناثاً، وهدى الذَّكر لإتيان الأنثى.

قال صاحب النظم: إتيان ذكران الحيوان يختلف؛ لاختلاف الصور والخلق والهيئات، فلولا أنه عز وجل جبل كل ذكر على معرفة كيف يأتي أنثاه لما اهتدى لذلك(٦).

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٣٩).

(٢) أخرجه مجاهد (ص:٧٥١)، والطبري (٣٠/ ١٥٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٦). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٨٢) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في الأصل: يشاء. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٨٨).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٦).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٠).

وقرأ الكسائي وحده: "قَدَرَ" بتخفيف الدال[١]، من القُدرة على الأشياء والملك لها.

والمعنى: قَدَرَ فهدى وأضلّ، فحذف الضلال؛ لدلالة الهدى عليه.

وقيل: هو من التقدير، كالقراءة المشددة، كما قال: ﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ [الشورى:١٢].

قوله تعالى: ﴿والذي أخرج المرعى﴾ أي: أنبت العُشب، ﴿فجعله﴾ بعد الخضرة ﴿غثاءً﴾ هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق السيل، ﴿أحوى﴾ أسود بعد أن كان أخضر، وذلك أن الكلأ [إذا][٢] تناهى جفافه اسودّ.

ويجوز أن يكون "أحوى" حالاً من "المرعى"[٣].

قال الفراء[٤]: أخرج المرعى أحوى، أسود من الخضرة والرِّيِّ فجعله غثاء، كما قال: ﴿مدهامتان﴾ [الرحمن:٦٤].

قوله تعالى: ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ قال مقاتل[٥]: سنعلمك القرآن ونجمعه في قلبك فلا تنساه أبداً.

قوله تعالى: ﴿إلا ما شاء الله﴾ قال الحسن وقتادة: إلا ما شاء الله أن ينسخه،

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٨)، والكشف (٢/ ٣٧٠)، والنشر (٢/ ٣٩٩)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨٠).

(٢) في الأصل: إذ. والتصويب من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٥)، والدر المصون (٦/ ٥٠٩).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٧٦).

فتنساه[١].

ويروى عن ابن عباس: أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالوحي يُبادره بالقراءة خوف النسيان، فنزلت هذه الآية[٢]. وقد ذكرنا مثل ذلك عند قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة:١٦]، فيكون ذلك خارجاً مخرج البشارة له بأنه لا ينسى ما جاءه [به جبريل][٣] من القرآن، استنزالاً له ﷺ عن ذلك الحرص المفرط، وتثبيتاً لقلبه الكريم.

وقيل: إلا ما شاء الله مما عساه أن تنساه، ثم [تتذكّره][٤] بعد ذلك على ما عليه عادة المَهَرَة من القرّاء.

وقيل: هو استثناء لما لا يقع.

قال الفراء[٥]: لم يشأ أن ينسى شيئاً، وإنها هو كقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ [هود:١٠٧] ولا يشاء.

وقيل: إن قوله: ﴿فلا تنسى﴾ نهي للنبي ﷺ عن النسيان، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: "السبيلا"، و"الرسولا"، و"الظنونا". فيكون المعنى: فلا تُغفل قراءته ودراسته فتنساه إلا ما شاء الله أن يُنسيكه برفع تلاوته.

﴿إنه يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفى﴾ منهما.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٠).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ١٢٠ ح١٢٦٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه.

(٣) في الأصل: جبريل به. والمثبت من ب.

(٤) في الأصل: تذكره. والتصويب من ب.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿ونيسرك لليسرى﴾ معطوف على "سنقرئك". والمعنى: سنوفقك[1] للطريقة التي هي أيسر وأسهل، يعني: حفظ الوحي.

وقيل: للشريعة السمحة التي هي أيسر الشرائع.

وقيل: نيسرك لعمل الخير.

﴿فذكر﴾ أي: فَعِظْ أهل مكة.

قال صاحب الكشاف[2]: إن قلت: كان الرسولُ ﷺ مأموراً بالذكرى، نفعت أو لم تنفع، فما معنى اشتراط النفع؟

قلتُ: هو على وجهين:

أحدهما: أن رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتواً وطغياناً، وكان النبي ﷺ يتلظى حسرةً وتلهّفاً، ويزداد جِدّاً في تذكيرهم وحرصاً عليه، فقيل له: ﴿وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرءان من يخاف وعيد﴾ [ق:٤٥]، و﴿أعرض عنهم وقل سلام﴾ [الزخرف:٨٩]، ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾، وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير.

الثاني: أن يكون ظاهره شرطاً، ومعناه ذماً للمذكّرين، وإخباراً عن حالهم، واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم، كما تقول للواعظ: عِظ المكّاسين إن قبلوا منك. قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك، وأنه لن يكون.

قوله تعالى: ﴿سيذكر﴾ أي: سيَقْبَلُ التذكرة وينتفع بها ﴿من يخشى﴾ الله وسوء

---

(١) في ب: ونوفقك.

(٢) الكشاف (٤/ ٧٤١).

العاقبة.

﴿ويتجنبها﴾ أي: ويترك الذكرى جانباً ﴿الأشقى﴾ الكافر.

﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ وهي نار جهنم، فإنها أكبر وأشد حراً من نار الدنيا.

وقيل: هي السفلى من أطباق النيران.

﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح بانقطاع العذاب عنه ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه، كما قيل:

ألا مَا لِنَفْسِي لا تموتُ فينقضِي   عَنَاهَا ولا تحيا حَيَاةً لها طَعْمُ[1]

وقد سبق هذا في غير هذا الموضع.

وقال ابن جرير[2]: تصيرُ نفس أحدهم في حلقه فلا تفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال الزجاج[3]: أي: قد صادف البقاء الدائم والفوز من تكثّر بتقوى الله. والشيء الزاكي: النامي الكثير.

---

(١) تقدم.

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣١٦).

وهذا يجمع قول ابن عباس: تطهّر من الشرك بالإيمان[١].

وقول الحسن: من كان عمله زاكياً[٢].

وقيل: هو تفعُّل من الزكاة، كتصدّق من الصدقة.

قال أبو سعيد الخدري وعطاء وقتادة: أعطى صدقة الفطر[٣].

وقال غيرهم: أخرج زكاة ماله.

﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال ابن عباس: ذكر معادَه وموقفه بين يدي الله[٤]، فصلى الصلوات الخمس[٥].

وقال الضحاك: ذكر اسم ربه في طريق المصلَّى، فصلَّى صلاة العيد[٦].

وقال أبو سعيد الخدري: صلَّى العيدين[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٦). وذكره الماوردي (٦/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٥) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبي سعيد الخدري.

(٤) في ب: ربه.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٤) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وفي هامش ب: وأخرج البزار من حديث جابر رفعه: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد، وشهد أني رسول الله. ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال: هي الصلوات الخمس، والمحافظة عليها.

(٦) ذكره القرطبي (٢٠/ ٢٣).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٢٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٨٥).

واعلم أن هذه السورة مكية بالإجماع، وزكاة المال وصدقة الفطر وصلاة العيدين شُرعت بالمدينة، فلا وجه لتفسير الآيتين بهذه الأحكام(١).

قوله تعالى: ﴿بل تؤثرون﴾ قرأ أبو عمرو وحده: "بل يؤثرون" بالياء، على الغيبة، حملاً على قوله: ﴿الأشقى﴾، فإنه اسم جنس. وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب(٢).

واختلفوا هل ذلك خطاب للكفار أو هو على عمومه في الجميع، فإنهم طُبعوا على إيثار الدنيا والميل إليها، إلا من عصم الله تعالى.

قال ابن مسعود: إن الدنيا أُحضرت وعُجّلت لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذّتها وبهجتُها، وإن الآخرة نُعتت لنا وزُويت عنّا، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل(٣).

والمعنى: يؤثرونها فلا يفعلون ما يُفلحون به.

﴿والآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿خير﴾ من زهرة الحياة الدنيا، ﴿وأبقى﴾ أدوم من

---

(١) في هامش ب: أخرج البزار في مسنده (٨/ ٣١٣ ح٣٣٨٣) من حديث كثير بن عبدالله بن عوف عن أبيه عن جده، أن النبي ﷺ كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلي العيد، ويتلو هذه الآية: ﴿قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى...﴾ .

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١١٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٩)، والكشف (٢/ ٣٧٠)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨٠).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٧)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٣٤ ح٩١٤٧)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٣٧٦ ح١٠٦٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٧) وعزاه لابن جرير وابن المنذر والطبراني والبيهقي في شعب الإيمان.

وفي هامش ب: هذا منه على وجه هضم نفسه وعدم تزكيتها، أو أخبر به عن الجنس من حيث هو.

الدنيا الفانية.

قوله تعالى: ﴿إن هذا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ إلى قوله: ﴿خير وأبقى﴾. يريد: أن معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف.

وقيل: إنه إشارة إلى ما في السورة كلها، وهو قول جماعة، منهم: أبو العالية[١].

وقال الحسن: الإشارة إلى القرآن[٢]، فيكون مثل قوله: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ [الشعراء:١٩٦].

وقوله: ﴿صحف إبراهيم وموسى﴾ مُفسّر في النجم[٣].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٨) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٤١٩) عن الحسن رضي الله عنه ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ قال: في كتب الله كلها. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٨٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) عند الآية رقم: ٣٦.

سورة الغاشية

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست وعشرون آية[1]، وهي مكية بإجماعهم.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿٣﴾
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

قال الله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قال ابن عباس: هي القيامة تغشى الناس بالأهوال[2].

وقال سعيد بن جبير ومقاتل[3]: هي النار تغشى وجوه الكفار.

﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ ذليلة، وهي وجوه الكفار.

وقال ابن عباس: هي وجوه اليهود والنصارى[4].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٥٩). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٧٨)، والماوردي (٦/ ٢٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿عاملة ناصبة﴾ الوصف للوجوه، والمراد: أصحابها.

واختلفوا في موضع العمل؛ فقال قوم: عاملة في الدنيا.

قال ابن عباس في رواية أبي الضحى: هم الرهبان وأصحاب الصوامع[١].

وقال في رواية عطاء: هم الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الإسلام، كعبدة الأوثان والرهبان وغيرهم[٢].

وقال عكرمة والسدي: عاملةٌ في الدنيا بالمعاصي، ناصبةٌ في النار يوم القيامة[٣].

وقال قوم: عاملة في النار.

قال ابن عباس -في رواية عنه- والحسن: عاملة في النار بمعالجة السلاسل والأغلال؛ لأنها لم تعمل لله في الدنيا، فأعملها ناصبة في النار[٤].

قال الضحاك: يكلفون ارتقاء جبل في النار من حديد[٥].

قوله تعالى: ﴿تصلى ناراً حامية﴾ قرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: "تُصلى" بضم التاء، جعلاه فعلاً رباعياً لم يُسمّ فاعله، متعدياً إلى مفعولين، أحدهما مضمر في الفعل يعود على أصحاب الوجوه المذكورة. والثاني: "ناراً". وقرأ

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥).

(٢) مثل السابق.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥) عن عكرمة والسدي، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن أبي حاتم عن عكرمة.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٥).

(٥) مثل السابق.

الباقون: بفتح التاء[١]، وهو في معنى قوله: ﴿وسيصلون سعيراً﴾ [النساء:١٠]. وقد سبق تفسيره.

قوله تعالى: ﴿تسقى من عين آنية﴾ أي: متناهية في الحر؛ كقوله: ﴿وبين حميم آن﴾ [الرحمن:٤٤].

قال الحسن رحمه الله: قد أُوقدت عليها جهنم مذ خُلقت فدُفِعُوا إليها عِطاشاً[٢].

قوله تعالى: ﴿إلا من ضريع﴾ قال ابن عباس في رواية العوفي: هو نبتٌ ذو شوك لاطئٌ بالأرض، تسميه قريش: الشِّبْرِق[٣]، فإذا هاج سموه ضريعاً[٤].

وأنشدوا قول أبي ذؤيب:

رَعَى الشَّبْرِقَ [الرَّيَّان][٥] حتى إذا ذوَى وعَادَ ضَريعاً بَانَ عنه النَّحَائِصُ[٦]

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٥٩)، والكشف (٢/ ٣٧٠-٣٧١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٧٥٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٣) الشبرق: نبات غضٌّ، وقيل: شجرمَنْبِته نجد وتهامة وثمرتُه شاكة صغيرة الجرم حرام مثل الدم، منبتها السِّباخ والقِيعان، واحدته شِبْرِقة وقالوا إذا يَبِس الضَّرِيع (اللسان، مادة: شبرق).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢١) كلاهما عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٥) في الأصل: الريحان. والمثبت من ب.

(٦) البيت لأبي ذؤيب. وهو في: البحر (٨/ ٤٥٦)، والدر المصون (٦/ ٥١٣)، والقرطبي (٢٠/ ٣٠)، وروح المعاني (٣٠/ ١١٣)، والماوردي (٦/ ٢٥٩).

وقال في رواية الوالبي: هو شجرٌ من نار[١].

ولا تنافي بين القولين.

قال ابن زيد: الضريع في الدنيا: الشوك اليابس الذي ليس لـه ورق، وهـو في الآخرة: شوك من نار[٢].

واعلم أن أهل النار متفاوتون في العذاب، كما قال تعالى: ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر:٤٤]، فمنهم من ليس له طعام إلا من ضريع، ومنهم من ليس له طعام إلا من غسلين، ومنهم من طعامه الزقوم[٣].

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية، قال المشركون: إن إبلنا لتسمن على الضريع، فأنزل الله: ﴿لا يسمن ولا يغني من جوع﴾[٤].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٤٩١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٦٢). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٦).

(٣) فائدة: قال ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٧): فإن قيل: إنه قد أخبر في هذه الآية: ﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ وفي مكان آخر: ﴿ولا طعامٌ إلا من غسلين﴾ [الحاقة:٣٦] فكيف الجمع بينهما؟

فالجواب: أن النار دركات، وعلى قدر الذنوب تقع العقوبات، فمنهم من طَعَامُهُ الزَّقُّوم، ومنهم مَنْ طعامه غِسْلين، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم مَنْ شَرَابُهُ الصَّديد.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٧).

قوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ أي: ذات بهجة وحُسن.

﴿لسعيها راضية﴾[١] أي: راضية [بعملها][٢] حين شاهدت ما أفضى بهم إليه من الكرامة.

﴿في جنة عالية﴾ في المكان والمقدار.

﴿لا تَسْمَعُ فيها لاغية﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو: "يُسْمَعُ" بياء مضمومة، "لاغيةٌ" بالرفع. ومثلهما قرأ نافع، غير أنه قرأ: "تُسْمَعُ" بالتاء؛ لتأنيث "لاغية". وقرأ الباقون: بتاء مفتوحة، "لاغيةً" بالنصب[٣].

والمعنى: لا تسمع فيها كلمة ذات لغو، أو نفساً لاغية، فإن أهل الجنة مُنزَّهون عن العبث.

قوله تعالى: ﴿فيها عين جارية﴾ أي: عيون كثيرة، فهو مثل قوله: ﴿علمت نفسٌ ما أحضرت﴾ [التكوير: ١٤]، وقد سبق.

﴿فيها سرر مرفوعة﴾ قال ابن عباس: ألواحُها من ذهب، مكللةٌ بالزبرجد والدرّ والياقوت، مرتفعة ما لم يجيء أهلها، فإذا أراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها، ثم ترتفع إلى موضعها[٤].

﴿وأكواب موضوعة﴾[٥] كلما أرادوها وجدوها عتيدة حاضرة عندهم.

(١) في هامش ب: أي لجزاء أو لثواب سعيها راضية، حين تشاهده ترضى به.

(٢) في الأصل: لعملها. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٠)، والكشف (٢/ ٣٧١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٧)، والسبعة (ص:٦٨١).

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٨).

(٥) في هامش ب: مفرده: كوب، أواني لا آذان لها ولا خراطيم ليشرب من أي ناحية شاء.

وقيل: موضوعة على حافات العيون.

﴿ونمارق مصفوفة﴾ أي: وسائد ومساند قد صُفَّ بعضها إلى بعض، أينما أراد أن يجلس جلس على مِسْوَرَة، واستند إلى أخرى.

وواحدة النمارق: "نُمْرُقة" بضم النون والراء.

وسمع الفراء من بعض العرب: "نِمْرِقة" بكسرهما[1].

﴿وزرابيّ مبثوثة﴾ أي: مبسوطة ومفرَّقة في المجالس.

والزرابي: الطَّنَافس ذوات الخمل الرقيق، الواحدة: زَرْبِيَّة[2].

قال المفسرون: لما نعت الله ما في الجنة عَجِبَ كفار قريش من ذلك، فذكَّرهم من عجائب مخلوقاته مما يشاهدونه، أو هو حاضر عندهم، عتيد لديهم، ليعتبروا الغائب بالشاهد، فقال تعالى:

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾ قال قتادة: ذكر الله ارتفاع سرر الجنة

(١) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: اللسان (مادة: زرب).

فقالوا: كيف نصعدها؟ فنزلت: ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾[١].

قال سعيد بن جبير: لقيت شريحاً القاضي فقلت: أين تريد؟ فقال: أريد الكُنَاسَة، قلت: وما تصنع بها؟ قال: أنظر إلى الإبل كيف خلقت[٢].

والمعنى: كيف خلقت خلقاً عجيباً عظيماً.

قال أبو عمرو ابن العلاء: إنما خَصَّ الإبل؛ لأنها من ذوات الأربع، تبرك فتُحمل عليها الحمولة، وغيرها من ذوات الأربع لا يُحمل عليها إلا وهي قائمة[٣].

قال الزجاج[٤]: نبّههم على عظيمٍ من خَلْقِهِ قد ذلَّلَهُ [للصغير][٥] يقوده ويُنيخُه ويُنهضه، ويُحمَّل الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض به.

وقيل للحسن: الفيل أعظم في الأعجوبة، فقال: العرب بعيدة العهد بالفيل، ثم هو خنزير، لا يُركب ظهره، ولا يُؤكل لحمه، ولا يُحلب دَرُّه، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه، تأكل النوى والقت، وتُخرج اللبن، ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها[٦].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٩).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٤٩٥) وعزاه لعبد بن حميد عن شريح.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣١٨).

(٥) في الأصل: لصغير. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٦).

قال الثعلبي والواحدي[١]: ويحكى أن فأرة أخذت بزمام ناقة، فجعلت تجرُّها وهي تتبعُها، حتى دخلت في[٢] الجُحْر، فجرّت الزمام فبركت، فقرّبت فمها من جُحْر الفأرة. وقد قررنا هذا المعنى في آخر يس.

وقرأ ابن عباس، وأبو عمران، والأصمعي عن أبي عمرو: "الإبْل" بإسكان الباء[٣].

وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو المتوكل، والجحدري، وابن السميفع، وهارون عن أبي عمرو: بكسر الباء وتشديد اللام[٤].

قال أبو عمرو: الإبلّ -بتشديد اللام-: السحاب الذي يحمل الماء[٥].

قال الثعلبي[٦]: لم أجد لذلك أصلاً في كتب الأئمة.

قال الزمخشري[٧]: لم يَدَّعِ من زعم أن الإبلّ السحاب إلى قوله إلا طلب المناسبة، ولعله لم يرد أن الإبلّ من أسماء السحاب، كالغمام والمزن، وإنما رأى السحاب مشبهاً بالإبل [كثيراً في أشعارهم][٨]، فجوّز أن يُراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز.

---

(١) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٨٩)، والوسيط للواحدي (٤/ ٤٧٦).

(٢) قوله: "في" سقط من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٩٩)، والبحر المحيط (٨/ ٤٥٩).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٩٩).

(٦) تفسير الثعلبي (١٠/ ١٩٠). وذكره القرطبي في تفسيره (٢٠/ ٣٥).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٤٧).

(٨) في الأصل: في أشعارهم كثيراً. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

وقرأ جماعة، منهم: أبو العالية، وأبو عمران، وابن أبي عبلة: "خَلَقْتُ" بفتح الخاء واللام وسكون القاف وضم التاء[١]. وكذلك "رَفَعْتُ" و"نَصَبْتُ" و"سَطَحْتُ".

قال أنس بن مالك: صليت خلف علي بن أبي طالب عليه السلام فقرأ: "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خَلَقْتُ"[٢].

وكذلك: "رَفَعْتُ" و"نَصَبْتُ" و"سَطَحْتُ" يعني: على البناء للفاعل وتاء الضمير. والتقدير: خَلَقْتُها ورَفَعْتُها ونَصَبْتُها وسَطَحْتُها، فحذف المفعول.

قوله تعالى: ﴿وإلى السماء كيف رفعت﴾ أي: رفعت[٣] بغير علاقة ولا دعامة.

﴿وإلى الجبال كيف نصبت﴾ نصباً رصيناً متيناً، فهي شامخة راسخة، لا تميد ولا تحيد.

﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ سطحاً وثيراً، تتأتّى معه إثارتها لاستثمار الزرع والأشجار، وعمارَتُها للسكن والقرار.

قوله تعالى: ﴿فذكر إنما أنت مذكر﴾ أي: عِظْ إنما أنت واعظ، وهو كقوله: ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ [الشورى:٤٨].

والمفسرون يقولون: هي منسوخة بآية القتال[٤].

---

(١) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٩٩)، والدر المصون (٦/ ٥١٤).

(٢) ذكره القرطبي (٢٠/ ٣٦).

(٣) قوله: أي رفعت. ساقط من ب.

(٤) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:١٩٧)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٥)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٧).

﴿لست عليهم بمسيطر﴾ أي: بمسلّط. وقد سبق تفسيره في الطور عند قوله: ﴿أم هم المصيطرون﴾ [الطور:٣٧].

قوله تعالى: ﴿إلا من تولى وكفر﴾ استثناء منقطع، معناه: لكن من تولى وكفر بعد التذكرة[١] ﴿فيعذبه الله﴾.

وقرأ ابن عباس، وعمرو بن العاص، وأنس، وقتادة، وسعيد بن جبير: "ألا" بفتح الهمزة وتخفيف اللام، على التنبيه[٢].

والمعنى: فيعذبه الله في الآخرة ﴿العذاب الأكبر﴾، وهو عذاب جهنم، بعد العذاب الأصغر، وهو ما ابتلاهم به من الجوع والقتل والذل.

﴿إن إلينا إيابهم﴾ رجوعهم ومصيرهم بعد الموت.

﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ يعني: جزاءهم.

وقرأ أبي بن كعب، وعائشة، وأبو عبد الرحمن، وأبو جعفر المدني: "إيّابهم" بتشديد الياء[٣].

قال الزمخشري[٤]: وجهُهُ أن يكون "فِيعَالاً" مصدر "أَيَّب" فَيْعَلَ من الإياب، أو يكون أصله: "إِوَّاباً" فِعَّالاً من "أَوَّبَ".

ثم قيل: إيواباً؛ كديوانٍ في دوّان[٥]، ثم فُعل به ما فُعل بأصل: سيّد.

(١) في ب: التذكير.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٠٠)، والبحر المحيط (٨/ ٤٦٠).

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٠١)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٨).

(٤) الكشاف (٤/ ٧٤٧-٧٤٨).

(٥) قوله: "في دوان" ساقط من ب.

فإن قلت: ما معنى تقديم الظرف؟

قلتُ: معناه التشديد في الوعيد، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام، وأن حسابهم [ليس][1] إلا على الذي يُحاسب على النقير والقطمير. والله أعلم.

(١) زيادة من ب، والكشاف (٤/ ٧٤٨).

سورة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاثون آية في العدد الكوفي، واثنتان وثلاثون في المدني[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

قال الله تعالى: ﴿والفجر﴾ قال ابن فارس[2]: الفَجْر: انفِجارُ الظُّلمة عن الصُّبح، وانفَجَرَ الماء: [تَفَتَّحَ][3].

والظاهر أن القَسَم به، كما أقسَم بالصبح في قوله: ﴿والصبح إذا أسفر﴾[4] [المدثر: ٣٤].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٧٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/ ٤٧٥).

(٣) في الأصل و ب: انفتح. والتصويب من معجم مقاييس اللغة، الموضع السابق.

(٤) في الأصل: ﴿والصبح إذا تنفس﴾، والمثبت من ب.

وقال عطية: فيه إضمار، تقديره: وصلاة الفجر[١].

والأول أصح.

قال ابن عباس: هو انفجار الصبح كل يوم[٢].

وقال مجاهد: يوم النحر[٣].

وقال قتادة: هو أول يوم من المحرم، تنفجر منه السنة[٤].

وقال الضحاك: فجر ذي الحجة[٥]، لقوله: ﴿وليال عشر﴾ يريد: عشر ذي الحجة، في قول جمهور المفسرين.

وروى أبو ظبيان عن ابن عباس: أنه العشر الآخر من رمضان[٦].

وقال يمان: عشر المحرم[٧].

فإن قيل: لم نكّر الليالي العشر؟

قلتُ: لموضع اختصاصها بزيادة الفضيلة.

قوله تعالى: ﴿والشفع والوَتْر﴾ قرأ حمزة والكسائي: "والوِتْر" بكسر الواو،

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٣). وذكره الماوردي (٦/ ٢٦٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٤٩٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٣).

(٥) مثل السابق.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٢) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤).

وفتحها الباقون[1]. وهما لغتان.

وللمفسرين في الشفع والوتر عشرون قولاً، وقد روي عن النبي ﷺ في ذلك أيضاً روايات: منها: ما أخرجه الترمذي من حديث عمران بن حصين: «أن رسول الله ﷺ سُئل عن الشفع والوتر فقال: هي الصلاة، بعضُها شفع وبعضها وتر»[2]، وهو اختيار قتادة[3].

وروى أبو أيوب الأنصاري: «أن رسول الله ﷺ سُئل عن قوله: ﴿والشفع والوتر﴾ فقال: الشفع يوم عرفة ويوم الأضحى، والوتر ليلة النحر»[4].

وروى جابر بن عبدالله: أن رسول الله ﷺ قال: «الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة»[5].

ويقع لي والله أعلم في هذا الحديث: أن يوم النحر سمي شفعاً؛ لأنه يُشفع بليلة النحر، فهي مماثلة له في الفضيلة. وهذا قول عكرمة والضحاك.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦١)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠ ح٣٣٤٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٢). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٩-٤٨٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٢) وعزاه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٨٠ ح٤٠٧٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٣) وعزاه للطبراني وابن مردويه بسند ضعيف.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٤).

وقال أبو صالح: الشفع: الخلق كله، والوتر: الله عز وجل[١].

وقيل: الوتر: آدم شُفِعَ بزوجته حواء[٢]. وهذه الأقوال [الثلاثة][٣] مروية عن ابن عباس.

وقال ابن زيد: الشفع والوتر: الخلق كله، منه شفعٌ ومنه وتر[٤].

وقيل غير ذلك، مما لا طائل في حكايته.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يَسْرِ﴾ أثبت الياء في الحالين: ابن كثير، ووافقه في الوصل: نافع وأبو عمرو، وحذفها الباقون في الحالين اكتفاء بالكسرة[٥]. وهي اختيار الزجاج[٦]؛ لأنها فواصل، والفواصل تحذف منها الياءات، وتدل عليها الكسرات.

والمعنى: إذا يسري ذاهباً مدبراً، كقوله: ﴿والليل إذ أدبر﴾ [المدثر:٣٣]، وقوله: ﴿والليل إذا عسعس﴾ [التكوير:١٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٧٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٣) وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦).

(٣) في الأصل: اليلة. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧١) عن مجاهد. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٦) عن ابن زيد.

(٥) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦١)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٦) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٢١).

وقال قتادة: إذا يسري مقبلاً[١].

والأول أصح، وعليه جمهور المفسرين، وهو اختيار الزجاج[٢].

قوله تعالى: ﴿هل في ذلك قسم لذي حِجْر﴾ أي: هل فيها أقسمت به قسم لذي عقل. وسمي العقل حِجْراً؛ لأنه يحجر صاحبه عن الوقوع في المهالك وفيما لا ينبغي.

والاستفهام بمعنى التقرير.

قال الزمخشري[٣]: والمقسم عليه محذوف، وهو "لتعذبن"، يدل عليه قوله: ﴿ألم تر﴾ [إلى قوله][٤]: ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.

وقال غيره: جواب القسم: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، وما بين القسم وجوابه اعتراض.

قال[٥]: وقيل لعقب عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح: عاد، كما قيل لبني هاشم: هاشم. ثم قيل للأولين منهم: عاد الأولى وإرم؛ تسمية لهم باسم جدهم، ولمن بعدهم: عاد الأخيرة. قال ابن الرقيات:

مَجْداً تَلِيداً بناهُ أَوَّلُهُ   أَدْرَكَ عَاداً وقَبْلَهَا إِرَمَا[٦]

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٨).

(٢) انظر: معاني الزجاج (٥/ ٣٢١).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٤) زيادة من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٦) البيت لابن قيس الرقيات. انظر: ديوانه (ص:١٥٥)، والدر المصون (٦/ ٥١٩)، والروض المعطار (١/ ٢٢).

فإرم في قوله: ﴿بعاد إرم﴾ عطف بيان لـ"عاد"، وإيذان بأنهم [عاد][1] الأولى القديمة.

وقيل: "إِرَمَ" بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها. ويدل عليه قراءة ابن الزبير: "بعادِ إرم" على الإضافة، وتقديره: بعادٍ أهل إرم، كما في قوله[2]: ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف:٨٢]، ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضاً للتعريف والتأنيث.

وقرأ الحسن: "بعادَ [إرَم"، مفتوحتين][3].

وقرئ: "بعادٍ [إِرْمَ][4]" بسكون الراء على التخفيف، كما قرئ: "بورْقكم" [الكهف:١٩]. هذا آخر كلامه.

فإن قلنا: أن إرم تسمية لعاد باسم جدهم، على ما قاله ابن إسحاق وقتادة ومقاتل[5]، وأنه عطف بيان، كان قوله: ﴿ذات العماد﴾ وصفاً لهم بالطول المفرط، ومنه قولهم: رجل مُعَمَّد وعُمْدان؛ إذا كان طويلاً[6].

قال الكلبي: طولُ الرجل منهم أربعمائة ذراع[7].

---

(١) في الأصل: عاداً. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٥٠).

(٢) في ب: كقوله.

(٣) في الأصل: وأرم مفتوحين. والتصويب من ب، والكشاف (٤/ ٧٥٠). وانظر: إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٨).

(٤) في الأصل: وإرم. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٥-١٧٦). وذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨١)، والماوردي (٦/ ٢٦٨)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١١).

(٦) انظر: اللسان (مادة: عمد).

(٧) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥١) بلا نسبة.

وقال ابن عباس: يعني: طولهم مثل العماد[1].

وقيل: كانوا أهل عَمَد. وكأن معنى قوله: ﴿التي لم يخلق مثلها﴾ مثل تلك القبيلة في الطول والقوة ﴿في البلاد﴾، وهذا معنى قول الحسن، وهم الذين قالوا: ﴿من أشد منا قوة﴾[2] [فصلت:١٥].

وإن قلنا: إن إرم اسم بلدتهم -وهو قول كثير من المفسرين- كان قوله: ﴿ذات العماد﴾ صفة لبلدتهم، على معنى: ذات الأساطين، أو ذات البناء الرفيع.

وقد اختلفوا فيها؛ فقال سعيد بن المسيب وعكرمة وغيرهما: هي دمشق[3].

وقال محمد بن كعب: الإسكندرية[4].

وقيل: هي المدينة التي بناها شداد بن عاد[5].

وكان من حديثها: على ما أخبرنا أبو الحسن المؤيد بن محمد المقرئ في كتابه

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٠٥) وعزاه لابن جرير.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٢).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٦) عن عكرمة. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٠٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٠٦) وعزاه لعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عكرمة. ومن طريق آخر عن سعيد بن المسيب، وعزاه لابن عساكر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٧٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٠٦) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) ذكره ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٢٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٠).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٨، ٥٠٩): ومن زعم أن المراد بقوله: ﴿إِرَمَ ذات العماد﴾ مدينة، إما دمشق؛ كما روي عن سعيد بن المسيب وعكرمة، أو اسكندرية؛ كما رُوي عن القُرَظي، أو غيرهما، ففيه نظر... إلى أن قال: وإنما نبّهت على ذلك لئلا يُغْتَرَّ بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية، من ذكر مدينة يقال لها: ﴿إِرَمَ ذات العماد﴾ مبنية بلبن الذهب والفضة... إلخ.

قال: أخبرنا جدي لأمي أبو [محمد][1] العباس بن محمد بن العباس المعروف بعبّاسة، أخبرنا أبو سعيد محمد بن سعيد بن فرخزادا، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعالبي، أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسن المفسر، أخبرنا محمد بن عبدالله الصفار الهمذاني قال: أخبرنا [أحمد][2] بن مهدي الأصفهاني، حدثنا عبدالله بن صالح المصري، حدثنا ابن لهيعة، عن خالد بن أبي عمران، عن وهب بن منبه، عن عبدالله بن قلابة: أنه خرج في طلب إبل له شردت، فبينا هو في صحاري عدن، إذ هو قد وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن، وحول الحصن قصور كثيرة وأعلام طوال، فلما دنا منها ظن أن فيها أحداً يسأله عن إبله، فلم ير خارجاً ولا داخلاً، فنزل عن دابته وعقلها، وسلَّ سيفه ودخل باب الحصن، فلما خَلَّفَ الحصن إذا هو ببابين عظيمين لم ير أعظم منهما، والبابان مرصعان بالياقوت الأبيض والأحمر، فلما رأى ذلك دهش وأعجبه، ففتح أحد البابين فإذا هو بمدينة لم ير أحد مثلها، وإذا قصورٌ كل قصرٍ منها معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كل قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت، ومصاريع تلك الغرف مثل مصاريع[3] المدينة، يقابل بعضها بعضاً، مفروشة كلها باللؤلؤ، وبنادق من المسك والزعفران، فلما عاين الرجل ما عاين ولم ير فيها أحداً هَالَه ذلك، ثم نظر إلى الأزقة فإذا هو

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: محمد. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٩٧)، وطبقات الحفاظ (ص: ٢٧١).

(٣) في ب: مصراع.

بشجر في كل زقاق منها قد أثمرت تلك الأشجار، وتحت الشجر أنهار مُطَّرِدَة يجري ماؤها من قنوات من فضة، كل قناةٍ أشدُّ بياضاً من الشمس. فقال الرجل: والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما خلق الله مثل هذا في الدنيا، وإن هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه، فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها شيئاً، فأخذ ما أراد وخرج، ورجع إلى اليمن فأظهر ما كان معه، وأعلم الناس أمره، وباع بعض ما حمل، فلم يزل أمره ينمى حتى بلغ معاوية خبره، فأرسل في طلبه حتى قدم عليه، فخلا به وقصّ عليه ما رأى، فأرسل معاوية إلى كعب الأحبار، فلما أتاه قال: يا أبا إسحاق! هل في الدنيا من مدينة من ذهب وفضة؟ قال: نعم، أُخبرك بها وبمن بناها، إنما بناها شداد بن عاد. فأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصفها الله عز وجل في كتابه، وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد. قال معاوية: فحدثني حديثها فقال: إن عاداً الأولى ليس عاد قوم [هود][1]، وإنما هود وقوم هود وَلَدُ ذلك الرجل، وكان عاد له ابنان شدّاد وشديد، فهلك عاد، فبقيا ومَلَكا وقهَرَا البلاد، وأخذاها عنوة، ثم مات شديد، وبقي شداد فملك وحده، ودانت له ملوك الأرض، وكان مولعاً بقراءة الكتب، كلما مَرَّ فيها بذكر الجنة دعته نفسه إلى بناء مثلها عُتُوّاً على الله عز وجل، فأمر بصنعة تلك المدينة إرم ذات العماد، وأمَّرَ على صنعتها مائة قهرمان، مع كل قهرمان ألف من الأعوان، وكتب إلى كل ملك في الدنيا أن يجمع ما في بلاده من الجواهر، وكان تحت يده مائتان وستون ملكاً، فخرج القهارمة وتبدَّدُوا في الأرض ليجدوا ما

---

(١) في الأصل: هو. والتصويب من ب.

يوافقوه، حتى وقعوا على صحراء عظيمة نقية من التلال، وإذا هم بعيون مطّردة، قالوا: هذه [صفة الأرض][١] التي أمر الملك [أن يبنى بها][٢]، فقدّروها العرض والطول ثم وضعوا أساسها من الجزع اليماني، وأقاموا في بنائها ثلاثمائة سنة حتى فرغوا منها، وكان عُمْر شداد تسعمائة سنة، فلما أتوه فارغين منها [قال][٣]: انطلقوا واجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كل قصر ألف علم، يكون في كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، ويكون فوق كل علم ناطور، فرجعوا وعملوا ما أمرهم به، فأمر ألف وزير أن يتهيأوا إلى النقلة[٤] إلى إرم ذات العماد، وكان الملك وأهله في جهازهم عشر سنين، ثم ساروا إليها، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحةً من السماء فأهلكتهم جميعاً، ولم يبق منهم أحد، وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك، أحمر أشقر قصير، على حاجبه خال وعلى عنقه خال، يخرج في طلب إبل له في تلك الصحاري، والرجل عند معاوية، فالتفت إليه كعب فقال: هذا والله ذلك الرجل[٥].

---

(١) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٤).

(٢) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٤).

(٣) في الأصل: فقال. والمثبت من ب.

(٤) في ب: للنقلة.

(٥) أخرجه أبو الشيخ في: العظمة (٤/ ١٤٩٣-١٥٠٢ ح٩٨٣١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٢-١١٦).

وروى الشعبي عن دغفل الشيباني(١)، عن علماء حمير قالوا: لما هلك شداد بن عاد ومن معه من الصيحة، مَلَكَ من بعده ابنه مرثد بن شداد، وقد كان أبوه خلَّفه بحضرموت على ملكه وسلطانه، فأمر بحمل أبيه من تلك المفازة إلى حضرموت، فحُمل [مطلياً](٢) بالعنبر والكافور، وأمَرَ [بدفنه](٣) فحُفرت له حفيرة في مغارة، فاستودعه فيها على سرير من ذهب، وألقى عليه سبعين حلة منسوجة بقضبان الذهب، ووضع عند رأسه لوحاً عظيماً من ذهب وكتب فيه:

اعْتَبِرْ بي أيُّها الـ ... ـمغرورُ بالعمر المديد
أنا شدَّادُ بن عادٍ ... صاحبُ الحصن العميد
وأخُو القوةِ والبأ ... ساءِ والمُلْكِ الحشيد
دانَ أهلُ الأرضِ لي ... من خوفِ وعدي ووعيدي
وملكتُ الشرقَ والـ ... ـغربَ بسلطانٍ شديد
وبفضلِ الملك والـ ... ـعُدّة فيه والعَدِيد
فأتى هودٌ وكنا ... في ضلالٍ قبلَ هود
فدعانا لو قبلناهُ ... إلى الأمرِ الرشيد

---

(١) دغفل بن حنظلة بن زيد بن عبدة بن عبد الله بن ربيعة السدوسي النسابة الشيباني الذهلي، مخضرم له صحبة، نزل البصرة وغرق بفارس في قتال الخوارج قبل سنة ستين (تهذيب التهذيب ٣/ ١٨٢، والتقريب ص: ٢٠١).

(٢) في الأصل: مطياً. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من زاد المسير (٩/ ١١٦).

فعـــصيناهُ وناديـــتُ: ألا هـــلْ مـــنْ مجِيـــد
فأتتنـــا صـــيحةٌ تهـــوي مـــن الأُفـــقِ البعيـــد
فتوافينـــــا كـــــزرعٍ وســـط بيـــداءَ حـــصيد[(١)]

قوله: ﴿وثمود الذين جابوا الصخر﴾ أي: قطعوه ﴿بالواد﴾.

أثبت الياء في الحالين: ابن كثير، ووافقه[(٢)] في الوصل: وَرْش، وحذفها الباقون في الحالين[(٣)].

قال ابن إسحاق: هو وادي القرى[(٤)].

قال ابن عباس: كانوا يجوبون الجبال فيجعلون منها بيوتاً، كما قال الله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً﴾[(٥)] [الشعراء:١٤٩].

ويقال: إن أول من نحت الجبال والصخور والرخام: ثمود.

قوله تعالى: ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ مُفسّر في صاد[(٦)].

قوله تعالى: ﴿فصب عليهم ربك﴾ أي: على عاد وثمود وفرعون. يقال: صَبَّ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٦-١١٧).

(٢) في ب: وافقه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١١٧)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٣).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٦٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٧).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢).

(٦) عند الآية رقم: ١٢.

[عليه][(١)] السوط وغشَّاه وقنَّعه.

قال الزجاج[(٢)]: المعنى: ألم تر كيف أهلك ربك هذه الأمم التي كذبت رسلها، وكيف جعل عقوبتها أن جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب فقال: ﴿فصب عليهم ربك سوط عذاب﴾.

وقال الحسن رضي الله عنه: إن عند الله أَسْوَاطاً كثيرة، فأخذهم بِسَوْطٍ منها[(٣)].

قوله تعالى: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ وهو مفعالٌ من الرصد، وقد ذكرناه في سورة النبأ[(٤)].

قال الكلبي: يقول: عليه طريق العباد لا يفوته أحد[(٥)].

والمعنى: لا يفوت ربك منهم أحد.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

---

(١) في الأصل: عليهم. والتصويب من ب.

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٢).

(٣) ذكره القرطبي (٢٠/ ٥٠).

(٤) عند الآية رقم: ٢١.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٢).

قوله تعالى: ﴿فأما الإنسان﴾ هو اسم جنس.

قال ابن عباس: يريد: عتبة بن ربيعة، وأبا حذيفة بن المغيرة[١].

وقال ابن السائب: يريد الكافر: أبي بن خلف[٢].

وقال مقاتل[٣]: نزلت في أمية بن خلف.

﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾ أي: اختبره بالغنى واليُسْر ﴿فأكرمه﴾ بالمال ﴿ونعَّمه﴾ به ﴿فيقول ربي أكرمني﴾ أي: فضّلني بما أعطاني لكرامتي عليه.

﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ اختبره بالفقر ﴿فقدَّر عليه رزقه﴾ ضيَّقه عليه، ﴿فيقول ربي أهانني﴾ أذلَّني بالفقر.

قال الزجاج[٤]: يعني بهذا: الكافر الذي لا يُؤمن بالبعث، إنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الدنيا وقلَّتها. وصفة المؤمن: أن الإكرام عنده: توفيق الله إياه إلى ما يؤديه إلى حظِّ الآخرة.

قال صاحب الكشاف[٥]: إن قلت: بم اتصل قوله: ﴿فأما الإنسان﴾؟

قلتُ: بقوله: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مُرْصِدٌ بالعقوبة للعاصي؛ فأما الإنسان فلا [يريد][٦] ذلك ولا يهمه إلا العاجلة وما يُلذّه ويُنعمّه فيها.

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١١٨).

(٢) مثل السابق.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٣).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٣).

(٥) الكشاف (٤/ ٧٥٢).

(٦) في الأصل: يرد. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

واختلف القُرَّاء في إثبات الياء وحذفها في "أكرمني" و "أهانني"[١]، على نحو ما تقدم في الموضعين السابقين في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ للإنسان عن قوله. ثم قال: ﴿بل لا يكرمون اليتيم﴾ أي: بل [هناك][٢] شر من هذا القول، وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يجب عليهم من إكرام اليتيم والحضّ على طعام المسكين.

قرأ أبو عمرو: "يكرمون" و"يحضون" و"يأكلون" و"يحبون" بالياء فيهن، على لفظ الغيبة؛ لتقدم ذكر الإنسان الذي هو اسم للجنس. وقرأ الباقون: بالتاء فيهن[٣]، على الخطاب من النبي ﷺ لمن أرسل إليه. على معنى: قل لهم يا محمد كذا وكذا.

وقرأ الكوفيون: "تَحَاضُّونَ" بألف قبل الضاد[٤]، ويمدُّون الألف لسكونها وسكون أول المشدد، أصله: يتحاضضون، أي: يحضّ بعضكم بعضاً ويحرّضه على إطعام المسكين، فحذفوا إحدى التائين طلباً للخفة، وأدغموا الضاد في الضاد.

قوله تعالى: ﴿ويأكلون التراث﴾ أي: تراث اليتيم، وهو ميراثه.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١١٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٤)، والكشف (٢/ ٣٧٤)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٤).

(٢) في الأصل: هناك. والتصويب من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٢١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٢)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٥).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٢)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٢)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٨)، والسبعة (ص:٦٨٥).

قال ابن قتيبة[1]: التراث: الميراث، والتاء فيه منقلبة عن واو، كما قالوا: تُجاه، والأصل: وُجَاه.

﴿أكلاً لمّاً﴾ شديداً.

قال الزمخشري[2]: أكْلاً ذا لَمّ، وهو الجمع من الحلال والحرام. يعني: أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم.

وقيل: كانوا لا يورِّثون النساء والصبيان، ويأكلون تُراثَهم مع تُراثِهم.

﴿ويحبون المال حباً جماً﴾ أي: يحبون جمعه حباً كثيراً مع الشَّرَه والحرص ومنع الحقوق.

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾
وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا
يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ
رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم عن ذلك.

ثم توعدهم وأخبرهم بما تؤول إليه حالهم من الحسرة، وتمني ما لا سبيل لهم إلى تداركه، من تقديم الإنفاق في سُبُل الخير والعمل الصالح فقال: ﴿إذا دكت

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٧).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٥٤).

الأرض دكاً دكاً﴾ أي: مرّة بعد أخرى[١] بالزلازل، حتى يتحطَّم ما عليها من شيء.

وقال ابن قتيبة[٢]: دُقَّت جبالها وأنشازُها حتى استوَت.

﴿وجاء ربك﴾[٣] مذكور في البقرة عند قوله: ﴿إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام﴾ [البقرة:٢١٠].

﴿والملك﴾ يريد: الملائكة ﴿صفاً صفاً﴾ أي: يأتي [أهل كل][٤] سماء صَفّاً على حِدَة.

[قال][٥] الضحاك: [يكونون][٦] سبعة صفوف[٧].

﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ قال مقاتل[٨]: يُجاء بها فتُقام عن يسار العرش.

[وأخرج][٩] مسلم في أفراده من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك

---

(١) في ب: مرة.

(٢) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٧).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿والملك﴾. وستأتي بعد.

(٤) في الأصل: كل أهل. والمثبت من ب.

(٥) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢١).

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٦٥).

(٩) في الأصل: أخرج. والمثبت من ب.

[يجرّونها][(١)]»[(٢)].

﴿يومئذ يتذكّر الإنسان﴾ أي: يتّعظ.

وقيل: يتذكّر ما فرّط فيه.

﴿وأنّى له الذكرى﴾ لا بد فيه من إضمار، تقديره: وأنّى لـه منفعـة الـذكرى. ولولا هذا الإضمار لتنافى صدر الآية وعجزها.

﴿يقول يا ليتني قدمت لحياتي﴾ [أي: قـدمت لحيـاتي][(٣)] هـذه، وهـي حيـاة الآخرة.

﴿فيومئذ لا يُعذب عذابه أحد﴾ أي: لا يُعذّب مثل عذاب الله أحد من الخلق ولا يستطيع ذلك.

﴿ولا يوثق وثاقه أحد﴾ وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمـرو عثمان بن مقبل الياسري للكسائي من جميع طرقه، ولعاصم من رواية المفضل عنه، وليعقوب الحضرمي: "يُعذَّبُ" و"يُوثَق"[(٤)] بفتح الـذال [والثـاء][(٥)]، والـضمير للإنسان، على معنى: لا يعـذب أحـد مثـل عذابـه، ولا يوثـق أحـد بالـسلاسل والأغلال مثل وثاقه.

ويجوز أن يكون المعنى: لا يحمل عذاب الإنسان أحدٌ سواه، كما قـال: ﴿ولا

(١) في الأصل: يجرنها. والتصويب من ب، وصحيح مسلم (٤/ ٢١٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ ح٢٨٤٢).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٣)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٣)، والكشف (٢/ ٣٧٣)، والنشر (٢/ ٤٠٠)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٥).

(٥) في الأصل وب: والتاء.

تزر وازرة وزر أخرى﴾ [الأنعام:١٦٤].

قوله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ قال ابن عباس: المطمئنة بالإيمان[١].

وقال مجاهد: الراضيةُ بقضاء الله، التي علمت أن ما أصابها لم يكن ليخطئها، وما أخطأها لم يكن ليصيبها[٢].

قال قتادة: الموقنة بما وعد الله[٣].

فإن قيل: متى يقال لها ذلك؟

قلتُ: عند خروجها من الدنيا[٤].

وفي الحديث[٥]: «أن هذه الآية قرئت عند النبي ﷺ فقال أبو بكر الصديق: إن

---

(١) ذكره الطبري (٣٠/ ١٩٢)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٦) كلاهما بلا نسبة.

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة (١٠/ ١٢٤-١٢٥) عن ابن عباس في قوله: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ أي: المؤمنة. وذكر أيضاً هذا المعنى: الماوردي (٦/ ٢٧٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٣)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥١٣) وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم.

(٤) في هامش ب: قلت: وقيل: يقال لها ذلك عند البعث. وقيل: عند دخولها الجنة. والقائل لها إما الله أو مَلَك.

(٥) في هامش ب: هو من مراسيل ابن جبير. ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم، وهو عنده عن ابن عباس بلفظ آخر وهو: "نزلت وأبو بكر جالس فقال: ما أحسن هذا؟ فقال: أما إنه سيقال لك هذا" هذا لفظه.

هذا لحَسَنٌ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: أما إن المَلَك سيقولها لك عند الموت»[١].

وقال عبدالله بن عمر: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله عز وجل ملكين وأرسل إليه بتُحفة من الجنة فيقال: أُخرجي أيتها النفس المطمئنة، أُخرجي إلى روحٍ وريحانٍ، وربٍ عنك راضٍ، فتخرجُ كأطيب ريح مسك وَجَدَه في أنفه[٢]. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقال عطاء وعكرمة والضحاك: يقال لها ذلك عند البعث، حين يأمر اللهُ الأرواحَ أن تعود إلى الأجساد[٣].

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "في جسد عَبْدِي"[٤]، وقراءة ابن عباس: "فادخلي في عَبِيدِي"[٥].

وقيل: يقال لها عند الموت: ارجعي إلى ربك، فإذا كان يوم القيامة قيل لها: فادخلي في عبادي وادخلي جنتي.

وقال الحسن: المعنى: ارجعي إلى ثواب ربك راضية بما أوتيت، مرضية عند

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٠)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٨٣-٢٨٤). وذكره السيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥١٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير.
قال ابن كثير (٤/ ٥١٢): وهذا مرسل حسن.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩١). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٣).

(٤) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٥٨).

(٥) انظر هذه القراءة في: الطبري (٣٠/ ١٩٢)، وزاد المسير (٩/ ١٢٤) وفيهما: "عبدي". ولم أجد ما ذكر المصنف من قراءة ابن عباس.

ربك[1].

﴿فادخلي في عبادي﴾ أي: في جملة عبـادي الـصالحين، منتظمـة في سـلكهم، ﴿وادخلي جنتي﴾ معهم. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٤).

سورة البلد

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي عشرون آية[1]. وهي مكية بإجماعهم.

لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾

قال الله تعالى: ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ وقرأ عكرمة ومجاهد وأبو عمران وأبو العالية: "لأقسم"[2]. وقد ذكرنا توجيه القراءتين في أول القيامة.

أقسم الله تعالى بالبلد الحرام، وهو مكة شرفها الله تعالى، وبما بعده، على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاقّ والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: ﴿وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾.

واختلفوا في معنى: "وأنت حِل"؛ فقال ابن عباس ومجاهد وجمهور المفسرين: المعنى: وأنت يا محمد في المستقبل من الزمان، ونظيره: ﴿إنك ميت

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٤).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٢٦).

وإنهم ميتون﴾ [الزمر:٣٠] حلال بهذا البلد، تصنع فيه ما تشاء، من قتل وأسر، فيكون خارجاً مخرج البشارة له، بأنه سيفتح عليه، فيكون [فيه](١) حِلاًّ، فظهر أثر ذلك يوم الفتح، وأحله له ساعة من النهار، فقتل ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، ومقيس بن صبابة، وغيرهما(٢). ثم قال: «إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي، ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار»(٣).

ويحتمل عندي على هذا القول: أن تكون الواو في "وأنْتَ" حاليّة، فيكون مُقْسِماً بالبلد الحرام على أكمل أوصافه، وأحسن أحواله، مُطهَّراً من الأصنام وعابديها، مُحَلًّى بزينة أهل الإيمان، فإنه لما ظهر النبي ﷺ على مكة وجد حول الكعبة ثلاثمائة وستين صنماً، فجعل يطعن فيها ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل، جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد»(٤)، وأذّن بلال على الكعبة رافعاً صوته بقوله: "أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله"، فنال منهم ذلك كل منال، وأعزّ الله دين الإسلام في ذلك اليوم، وأذلّ سلطان الشرك.

وقيل: المعنى: وأنت حِلٌّ عند المشركين، يستحلون أذاك وقتلك وإخراجك، ويحرّمون قتل الصيد.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٦) وعزاه لابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٥٦٧ ح٤٠٥٩).

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٨٧٦ ح٢٣٤٦) من حديث عبدالله بن مسعود.

فإن قيل: ما فائدة الاعتراض بقوله: ﴿وأنت حِلٌّ بهذا البلد﴾ على ما قاله المفسرون؟

قلتُ: فائدته على القول الأول: ما أشرتُ إليه من البشارة بأنه سيُفتح عليه هذا البلد العظيم، الذي وقع القسم به، ويَحكم فيه وعلى أهله بما يشاء.

وفائدته على القول الآخر: ذَمُّ المشركين حيث استحلوا مثل محمد ﷺ في بلد من شأنه أن الله أقسم به، والإعلام بأن مثله ﷺ في مثل هذا البلد الحرام ما خلا من مكابدة الشدائد، فيكون ذلك خارجاً مخرج التقرير والتحقيق لما أقسم الله عليه من خلق الإنسان في كبد.

فإن قيل: هلاّ اكتفى بالكناية عن البلد فقال: "وأنت حِلٌّ به"؟

قلتُ: كرره تفخيماً لشأنه[1]، كقول الشاعر:

لا أرَى الموتَ يسبقُ الموتَ شيء نَغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا[2]

قوله تعالى: ﴿ووالد وما ولد﴾ قال الحسن ومجاهد وقتادة: آدم وذريته[3].

وقال أبو عمران الجوني: إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما[4].

---

(١) قوله: "لشأنه" ساقط من ب.

(٢) تقدم.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٥٨)، والطبري (٣٠/ ١٩٥-١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٩) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير عن قتادة. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه الطبراني (٣٠/ ١٩٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣) ولفظها: إبراهيم وما ولد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥١٩) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم. ولفظه كلفظ ابن أبي حاتم.

قال بعض العلماء(١): فيكون قد أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرمُ أبيه إبراهيم، ومنشأ أبيه إسماعيل، وبمن ولده وبه.

وقيل: هو عام في كل والد وما ولد(٢).

وقوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾ جواب القسم، وهو اسم جنس، عند ابن عباس وعامة المفسرين(٣).

وقال مقاتل(٤): نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنه أذنب ذنباً، فاستفتى رسول الله ﷺ، فأمره أن يُكفّر فقال: لقد ذهب مالي في النفقات والكفارات منذ دخلت في دين محمد.

وقال ابن زيد: آدم عليه السلام(٥).

وقال الحسن: يعني: أبا الأشدين(٦)، وهو رجل من بني جمح، كان كثير المال، شديد القوة، عظيم الخَلْق، يظن لذلك أن لن يقدر عليه الله ولا يُعاقبه.

وقيل: الوليد بن المغيرة(٧).

---

(١) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٨).

(٢) وهو اختيار الطبري (٣٠/ ١٩٦) قال: لأن الله عمّ كل والد وما ولد، وغير جائز أن يخص ذلك إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولا خبر بخصوص ذلك ولا برهان يجب التسليم له بخصوصه، فهو على عمومه كما عمّه.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٨).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩).

(٦) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٨).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩) حكاية عن الثعلبي.

والصحيح: الأول، وأنه اسم جنس.

ولا منافاة بين ذلك وبين [النزول على](١) ما نُقل من السبب.

وقوله: ﴿في كبد﴾ من قولهم: كَبِدَ الرجل كَبَداً فهو أكْبَد؛ إذا وجِعتْ كبدُه وانتفخَت(٢)، فاتُّسعَ فيه حتى استُعمل في كل تعبٍ ومشقة، ومنه اشتُقَّت: المكابدة، وأنشدوا قول لبيد:

يا عينُ هلاّ بكيتِ أَرْبَدَ إذْ [قُمْنَا](٣) وقَامَ الخُصُومُ في كَبَد(٤)

أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.

قال عمر رضي الله عنه: يُكابد الشكر على السراء، والصبر على الضراء؛ لأنه لا يخلو من أحدهما(٥).

وقال الحسن: لا أعلم خليقة تُكابد من الأمر ما يُكابد هذا الإنسان(٦)، لا يزال يُكابد أمراً حتى يُفارق الدنيا(٧)، وهو مع ذلك أضعف الخلق.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) انظر: اللسان (مادة: كبد).

(٣) في الأصل: قنا. والتصويب من ب. وانظر: مصادر البيت.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة، من قصيدة يرثي بها أخاه أربد. وهو في: اللسان (مادة: كبد، عدل)، والخصائص (٢/ ٢٠٥، ٣/ ٣١٨)، والأغاني (١٧/ ٦٠، ٦٨)، والعين (٥/ ٣٣٣)، والطبري (٣٠/ ١٩٨)، والقرطبي (٩/ ٢٩٧، ٢٠/ ٦٢)، والماوردي (٦/ ٢٧٦)، والبحر (٨/ ٤٦٨)، والدر المصون (٦/ ٥٢٥).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٦) عن ابن عمر، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٢٩) عن الحسن.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ١٩٧)، وابن المبارك في الزهد (ص:٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٠) وعزاه لابن المبارك.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٨٩).

وقال في رواية أخرى: يكابد مضايق الدنيا، وشدائد الآخرة[(١)].

قوله: ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ أي: أيظن الذي نزل ما نزل بسببه - وهو الحارث-، أن لن يقدر عليه أحد.

قال قتادة: أيظن أني لا أسأله عن هذا المال من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟[(٢)].

أو هو أبو الأشدين، على معنى: أيظن هذا الصنديد الشديد لاستحكام خلقه، واشتداد قوته، أني لا أقدر على الانتقام منه[(٣)].

[وكان][(٤)] يقوم على الأديم العكاظي ويقول: من أزالني عنه فله كذا، فلا يُنزع إلا قَطْعاً، ويبقى موضع قدميه[(٥)].

﴿يقول أهلكت مالاً لبداً﴾ يريد: كثرة ما أنفقه.

قال ابن قتيبة[(٦)]: هو المال المتلبد، كأن بعضه على بعض.

وقرأ أبو بكر الصديق وعائشة وأبو عبد الرحمن وقتادة: "لُبَّداً" بتشديد الباء. وبها قرأتُ لأبي جعفر[(٧)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٠) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٦)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٠).

(٣) انظر: الطبري (٣٠/ ١٩٨).

(٤) في الأصل: وكا. والتصويب من ب.

(٥) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٥٩).

(٦) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٨).

(٧) النشر (٢/ ٤٠١)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩). وانظر: زاد المسير (٩/ ١٣١).

وقرأ عثمان بن عفان والحسن ومجاهد: بضم الباء واللام من غير تشديد[١].

وقرأ علي وأبو الجوزاء: بكسر اللام وفتح الباء مخففة[٢].

وقرأ أبو عمران وأبو المتوكل: "لُبْداً" بتخفيف الباء وتسكينها[٣].

فقراءة الجمهور جمع: لُبْدَة، بضم اللام، وقراءة الصِّدِّيق ومن تابعه جمع: لابد، مثل: راكع ورُكَّع، وقراءة عثمان ومن وافقه جمع: لبُود، وقراءة علي رضي الله عنهم أجمعين جمع: لِبَدَة، بكسر اللام.

فإن قلنا: هو الحارث، فالمعنى ظاهر على ما ذكرناه من قوله في سبب النزول.

وإن قلنا هو أبو الأشدين، فالمعنى: يقول أهلكت مالاً لبداً في عداوة محمد.

﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ حين أنفق ما أنفق حتى يُكذّب ويتزيّد في قوله: لقد [ذهب][٤] مالي في النفقات، وفي[٥] عداوة محمد، كأنه كان يفتخر بذلك، ويتّخذ به يداً عند المشركين.

وهذا [التقرير][٦] والتحرير وتهذيب المعاني على مُساوقة الأقوال، وكيفية ارتباط الاعتراض بقوله: "وأنت حِلٌّ" بالقسم وجوابه، وتحرير كون الواو في "وأنت حِلٌّ" حاليّة، فلا يكون حينئذ اعتراضاً، كل ذلك مما عقلْتُه فقلته، لا مما وجدته فنقلته.

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩). وانظر: زاد المسير (٩/ ١٣١).

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٣١).

(٣) مثل السابق.

(٤) في الأصل: هب. والتصويب من ب.

(٥) في ب: أو في.

(٦) في الأصل: التقدير. والمثبت من ب.

ثم ذكّره الله سبحانه وتعالى نِعَمَهُ عليه ليعتبر، فذلك قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما المرئيات.

﴿ولساناً وشفتين﴾ يُترجم بهما عن ضميره، ويستعين بهما على كثير من مصالحه.

﴿وهديناه النجدين﴾ سبيل الخير والشر[1].

وقيل: الثديين[2]. على معنى: ألهمناه الارتضاع منهما. والقولان عن ابن عباس.

والأول قول علي عليه السلام، والحسن البصري، وجمهور المفسرين. والثاني قول سعيد بن المسيب والضحاك وقتادة[3].

فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى
يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ
ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ
مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٠). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٢).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٢٢) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن أبي حاتم من طرق عن ابن عباس.

(٣) انظر: الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤).

قوله تعالى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ الاقتحام: الدخول بشدة. وقد فسرناه في صاد[١].

والعقبة: مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان.

وقال الحسن: عقبةٌ والله شديدةٌ، مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوّه الشيطان[٢]. وهذا معنى قول قتادة وابن زيد وكثير من المفسرين، وإليه ميلُ أهل المعاني.

وللمفسرين في العقبة أقوال:

أحدها: [أنها][٣] جبل في جهنم. قاله ابن عمر[٤].

الثاني: سبعون [دركة][٥] في جهنم. قاله كعب الأحبار[٦].

الثالث: عقبة دون الجسر. يُروى عن الحسن[٧].

فإن قيل: العرب لا تكاد تتكلم بصيغة "لا" الداخلة على الماضي إلا مكررة، كقوله: ﴿فلا صدّق ولا صلى﴾ [القيامة:٣١]، فما لها لم تتكرر هاهنا؟

---

(١) عند الآية رقم: ٥٩.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٧٨).

(٣) في الأصل: أنه. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٤)، وابن أبي شيبة (٧/ ١١٨ ح٣٤٦٤٠). وذكره السيوطي (٨/ ٥٢٢) وعزاه لابن أبي شيبة والطبري وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: درجة. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٣) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٤).

قلتُ: هي مكررة في المعنى؛ لأن معنى: ﴿فلا اقتحم العقبة﴾: لا فَكَّ رقبة، ولا أطْعَمَ مسكيناً. فكأنه قال: لا فعل ذا ولا ذا ولا ذا. قاله الفراء والزمخشري[(١)]، وأشار إليه الزجاج[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ قال سفيان بن عيينة: كل ما فيه "وما أدراك" فقد أخبره به، وكل ما فيه "وما يدريك" فإنه لم يخبره به[(٣)].

قوله تعالى: ﴿فَكُّ رقبة﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: "فَكَّ" بفتح الكاف، "رقبةً" بالنصب، "أو أطْعَمَ" على صيغة الفعل الماضي، على الإبدال من قوله: "اقتحم العقبة". وقرأ الباقون: "فَكُّ" بضم الكاف، "رقبةٍ" بالجر على الإضافة، "أو إطعامٌ"[(٤)]، على معنى: هي فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة.

ومعنى فك الرقبة: تخليصها من أسْر الرقّ.

وفي الحديث: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! علمني عملاً يُدخلني الجنة. قال: إن كنت أقصرت الخطبة، لقد أعرضت المسألة، أعتق النسمة وفكّ الرقبة. فقال: أو ليسا واحداً؟ قال: لا، عتق النسمة: أن تنفرد بعتقها. وفك الرقبة: أن تُعين في ثمنها»[(٥)].

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٦٥)، والكشاف (٤/ ٧٥٩).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٩).

(٣)ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٤).

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٤)، والكشف (٢/ ٣٧٥)، والنشر (٢/ ٤٠١)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٦).

(٥) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٢٣٦ ح٢٨٦١)، والدارقطني (٢/ ١٣٥ ح١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢٤٠): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

قوله تعالى: ﴿ذي مسغبة﴾ أي: مجاعة.

ووصف اليوم بالمجاعة نحو قولهم: همٌّ ناصبٌ، وليلٌ نائمٌ، ونهارٌ صائمٌ.

وقرأ الحسن وأبو رجاء: "ذا مسغبة"[١]، على معنى: أطعم في يوم من الأيـام شخصاً ذا مجاعة.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من موجبات المغفرة: إطعام السغبان»[٢].

قوله تعالى: ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ أي: ذا قرابة.

قال الزجاج[٣]: تقول: زيد ذو قرابتي، وذو مقربتي. وزيد قرابتي قبيح؛ لأن القرابة: المصدر. قال الشاعر:

يبكْي الغريبُ عليه ليسَ يعرفُه وذوا قَرابتِهِ في الحيِّ مسرُور[٤]

﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ يقال: تَرِبَ الرجل؛ إذا افتقر، وأترب؛ إذا استغنى، أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة[٥].

والمعنى هاهنا: قد لصق بالتراب من فقره وضُرّه.

قال ابن عباس: هو المطروحُ في التراب لا يقيه شيء[٦].

---

(١) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٣٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٧٠ ح٣٩٣٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٢١٦ ح٣٣٦٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٢٩-٣٣٠).

(٤) انظر البيت في: روح المعاني (٨/ ١٤٣، ٣٠/ ١٣٨)، والإصابة (٥/ ١١٥).

(٥) انظر: اللسان (مادة: ترب).

(٦) أخرجـه الحـاكم (٢/ ٥٧٠)، والطـبري (٣٠/ ٢٠٤)، وابـن أبي حـاتم (١٠/ ٣٤٣٥). وذكـره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٥) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جريـر وابـن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم.

وقال مجاهد: المطروح في الطريق ليس له بيت[١].

وقال الضحاك: كثير العيال[٢].

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري قراءة عليه وأنا أسمع في ذي القعدة سنة تسع وستمائة بجامع دمشق قال: أخبرنا أبو محمد عبدالكريم بن حمزة بن الخضر السلمي الحداد، أخبرنا أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الكتاني الحافظ، أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن الجنيد الرازي الحافظ، حدثنا يوسف بن القاسم [بن][٣] سوار، أخبرنا علي بن العباس بن الوليد المقانعي، حدثنا [الحسين][٤] بن نصر بن مزاحم، حدثنا خالد بن عيسى العكلي، عن حصين بن أبي عبدالرحمن، عن مسعر بن كدام، عن أشعث بن أبي الشعثاء، عن رجاء بن حيوة، عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تبخلن على إخوانكم بذات [أيديكم][٥]، يُمسك الله ما في يديه عنكم، فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، فلا تمنعوهم المعونة بأنفسكم، أو المشي في حوائجهم، فيحجب الله دعاءكم، فإن من القرابة القريبة غداً عند الله والزلفى لديه: إطعام الرجل منكم أخاه الجائع السغبان، ومن الوسيلة إلى ربكم غداً: أن يكسو أحدكم أخاه ثوباً، فيكسوه الله عز وجل من خضر الجنة غداً،

(١) أخرجه الحاكم (٣٠/ ٢٠٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد. وانظر: تفسير مجاهد (ص:٧٦٠-٧٦١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٦).

(٣) زيادة من ب.

(٤) في الأصل و ب: الحسن. والتصويب من الفوائد (٢/ ١٧٨).

(٥) في الأصل: أيدكم. والتصويب من ب.

وإن من مقدمات الخير بكم إلى ربكم أن يسقي أحدكم أخاه، ويرويه من الماء البارد، يسقيه الله عز وجل من الرحيق المختوم، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾»[١].

قوله تعالى: ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾[٢] فيه إعلام أنَّ فَكَّ الرقبة وإطعامَ الجائع، إنما ينفع مع الإيمان والعمل الصالح، وهو أداء الفرائض.

﴿وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله وعن معصيته ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالعطف والتراحم فيما بينهم.

وقيل: بما يؤدي إلى الرحمة، وهو الثبات على الإيمان وشرائعه.

﴿أولئك﴾ الذين هذه صفتهم ﴿أصحاب الميمنة﴾ مُفسّر في الواقعة[٣]، وكذلك ﴿أصحاب المشأمة﴾.

قوله تعالى: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ قرأ أبو عمرو وحمزة وحفص: "مُؤْصَدَة" بالهمز.

وقرأ الباقون بغير همز[٤]، ومثله في الهُمَزَة[٥].

فمن جعله من قولهم: آصَدتُ الباب، أي: أطبقته، فهو أفْعَلْتُ، وفاء الفعل

---

(١) أخرجه تمام الرازي في كتاب الفوائد (٢/ ١٧٨).

(٢) في الأصل و ب زيادة قوله: ﴿وعملوا الصالحات﴾ وهو خطأ. وموضعها في سورة العصر.

(٣) عند الآية رقم: ٧ و ٨.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٥-١٢٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٦)، والكشف (٢/ ٣٧٧)، والنشر (١/ ٣٩٥)، والإتحاف (ص:٤٣٩)، والسبعة (ص:٦٨٦).

(٥) عند الآية رقم: ٨.

فيه همزة ساكنة، أُبدل منها ألف، فتثبت همزة في [اسم][1] المفعول، وهو "مؤصدة"، أي: مُطْبَقَة.

ومن لم يهمز جعله من: أوصدتُ الباب، بمعنى: أطبقته أيضاً، ففاء الفعل في هذه اللغة واو، فلا يهمز [اسم][2] المفعول، إذ لا أصل له في الهمز. ويؤيد ذلك: إجماعهم على ترك الهمز في قوله: ﴿بالوصيد﴾ [الكهف:١٨]، ولو كان من المهموز لكان: "بالأصيد"، فهما لغتان بمعنى.

ويجوز على قراءة من لم يهمز: أن يكون قد أبدل من الهمزة واواً؛ لانضمام ما قبلها على أصل تخفيف الهمزة الساكنة.

قال مقاتل[3]: أبوابُها عليهم مُطبقة، فلا يُفتح لها باب، ولا يخرج منها غم، ولا يدخل فيها روح آخر الأبد. والله أعلم.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: واسم. والتصويب من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٧).

سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس عشرة آية مكية[1].

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠

قال الله تعالى: ﴿والشمس وضحاها﴾ أقسم الله تعالى بجرم الشمس، وبضوئها إذا [أفرط][2] في الاستنارة، وذلك عند ارتفاع الشمس.

وقيل: الضَّحْوُ: ارتفاع النهار، والضُّحى فوق ذلك.

والضَّحاء -بالفتح والمد-: إذا امتد النهار وَكَرَبَ[3] أن [ينتصف][4].

قوله تعالى: ﴿والقمر إذا تلاها﴾ قال مجاهد: ساواها[5].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٥).

(٢) في الأصل: فرط. والتصويب من ب.

(٣) في هامش ب: كرب معناه: قرب.

(٤) في الأصل: يتنصف. والمثبت من ب. وانظر: اللسان (مادة: ضحا).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

قال الزجاج[١]: إذا استدار، فكان يتلو الشمس في الضياء والنور.

قال غيره: وذلك في الليالي البيض.

وقال ابن عباس وجمهور المفسرين: تلاها بمعنى: تبعها[٢].

ثم في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه في النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس، تلاها القمر في الإضاءة. قاله ابن زيد[٣].

الثاني: أنه أول ليلة من الشهر إذا سقطت الشمس يُرى القمر عند سقوطها. قاله قتادة[٤].

الثالث: أنه في الخامس عشر [من][٥] الشهر يطلع القمر مع غروب الشمس. قاله الطبري[٦].

قوله تعالى: ﴿والنهار إذا جلاها﴾ الكناية للشمس، والنهار يُجَلِّيها غاية التَّجَلِّي

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣١).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨) عن مجاهد، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٦)، والحاكم (٢/ ٥٧١ ح٣٩٣٨) كلاهما عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٨، ٥٢٩) وعزاه للحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس. ومن نفس الطريق من رواية عكرمة عزاه لابن أبي حاتم. ومن طريق آخر عن مجاهد، وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٠٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٩) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: في. والتصويب من ب.

(٦) تفسير الطبري (٣٠/ ٢٠٨). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

عند انبساطه وارتفاعه. وهذا قول مجاهد[١].

وقال جمهور المفسرين: الكناية للظلمة.

قال الزجاج[٢]: المعنى يدل على الظلمة وإن لم يَجْرِ لها ذكْر، كما تقول: أصبحتْ باردةً، تريد: أصبحتْ غَداتُنا باردة.

قوله تعالى: ﴿والليل إذا يغشاها﴾ أي: إذا يغشى الشمس فتغيب وتُظلم الآفاق.

قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ و"ما" هاهنا موصولة، وكذلك: "وما طحاها، وما سواها".

قال عطاء: يريد: الذي بناها[٣].

وقال ابن السائب: ومن بناها[٤]. وهو مذهب عامة المفسرين واللغويين.

ويؤيده قراءة أبي عمران: "ومن بناها، ومن طحاها، ومن سواها"[٥]. وقد قررنا هذا في غير موضع.

وقال الفراء والزجاج[٦]: "ما" مصدرية، تقديره: والسماء وبنائها، والأرض وطحوها.

---

(١) وهو اختيار الطبري (٣٠/ ٢٠٨). ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٨).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢).

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥).

(٤) مثل السابق.

(٥) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢).

قال صاحب الكشاف[١]: وليس بالوجه؛ لقوله: ﴿فألهمها﴾، وما يؤدي إليه من فساد النظم.

قوله تعالى: ﴿والأرض وما طحاها﴾ قال أبو عبيدة[٢]: طحاها: بسطها من كل جانب.

قال ابن قتيبة[٣]: يقال: [خيرٌ][٤] طاحٍ، أي: كثيرٌ متّسع.

قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها﴾ قال الحسن: يريد: نفس آدم[٥].

وقال عطاء: يريد: جميع ما خلق من الجن والإنس[٦]. وهو الصحيح؛ لدلالة ما بعده من التفصيل بقوله: "قد أفلح"، "وقد خاب" عليه.

قال صاحب الكشاف[٧]: إن قلت: لم نكّرت النفس؟

قلتُ: فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد نفساً خاصة من بين النفوس، وهي نفس آدم، كأنه قال: وواحدة من النفوس.

والثاني: أن يريد كل نفس، ويُنكَّرُ للتكثير، على الطريقة المذكورة في قوله:

---

(١) الكشاف (٤/ ٧٦٢).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٠).

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٢٩).

(٤) في الأصل و ب: خبر. والتصويب من زاد المسير (٩/ ١٣٩).
وفي تفسير غريب القرآن: حيٌّ.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٣٩).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٦٣).

﴿علمت نفس﴾ [التكوير:١٤].

وقد حُكيت في قوله: ﴿علمت نفس﴾ فاطلبه هناك.

وقد سبق معنى التسوية في قوله: ﴿فسواك فعدلك﴾ [الانفطار:٧].

قوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ الإلهام في اللغة: إيقاع الشيء في النفس.

قال ابن زيد: جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور[١].

وهذا هو التفسير الذي تقتضيه لغة العرب، وهو اختيار الزجاج والواحدي وأبي الفرج ابن الجوزي[٢].

ويؤيده ما روي في الحديث: «أن النبي[٣] ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية رفع صوته قائلاً: اللهم! ألهم نفسي تقواها، أنت [وليها][٤] ومولاها، وأنت خير من زكّاها»[٥].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٠). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٠).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٢)، والوسيط للواحدي (٤/ ٤٩٥)، وزاد المسير لابن الجوزي (٩/ ١٤٠).

(٣) في ب: رسول الله.

(٤) في الأصل: ولويها. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٠٦ ح ١١١٩١)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٣٨): "إسناد حسن". وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٩) وعزاه للطبراني وابن المنذر وابن مردويه.
وأصله عند مسلم (٤/ ٢٠٨٨ ح٢٧٢٢) بلفظ: «... اللهم آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليها ومولاها».

وقال ابن عباس في رواية ابن أبي طلحة: بَيَّنَ لها الخير والشر[١].

وقال في رواية أبي صالح: عَرَّفَها ما تأتي وما تتّقي[٢].

وقال مجاهد: أَعْلَمَها[٣].

وجواب القسم: "قد أفلح". والمعنى: لقد أفلح، ولكن اللام حُذفت؛ لأن الكلام طال، فصار طوله عوضاً منها[٤].

وقال ابن الأنباري: جوابه محذوف[٥].

قال غيره[٦]: تقديره: ليُدَمْدِمَنَّ الله عليهم لتكذيبهم رسول الله، كما دَمْدَمَ على ثمود لتكذيبهم صالحاً. وأما "قد أفلح" فكلامٌ تابعٌ لقوله: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم في شيء.

وقال ابن عباس: معناه: قد أفلحت نفس زكاها الله تعالى، وأصلحها وطهّرها. والمعنى: وفّقها للطاعة. وقد خابت نفسٌ أضلّها الله وأغواها[٧].

وقال الحسن وقتادة وابن قتيبة[٨]: المعنى: قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٢٨) وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٥).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٣).

(٤) هو قول الزجاج في معانيه (٥/ ٣٣١).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤١).

(٦) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٤).

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٧).

(٨) تفسير غريب القرآن (ص: ٥٣٠)، وتأويل مشكل القرآن (ص: ٣٤٤).

وصالح الأعمال[1].

﴿وقد خاب من﴾ أثمها وفجرها، و﴿دسّاها﴾ أصله: دسّسها، من التدسيس، وهو إخفاء الشيء، فأبدلوا من السين الثانية تاء، كما قال:

.... تَقَضِّي البَازي إذا البازي كَسَرْ[2]

ومعناه: تقضّض، فكأن المتنظف بارتكاب الفواحش دَسَّ نفسه وقمعها، ومصطنع المعروف شَهَرَ نفسه ورفعها.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

قوله تعالى: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ الباء هاهنا مثلها في قولك: كتبت بالقلم، وضربت بالسيف. والطَّغْوى: اسم من الطغيان، كالدعوى من الدعاء.

[قال][3] الزجاج[4]: أصل طغواها: طغياها. وفَعْلَى إذا كانت من ذوات الياء، أُبدلت في الاسم واواً؛ لتفصل بين الاسم والصفة، تقول: هي التقوى، وإنما هي: من تقيت، وقالوا: امرأة خزياً؛ لأنه صفة.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١١). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٤) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤١).

(٢) تقدم.

(٣) في الأصل: وقال. والمثبت من ب.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

وقال الفراء[١]: أراد بطغواها: طغيانها، وهما مصدران، إلا أن الطغوى أشكلُ برؤوس الآيات، فاختير لذلك.

وروى عطاء الخراساني عن ابن عباس قال: اسمُ العذاب الذي جاءها: الطغوى، فقال: ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ أي: بعذابها[٢].

وقرأ الحسن: "بطُغواها" بضم الطاء[٣]، كالحُسنى والرُّجعى في المصادر.

قوله تعالى: ﴿إذ انبعثَ﴾ أي: انتدب، وهو منصوب بـ"كذبت" أو "بطغواها"، ﴿أشقاها﴾ قدار بن سالف عاقر الناقة، أشقى الأولين، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال لعلي عليه السلام: «من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت. قال: من[٤] أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله، قال: الذي ضربك على هذه، وأشار بيده إلى يافوخه»[٥].

وفي لفظ آخر: «الذي يخضب منك هذه من هذه، ووضع يده على قرنه ولحيته»[٦].

قوله تعالى: ﴿ناقةَ الله﴾ نصب على التحذير[٧]، كقولك: الأسدَ الأسدَ.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير.

(٣) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٠).

(٤) في ب: فمن.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٣٨ ح٧٣١١)، وأبو يعلى في مسنده (١/ ٣٧٧ ح٤٨٥).

(٦) أخرجه البزار (٤/ ٢٥٤ ح١٤٢٤). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٤٩٩).

(٧) انظر: التبيان (٢/ ٢٨٧)، والدر المصون (٦/ ٥٣٢).

وقال الزجاج(١): هو منصوب، على معنى: ذروا ناقة الله، كما قال: ﴿هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله﴾ [الأعراف:٧٣].

قال الفراء(٢): ﴿وسقياها﴾ عطف على: "ناقة الله"، وهي شربها من الماء. على معنى: لا تتعرّضوا للماء يوم شربها.

﴿فكذبوه﴾ فيما حذرهم منه من نزول العذاب إن فعلوا ﴿فعقروها﴾ مذكور في الأعراف(٣).

﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها﴾ قال عطاء ومقاتل(٤): فدمّر عليهم ربهم.

قال [المؤرج](٥): الدَّمْدَمَة: إهلاك باستئصال(٦).

وقال الزجاج(٧): معنى: دَمْدَمَ عليهم: أطبق عليهم العذاب، يقال: [دَمَّمْتُ](٨) على الشيء؛ إذا أطبقتُ عليه، فإذا كررت الإطباق قلت: دَمْدَمْتُ عليه(٩).

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٢) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٦٨)، والوسيط (٤/ ٤٩٩).

(٣) عند الآية رقم: ٧٧.

(٤) ذكره مقاتل في تفسيره (٣/ ٤٨٩)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٠).

(٥) في الأصل: المؤرخ. والمثبت من ب.

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٣).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٣).

(٨) في الأصل: دمت. والمثبت من ب.

(٩) انظر: اللسان (مادة: دمم).

والمعنى: فسوّى الدمدمة عليهم وعمّهم، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم.

وقال مقاتل(١): سوى بيوتهم على قبورهم، وكانوا قد حفروا قبوراً فاضطجعوا فيها، فلما صِيح بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم، فوقعت على قبورهم.

قوله تعالى: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: عاقبتَها وتبعتَها.

قرأ نافع وابن عامر: "فلا يخاف" وكذلك هي في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون: بالواو(٢)، وكذلك هي في مصاحف أهل مكة والكوفة والبصرة.

والمعنى: لا يخاف الله عقبى الدمدمة أو التسوية أو الفعلة.

قال ابن عباس والحسن: لا يخاف الله من أحد تَبِعَةً في إهلاكهم(٣).

فعلى هذا القول: الواو في "ولا يخاف" حالية، والحال من الضمير المرفوع في ["فسواها" أو من "فدمدم".

وقال الضحاك والسدي وابن السائب: لا يخاف الذي عقرها عقبى ما صنع(٤).

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٢٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٦)، والكشف (٢/ ٣٨٢)، والنشر (٢/ ٤٠١)، والإتحاف (ص:٤٤٠)، والسبعة (ص:٦٨٩).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) عن ابن عباس والحسن.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٥-٢١٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٤)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٣١) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. ومن طريق آخر عن الضحاك، وعزاه لابن جرير.

فعلى هذا الحال: من الضمير المرفوع في][1] "فعقروها" أي: عقرها غير خائف، ونسب الفعل إلى الجميع؛ لرضاهم به وتماليهم عليه، أو يكون التقدير: انبعث أشقاها وهو لا يخاف.

وقال قوم: المعنى: ولا يخاف رسول الله ﷺ صالح عقباها.

فعلى هذا الحال منه. ويجوز أن تكون الواو مقحمة.

ومن قرأ بالفاء كان التقدير -على قول ابن عباس-: فسوّاها الله فلا يخاف عقباها.

وعلى قول الضحاك: فكذبوه فعقروها فلا يخاف العاقر عقباها.

وعلى القول الثالث: يكون قد تبع قول الرسول عدم خوفه من عقبى مقالته أو نذارته.

والوجه الأول: هو الوجه الصحيح. والله تعالى أعلم.

---

(١) زيادة من ب.

سورة الليل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي إحدى وعشرون آية مكية(١).

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ
سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾

قال الله تعالى: ﴿والليل إذا يغشى﴾ قال ابن عباس: يغشى بظلمته النهار(٢).

وقال الزجاج(٣): يغشى الأفق، ويغشى جميعَ ما بين السماء والأرض.

﴿والنهار إذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل.

قال قتادة: هما آيتان عظيمتان يُكورهما الله تعالى على الخلائق(٤).

قوله تعالى: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ القول في "ما" هاهنا كالقول في ﴿وما بناها﴾ [الشمس:٥].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٦).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٥).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٥).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٧). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠١).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم أحمد بن عبدالله السلمي وأبو الحسن علي بن أبي بكر البغداديان قالا: أخبرنا عبدالأول بن عيسى بن شعيب، أخبرنا أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي، أخبرنا محمد بن يوسف الفربري، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، حدثنا قبيصة بن عقبة[١]، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: «دخلتُ في نفر من أصحاب عبد الله الشام، فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم. قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إليّ، فقال: اقرأ، فقرأت: ﴿والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى * والذكر والأنثى﴾ قال: أنت سمعتها من صاحبك؟ قلت: نعم. قال: وأنا سمعتها من فِيّ النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا»[٢].

قال البخاري: وحدثنا عمر قال: حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: «قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا. قال: فأيكم أحفظ، فأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿والليل إذا يغشى﴾؟ قال علقمة: ﴿والذكر والأنثى﴾ قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرؤها كذا، وهؤلاء يريدوني على أن أقرأ: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾، والله لا أتابعهم»[٣].

---

(١) قبيصة بن عقبة بن محمد بن سفيان بن عقبة بن ربيعة بن جنيدب بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة السوائي، أبو عامر الكوفي، كان ثقةً صدوقاً كثير الحديث، مات سنة خمس عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ٨/ ٣١٢، والتقريب ص:٤٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٩ ح٤٦٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٨٨٩ ح٤٦٦٠).

وفي المراد بالذكر والأنثى قولان:

أحدهما: أنه آدم وحواء. قاله الأكثرون.

والثاني: أنه عام. حكاه الماوردي[1].

وجواب القسم: ﴿إن سعيكم لشتى﴾.

قال ابن عباس: إن أعمالكم لمختلفة؛ عملٌ للجنة، وعملٌ للنار[2].

وقال الزجاج[3]: سعيُ المؤمن والكافر مختلف، بينهما بُعْد.

وفي سبب نزول هذه السورة قولان:

أحدهما: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأُبيّ بن خلف ببردةٍ وعشر أَوَاق، فأعتقه [لله][4] عز وجل، فأنزل الله عز وجل هذه السورة إلى قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني: سعي أبي بكر وأمية وأُبيّ. قاله عبد الله بن مسعود[5].

الثاني: أن رجلاً كانت له نخلة، فَرْعُها في دار رجل فقير ذي عيال، وكان الرجل إذا صعد النخلة يجتنيها، ربما سقطت منه التمرة فيأخذها صبيان الفقير، فينزل الرجل من نخلته فيأخذ التمرة من أيديهم، فإن وجدها في فم أحدهم أدخل أصبعه في فيه حتى يخرجها، فشكا ذلك الرجل إلى النبي ﷺ صاحب النخلة، فقال

(١) تفسير الماوردي (٦/ ٢٨٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٢).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٥).

(٤) في الأصل: الله. والتصويب من ب.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠). وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٤-٥٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

له النبي ﷺ: تُعطني نخلتك التي في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة، فقال الرجل: إن لي نخلاً وما فيه نخلة أعجبُ إليّ منها، ثم ذهب الرجل، فقال رجل ممن سمع ذلك الكلام: يا رسول الله! أتعطيني نخلة في الجنة إن أنا أخذتها؟ قال: نعم، فذهب الرجل فلقي صاحب النخلة، فساومها منه، فقال [له][1]: أشعرت أن محمداً ﷺ أعطاني بها نخلة في الجنة؟ فقلت له: ما لي نخلة أعجب إليّ منها، فقال له: أتريد بيعها؟ قال: لا، إلا أن أعطى بها ما لا أظنه أعطى، قال: ما مُناك؟ قال: أربعون نخلة، فقال: أنا أعطيك أربعين نخلة، وأشهد له أناساً، [ثم ذهب][2] إلى رسول الله ﷺ فقال: إن النخلة قد صارت في ملكي وهي لك، فذهب رسول الله ﷺ إلى صاحب الدار فقال: النخلة لك ولعيالك، فأنزل الله عز وجل: ﴿والليل إذا يغشى﴾ إلى قوله: ﴿إن سعيكم لشتى﴾[3].

وقال عطاء: الذي اشتراها من الرجل: أبو الدحداح، أخذها بحائط له[4].

وهذا يُوهم أن السورة مدنية؛ لأن أبا الدحداح أنصاري حليف لهم، وقصته مدنية بغير شك، غير أن المنقول في التفاسير أنها مكية، ولم أرهم ذَكَروا في ذلك خلافاً. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ قال ابن مسعود وجمهور المفسرين: هو

---

(١) زيادة من ب.

(٢) في الأصل: فذهب. والمثبت من ب.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٣٩-٣٤٤٠) عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٢-٥٣٣) وعزاه لابن أبي حاتم بسند ضعيف عن ابن عباس. وانظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٧٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٧-١٤٨).

أبو بكر الصديق[(١)].

قال ابن عباس: أعطى من فضل ماله[(٢)].

وقال الحسن: أعطى الصدق من قلبه[(٣)].

"واتقى": قال ابن عباس: اتقى ربه[(٤)].

وقال مجاهد: اتقى البخل[(٥)].

﴿وصدق بالحسنى﴾ أي: بالخصلة الحسنى.

قال ابن عباس في رواية عطية: صدّق بلا إله إلا الله[(٦)].

وقال في رواية عكرمة: صدّق بالخلف[(٧)].

---

(١) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٢١)، والماوردي (٦/ ٢٨٧)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٨).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢١-٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٤٩).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لابن جرير.

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢١٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٢٢ ح١٠٨٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن جرير والبيهقي في شعب الإيمان من طريق عكرمة عن ابن عباس.

وقال مجاهد: صدّق بالجنة[١].

وقال قتادة: صدّق بالثواب على عمله[٢].

﴿فسنيسره لليسرى﴾ أي: فسنهيؤه ونُوفّقه ونُسهّل عليه أسباب الخير، حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه.

قال عروة بن الزبير: أعتق أبو بكر على الإسلام قبل أن يهاجر من مكة ست رقبات، بلال سابعهم، عامر بن فهيرة شهد بدراً وأحداً، وقتل يوم بئر معونة شهيداً، وأم عُبيس، وزِنِّيرَة، فأُصيب بصرها حين أعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: وبيت الله ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان، فردّ الله إليها بصرها، وأعتق النهديّة وابنتها، [وكانتا][٣] لامرأة من بني عبدالدار، فمرّ بهما وقد بعثتهما سيدتهما تطحنان لها وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: [حل][٤] يا أم فلان، قالت: حِلّ، أنت أفسدتهما فأعتقهما، قال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرّتان، ومر أبو بكر بجارية من بني نوفل وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذّبها لتترك دين الإسلام وهو يومئذ مشرك وهو يضربها، حتى إذا ملّ قال: إني أعتذر إليك، إني لم أترُكك إلا ملالة، فابتاعها

---

(١) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٥)، والطبري (٣٠/ ٢٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٢٠)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠) ولفظها: صدّق بموعود الله على نفسه.

(٣) في الأصل و ب: وكانت. والتصويب من السيرة النبوية (٢/ ١٦١).

(٤) في الأصل و ب: خلا. والتصويب من السيرة النبوية (٢/ ١٦١). وكذا وردت في الموضع التالي. ومعنى حل: يريد: تحللي من يمينك واستثني فيها.

أبو بكر رضي الله عنه[١].

قوله تعالى: ﴿وأما من بخل﴾ قال ابن مسعود: أمية وأُبيّ ابنا خلف[٢].

وقال عطاء: صاحب النخلة[٣].

﴿واستغنى﴾ [عن][٤] ثواب الله فلم يرغب فيه.

﴿وكذب بالحسنى﴾ تفسيره على العكس من: ﴿صدق بالحسنى﴾.

﴿فسنيسره للعسرى﴾ أي: فسنهيء له أسباب الشر.

قال مقاتل[٥]: نُعَسِّرُ عليه أن يُعطي خيراً.

وقال ابن مسعود: ندخله النار[٦].

﴿وما يغني عنه ماله إذا تَرَدَّى﴾ قال ابن عباس: إذا تردّى في جهنم[٧].

وقال مجاهد: إذا مات فتردى في قبره[٨].

إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٢٨٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٤) في الأصل: من. والمثبت من ب.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٢).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٠). وذكره الماوردي (٦/ ٢٨٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٣٥) وعزاه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن عساكر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٠٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٠).

(٨) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٥)، والطبري (٣٠/ ٢٢٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٦-٥٣٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾ قال الزجاج[١]: المعنى: إن علينا أن نبيّن طريق الهدى من طريق الضلال.

﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾ قال مقاتل[٢]: مُلْكُ الدنيا والآخرة.

وقيل: ثواب الدارين.

ومعنى ﴿تلظى﴾: تتوقَّد وتتوهَّج.

قوله تعالى: ﴿لا يصلاها إلا الأشقى﴾ [نارٌ][٣] مخصوصة لا يصلاها إلا أشقى الأشقياء؛ كأمية وأبيّ ابنا خلف. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾.

﴿وسيجنبها الأتقى﴾: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وبهذه الآية مع انضمام قوله: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات:١٣] احتج جماعة من صناديد النُّظَّار على تفضيل أبي بكر الصديق على غيره بعد النبيين.

وقال الزجاج[٤]: وهذه [الآية][٥] التي من أجْلِها زعم أهلُ الإرْجَاء أنه لا

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٢).

(٣) كلمة غير ظاهرة في الأصل. وفي ب سقط من هنا إلى قوله: أشقى. ولعلها كما أثبتناها.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٥) زيادة من ب.

يدخل النار إلا كافر، وليس كما ظنوا، هذه نارٌ مخصوصة[١] موصوفةٌ بعينها، [ولأهل النار منازل][٢]. فلو كان [كل][٣] من لا يشرك بالله لا يُعذب، لم يكن في قوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء:٤٨] فائدة.

قال أبو عبيدة[٤]: والأشقى بمعنى: الشقي. وأنشد:

تمنى رجال ....

وقد سبق.

﴿وسيجنبها الأتقى﴾ أبو بكر الصديق رضي الله عنه[٥]. قال الواحدي[٦]: يعني: أبا بكر، في قول الجميع.

ثم وصفه فقال: ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ يطلب أن يكون عند الله [زاكياً][٧]، لا يطلب رياء ولا سمعة.

ولا محل لقوله: "يتزكى" من الإعراب إن جعلته بدلاً من "يؤتي"؛ لأنه داخل في حكم الصلة[٨]. وإن جعلته حالاً فمحله: النصب[٩].

---

(١) قوله: "مخصوصة" ساقط من ب.

(٢) زيادة من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٣٦).

(٣) زيادة من معاني الزجاج، الموضع السابق.

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣٠١).

(٥) قوله: "أبو بكر الصديق رضي الله عنه" ساقط من ب.

(٦) الوسيط (٤/ ٥٠٥).

(٧) في الأصل: زكياً. والتصويب من ب.

(٨) قال أبو حيان في البحر المحيط (٨/ ٤٧٩): وهو إعراب متكلف.

(٩) ذكر هذين الوجهين الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٦٩). وانظر: الدر المصون (٦/ ٥٣٦).

قوله تعالى: ﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾ أي: لم يفعل ذلك مجازاة لِيَدٍ أُسديت إليه.

وروى عطاء عن ابن عباس: أن أبا بكر لما اشترى بلالاً بعد أن كان يُعَذَّبُ، قال المشركون: ما فعل هذا إلا لِيَدٍ كانت لبلال عنده، فنزلت هذه الآية[1].

قوله تعالى: ﴿إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ استثناء منقطع.

﴿ولسوف يرضى﴾ أبو بكر الصديق، لما ينال في الجنة من الكرامة عند الله تعالى، والزلفى لديه.

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٨٠)، والوسيط (٤/ ٥٠٥)، وزاد المسير (٩/ ١٥٢).

سورة الضحى

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى عشرة آية مكية[1].

قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله[2]: اتفق المفسرون على أن هذه السورة نزلت بعد انقطاع الوحي مدة. ثم اختلفوا في سبب انقطاعه على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن ذي القرنين، وأصحاب الكهف، وعن الروح فقال: سأخبركم غداً، ولم يقل: إن شاء الله، فاحتبس عنه الوحي.

الثاني: لقلة النظافة في بعض أصحابه.

الثالث: لأجل جروٍ كان في بيته. قاله زيد بن أسلم.

وفي مدة احتباسه عنه أقوال ذكرناها في مريم[3].

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ
لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا
فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٧).

(٢) زاد المسير (٩/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) عند الآية رقم: ٦٦.

ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

وفي الصحيحين من حديث جندب قال: «قالت امرأة من قريش لرسول الله ﷺ: ما أرى شيطانك إلا قد ودَّعك، فنزلت: ﴿والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى﴾»(١).

والمرأة: هي أم جميل، امرأة أبي لهب.

والمراد بالضحى: وقت الضحى، وهو صدر النهار.

وقال الفراء(٢): النهارُ كلُّه.

وقرَّره غيره بقوله: ﴿أن يأتيهم بأسنا ضحى﴾(٣) [الأعراف:٩٨] في مقابلة قوله: ﴿بياتاً﴾.

﴿والليل إذا سجى﴾ قال ابن عباس: أظلم(٤).

وقال قتادة: سكن(٥)، يعني: استقر ظلامه، فلا يزداد بعد ذلك.

وقال الأصمعي: سُجُوُّ الليل: تغطية النهار(٦).

وقال الزمخشري(٧): "سجى": سَكَنَ ورَكَدَ ظلامه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٦ ح٤٦٩٨)، ومسلم (٣/ ١٤٢٢ ح١٧٩٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٧٣).

(٣) في الأصل زيادة قوله: ﴿وهم﴾.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٢٩١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٦).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤١) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٦) انظر: لسان العرب (مادة: سجا)، والوسيط (٤/ ٥٠٨).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٧٠).

وقيل: ليلةٌ ساجيةٌ: ساكنة الريح.

وقيل: معناه: سكون الناس والأصوات فيه. وسجا البحر: سكنت أمواجه.

وطرفٌ ساجٍ: فاتر.

قوله تعالى: ﴿ما ودعك ربك﴾ جواب القسم. ومعناه: ما قَطَعَكَ قَطْعَ المودّع.

وقال أبو عبيدة[١]: "ما ودّعك": من التوديع، كما يُودّع المفارق.

وقرأتُ على الشيخين أبي البقاء وأبي عمرو رحمهما الله ليعقوب [الحضرمي][٢] من رواية أبي حاتم عنه: "وَدَعَكَ" بالتخفيف، وهي قراءة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣]، على معنى: ما تركك. كقول الشاعر:

وثمَّ وَدَعْنا آلَ عمْرٍو وعَامِرٍ ....[٤]

﴿وما قلى﴾ أي: أبغض، يقال: قَلاهُ يَقْلِيه قِلَىً.

قال الزجاج[٥]: المعنى: وما قلاك، كما قال: ﴿والذاكرين الله كثيراً والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥]، المعنى: والذاكراته.

ولما كان قوله: ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ مؤذناً بمكانته عند الله، وأنه مُواصِلُهُ ومُحِبُّهُ، وهذا نهاية ما يكون من الكرامة[٦] قال: ﴿وللآخرة خير لك من

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٢).

(٢) في الأصل: الحرمي. والتصويب من ب.

(٣) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٥٧)، والدر المصون (٦/ ٥٣٧).

(٤) صدر بيت، وعجزه: (فرائس أطراف المثقفة السمر). وهو في: البحر (٨/ ٤٨٠)، والدر المصون (٦/ ٥٣٧)، والقرطبي (٢٠/ ٩٤)، وروح المعاني (٣٠/ ١٥٦)، والكشاف (٤/ ٧٧٠).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٣٩).

(٦) في ب: الإكرام.

الأولى﴾ أي: ما أعددتُ لك فيها من الكرامة وقُرْب المنزلة أعظم وأكمل مما أعطيتك في الدنيا.

﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ قال علي عليه السلام: هو الشفاعة في أمته حتى يرضى[١].

وقيل: استعلاؤه وظهور دينه على سائر الأديان.

قوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى﴾ أي: ضَمَّك إلى عمك أبي طالب، وعطفه عليك، حتى كنتَ آثَرَ عنده من ولَدِه.

﴿ووجدك ضالاً﴾ عن معالم النبوة وشرائع الدين ﴿فهدى﴾ أي: أرشدك إليها، كما قال: ﴿ما كنت تدري من الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى:٥٢].

وقال سعيد بن المسيب: لما خرج النبي ﷺ مع ميسرة -غلام خديجة- إلى الشام أخذ إبليس بزمام ناقته فَعَدَلَ به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليسَ نفخةً وقع منها إلى الحبشة، وردَّه إلى القافلة، فامتنَّ الله عليه بذلك[٢].

وقيل: إن النبي ﷺ ضَلَّ وهو صغير في شِعاب مكة، فردَّه الله على يدي عدوه أبي جهل إلى عمه[٣].

وقرأ الحسن بن علي عليهما السلام: "ووجدك ضَالٌّ" بالرفع[٤]، على معنى: وجدك شخص ضَالٌّ فاهتدى بك، ويكون التنكير هاهنا للتكثير، كما قرّر في

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٧).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٩).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٥٨).

(٤) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٩٩).

﴿علمت نفس﴾ [التكوير: ١٤].

﴿ووجدك عائلاً﴾ فقيراً، تقول: عال؛ إذا افتقر، وأعال؛ إذا كثر عياله[١]. وقد ذكرناه في براءة[٢].

﴿فأغنى﴾ أي: فأغناك بالقناعة وشرف النفس.

وقيل: فأغناك بمال خديجة.

وقيل: بما أفاء عليك من الغنائم.

قال عليه السلام: «جُعل رزقي تحت ظِلّ رُمحي»[٣].

قوله تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ أي: لا تغلبه على ماله.

وقرأ ابن مسعود: "فلا تكْهَر"[٤] أي: لا تعبس في وجهه.

﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي: لا تزجره، إما أن تعطيه، وإما أن ترده إلينا.

وقال جماعة من المفسرين: ليس بالسائل: المُسْتَجْدِي، ولكنه طالب العلم.

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ قال مجاهد: القرآن[٥].

وقيل: النبوة[٦].

---

(١) انظر: اللسان (مادة: عول).

(٢) عند الآية رقم: ٢٨.

(٣) ذكره البخاري في صحيحه (٣/ ١٠٦٧).

(٤) انظر هذه القراءة في: الطبري (٣٠/ ٢٣٣)، والماوردي (٦/ ٢٩٥).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٣) عن مجاهد. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر عن مجاهد.

وقال جماعة؛ منهم مقاتل[١]: هي عامة في جميع الخيرات.

قال الحسن: إذا أصبتَ خيراً أو عملتَ خيراً فحدّث به الثقة من إخوانك[٢].

وإنما ندَبَ إلى التحديث بالنعم؛ إظهاراً للشكر.

قال مجاهد: قرأتُ على ابن عباس، فلما بلغت: ﴿والضحى﴾ قال: كَبِّرْ إذا ختمت كل سورة، حتى تختم[٣].

ويروى ذلك مرفوعاً إلى النبي ﷺ[٤].

وهكذا قرأتُ على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري اللغوي، هلّلتُ وكبّرتُ من أول سورة الضحى، ثم من أول كل سورة إلى آخر القرآن.

وقرأتُ عليه بالتهليل والتكبير في رواية أخرى من أول ﴿ألم نشرح﴾.

وقرأتُ عليه في رواية أخرى بالتكبير من غير تهليل، وجميع [ذلك][٥] عن ابن كثير بالاسناد المذكور في آخر كتاب المستنير لابن سوار رحمه الله.

---

(١) لم أقف عليه في تفسير مقاتل. وانظر قول مقاتل في: زاد المسير (٩/ ١٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٤). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٥)، والسيوطي في الدر (٨/ ٥٤٥) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٠-١٦١).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٤٤ ح٥٣٢٥)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٧١ ح٢٠٧٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٣٩) وعزاه للحاكم وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

(٥) زيادة من ب.

سورة ألم نشرح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ثماني آيات مكية[1].

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ هذا استفهام في معنى التقرير، أي: قد فعلنا ذلك.

والمعنى: فتحناه وفسحناه حتى احتمل أثقال النبوة، ودعوة الثقلين، والصبر عليهم، ووسِع ما استودعناك من العلم والحلم واليقين والرضا.

﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ قال ابن عباس: حططنا عنك إثمك الذي سلف منك في الجاهلية[2]، كقوله: ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك﴾ [الفتح:٢].

قال الزجاج[3]: ﴿أنقض ظهرك﴾: أثقله حتى سمع له نقيض، أي: صوت.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٧).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٢).

(٣) لم أقف عليه في معاني الزجاج. وانظر قول الزجاج في: الوسيط (٤/ ٥١٦).

وهذا مَثَلٌ معناه: أنه لو كان حِمْلاً يُحمل لسُمِعَ نقيض ظهره.

وقيل: هذا إشارة إلى تخفيف أعباء النبوة عليه، وتسهيل نهوضه بها.

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بما خصصناك به من أنواع الكرامة والفضل.

وروى أبو سعيد الخدري: «أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية، فقال: قال الله عز وجل: إذا ذُكرتُ ذُكرتَ معي»[(١)].

قال قتادة: فليس خطيبٌ، ولا متشهّد، ولا صاحب صلاة، إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله[(٢)]. وهذا قول جمهور المفسرين.

وقيل: رفعنا لك ذكْرك في السماء[(٣)].

وقيل: بأخذ الميثاق على الأنبياء وأممهم أن يؤمنوا بك ويُقرّوا بفضلك[(٤)].

قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ وجه ارتباطه بما قبله: أن المشركين أولِعُوا باحتقار الرسول والمؤمنين لأجل فقرهم، حتى قالوا: ﴿أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾ [الفرقان:٨]، فقرَّرَه بهذه النعم الجسيمة المخصوصة به، ثم قال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾ أي: إن مع العسر الذي أنتم فيه يسراً. المعنى: [فلا][(٥)] تيأسوا من فضلي.

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٨/ ١٧٥ ح٣٣٨٢). وفي هامش ب: خرجه ابن حبان في صحيحه من حديثه.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٤٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٤) حكاية عن الثعلبي.

(٤) مثل السابق.

(٥) في الأصل: لا. والمثبت من ب.

ثم كرر ذلك فقال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾.

قال ابن عباس: يقول الله تعالى: خلقتُ عسراً واحداً وخلقتُ يُسْرَين، فلن يغلبَ عسرٌ يُسْرَين[(١)].

وقال ابن مسعود: لو أن العسر دخل في جُحْر لجاء اليسر حتى يدخل معه، قال الله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾[(٢)].

ويحكى عن العتبي قال: كنت ذات ليلة في البادية بحالة [من الغم][(٣)]، فألقي في روعي بيت شعر فقلت:

أرى الموتَ لمن أصبح مَغْمُوماً له رَوَّح

فلما جَنَّ الليل سمعتُ هاتفاً يهتف من السماء، يقول:

ألا أيها المرءُ الذي الهَمُّ به بَرَّح
وقدْ أنشدَ بيتاً لم يزلْ في فِكْرِه يَسْنَح
إذا اشتدَّ بكَ [العسر][(٤)] فَفَكِّر في "أَلَمْ نَشْرَح"
فَعُسْرٌ بين يُسْرَين إذا أبْصَرْتَهُ فافرَح

قال: فحفظتُ الأبيات، وفرّج الله تعالى غَمِّي[(٥)].

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٧).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١).

(٣) زيادة من الوسيط (٤/ ٥١٩)، وزاد المسير (٩/ ١٦٦).

(٤) في الأصل: الأمر. والمثبت من ب.

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥١٩-٥٢٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٥-١٦٦).

فإن قيل: هذه الآثار وأقوال المفسرين متطابقة على أن العسر واحد واليسر اثنان، وفي ظاهر التلاوة عسران ويسران؟

قلتُ: هو عسرٌ واحد؛ لأنه مذكور بلفظ التعريف.

قال الفراء[١]: العربُ إذا ذكَرَت نكرة ثم أعادت بنكرةٍ مثلِها صارتا اثنتين، كقولك: إذا اكتسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، وإذا أعادتها معرفةً فهي هي، كقولك: إذا اكتسبت درهماً فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول.

ونحو هذا قال الزجاج[٢]: ذكَرَ العُسْرَ بالألف واللام، ثم ثنَّى ذكره، فصار المعنى: إن مع العسر يُسْرين.

وقال صاحب النظم: معنى الكلام: لا يَحْزُنْكَ ما يُعيّرك به المشركون من الفقر، فإن مع العسر يسراً عاجلاً في الدنيا، فأنجزه ما وعده بما فتح عليه. ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال: ﴿إن مع العسر يسراً﴾. والدليل على ابتدائه؛ تعرّيه من [الفاء و][٣] الواو، وهو وعدٌ لجميع المؤمنين؛ لأنه يعني بذلك: إن مع العسر في الدنيا للمؤمنين يسراً في الآخرة، وربما اجتمع له اليسران؛ يُسْرُ الدنيا ويُسْرُ الآخرة[٤].

قال: وقوله: "لن يغلب [عسرٌ][٥] يسرين" أي: يُسْرُ الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ أي: فاتعب. يقال: نَصِبَ ينْصَبُ نَصْباً؛

---

(١) لم أقف عليه في معاني الفراء. وانظر قول الفراء في: زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٢) معاني الزجاج (٥/ ٣٤١).

(٣) زيادة من زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٤).

(٥) في الأصل: عسراً. والتصويب من ب.

إذا تَعِبَ[١].

وهذا حثٌ للنبي ﷺ على النَّصَبِ في العبادة؛ شكراً للذي أنعم عليه بشرح صَدْرِه، ووضع وِزْرِه، ورفع ذِكْرِه، وتبديل عُسْرِه بيُسْرِه.

قال ابن مسعود: إذا فرغتَ من الفرائض، فانصبْ في قيام الليل[٢].

وقال ابن عباس: إذا فرغتَ من الصلاة، فانصبْ في الدعاء[٣].

وقال الحسن: إذا فرغتَ من جهاد عدوك، فانصبْ في عبادة ربك[٤].

وقال مجاهد: إذا فرغتَ من أمر دنياك، فانصبْ في عمل آخرتك[٥].

وقال الشعبي: فإذا فرغتَ من التشهد، فادْعُ لدنياك وآخرتك[٦].

﴿وإلى ربك فارغب﴾ قال الزجاج[٧]: اجعل رغبتك إليه وحده.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: نصب).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥١) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٩)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٥٥٢).

(٥) أخرجه مجاهد (ص:٧٦٨)، والطبري (٣٠/ ٢٣٧). وذكره الماوردي (٦/ ٢٩٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٧).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٧).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٤١).

سورة التين

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات[١]. وهي مكية في قول عامة المفسرين.

ويروى عن ابن عباس وقتادة: أنها مدنية[٢].

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

قال الله تعالى: ﴿والتين والزيتون﴾ قال ابن عباس: هو تينكم هذا وزيتونكم[٣].

قال أهل التفسير: أقسم الله بهما؛ لامتيازهما بالفضل على سائر الثمار. فالتين فاكهة مستلذّة، خالصة من شوائب النُّغَص، [خالية][٤] من

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٧٩).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣٠٠)، وزاد المسير (٩/ ١٦٨).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨)، والحاكم (٢/ ٥٧٦ ح٣٩٥١) كلاهما بلفظ: الفاكهة التي يأكلها الناس. وذكره السيوطي بلفظيها في الدر المنثور (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن أبي حاتم والحاكم.

(٤) في الأصل: خالصة. والمثبت من ب.

العَجَم[١]، الواحدة منه على مقدار اللقمة، إلى غير ذلك من منافعه الطيبة.

وأما الزيتون فإنه يعتصر منه الزيت، ومنافعه كثيرة جداً.

وقال كعب الأحبار: التين: دمشق، والزيتون: بيت المقدس[٢].

قال قتادة: التين: الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون: الجبل الذي عليه بيت المقدس[٣].

وقال ابن زيد: التين: مسجد دمشق، والزيتون: مسجد بيت المقدس[٤].

وقيل: التين: جبال ما بين حُلْوَان وهمذان، والزيتون: جبال الشام[٥].

قال بعض العلماء[٦]: سُمّيا بذلك؛ لأنهما منبتا التين والزيتون.

قوله تعالى: ﴿وطور سينين﴾ قال كعب وجمهور المفسرين: هو الجبل الذي كَلَّمَ الله تعالى عليه موسى[٧].

و"سينين" لغة في سيناء، وكذلك هو في قراءة علي عليه السلام، وسعد بن أبي

---

(١) العَجَم -بالتحريك-: النَّوى. والعامة تقوله: عَجْم، بالتسكين (اللسان، مادة: عجم).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٤) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٣٩). وذكره الماوردي (٦/ ٣٠٠)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٦٩).

(٥) هو قول الفراء. انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٧٦).

(٦) هذا قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٧٨).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٥) وعزاه لابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن كعب.

وقاص، وابن مسعود، [وأبي الدرداء][1]، إلا أن الأوَّلَين فتحا السين[2].

وقرأ الجحدري وأبو رجاء مثلَ قراءة العامة، إلا أنهما فتحا السين[3]. وقد ذكرنا معناه في ﴿قد أفلح﴾[4].

قال مقاتل[5]: كُلُّ جبلٍ فيه شجرٌ مُثمر [فهو][6] سينين، وسيناء بلغة [النَّبط][7].

قوله تعالى: ﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني: مكة، يأمن فيه الخائف، وهو مِنْ أَمِنَ الرجلُ يأمَنُ أمانةً فهو آمِن.

وجواب القسم قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان﴾.

والصحيح: أنه اسم جنس.

﴿في أحسن تقويم﴾ أي: في أحسن صورة وأعدل هيئة.

قال ابن عباس: [منتصبُ][8] القامة[9].

---

(١) في الأصل: وابن أبي الدرداء. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ١٧٠)، والدر المصون (٦/ ٥٤٣).

(٣) مثل السابق.

(٤) سورة المؤمنون، عند الآية رقم: ٢٠.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٨) ولفظه: كل جبل لا يحمل الثمر لا يقال له سيناء. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٠).

(٦) زيادة من ب.

(٧) في الأصل: القبط. والتصويب من ب.

(٨) في الأصل: منصوب. والمثبت من ب.

(٩) ذكره الماوردي (٦/ ٣٠٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٢).

قال المفسرون: خلق الله كُلَّ ذي روح مكباً على وجهه، إلا الإنسان خلقه مديد القامة، يتناول مأكوله بيده(١).

﴿ثم رددناه﴾ بعد امتداد قامته واشتداد قوته ﴿أسفل سافلين﴾ فصار عند الكبر [محدودب](٢) الظهر بعد الاعتدال، مُبْيَضَّ الشعر بعد الاسوداد، متقبّضَ الجلد بعد الانبساط، هَرِماً بعد شبابه، ضعيفاً بعد قوته، خَرِفاً بعد رصانة عقله ورزانة حلمه.

والسافلون: هم الضعفاء من الزمنى والأطفال والهرمى، واحدهم: سَفِيل، وسِفل، وسَافِل. قال المخبَّل:

لئن رُدِدتُ إلى النَّعْمانِ ثانيةً إني إذاً لسفيلُ الجدِّ محرُوم

وقوله تعالى: ﴿أسفل سافلين﴾ نكرة تعمّ الجنس، كما تقول: فلان أكرم قائل، ولا تقول: أكرم القائل، إلا أن تجمع، فإذا جمعت وأردت [به](٣) المعرفة قلت: أكرم القائلين، وإن أردت النكرة قلت: أكرم قائلين. وهذا قول ابن عباس وعامة المفسرين.

وقال الحسن ومجاهد: ثم رددناه إلى النار(٤).

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢٤).

(٢) في الأصل: محدوب. والتصويب من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٦، ٥٥٧) وعزاه للفريابي وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد. ومن طريق آخر عن الحسن، وعزاه لعبد بن حميد.

قال أبو العالية: إلى النار في [شر][١] صورة، في صورة خنزير[٢].

قال الواحدي[٣]: والنار أسفل سافلين؛ لأن جهنم بعضها أسفل من بعض.

والمعنى: ثم رددناه إلى أسفل سافلين.

ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا الذين آمنوا﴾ وهو استثناء متصل، على قول الحسن ومجاهد، ومنقطع على قول غيرهما. على معنى: لكن الذين كانوا صالحين، من الهرمى، ﴿فلهم أجر غير ممنون﴾.

قال عكرمة: من رُدَّ منهم إلى أرذل العمر، كُتب له كصالح ما كان يعمل في شبابه[٤].

﴿فما يكذبك﴾ أيها الإنسان ﴿بعد﴾ أن [استنارت][٥] لك دلائل قدرتي على البعث بما تشاهده من تقلّب أحوالك، وآثار تصرفي فيك.

﴿بالدين﴾ أي: بالجزاء. أو فما يكذبك بعد أن تبيَّنْتَ قدرتي ودلائلَ وحدانيتي بديني، الذي هو دين الإسلام.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي: بأقضى القاضين.

---

(١) في الأصل: أشر. والمثبت من ب.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) الوسيط (٤/ ٥٢٤).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٤٤)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٤٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٥٧) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) في الأصل: استنار. والتصويب من ب.

قال مقاتل[١]: هو يحكم بينك يا محمد وبين مُكَذِّبِيكَ.

وقيل: أليس الله بأحكم الحاكمين صُنْعاً [وتدبيراً][٢].

وقد ذكرنا ما كان رسول الله ﷺ يقوله إذا ختم هذه السورة في آخر القيامة.

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٤٩٩).

(٢) في الأصل: وتقديراً. والمثبت من ب.

سورة القلم

(وتسمى سورة العلق)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي عشرون آية في المدني، وتسع عشرة في الكوفي[1]. وهي مكية بإجماعهم.

وقد أسلفنا أنها أول ما نزل من القرآن[2] إلى قوله: ﴿ما لم يعلم﴾، وباقيها نزل في أبي جهل، لعنه الله.

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ قال صاحب الكشاف[3]: محل "باسم ربك": النصب على الحال، أي: اقرأ مفتتحاً باسم ربك، قل: بسم الله، ثم اقرأ.

فإن قلت: ما باله لم يذكر مفعول "خلق"؟

قلتُ: إما أن يكون المعنى الذي حصل منه الخلق فلا يستدعي مفعولاً، وإما

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٠).

(٢) وذلك في مقدمة الكتاب، وهي ضمن القسم المفقود من الكتاب.

(٣) الكشاف (٤/ ٧٨١).

أن يكون المفعول محذوفاً، فتقديره: خلق كل شيء.

ثم خصَّصَ جنس الإنسان بالذكر؛ لشرفه، وكونه المخاطب بالتكاليف فقال: ﴿خلق الإنسان من علق﴾.

وقوله: ﴿من علق﴾ على جمع علقة، تدل على إرادة جنس الإنسان.

قوله تعالى: ﴿اقرأ﴾ [تكرير][1] توكيد. ثم استأنف فقال: ﴿وربك الأكرم﴾ أي: الذي لا نظير له في كرمه.

وفي قوله: ﴿الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ عقيب قوله: ﴿الأكرم﴾ تنبيهٌ على أن إفادة العلم كرم محض، وتنبيهٌ على فضل علم الكتابة؛ لما فيه من المنافع التي لا يحيط بها علماً سوى الله عز وجل، وبه انتظام علم الدنيا والآخرة. وقد ذكرت في سورة "نون" طرفاً من فضائل القلم.

ومن بديع ما سمعت فيه ما أنشدنيه صاحبنا أبو نصر بن عثمان بن خليفة الموصلي الحنبلي لنفسه:

أيُّها الصاحبُ الكريمُ ومنْ ... أصبحَ زيْنَ الكُتَّابِ والأصْحَاب
بيَرَاعٍ ريعَتْ له نُوبُ الدَّهْر ... وهانتْ به جميعُ الصِّعَاب
وإذا ما يشاءُ أمراً فلا يَحْفَلْ ... يوماً بالصَّارمِ القِرْضَاب
فهو يَجْزِي للأولياء بأرْيٍ ... ولأعدائه بشَرْيٍ وَصَاب
أقسمَ اللهُ باسمه وكَفَاهُ ... [مَفْخَرَاً][2] إذْ أتى بنصِّ الكِتَاب

---

(١) في الأصل: تكير. والتصويب من ب.

(٢) في الأصل: فخراً. والمثبت من ب.

والمعنى: علّم الإنسان الكتابة بالقلم، علّم الإنسان من العلوم والصنائع ما لم يعلم.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨
أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١
أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤
كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ
نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ عن الطغيان بالنعمة، وإن لم يُـذكر؛ لدلالـة الكـلام عليه.

وعامة المفسرين يقولون: المعنى: حقاً.

﴿إن الإنسان﴾[1] يعني: أبا جهل ﴿ليطغى﴾.

قال الكلبي: كان إذا أصاب مالاً زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه، فذلك طغيانه[2].

﴿أن رآه استغنى﴾ قال ابن قتيبة[3]: المعنى: أن رأى نفسه استغنى.

وقال غيره[4]: يقال في أفعال القلوب: رأيتني وعلمتني، ولو كانـت بمعنـى

---

(١) في الأصل زيادة قوله: "لفي خسر". وهو خطأ. وموضعه في سورة العصر.

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٢٨)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٦) بلا نسبة.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٣).

(٤) هو قول الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٣).

الإبصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين. و"استغنى" هو المفعول الثاني.

قال عبدالله بن مسعود: منهومان لا يشبعان: طالب علم، وصاحب الدنيا. أما طالب العلم فيزداد رضى الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان، ثم قرأ: ﴿إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى﴾[1].

قال مقاتل[2]: ثم خوّفه الله تعالى بالرجعة فقال: ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾.

والرُّجْعَى: مصدر؛ كالبُشْرَى، بمعنى: الرجوع.

﴿أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى﴾ استفهام في معنى الإنكار، وتعجيب للمخاطب.

أخرج الترمذي من حديث ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء أبو جهل فقال: ألم أنْهَكَ عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزَبَرَهُ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانيه﴾. قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله»[3].

وقال أبو هريرة: قال أبو جهل: هل يُعَفِّرُ محمد وجهه بين أظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فقيل له: ها هو ذاك يصلي، فانطلق ليطأ على رقبته، فما فجأهم إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتّقي بيديه، فأتوه فقالوا: ما لك يا أبا الحكم؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ١٠٨ ح٣٣٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٤) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠١).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٤ ح٣٣٤٩).

وأجنحة، فقال نبي الله: والذي نفسي بيده، لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً، فأنزل الله عز وجل: ﴿أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى﴾ إلى آخر السورة[1].

فتبين بهذا أن الناهي: أبو جهل.

والمعنى: أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته.

﴿أرأيت إن كان على الهدى﴾ قال عامة المفسرين: المعنى: أرأيت إن كان المنهي عن الصلاة على الهدى.

﴿أو أمر بالتقوى﴾ يعني: الإخلاص والتوحيد.

﴿أرأيت إن كذب﴾ الناهي أبو جهل ﴿وتولى﴾ عن الإيمان.

قال الفراء[2]: المعنى: أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى وهو كاذبٌ مُتَوَلٍّ عن الذِّكْر؟ فأيُّ شيء أعجب من هذا.

وقال ابن الأنباري: [التقدير: أرأيته مصيباً][3].

وقال صاحب الكشاف[4]: المعنى: أرأيت إن كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما يَنْهَى عنه من عبادة الله، أو كان آمراً بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد، وكذلك إن كان على التكذيب والتَّوَلِّي عن الدين

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٥٤ ح٢٧٩٧)، والنسائي (٦/ ٥١٨ ح١١٦٨٣)، وأحمد (٢/ ٣٧٠ ح٨٨١٧)، والطبري (٣٠/ ٢٥٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٥) وعزاه لأحمد ومسلم والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي.

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٧٨).

(٣) في الأصل: المعنى: أرأيته مصلياً. والمثبت من ب.

(٤) الكشاف (٤/ ٧٨٣).

الصحيح، كما [نقول][1] نحن. ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك. وهذا وعيد.

قال[2]: فإن قلت: ما متعلق "أرأيت"؟

قلتُ: "الذي ينهى" مع الجملة الشرطية، وهما في موضع المفعولين.

فإن قلت: فأين جواب الشرط؟

قلتُ: هو محذوف، تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، ألم يعلم بأن الله يرى.

وإنما حَذَفَ لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني.

فإن قلت: كيف صحّ أن يكون "ألم يعلم" جواباً للشرط؟

قلتُ: كما صحَّ في قولك: إن أكرمتُكَ أتُكرمني؟ وإن أحسَنَ إليك زيدٌ هل تُحسن إليه؟.

فإن قلت: فما "أرأيت" الثانية وتوسطها بين مفعولي "أرأيت"؟

قلتُ: هي زائدة مكررة للتوكيد.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لأبي جهل عن نهيه عباد الله عن الصلاة.

ثم تهدده فقال: ﴿لئن لم ينته﴾ يعني: عن إيذاء محمد ﷺ ونهيه عن الصلاة ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ أي: لنأخذنّ بناصيته ولنسحبنّه بها إلى النار.

والسَّفْع: القبض على الشيء وجَرُّه بشدة[3]. وأنشدوا قول عمرو بن معدي

---

(١) في الأصل: تقول. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٨٣).

(٢) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٨٣-٧٨٤).

(٣) انظر: اللسان (مادة: سفع).

كرب:

قومٌ إذا سَمِعُوا الصَّريخَ رأيتَهُم مِنْ [بين][١] مُلْجِمِ مُهْرِهِ أو سَافِعِ[٢]

قوله تعالى: ﴿ناصية﴾ بدل من "الناصية"، وجاز بدل النكرة عن المعرفة؛ لأنها وصفت[٣].

والتقدير: لنسفعاً بناصيةٍ ﴿كاذبة خاطئة﴾، وتأويله: بناصيةٍ صاحبها كاذبٌ خاطئ، كما يقال: فلان نهاره صائم، وليله قائم.

﴿فليدع ناديه﴾ على حذف المضاف، أي: أهل ناديه.

﴿سندع الزبانية﴾ قال عطاء: هم الملائكة الغلاظ الشداد[٤].

قال مقاتل[٥]: هم خَزَنَةُ جهنم.

قال الفراء[٦]: لا واحد للزبانية من لفظها. وقال: كان الكسائي يقول: لم أسمع للزبانية بواحد، ثم قال بأَخَرَة: واحد الزبانية زِبْنِيٌّ، فلا أدري أقياساً منه أو سماعاً.

قال الزمخشري[٧]: كأنه نسب إلى الزَّبن، ثم غُيِّر للنسب، كقولهم: أمسى.

---

(١) زيادة من ب.

(٢) البيت لعمرو بن معدي كرب. انظر: ديوانه (ص:١٤٥)، واللسان (مادة: سفع)، والبحر (٨/ ٤٨٧)، والدر المصون (٦/ ٥٤٧)، وتاج العروس (مادة: سفع).

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٠)، والدر المصون (٦/ ٥٤٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٧٩).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٢).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٨٠).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٨٤-٧٨٥).

وقال أبو عبيدة[١]: واحده: زِبْنِيَّة؛ [كعِفْرِيَّة][٢]، وهو كل متمرد من إنس أو جان.

قال ابن قتيبة[٣]: هو مأخوذ من الزَّبْن، وهو الدَّفْع، كأنهم يدفعون أهل النار إليها.

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لأبي جهل ﴿لا تطعه﴾ يا محمد في ترك الصلاة، ﴿واسجد﴾ لله ﴿واقترب﴾ إليه بالسجود.

وفي الحديث: عن النبي ﷺ: «أقرب ما يكون العبد إلى الله وهو ساجد، فأكثروا الدعاء»[٤].

ومن مُستبعد التفسير: قول زيد بن أسلم: اسجد يا محمد، واقترب أنت يا أبا جهل من النار[٥].

---

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٠٤).

(٢) في الأصل: كعقربة. والتصويب من ب.

(٣) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٣).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٠ ح٤٨٢).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات[١].

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: هي مكية[٢].

وقال الضحاك ومقاتل[٣]: مدنية.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ اتفقوا على أن الكناية في "أنزلناه" للقرآن[٤]، ولم يَجْرِ له ذِكْرٌ؛ ثقةً بعلم السامع به؛ لموضع نباهته وشُهرته.

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨١).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ١٨١).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٣). وانظر: الماوردي (٦/ ٣١١)، وزاد المسير (٩/ ١٨١).

(٤) في هامش ب: قال البزار: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن مسلم البطين والمنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: أنزلَ اللهُ القرآنَ إلى السماء الدنيا ليلةَ القدر جملةً واحدةً، فكان جبريلُ ينزل، يعني على النبي ﷺ. كذا قال، وقد صح -يعني هذا- عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

وقال الزجاج[١]: لم يَجْرِ له ذِكْرٌ في هذه السورة، [ولكنه][٢] جرى فيما قبلها.

وقد ذكرنا كيفية إنزاله في ليلة القدر في مقدمة الكتاب.

والكلام في ليلة القدر تحصره فصول:

الفصل الأول: اختلفوا في تسميتها بليلة القدر على خمسة أقوال:

أحدها: أنه من القَدْر، الذي هو بمعنى: العَظَمَة، من قولك: لفلان قَدْرٌ، فسُميتْ بذلك؛ لِعِظَم قدرها عند الله تعالى. قاله الزهري[٣].

الثاني: أنه من القَدْر، الذي [هو][٤] بمعنى: الضيق؛ كقوله: ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾ [الطلاق:٧] أي: ضيّق عليه.

فالمعنى: هي ليلة تضيق فيها الأرض بالملائكة الذين ينزلون من عند الله بالخير والرحمة. قاله جماعة، منهم: الخليل بن أحمد[٥].

الثالث: أن الأمور تُقدَّر فيها، كما قال: ﴿فيها يُفْرَقُ كل أمر حكيم﴾ [الدخان:٤]، وقد سبق تفسيره في الدخان[٦]. قاله قوم، منهم: ابن قتيبة[٧].

الرابع: أنه أُنزل فيها كتابٌ ذو قدر ورحمة، ذاتُ قدرٍ، وملائكةٌ [ذوو][٨]

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٤٧).

(٢) في الأصل: لكنه. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢).

(٤) زيادة من ب.

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢).

(٦) (ج٧/ ١٦٠).

(٧) تفسير غريب القرآن (ص:٥٣٤).

(٨) في الأصل: ذو. والمثبت من ب.

أقدار[١].

الخامس: أن من لم يكن له قدْر صار بمراعاتها ذا قدر. قاله أبو بكر الوراق[٢].

الفصل الثاني: اختلفوا هل هي باقية أو كانت في زمن النبي ﷺ خاصة؟ على قولين.

والصحيح: أنها باقية.

واختلفوا هل هي مخصوصة بشهر رمضان، أو تكون في جميع السنة؟ على قولين.

والصحيح: اختصاصُها بشهر رمضان.

وذهب الأكثرون إلى اختصاص الأفراد من العشر الأخير منه بها، وعليه تدل الأحاديث الصحيحة والآثار، على ما سنذكره.

واختلفوا أيُّ لياليه أخصُّ بها؟ على أقوال:

أحدها: ليلة سبع وعشرين[٣]. قاله علي وابن عباس وعائشة وجمهور الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

وكان أُبيّ بن كعب يحلف ولا يستثني: أنها ليلة سبع وعشرين، وإليه ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه[٤].

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٢) حكاية عن علي بن عبيدالله.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٣) ودليله: حديث ابن عمر الآتي.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٧).

الثاني: ليلة إحدى وعشرين[١]، وهو مذهب الشافعي[٢].

الثالث: ليلة ثلاث وعشرين[٣]. قاله عبدالله بن أنيس[٤].

الرابع: ليلة خمس وعشرين. قاله أبو بكرة، ورواه عن النبي ﷺ[٥].

الإشارة إلى الدلائل على ذلك:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله: أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره؟ قال بل: هي في رمضان، قلت: تكون مع الأنبياء ما كانوا، فإذا قُبضوا رُفعت، أم هي إلى يوم القيامة؟ قال: بل هي إلى يوم القيامة، قلت: في أي رمضان هي؟ قال: التمسوها في العشر الأول أو في العشر [الأواخر][٦]، ثم حدَّثَ رسولُ الله ﷺ وحدَّث، ثم اهْتَبَلْتُ[٧] غفلته، فقلت: في أي العشرين هي؟ قال: فابتغوها في العشر الأواخر، لا تسألني عن شيء بعدها... وساق الحديث إلى آخره»[٨].

وفي أفراد البخاري من حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، في تاسعة تبقى، أو سابعة تبقى، أو في خامسة

---

(١) ودليله: حديث أبي سعيد الآتي.

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣١٢)، وزاد المسير (٩/ ١٨٤).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥١ ح٧٤١٧)، والبيهقي في سننه (٤/ ٣١٠ ح٨٣٢٢).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٨٦).

(٥) مثل السابق.

(٦) في الأصل: الآخر. والمثبت من ب، ومسند أحمد (٥/ ١٧١).

(٧) في هامش الأصل: قوله: اهتبلت: أي: اغتنمت. كذا في النهاية (مادة: هبل).

(٨) أخرجه أحمد (٥/ ١٧١ ح٢١٥٣٨).

تبقى»[١].

وفي أفراد مسلم من حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «من كان متحرِّياً فليتحرَّها ليلة سبع وعشرين، أو قال: تحروها ليلة سبع وعشرين»[٢].

وفي أفراده أيضاً من حديث زِرٍّ قال: «سألت أبيّ بن كعب قلت: يا أبا المنذر، إن أخاك ابن مسعود يقول: من يقم الحول يُصب ليلة القدر، فقال: [يرحمه][٣] الله، لقد علم أنها في شهر رمضان، وأنها ليلة سبع وعشرين، قال: وحلف، قلت: وكيف تعلمون ذلك؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا بها، تطلع ذلك اليوم - يعني: الشمس- لا شعاع لها»[٤].

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد قال: «اعتكف النبي ﷺ العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلب أمامك، فاعتكف العشر الأوسط واعتكفنا معه، فأتاه جبريل فقال: إن الذي تطلبُ أمامك، ثم قام النبي ﷺ خطيباً صبيحة [عشرين][٥] من رمضان فقال: من كان اعتكف مع النبي ﷺ فليرجع، فإني أريتُ ليلة [القدر][٦] وإني أُنسيتها، وإنها في العشر الأواخر في وتر، وإني رأيتُ كأني أسجد في طين وماء، فجاءت قَزَعَة فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله ﷺ فأبصرته، وإن أثر الماء والطين على

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٧١١ ح١٩١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٢ ح١١٦٥).

(٣) في الأصل: يرحمك. والتصويب من ب.

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٨ ح٧٦٢).

(٥) في الأصل: إحدى وعشرين، وهي خطأ. والتصويب من ب، والصحيح (١/ ٢٨٠).

(٦) زيادة من ب، والصحيح، الموضع السابق.

جبهته وأنفه»[١].

وأخرج الترمذي بإسناده عن أبي قلابة أنه قال: «ليلةُ القدر تنتقل في العشر الأواخر»[٢].

الفصل الثالث: في تفسيرها وفضيلتها.

قوله تعالى: ﴿خير من ألف شهر﴾ قال مجاهد: قيامُها والعملُ فيها خير من قيام ألف شهر وصيامها ليس فيها ليلة القدر[٣]. وهو قول قتادة، واختيار الفراء، وابن قتيبة، والزجاج[٤].

[وفي][٥] الصحيحين من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[٦].

وأخرج الإمام أحمد من حديث عبادة بن الصامت [نحوه][٧]، وزاد: «غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»[٨].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٨٠ ح٧٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ١٥٨).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٥٩). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٩) وعزاه لعبد الرزاق وابن المنذر ومحمد بن نصر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٨٠)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٤٧)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٥٣٤). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٦٨) وعزاه لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير ومحمد بن نصر وابن المنذر عن قتادة.

(٥) في الأصل: في. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (٢/ ٦٧٢ ح١٨٠٢)، ومسلم (١/ ٥٢٣ ح٧٦٠).

(٧) زيادة من ب.

(٨) أخرجه أحمد (٥/ ٣١٨ ح٢٢٧٦٥).

وأخرج أيضاً من حديث عائشة قالت: «يا رسول الله! إن وافقت ليلة القدر فبما أدعو؟ قال: قولي: اللهم! إنك عفوٌ تحب العفو فاعفُ عني»[١].

وقال ابن عباس: ذُكر للنبي ﷺ رجلٌ من بني إسرائيل حمل السلاح في سبيل الله على عاتقه ألف شهر، فعجب رسول الله ﷺ لذلك، وتمنى أن يكون ذلك في أمته، فأعطاه الله ليلة القدر، وقال: هي خير من الألف شهر التي حَمَلَ فيها الإسرائيلي السلاح في سبيل الله عز وجل[٢].

وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد، حتى يعبد الله ألف شهر، فأُعطيت هذه الأمة ليلةُ القدر، وجُعل إحياؤها خيراً من عبادة العابد من أولئك ألف شهر.

قوله تعالى: ﴿تنزل الملائكة والروح﴾ أي: تنزل الملائكة والروح جبريل إلى الأرض بالرحمة من الله تعالى، والسلام على أوليائه. ففي حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كانت ليلة القدر نزل جبريل في كَبْكَبَةٍ[٣] من الملائكة، يُصلّون ويُسلّمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله عز وجل»[٤].

﴿بإذن ربهم﴾ أي: بأمره ﴿من كل أمر﴾ أي: بكل أمر؛ كقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد:١١].

والمعنى: بكل أمرٍ قضاه الله عز وجل لتلك السنة إلى قابل.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٨٢ ح٢٥٥٣٤).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩١-١٩٢).

(٣) الكَبْكَبَة: الجماعة من الناس (اللسان، مادة: كبب).

(٤) أخرجه البيهقي في الشعب (٣/ ٣٤٣ ح٣٧١٧).

وقيل: بكل أمرٍ من الخير والبركة.

﴿سلام هي﴾ أي: ما هي إلا سلام.

قال مجاهد: لا يُحدث اللهُ فيها أذى ولا يُرسل فيها شيطاناً[١].

وقيل: هو تسليم الملائكة على المؤمنين[٢].

﴿حتى مَطْلَعِ الفجر﴾ وقرأ الكسائي: "مَطْلِعِ" بكسر اللام[٣].

وقد سبق ذكره في الكهف[٤]، وذكر أمثاله في مواضعه.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٣)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٣٣٨ ح٣٦٩٩)، عن مجاهد. وذكره الماوردي (٦/ ٣١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ١٩٤).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣١٤)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٣٧)، كلاهما من قول الكلبي.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٨)، والكشف (٢/ ٣٨٥)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٣).

(٤) عند الآية رقم: ٩٠.

سورة لم يكن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات[2].

وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان[3].

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

قال الله تعالى: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ وهم اليهود والنصارى، ﴿والمشركين﴾ أي: [ومن][4] المشركين.

وقرأ الأعمش: "والمشركون" عطفاً على محل "الذين كفروا" من

(١) وتسمى سورة البيّنة، وسورة القيامة.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٢).

(٣) الجمهور على أنها مدنية. وقال ابن عباس في رواية أبي صالح: مكية. وهو اختيار يحيى بن سلام. انظر: تفسير الماوردي (٦/ ٣١٥)، وزاد المسير (٩/ ١٩٥).

(٤) في الأصل: من. والتصويب من ب.

الإعراب[١].

﴿منفكّين﴾ منفصلين عن كفرهم ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ وهي محمد ﷺ الـذي بين لهم ضلالهم.

وهذا تنبيهٌ لمن آمن [من][٢] الفريقين على موقع نعمة الله عليهم، بإرسال محمد ﷺ إليهم.

﴿رسول من الله﴾ بدل من "البينـة"[٣]، ﴿يتلـو صـحفاً مطهـرة﴾ يريـد: مـا تضمّنته الصحف المطهرة من القرآن.

والمراد بتطهيرها: تنزيهها عن الباطل.

﴿فيها كتب﴾ أي: مكتوبات ﴿قيّمة﴾ مـستقيمةٌ عادلـةٌ، فاصـلة بـين الهـدى والضلال.

﴿ومـا تفـرق الـذين أوتـوا الكتـاب﴾ وهـم الـذين أقـاموا عـلى يهـوديّتهم ونصرانيّتهم.

﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ وهي[٤] محمد ﷺ، فإنهم لم يزالوا متّفقين عـلى الإيمان به حتى بُعث، فتفرقوا، فآمن بعضٌ وكفر بعض[٥].

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ أي: إلا أن يعبدوا الله. وكذلك

(١) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٩٤)، والدر المصون (٦/ ٥٥١).

(٢) زيادة من ب.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩١)، والدر المصون (٦/ ٥٥٢).

(٤) في ب: وهو.

(٥) وفي البينة قولان آخران، أحدهما: أن المراد بالبيّنة: القرآن. قاله أبو العالية.

والثاني: ما في كتبهم من صحة نبوته ﷺ. (انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٣١٦، وزاد المسير ٩/ ١٩٧).

هي في قراءة ابن مسعود[١].

قال الفراء[٢]: العرب تجعل اللام في موضع "أنْ".

والمعنى: وما أمروا في الكتابين إلا أن يعبدوا الله على صفة الإخلاص.

﴿حنفاء﴾ على ملة إبراهيم ﴿ويقيموا الصلاة﴾ على الوجه الذي أُمروا به، ﴿ويؤتوا الزكاة﴾ على [ما][٣] شرع لهم، ﴿وذلك﴾ الذي أُمروا به ﴿دين القيِّمة﴾ أي دين الملّة المستقيمة.

ثم ذكر ما للفريقين في تمام السورة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾

قرأ نافع وابن ذكوان: "البَرِيئَة" بالهمز على الأصل؛ لأنه من: بَرَأَ الله الخلق. وقرأ الباقون: بتشديد الياء من غير همز[٤].

قال ابن قتيبة[٥]: أكثر العرب والقراء على ترك الهمز؛ لكثرة الاستعمال.

---

(١) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٥٢)، والقرطبي (٢٠/ ١٤٤).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٨٢).

(٣) زيادة من ب.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٩)، والكشف (٢/ ٣٨٥)، والنشر (١/ ٤٠٧)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٣).

(٥) انظر قول ابن قتيبة في: زاد المسير (٩/ ١٩٩).

قال مكي[1]: لما كثُر استعمالهم لهذه الكلمة وفيها همزة ومدّة وياء، والهمز أثقل من غيره، خفَّفوا الهمزة، فأبدلوا منها ياء، وأدغموا الياء الزائدة التي قبلها فيها.

قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾ أي: خافه في الدنيا، فعمل بطاعته.

(١) الكشف (٢/ ٣٨٥).

سورة الزلزلة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع آيات في المدني، وثمان في الكوفي[1].

وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان[2].

أخبرنا أبو المجد محمد بن محمد الكرابيسي، أخبرنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر الكسار، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن النسائي، أخبرنا [محمد بن][3] عبدالله بن يزيد، عن أبيه[4]، عن سعيد[5]، حدثني عياش بن عباس[6]، عن عيسى بن

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٣).

(٢) ممن قال بأنها مدنية: ابن عباس وقتادة ومقاتل والجمهور. وقال ابن مسعود وجابر وعطاء: مكية (انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٣١٨، وزاد المسير ٩/ ٢٠١).

(٣) زيادة من سنن النسائي (٦/ ١٨٠). وانظر ترجمته في: التقريب (ص:٤٩٠)، وتهذيب الكمال (٢٥/ ٥٧٠).

(٤) عبد الله بن يزيد العدوي، مولى آل عمر، أبو عبد الرحمن المقرئ القصير، ثقة، مات بمكة سنة ثلاث عشرة ومائتين (تهذيب التهذيب ٦/ ٧٥، والتقريب ص:٣٣٠).

(٥) هو سعيد بن أبي أيوب، واسمه مقلاص الخزاعي. تقدمت ترجمته.

(٦) عياش بن عباس القتباني الحميري، أبو عبد الرحيم، ويقال: أبو عبد الرحمن المصري، ثقة، توفي سنة ثلاث وثلاثين ومائة (تهذيب التهذيب ٨/ ١٧٦، والتقريب ص:٤٣٧).

هلال[1]، عن عبدالله بن عمرو قال: «أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: أقرئني سورة جامعة، فأقرأه: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ حتى فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق لا أزيد عليها أبداً، فقال رسول الله ﷺ: أفلح الرويجل، أفلح الرويجل»[2].

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

اعلم أن الزلزلة: الحركة الشديدة، والمراد بها هاهنا: زلزلة تكون عند قيام الساعة.

قال مقاتل[3]: تُزَلْزَل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها، ولا تَسْكُنُ حتى تُلقي ما على ظهرها من جبل وبناء وشجر، ثم تتحرك وتضطرب فتخرج ما في جوفها.

وفي قراءة أبي حيوة والجحدري: "زَلْزَالها" بفتح الزاي[4]، فالمكسور مصدر،

---

(١) عيسى بن هلال الصدفي المصري، صدوق (تهذيب الكمال ٢٣/ ٥٣-٥٦، والتقريب ص:٤٤١).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٧ ح١٣٩٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ١٨٠ ح١٠٥٥٢)، وأحمد (٢/ ١٦٩ ح٦٥٧٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٢).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٠٦).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٠٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٤).

والمفتوح اسم.

والأثقال: جمع ثِقَل. والمعنى: أخرجت ما فيها من الدَّفَائِن.

قال ابن عباس: أخرجت ما فيها من الموتى[١].

وقال عطية: كنوزها[٢].

﴿وقال الإنسان﴾ لما خامره من هول تلك الزلزلة الشديدة مُستعظماً لها: ﴿ما لها﴾، كما يقول يوم البعث: ﴿من بعثنا من مرقدنا هذا﴾ [يس:٥٢].

وقيل: هذا قول الكافر؛ لأنه لم يكن مؤمناً بالبعث.

﴿يومئذ﴾ بدل من "إذا"، وناصبها: ﴿تحدِّث﴾، ويجوز أن ينتصب "إذا" بمضمر[٣].

والمعنى: تحدث الخلق ﴿أخبارها﴾.

أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد وأَمَة بما عَمِلَ على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا»[٤].

والباء في قوله: ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ تتعلق بـ"تحدِّث"، أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك وإلهامه إياها أن تحدث.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٦٦)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩٢) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٥٩٢) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٤).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦١٩ ح٢٤٢٩).

﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً﴾ أي: يرجعون عن موقف الحساب فِرَقاً فِرَقـاً، سعداء وأشقياء، كل فِرْقة على حِدَة ﴿ليروا أعمالهم﴾.

قال ابن عباس: جزاء أعمالهم(١).

﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ أي: فمن يعمل في الدنيا زِنَة ذرّة، وهي أصغرُ النمل ﴿خيراً يره﴾ في صحيفة عمله، أو يرى ثوابه.

و"خيراً" و"شراً" تمييزان(٢).

قرأ الكسائي من رواية نصير عنه: "يُرَهُ" بضم الياء فيهما(٣).

وقرأ هشام: "يَرَهْ" بإسكان الهاء في الموضعين(٤).

وقرأ أبو جعفر ويعقوب بخلاف عنهما: بضم الهاء من غير إشباع(٥).

أخبرنا القاضي أبو القاسم عبدالصمد بن محمد بن أبي الفضل الأنصاري، قراءة عليه وأنا أسمع سنة تسع وستمائة، أخبرنا عبدالكريم بن حمزة السلمي الحداد، قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا عبدالعزيز بن أحمد بن محمد الكتاني الحافظ قال: أخبرنا تمام بن محمد [بن](٦) عبدالله الرازي، أخبرنا خيثمة بن سليمان إملاءً،

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٤).

(٢) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٦).

(٣) انظر هذه القراءة في: البحر (٨/ ٤٩٨)، والدر المصون (٦/ ٥٥٦).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٣٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٦٩)، والكشف (٢/ ٣٨٦)، والنشر (١/ ٣١١)، والإتحاف (ص:٤٤٢)، والسبعة (ص:٦٩٤).

(٥) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٢).

(٦) زيادة من ب.

حدثنا أبو يحيى عبدالله بن أبي [مسرة][1] بمكة قال: حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا محمد بن زياد، حدثنا ميمون بن مهران، عن ابن عباس: «أن عائشة رضي الله عنها أتتها امرأة مشتملة على يمينها قد شُلَّتْ، لا تنتفع بها، فقالت لها عائشة: [ما لكِ][2]؟ قالت: أخبرك بالعجب، كان أبي معطاءً كثير المعروف، وكانت أمي امرأة مُمْسِكَةً، لا يكاد يخرج من يدها خير، فمات أبي قبلها بزمان، ثم ماتت هي بعد، فعرج[3] بروحي، فخرجت فإذا أنا بأبي قائم على حوض يسقي من أَقْبَلَ وأَدْبَرَ، فقلت: يا أبَه، هل جاءتكم أمي؟ قال: وقد قُبِضت؟ قلت: نعم، قال: ما جاءتنا، ولكن التمسيها في ذات الشمال، قالت: فخرجت فإذا أنا بها قائمة عريانة ليس عليها إلا خريقة [وَارَتْ][4] بها عورتها، وفي[5] يديها شُحَيْمَة تَدْلُك بها راحتها، كلما نديت لَحَسَتْها، وبين يديها نهر يجري، وهي تنادي: وا عطشاه وا عطشاه، فقلت لها: يا أماه، ما لكِ؟ قالت: أي بنية، دعيني فإني لم أقدّم لنفسي خيراً قط غير هذه الخرقة، وهذه الشُّحَيْمَة، فقلت لها: ما يمنعك من هذا الماء أن تشربي منه، قالت: لا أُتْرَكُ وإياه، فقلت لها: أفلا أسقيك؟ قالت[6]: بلى، فغرفتُ غَرفةً بيدي فسقيتها، فنادى مُناد من السماء: [شُلَّتْ][7] يمين من سقاها، فاستيقظت وأنا كما

---

(١) في الأصل: ميسرة. والتصويب من ب. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٦٣٢).

(٢) في الأصل: ما لي أراها كذا. والمثبت من ب، والفوائد (٢/ ١٦٦).

(٣) في ب: فأعرج.

(٤) في الأصل: وارزة. والتصويب من ب، والفوائد (٢/ ١٦٧).

(٥) في ب: في.

(٦) في ب: فقالت.

(٧) زيادة من ب، والفوائد (٢/ ١٦٧).

ترين، فلما جاء رسول الله ﷺ من المسجد قصّت عليه القصة، فقال رسول الله ﷺ: من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»[١].

قال الحسن رحمه الله: «قدم صعصعةُ عَمُّ الفرزدق على النبي ﷺ، فلما سمع: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ قال: حسبي ما أبالي أن لا أسمع [من][٢] القرآن غير هذا»[٣].

وروى [أبو][٤] الزبير عن جابر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله! إلى ما ينتهي الناس يوم القيامة؟ قال: إلى أعمالهم، من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»[٥].

قال الماوردي[٦]: وفي ذلك قولان:

أحدهما: أنه يَلْقَى ذلك في الآخرة، مؤمناً كان أو كافراً؛ لأن الآخرة هي دار الجزاء.

والثاني: أنه إن كان مؤمناً رأى جزاء سيئاته في الدنيا، وجزاء حسناته في الآخرة، حتى يصير إليها وليس عليه سيئة.

---

(١) أخرجه تمام الرازي في الفوائد (٢/ ١٦٦-١٦٧). وأخرج نحوه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١٨ ح٨٤٥٥).

(٢) زيادة من تفسير الثعلبي.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩ ح ٢٠٦١٢)، والثعلبي (١٠/ ٢٦٧).

(٤) زيادة على الأصل. وانظر: الوسيط (٤/ ٥٤٣).

(٥) أخرجه الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٣).

(٦) تفسير الماوردي (٦/ ٣٢١).

قلتُ: والقول الأول هو الأصح، وهو[1] أشبه بسياق السورة ودلالة اللفظ.
والله تعالى أعلم.

(١) قوله: "هو الأصح وهو" ساقط من ب.

سورة العاديات

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي إحدى عشرة آية[1]. وهل هي مكية أو مدنية؟ فيه قولان.

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾

قال مقاتل[2]: بَعَثَ رسولُ الله ﷺ سريةً إلى حيّين من كنانة، واستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، فأبطأ عنه خبرها، فجعل اليهود والمنافقون إذا رأوا رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ تناجوا، فيظن الرجل أنه قد قُتِلَ أخوه أو أبوه أو عمه، فيجدُ من ذلك [أمراً عظيماً][3]، فنزلت: ﴿والعاديات ضبحاً﴾، فأخبر الله تعالى كيف فعل بهم.

قال ابن عباس وجمهور المفسرين واللغويين: هي الخيل في سبيل الله تعدو

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص: ٢٨٤).

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٠).

(٣) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

فَتَضْبَح[١].

والضَّبْحُ: صوت أنفاسها إذا عَدَوْن، ليس بصهيل ولا حمحمة[٢].

وعن ابن عباس أنه حكاه فقال[٣]: أح أح[٤].

وانتصاب "ضَبْحاً" على: يَضْبَحْنَ ضبحاً، أو على الحال، أي: ضابحات[٥].

ويروى عن علي وابن مسعود والسدي في آخرين: أنها الإبل في الحج[٦].

قال علي عليه السلام: والعاديات من عرفة إلى مزدلفة، ومن مزدلفة إلى منى[٧].

قال الشعبي: تمارى علي وابن عباس في قوله: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فقال ابن عباس: هي الخيل، ألا تراه [يقول][٨]: ﴿فأثرن به نقعاً﴾ فهل تُثيره إلا بحوافرها، وهل تَضْبَحُ الإبل، إنما تَضْبَحُ الخيل؟ فقال علي: ليست كما قلت، لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرسٌ أبلق للمقداد بن الأسود[٩].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧١-٢٧٢)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٠) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) انظر: اللسان (مادة: ضبح).

(٣) في ب: وقال.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠١) وعزاه لابن جرير وابن المنذر.

(٥) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٥٧).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧).

(٧) انظر: التخريج بعد الآتي.

(٨) زيادة من ب.

(٩) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٢-٢٧٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠١) وعزاه لعبد بن حميد.

وفي رواية أخرى: وفرسٌ لمرثد بن أبي مرثد الغنوي.

وفي رواية أخرى: [فرسٌ][(١)] للمقداد، وفرس للزبير.

وقال بعضهم: من قال: هي الإبل؟ قال: ضبحاً يعني: ضبعاً تمد أعناقها في السير. وضَبَحَت وضَبَعَت بمعنًى واحد. قالت صفية بنت عبدالمطلب:

ألا والعادياتِ غَداةَ جَمْعٍ ... بأيديها إذا سَطَعَ الغُبَار[(٢)]

قال صاحب الكشاف[(٣)]: إن صحت الرواية -[يعني][(٤)]: عن علي عليه السلام- فقد استعير الضبح للإبل، [كما استعير][(٥)] المشافر والحافر للإنسان.

قال[(٦)]: وقيل: الضَّبْحُ لا يكون إلا للفرس والكلب والثعلب.

وقيل: الضَّبْحُ بمعنى الضبع، يقال: ضَبَحَت الإبل وضَبَعَت؛ إذا مدَّت أضباعها في السير، وليس بثبت[(٧)].

قوله تعالى: ﴿فالموريات قدحاً﴾ قال جمهور المفسرين واللغويين: هي الخيل إذا [جَرَت][(٨)] فأصابت بحوافرها الحجارة، تُوري النار

---

(١) في الأصل: وفرس. والمثبت من ب.

(٢) البيت لصفية بنت عبدالمطلب. وهو في: القرطبي (٢٠/ ١٥٥)، والماوردي (٦/ ٣٢٣)، والبحر (٨/ ٥٠٠)، والدر المصون (٦/ ٥٥٨).

(٣) الكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٤) زيادة من ب.

(٥) في الأصل: واستعير. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٦) أي: الزمخشري في الكشاف (٤/ ٧٩٥).

(٧) الكشاف (٤/ ٧٩٥).

(٨) في الأصل: أجرت. والتصويب من ب.

بقدحها(١). وتسمى تلك النار: نار الحباحب، وهو شيخ من جاهلية مضر من أبخل الناس، وكان لا يُوقد ناراً حتى ينام كل ذي عين، فإذا ناموا أوقد نويرة تخمد مرّة وتلوح أخرى، فإن استيقظ بها أحد أطفأها كراهية أن ينتفع بها أحد، فشبّهت العرب هذه النار بناره؛ لأنه لا يُنتفع بها(٢).

وانتصب "قَدْحاً" بما انتصب به "ضَبْحاً"(٣).

وقال قتادة: هي الخيل تُهَيِّجُ الحربَ ونارَ العداوة بين أصحابها وفرسانها(٤).

وقال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير: هي نيران المجاهدين إذا أُشعلت وأُكثرت إرهاباً(٥).

وقال عكرمة: هي الألسنة(٦)، أُظْهِرَتْ بها الحجج، وأُقيمت بها الدلائل، وأُوضح بها الحق(٧).

وقال محمد بن كعب [القرظي](٨): هي نيران الحجيج(٩).

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٣). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٠، ٦٠٢) وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس. ومن طريق آخر عن قتادة.

(٢) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٠).

(٣) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٥٨).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٤). وذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤).

(٥) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨).

(٨) زيادة من ب.

(٩) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٠٣) وعزاه لعبد بن حميد.

قوله تعالى: ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ وهي الخيل، تُغير على العدو عند الصباح.

وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما: هي الإبل حين تغدو صبحاً من مزدلفة إلى منى[1].

والإغارة: سُرعة السير، ومنه: أشْرِقْ ثبير كيما نغير.

﴿فَأَثَرْنَ به﴾ وقرأ أبو حيوة: "فَأَثَّرْنَ" بتشديد الثاء، من التأثير[2].

"به" أي: بِعَدْوِهِنَّ، ودلّ عليه: "والعاديات"، أو بمكان عدوهن. وفي الكلام دليل عليه.

﴿نَقْعاً﴾ أي: غباراً، ومنه الحديث: «أن جبريلَ أتى النبيَّ ﷺ يوم الخندق وعلى ثناياه النَّقْع»[3].

﴿فوسَطْن به﴾ وقرأ قتادة: "فوسَّطْن" بتشديد السين[4]، تقول: وسَطت المكان ووسّطته -بالتشديد-، وتوسّطته؛ إذا صرت في وسطه[5].

وقوله: ﴿جمعاً﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

أحدهما: أن يكون مفعولاً، على معنى: فوسطن بِعَدْوِهِنَّ، أو بمكان عَدْوِهِنَّ جَمْعاً من جموع الأعداء، أو فوسطن بعدوهنَّ جَمْعاً، يعني: مزدلفة. وهو قول ابن مسعود[6].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٥)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٧). وذكره الماوردي (٦/ ٣٢٤).

(٢) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٥٩).

(٣) ذكره السيوطي في الدر (٤/ ٧٤) عن حيان بن واسع بن حيان عن أشياخ من قومه.

(٤) انظر هذه القراءة في: الدر المصون (٦/ ٥٦٠).

(٥) انظر: اللسان (مادة: وسط).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٧).

الثاني: أن يكون حالاً، على معنى: فوسطن به جميعاً[١].

وقال صاحب الكشاف[٢]: "فأثرن به نقعاً" أي: فهيّجن بذلك الوقت غباراً، فوسطن بذلك الوقت، أو بالنقع، [أي: وسطن][٣] النقع الجمع. أو فوسطن متلبسات به جَمْعاً من جموع الأعداء.

ويجوز أن يراد بالنقع: الصياح، كقوله عليه السلام: «ما لم يكن نقع ولا[٤] لقلقة»[٥]. أي: فهيجن في [المُغَار][٦] عليهم صياحاً وجلبة.

قوله تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ هذا جواب القسم. والإنسان: اسم جنس.

وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة[٧].

وفي الحديث [عن][٨] النبي ﷺ أنه قال: «الكَنُود: الذي يأكل وحده، ويمنع رفده، ويضرب عبده»[٩].

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٢)، والدر المصون (٦/ ٥٦٠).

(٢) الكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٣) في الأصل: أوسطن. والتصويب من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٤) في ب: أو.

(٥) ذكره البخاري معلقاً (١/ ٤٣٤) عن عمر موقوفاً.

(٦) في الأصل: الغبار. والمثبت من ب، والكشاف (٤/ ٧٩٤).

(٧) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٠٩).

(٨) في الأصل: أن. والتصويب من ب.

(٩) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٤٥ ح٧٩٥٨)، والطبري (٣٠/ ٢٧٨) كلاهما من حديث أبي أمامة.

وقال ابن عباس: هو الكفور الجحود[١]. يقال: كَنَدَ النعمة كُنُوداً؛ إذا كَفَرَها[٢].

وقال الحسن وابن سيرين: لوَّامٌ لربه، يَعُدُّ المصائب وينسى النعم[٣].

وقيل: هو البخيل، في لغة بني مالك[٤].

ومن عجيب ما سمعت بإسناد لا يحضرني الآن: أن بعض الأعراب أرسل ابناً له، حين سمع بمبعث النبي ﷺ يسمع ما يقول، فجاء والنبي ﷺ يقرأ: ﴿والعاديات ضبحاً﴾ فرجع إلى أبيه فقال: ما سمعته يقول يا بني؟ فقال: سمعته يُقسم على ربه بخيلٍ تضبح خواصرها، فتقدح الحصا [بسنابكها][٥]، فتغير على الأحياء غَلَساً، فتثير قَسْطَلَ القَتَام، فتتوسط بالفارس الجمع، وغضون القصة: إن الإنسان لربه لمعاند، فقال: هذا الكلام بعينه يا بني، قال: بل معناه.

قوله تعالى: ﴿وإنه﴾ يعني: الإنسان[٦]. وقيل: الله عز وجل[٧].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٧).

(٢) انظر: اللسان (مادة: كند).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٧٨)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٨)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٥٣ ح٤٦٢٩) كلهم عن الحسن. وذكره السيوطي (٨/ ٦٠٣) وعزاه لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعبه عن الحسن.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٥).

(٥) في الأصل: بسنكائكها. والتصويب من ب.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٠٤) وعزاه لابن المنذر.

(٧) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢١٠).

﴿على ذلك﴾ إشارة إلى كنود الإنسان ﴿لشهيد﴾. والقولان عن ابن عباس.

فإن قلنا: تعود الكناية إلى الله -وهو قول أكثر المفسرين-؛ فهو تهديد.

وإن قلنا: تعود إلى الإنسان -وهو قول ابن كيسان، وهو أجود في نظري؛ لما فيه من اتحاد الضمائر وانتظامها في سمط واحد-، فشهادته على ذلك: ظهور أثره عليه، وعلمه من نفسه صحة ما نُسب إليه.

﴿وإنه لحب الخير﴾ وهو المال. والمعنى: لأجل حُبِّ المال.

﴿لشديد﴾ بخيل، مُمسك. يقال: فلان شديد ومُتَشدّد؛ إذا كان بخيلاً مُمْسِكاً[1]. وأنشدوا قول طرفة:

أرى الموتَ يَعتامُ الكرامَ ويَصْطَفِي عقيلةَ مالِ الفَاحِشِ المتَشَدِّدِ[2]

وقيل: [وإنه][3] لحب المال لشديد قوي مُطيق، وهو في شكر نعمة الله ضعيف.

وقال الفراء[4]: كان موضع الحب: أن يكون بعد "الشديد"، وأن يضاف شديد إليه، فيقال: وإنه لشديد الحب للخير، فلمّا تقدّم "الحبُّ" قبل "شديد" حُذف من آخره؛ لما جرى ذكره في أوله، ولرؤوس الآيات.

﴿أفلا يعلم إذا بعثر﴾ أي: أُثير وأخرج ﴿ما في القبور﴾.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: شدد).

(٢) البيت لطرفة بن العبد، انظر: ديوانه (ص:٣٤)، واللسان (مادة: شدد، فحش، عيم)، وتاج العروس (مادة: شدد، عقل)، والعين (٢/ ٢٦٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٢)، والدر المصون (٦/ ٥٦١).

(٣) في الأصل: إنه. والمثبت من ب.

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٨٦).

﴿وحُصّل ما في الصدور﴾ أُبرز ما فيها من الخير والشر، كأنه حين أُبرز وأُظهر صار حاصلاً موجوداً.

وقيل: مُيِّزَ بين خيره وشره.

وأصل التحصيل: التمييز، ومنه حصّلت الدراهم؛ إذا ميّزتها من زُيُوفها[1].

قال لبيد:

وكلُّ امرئٍ يوماً سَيَعْلَمُ أمرَهُ ... إذا كُشِفَتْ عند الإلهِ الحَصَائِلُ[2]

ومنه قيل للمنخل: المحصل.

وفي قوله: ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ إيذانٌ بإحاطة علمه بمقادير أعمالهم وجزائهم. والله أعلم.

---

(١) انظر: اللسان (مادة: حصل).

(٢) البيت للبيد، وهو في: اللسان وتاج العروس (مادة: حصل)، والعين (٣/ ١١٦)، والمستطرف (١/ ١٦) مع اختلاف في بعض الكلمات. وفي ب: الخصائل.

سورة القارعة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي عشر آيات في المدني، وإحدى عشرة في الكوفي[1]. [وهي مكية][2] بإجماعهم.

ٱلۡقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ﴿٥﴾
فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةُۢ ﴿١١﴾

والقارعة: القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تقرع القلوب.

والعامل في قوله: ﴿يوم يكون الناس﴾ مُضمرٌ دل عليه "القارعة"، أي: تقرع يوم يكون الناس ﴿كالفراش﴾، وهو ما تراه يتهافت في النار، و﴿المبثوث﴾ المتفرّق.

وقال الكلبي: الذي يجول بعضه في بعض[3].

شَبَّه سبحانه وتعالى الناس في كثرتهم وانتشارهم وضعفهم وذلتهم وتطايرهم

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٥).

(٢) في الأصل: ومكية. والمثبت من ب.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٢٨).

إلى الداعي من كل مكان بالفراش المبثوث.

﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ وهو الصوف المصبوغ المندوف.

وقد فسرناه في سأل سائل[١].

وقد سبق ذكر الموازين في أول الأعراف[٢].

قوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾ أي: فمسكنه جهنم.

وقيل لمسكنه: "أمُّه"؛ لأن أصل السكون إلى الأم.

والهاوية: من أسماء جهنم، وهي المهواة لا يُدرك قعرها.

ويدل على صحة هذا المعنى: ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات العبد تلقى روحه أرواح المؤمنين، فيقول له: ما فعل فلان؟ فإذا قال: مات، قالوا: ذُهِبَ به إلى أمه الهاوية، فبئست الأم [وبئست][٣] المربيّة»[٤]. وهذا المعنى قول ابن زيد، والفراء، وابن قتيبة، والزجاج[٥].

وقال عكرمة: أراد: أمّ رأسه، يهوي عليها في نار جهنم[٦].

قال قتادة: هي كلمة عربية، كان الرجل منهم إذا وقع في أمر شديد قالوا: هَوَتْ أمُّه[٧]، وأنشدوا:

---

(١) عند الآية رقم: ٩.

(٢) عند الآية رقم: ٨.

(٣) زيادة من الحاكم.

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٨١ ح٣٩٦٨).

(٥) انظر: معاني الفراء (٣/ ٢٨٧)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٥٦).

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٨). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٧) ذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٠٦) وعزاه لابن المنذر.

هَوَتْ أُمُّهُ ما يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادياً [وماذا يرُدُّ الليلُ][١] حينَ يَؤُوب[٢]

﴿وما أدراك ما هيه﴾ يعني: الهاوية.

وعلى قول عكرمة: يريد: الداهية، التي دلّ عليها قوله تعالى: ﴿فأمه هاوية﴾. ثم فسرها فقال: ﴿نار﴾ أي: هي نار ﴿حامية﴾.

قرأ حمزة: "ما هِيَ" بغير هاء في الوصل، وقرأ الباقون: بالهاء في الحالين[٣].

قال الزجاج[٤]: الوقف: "هِيَهْ"، والوصل "هي نار"؛ لأن الهاء دخلت في الوقف تبين فتحة الياء[٥]، والذي يجب اتباع المصحف فيوقف عليها ولا توصل؛ لأن السنة اتباع المصحف، والهاء ثابتة فيه. والله تعالى أعلم.

---

(١) في الأصل: وما يرد إذا لليل. والتصويب من ب، ومصادر البيت.

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي، من قصيدة له يرثي أخاه أبا المغوار الباهلي. وهو في: جمهرة الأمثال (٢/ ٣٥٤)، ومجمع الأمثال (٢/ ٣٩٠)، واللسان (مادة: هبل، أمم، هوا)، والقرطبي (٢٠/ ١٦٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٤)، والدر المصون (٦/ ٥٦٤).

وقوله: ما يبعث الصبح غادياً، يريد من ذكراه والحزن عليه، لأنه وقت الغارات وحمايتهم من العاديات.

وقوله: وماذا يرد الليل يعني من ذكراه أيضاً لأنه وقت الضيفان وطروقهم للقرى (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، ص: ٨٤).

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٠)، والكشف (٢/ ٣٨٦)، والنشر (٢/ ١٤٢)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٥).

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٥٦).

(٥) يريد: حيث دخلت هاء السكت وهي ساكنة فتحت الياء، إذا لم تعد الياء آخر الكلمة (هامش معاني الزجاج ٥/ ٣٥٦ حاشية ١).

سورة التكاثر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثماني آيات[١]. وهي مكية بإجماعهم.

والسبب في نزولها على ما ذكره [ابن السائب][٢] ومقاتل[٣]: أن حَيَّين من قريش؛ بني عبد مناف، وبني سهم، جرى بينهما لحاء، فقال هؤلاء: نحن أكثر سيداً وأعز نفراً، وقال أولئك مثل ذلك[٤]، فتعادّوا السادة والأشراف أيهم أكثر، فكَثَرَتْهم بنو عبد مناف [بالأحياء][٥]، ثم قالوا: نعدّ موتانا، فزاروا القبور، فعدّوا موتاهم فكثرتهم بنو سهم؛ لأنهم كانوا أكثر عدداً في الجاهلية، فنزلت هذه السورة[٦].

وقال قتادة: نزلت في اليهود، قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلانٍ أكثرُ من بني فلان، فألهاهم ذلك حتى ماتوا ضُلاَّلاً[٧].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٦).

(٢) في الأصل: ابن أبي السائب. والمثبت من ب.

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٥).

(٤) في ب: هذا.

(٥) زيادة من تفسير مقاتل، الموضع السابق.

(٦) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣١)، والواحدي في أسباب النزول (ص:٤٩٠).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٠). وذكره الواحدي في أسباب النزول (ص:٤٩٠)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ٦١٠).

أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨

قال الله تعالى: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ وقرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه وابن عباس والشعبي: ["أألهاكم"][(١)] بهمزتين مقصورتين، على الاستفهام، بمعنى الإنكار والتوبيخ[(٢)].

والمعنى: شغلكم التفاخر بكثرة الرجال الأشراف، ويدخل في ذلك: التكاثر بالأموال والأولاد.

﴿حتى زرتم المقابر﴾ فعدَّدْتُم من فيها من أشرافكم.

وقيل: المعنى: حتى أدرككم الموت على تلك الحال.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن الشخير أنه قال: «انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ قال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وما لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت؟»[(٣)].

قوله تعالى: ﴿كلا﴾ ردعٌ لهم ولكل عاقل عن أن يجعل ذلك وما أشبهه من أمور الدنيا الحائلة الزائلة أكبر همّه ومبلغ علمه.

ثم توعدهم فقال: ﴿سوف تعلمون﴾.

---

(١) في الأصل: ألهاكم. والتصويب من ب.

(٢) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢١٩)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٦).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٣ ح٢٩٥٨). ولم أقف عليه في صحيح البخاري.

ثم أكّد ذلك بقوله: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ قال الحسن: هو وعيد بعد وعيد[١].

والمعنى: سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم سلطانُ الموت، وما بعده من القبر وأهوال القيامة، والمجازاة.

ثم كرر تنبيههم أيضاً فقال: ﴿كلا﴾. وجواب: ﴿لو تعلمون﴾ محذوف.

والمعنى: لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿علم﴾ الأمر ﴿اليقين﴾ أي: كعلمكم ما تستيقنونه من الأمور، أو لو تعلمون الأمر علماً يقيناً لشغلكم عن التكاثر.

ثم [توعدهم][٢] أيضاً فقال: ﴿لترون الجحيم﴾ وقرأ ابن عامر والكسائي: "لَتُرَوُنَّ" بضم التاء[٣].

﴿ثم لَتَرَوُنَّها﴾ وقرأ يعقوب في رواية أبي حاتم: "لَتُرَوُنَّها" بضم التاء[٤].

﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين.

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ قال الحسن: هو خاص بالكفار[٥].

وقال قتادة: هو عام[٦].

وهو الصحيح، فالمؤمن يُسأل عن الشكر، والكافر يُسأل سؤال توبيخ، لم قابل

---

(١) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٩).

(٢) في الأصل: توعد. والمثبت من ب.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٣٩)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧١)، والكشف (٢/ ٣٨٧)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٥).

(٤) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٢٠)، والدر المصون (٦/ ٥٦٥).

(٥) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٤٩).

(٦) مثل السابق.

النِّعَم بالكفر.

وللمفسرين في النعَم أقوال كثيرة؛ قال ابن مسعود: الأمن والصحة(١).

وقيل: الماء البارد.

وقال الحسن: الغداء والعشاء(٢).

وقال عكرمة: الصحة والفراغ(٣).

وقيل: غير ذلك.

والصحيح: عمومها في صنوف نِعَم الله على الآدمي.

ومنه قوله ﷺ حين أكل هو وأبو بكر وعمر رُطَباً وشربوا ماء: «هذا من النعيم الذي تُسألون عنه»(٤).

وفي حديث(٥) عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: ثلاثٌ لا أسأل عبدي عن شكرهن، وأسأله عما سوى ذلك، بيتٌ يسكنه، وما يقيم به صلبه من الطعام، وما يواري به عورته من اللباس»(٦). والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٨٥)، والبيهقي في الشعب (٤/ ١٤٩ ح٤٦١٥)، وهناد في الزهد (٢/ ٣٦٤ ح٦٩٤). وأخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٠) مرفوعاً. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦١٢) وعزاه لهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٢).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٢)، والبغوي (٤/ ٥٢٢).

(٤) أخرجه النسائي (٦/ ٢٤٦ ح٣٦٣٩)، وأحمد (٣/ ٣٣٨ ح١٤٦٧٨).

(٥) في ب: الحديث.

(٦) أخرجه هناد في الزهد (١/ ٣١٧ ح٥٦٨).

سورة العصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث آيات[1].

قال ابن عباس وابن الزبير وعامة المفسرين: هي مكية[2].

وقال مجاهد وقتادة ومقاتل[3]: مدنية[4].

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

قال ابن عباس: العصر: الدهر[5]. واختاره الفراء وابن قتيبة[6].

أقسم الله به؛ لما فيه من الآيات والعبر، ومروره على نظام بديع لا ينخرم.

وقال [الحسن][7]: العصر: ما بين زوال الشمس وغروبها[8].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٧).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٣) قلت: الذي في تفسير مقاتل (٣/ ٥١٦): أنها مكية.

(٤) الماوردي (٦/ ٣٣٣)، وزاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٥) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٨٩)، والماوردي (٦/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٨٩)، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٥٣٨).

(٧) زيادة من ب.

(٨) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٤).

قال الزجاج[١]: والعصر الدهر، والعصر اليوم، والعصر الليلة.

قال الشاعر:

ولنْ يَلَبَثَ العَصْرانِ يومٌ وليلةٌ إذا طَلَبَا أن يُدْرِكَا ما تَيَمَّمَا[٢]

وقال آخر:

وأَمْطُلُهُ العَصْرَيْن حتى يَمَلَّنِي ويرضَى بنصفِ الدَّيْنِ والأنْفُ رَاغِمُ[٣]

وقال مقاتل[٤]: صلاة العصر.

قال غيره: أقْسَمَ اللهُ بها لفضلها، من كونها الصلاة الوسطى، [وكان][٥] رسول الله ﷺ يحض الناس على مراعاتها حتى قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وُتِرَ أهله وماله»[٦].

وجواب القسم: ﴿إن الإنسان﴾ وهو اسم جنس ﴿لفي خسر﴾ أي: خسران.

قال أهل المعاني: الخسْرُ: هلاك رأس المال أو نقصانه، فإذا لم يعمل الإنسان

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٥٩).

(٢) البيت لحميد بن ثور الهلالي. وهو في: إصلاح المنطق (ص:٣٩٤)، واللسان وتاج العروس (مادة: عصر)، والعين (١/ ٢٩٣)، والبحر المحيط (٨/ ٥٠٧)، والدر المصون (٦/ ٥٦٧)، والقرطبي (٢٠/ ١٧٩)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٢٨).

(٣) انظر البيت في: إصلاح المنطق (ص:٣٩٥)، واللسان وتاج العروس (مادة: عصر)، والقرطبي (٢٠/ ١٧٩).

(٤) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٦).

(٥) في الأصل: فكان. والمثبت من ب.

(٦) أخرجه البخاري (١/ ٢٠٣ ح٥٢٧)، ومسلم (١/ ٤٣٦ ح٦٢٦).

بطاعة الله فقد خسر نفسه وعمره، وهما أكبر رأس ماله[١]. وقد ذكرت هذا المعنى في البقرة.

[﴿وعملوا الصالحات﴾ وهو أداء الفرائض][٢].

قوله تعالى: ﴿وتواصوا بالحق﴾ التوحيد والقرآن وغيرهما، من الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره.

﴿وتواصوا بالصبر﴾ على طاعة الله وعن معصيته.

قال[٣] إبراهيم النخعي: أراد: أن الإنسان إذا عمّر في الدنيا [لفي][٤] نقص وضعف، إلا المؤمنين فإنهم تُكتب لهم أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم وقوتهم وصحتهم[٥]. وهي مثل قوله: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات... الآية﴾ [التين: ٤-٦].

وروى علي بن رفاعة عن أبيه قال: حججتُ فوافيت علي بن عباس يخطب على منبر رسول الله ﷺ فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * والعصر * إن الإنسان لفي خسر﴾ أبو جهل بن هشام، ﴿إلا الذين آمنوا﴾ أبو بكر الصديق، ﴿وعملوا

---

(١) انظر: الوسيط (٤/ ٥٥١)، وزاد المسير (٩/ ٢٢٥).

(٢) ما بين المعكوفين ذُكر في الأصل في سورة البلد، وموضعه الصحيح هنا. وقد أشرت إلى ذلك في سورة البلد. وقد أشار ناسخ ب إلى ذلك فقال: هذا ذكره الشيخ في سورة البلد، وليس فيها ﴿وعملوا الصالحات﴾ فنقلته إلى هنا وهو موضعه.

(٣) في ب: وقال.

(٤) في الأصل: وجد. والمثبت من ب، وزاد المسير (٩/ ٢٢٥).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٥).

الصالحات﴾ عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ﴿وتواصوا بالحق﴾ عثمان بن عفان، ﴿وتواصوا بالصبر﴾ علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ويُروى مثل هذا التفسير مرفوعاً إلى النبي ﷺ[١].

(١) ذكره القرطبي (٢٠/ ١٨٠).

سورة الهمزة

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي تسع آيات[(١)]. وهي مكية بإجماعهم.

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ
أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ
ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ
مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

قال الله تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ قال ابن عباس: نزلت في الأخنس بن شريق[(٢)].

وقال عروة: في العاص بن وائل[(٣)].

وقال [ابن][(٤)] إسحاق: في أمية بن خلف[(٥)].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٨).

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٤) زيادة من زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٦).

وقال مقاتل[١]: في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب رسول الله ﷺ من ورائه، ويطعن عليه في وجهه.

وقال مجاهد: هي عامة[٢].

ولا منافاة بين الأقوال وأن يكون نزلت بسبب المذكورين، ولفظها عام يشمل من نزلت فيه وغيره.

قال أبو عبيدة والزجاج[٣]: الهُمَزَة واللُّمَزَة: الذي يغتاب الناس.

وقيل: معناهما مختلف.

قال ابن عباس: الهُمَزَة: المغتاب، واللُّمَزَة: العَيَّاب[٤].

وقال الحسن: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الإنسان في وجهه، واللُّمَزَة: الذي يلمِزُه إذا أدبر عنه[٥].

وقال ابن زيد: الهُمَزَة: الذي يهمِزُ الناس بيده، واللُّمَزَة: الذي يلمزُهُم بلسانه[٦].

وقيل: غير ذلك.

ثم وصفه فقال: ﴿الذي جمع مالاً﴾ وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي: "جَمَّعَ"

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٧).
(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).
(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣١١)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٦١).
(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).
(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٧).
(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٣). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٢٨).

بالتشديد[١]، وهو مطابق لقوله: ﴿وَعَدَّدَه﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي والحسن: "وَعَدَدَه" بالتخفيف[٢].

قال الزجاج[٣]: فمن قرأ "وعدَّدَه" بالتشديد كان معناه: عدَّدَه للدهور، فيكون من العدّة، يقال: أعددت الشيء وعدَّدْتُه؛ إذا أمسكتُه[٤].

ومن قرأ بالتخفيف -قال الزجاج[٥]-: معناه: جمع مالاً وعَدداً، أي: وقوماً أعدَّهم أنصاراً. فيكون الضمير على هذا عائداً إلى الهُمَزَة.

وقال الزمخشري[٦]: "وعَدَدَه" -بالتخفيف- بمعنى: وضَبَطَ عَدَدَه وأحصاه.

﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ تَرَكَهُ خالداً في الدنيا لا يموت، فهو يدأب في تثميره، غير مهتمّ بأمر آخرته، ولا عاملٍ بحق الله فيه.

﴿كلا﴾ ردعٌ له عن حسبانه، أو كلا لا يُخلده ماله.

﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾ وقرأ الحسن: "لَيُنْبَذَانَّ"[٧] يعني: هو وماله ﴿في الحطمة﴾ وهو اسم من أسماء جهنم.

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٤)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٢)، والكشف (٢/ ٣٨٩)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٧).

(٢) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٣). وانظر: زاد المسير (٩/ ٢٢٨).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٦١).

(٤) انظر: اللسان (مادة: عدد).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٦١).

(٦) الكشاف (٤/ ٨٠٢).

(٧) إتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٣).

قال مقاتل(١): تُحطِّم العظام، وتأكُلُ اللحمَ حتى تهجم على القلوب، وذلك قوله: ﴿نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة﴾ قال: يخلص حَرُّها إلى القلوب، ثم تُكسى لحماً جديداً، ثم تُقبِل عليهم فتأكلهم.

قال الفراء(٢): يبلغ ألمها الأفئدة. والاطلاع والبلوغ قد يكونان بمعنى واحد، والعرب تقول: متى طلعتَ أرضنا، أي: بلغت.

فإن قيل: العذاب شامل لجميع أجزائه، فلم خصّ الأفئدة؟

قلتُ: فيه إيذانٌ بزيادة عذابها، ومضاعفة ألمها.

فإن قيل: فلم خُصّت بالزيادة؟

قلتُ: لأنها مَقَرُّ الكفر والعقائد الخبيثة.

وقيل: خصّ الأفئدة؛ لأن الألم إذا وصل إلى الفؤاد مات صاحبه، فأخبر أنهم في حال من يموت، وهم لا يموتون.

ومعنى ﴿مؤصدة﴾: مُطْبِقَة. وقد ذكرناه في آخر سورة البلد(٣).

قوله تعالى: ﴿في عَمَدٍ ممددة﴾ قرأ أهل الكوفة إلا حفصاً: "عُمُدٍ" بضم العين والميم، وفتحهما الباقون(٤).

---

(١) تفسير مقاتل (٣/ ٥١٧).

(٢) معاني الفراء (٣/ ٢٩٠).

(٣) عند الآية رقم: ٢٠.

(٤) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٥)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٣)، والكشف (٢/ ٣٨٩)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٣)، والسبعة (ص:٦٩٧).

قال الفراء وغيره[١]: هما جمعان [للعَمُود][٢]، كرسُول ورُسُل، وأديم وأُدُم.

قال مكي[٣]: الياء كالواو في البناء.

وقال أبو عبيدة والزجاج[٤]: كلاهما جمع: العِمَاد، مثل: إِهَابٍ وأَهَبٍ [وأُهُبٍ][٥]، وهي أوتاد الأطباق التي تُطبق على أهل النار.

وفي قراءة عبد الله: "بعُمُد"[٦]، وهذا تفسيرٌ لقراءة العامة.

المعنى: أنها عليهم مُطْبَقَة بعُمُد. وفي آخر البلد[٧] عن مقاتل[٨] ما يؤيد هذا المعنى.

وقيل: المعنى[٩] مؤصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطر التي تُقْطَرُ [فيها][١٠] اللصوص، أجارنا الله تعالى منها.

---

(١) معاني الفراء (٣/ ٢٩١).

(٢) في الأصل: للعمد. والمثبت من ب.

(٣) الكشف (٢/ ٣٨٩).

(٤) مجاز القرآن (٢/ ٣١١)، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٦٢).

(٥) زيادة من ب.

(٦) انظر هذه القراءة في: زاد المسير (٩/ ٢٣٠).

(٧) عند الآية رقم: ٢٠.

(٨) تفسير مقاتل (٣/ ٤٨٧).

(٩) قوله: وقيل المعنى، ساقط من ب.

(١٠) زيادة من ب.

سورة الفيل

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي خمس آيات[1]. وهي مكية.

قال محمد بن إسحاق وغيره -دخل كلام بعضهم في بعض ومعظم [السياقة][2] لابن إسحاق-: كان من حديث أصحاب الفيل فيما ذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن لقي من علماء أهل اليمن وغيرهم: أن أبرهة بن الصباح الأشرم -ملك اليمن- بنى كنيسة بصنعاء، وسماها القُلَّيس، وأراد أن يصرف إليها حج العرب، فخرج رجلٌ من كنانة فقَعَدَ فيها[3] ليلاً، فبلغ أبرهة ذلك، فقال: من اجترأ على ذلك؟ فقيل: رجلٌ من العرب من أهل ذلك البيت، سمع بالذي قلت، فصنع هذا، فحلف ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها، فخرج سائراً في الحبشة وخرج معه بفيل يقال له: محمود، وكان قوياً عظيماً -وقيل: استصحب معه أيضاً اثنا عشر فيلاً-، حتى إذا بلغ الطائف خرج إليه مسعود بن [مُعَتّب][4] الثقفي في رجال من ثقيف، فقال: أيها الملك إنما نحن

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٨٩).

(٢) في الأصل: السياق. والمثبت من ب.

(٣) قَعَدَ فيها: أي: أحدث فيها.

(٤) في الأصل و ب: مغيث. والصواب ما أثبتناه. وانظر: مصادر تخريج القصة.
وقال ابن حجر: "معتب": بمهملة ومثناة ثم موحدة (فتح الباري ٦/ ٢٦٣).

عبيدك، ليس لك عندنا خلاف، وبعثوا معه أبا رغال -مولىً لهم- ليدله على البيت، فلما بلغ المُغَمَّس[1] مات [أبو][2] رغال -وهو الذي يُرجم قبره- فبعث أبرهة من المغمّس رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود، على مقدمة خيله، فجمع إليه أموال الحرم، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير، ثم إن أبرهة بعث رجلاً[3] إلى أهل مكة فقال: سَلْ عن شريفها، ثم قل له: إني لم آت لقتال أحد إلا أن يُقاتلني، إنما جئت لأهدم هذا البيت، ثم انصرف، فلما أتى مكة سأل عن شريفها، فدُلّ على عبدالمطلب، فأبلغه الرسالة، فقال له عبدالمطلب[4]: ما له عندنا قتال، وما لنا به يدان، سنخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام، فإن يمنعه فهو بيته وحرمه.

قال: فانطلق معي إلى الملك، فخرج معه، فلما دخل على الملك أعظمه وأكرمه، وكان عبدالمطلب رجلاً جسيماً وسيماً. وقال الملك لترجمانه: قل له: حاجتك إلى الملك؟ فقال عبدالمطلب: حاجتي أن تردّ عليّ إبلي، فقال [لترجمانه][5]: قل له: قد كنت أعجبتني حين رأيتك، ولقد زهدت الآن فيك، جئت إلى بيتٍ هو دينك

---

(١) المغمس: سهل أفيح يمتد من الشمال إلى الجنوب، مبدؤه من الصفاح وأسفل حنين ولبن الأسفل، ومنتهاه عرفة وجبل سعد والخطم، تشرف عليه من الشرق سلسلة جبلية عالية، عظمها كبكب الذي تطلع شمس وسط المغمس من فوقه، وهو شرق مكة على ٢٠ كيلاً (معجم معالم الحجاز ٨/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: أبا. والتصويب من ب.

(٣) واسمه: حناطة الحميري، كما في تاريخ الأزرقي (١/ ٢٢١)، والطبري (٣٠/ ٣٠١).

(٤) في ب: فقال عبدالمطلب: قل له.

(٥) زيادة من ب.

ودين آبائك وعصمتكم لأهدمه فلم تكلّمني فيه وكلّمتني في مائتي بعير أصبتها، فقال عبدالمطلب: قل له: أنا رب هذه الإبل، وإن لهذا البيت رباً سيمنعه منه، فأمر بإبله فرُدَّت عليه.

قال ابن إسحاق: وكان فيما زعم[(١)] بعض أهل العلم: قد ذهب عبدالمطلب إلى أبرهة بسيد بني كنانة[(٢)] وسيد بني هذيل[(٣)]، فعرضوا على أبرهة ثُلُثَ أموال أهل تهامة، [على][(٤)] أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت، [فأبى][(٥)] عليهم.

فلما رُدّت الإبل على عبدالمطلب رجع فأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرّقوا في الشِّعاب، ويتحرَّزوا في رؤوس الجبال، تخوفاً عليهم من معرّة الجيش إذا دخل، ففعلوا، وأتى عبدالمطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول:

يا ربِّ لا أرجو [لهمْ][(٦)] سِوَاكَا   يا ربِّ فامنعْ منهُم حِمَاكَا
إنَّ عدوَّ البيت مَنْ عَاداكَا   امنعهمُ أن يُخْرِبُوا قِرَاكَا[(٧)]

وقال أيضاً:

---

(١) في الأصل: عزم. والتصويب من ب.

(٢) وهو يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل، كما في تاريخ الأزرقي (١/ ٢٢٣)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣٠٢).

(٣) وهو خويلد بن واثلة الهذلي، كما في تاريخ الأزرقي وتفسير الطبري، الموضعان السابقان.

(٤) في الأصل: إلى. والتصويب من ب.

(٥) في الأصل: فأتى. والتصويب من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) انظر البيتين في: القرطبي (٢٠/ ١٩١)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣٠٢)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٤٢)، وزاد المسير (٩/ ٢٣٣)، والماوردي (٦/ ٣٤١).

لاهُـــمَّ إنَّ المـــرءَ يمنـــعُ رَحْلَـــهُ فـــامنعْ حِلالَـــك

لا يغلـــبنَّ صـــليبُهم ومِحَـــالُهم عَـــدْواً مِحَالَـــك

جَـــرُّوا جُمـــوعَ بلادِهـــم والفيـــلَ كـــي يـــسْبُوا عِيالَـــك

عَمَـــدُوا حِمَـــاكَ بكيْـــدِهِم جَهْـــلاً ومـــا رَقَبُـــوا جَلالَـــك

إنْ كنـــتَ تـــاركَهُم وكَعْـــبَتَنَا فـــأمْرٌ مـــا بَـــدَا لَـــك[١]

ثم إن أبرهة أصبح متهيئاً للدخول، فقدّم الفيل، فكانوا كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح، فإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هـرول، فأرسـل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف[٢]، مـع كـل طـير منهـا ثلاثـة أحجـار، حجران في رجليه وحجر في منقاره، أمثال الحمص والعدس، فلما غـشين القـوم أرسلنها عليهم، فلم تصب أحداً إلا هلك، ولم تُصب كل القـوم، فخـرج مـن لم تُصبه الحجارة منهم يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، وماج بعضهم في بعـض، وهلكوا في كل طريق ومنهل، وبعث الله على أبرهة داء في جسده، فجعلت أنامله تتساقط، كلما سقطت أنملة تبعتها أنملة من قيح ودم، فانتهى إلى صنعاء وهو مثلُ فرخ الطير فيمن بقي من أصحابه، وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه[٣].

---

(١) انظر الأبيات في: زاد المسير (٩/ ٢٣٣-٢٣٤)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٤٢)، وسيرة ابن إسـحاق (١/ ٣٩)، وتاريخ الخميس (١/ ١٩٠).

(٢) الخُطّاف: الطائر المعروف، الذي تدعوه العامة: عصفور الجنة (اللسان، مادة: خطف).

(٣) أخرج القـصة بطولهـا: الطـبري (٣٠/ ٣٠٠-٣٠٣)، والأزرقـي في تاريخـه (١/ ٢١٩-٢٢٧). وانظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٦٣-١٧٣)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٣٩-٤٤٣).

قالوا: فلما رأى عبد المطلب الطير قد أقبلت من ناحية البحر قال: إن هذه لطيرٌ غريبة، وبعث ابنه عبدالله -أبا النبي ﷺ- ينظر أمر القوم، فرجع يركض فرسه ويقول: هلك القوم جميعاً، فخرج عبد المطلب وأصحابه، فغنموا أموالهم. وقيل: لم ينج من القوم إلا وزير أبرهة أبو يكسوم، فسار وطائرٌ يحلّق فوقه، حتى دخل على النجاشي وهو الملك الأعظم، وكان أبرهة دونه، فلما أخبره الخبر أرسل الطائر عليه الحجر فهلك، فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه[١].

فصل

ذهب أكثر علماء النقل إلى أن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أن الفيل كان قبل مولد النبي ﷺ بثلاث وعشرين سنة[٢].

وحكى مقاتل[٣]: أنه كان قبل مولده بأربعين سنة. والأول أصح.

قال عبد الملك بن مروان لقباث بن أشيم الكناني: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله ﷺ أكبر وأنا أسن منه، وُلد رسول الله ﷺ عام الفيل، ووقَفَتْ بي أمي على روث الفيل[٤].

---

(١) ذكره الماوردي (٦/ ٣٣٩-٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٢-٢٣٥).

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٣/ ٢٣٦).

(٣) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٣).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٧٢٤ ح٦٦٢٤)، والطبراني في الكبير (١٩/ ٣٧ ح٧٥) كلاهما بدون لفظ: «ووقَفَتْ بي أمي على روث الفيل». وانظر لفظ المصنف في: تهذيب الكمال (٢٣/ ٤٦٧)، والاستيعاب (٣/ ١٣٠٣)، وتاريخ الطبري (١/ ٤٥٣).

ويروى: أن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت قائد الفيل وسائسه [أعميَيْن][(١)] مُقْعَدَيْن يستطعمان[(٢)].

وقال الواقدي: كان أبرهة جد النجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ[(٣)].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿ألم تر﴾ قال الفراء[(٤)]: ألم تُخْبَر.

قال الزجاج[(٥)]: ألم تعلم. وقد سبق ذلك.

قال صاحب النظم: معناه: التعجيب[(٦)].

وقد ذكرنا سبب مسيرهم لتخريب الكعبة، وهو قول ابن عباس وعامة المفسرين.

وقال مقاتل[(٧)]: كان السبب في ذلك: أن قوماً من قريش خرجوا في تجارة إلى

---

(١) زيادة من ب.

(٢) أخرجه الأزرقي في تاريخه (١/ ٢٢٩). وذكره ابن هشام في سيرته (١/ ١٧٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٥) وعزاه للبزار، قال: ورجاله ثقات.

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤١)، والقرطبي (٢٠/ ١٩٣).

(٤) معاني الفراء (٣/ ٢٩١).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٣).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٤).

(٧) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٠).

أرض النجاشي، فنزلوا إلى جانب بِيعَة، فأوقدوا ناراً، فلما رحَلُوا أطارت الريح النار، فاضطرم الهيكل، وانطلق الصريخ إلى النجاشي، فأخبره فأسف عند ذلك غضباً للبِيعَة، فبعث أبرهةَ ليهدم(١) الكعبة.

قوله تعالى: ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ يعني: مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة "في تضليل" عما قصدوا له(٢)، يريد: سعيهم ضل وبطل، كما قال: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ [غافر:٢٥].

﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أبابيل: متتابعة يتبع بعضها بعضاً(٣).

وقال ابن مسعود: متفرّقة من هاهنا ومن هاهنا(٤).

قال أبو عبيدة(٥): جماعات في تفرقة.

قال الفراء(٦) وأبو عبيدة: لا واحد لها.

وحكى الزجاج(٧): واحدها: إبّالة. قال: وبعضهم يقول: واحدها: إبَّوْل، مثل: عِجَّوْل وعَجَاجِيل.

---

(١) في ب: لهدم.

(٢) ساقط من ب.

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٧). وفي تفسير مجاهد (ص:٧٨٢): مجتمعة متتابعة. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٣١) وعزاه لابن مردويه.

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٦).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٣١٢).

(٦) معاني الفراء (٣/ ٢٩٢).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

واختلفوا في صفتها ولونها؛ فقال ابن عباس: كان لهم خراطيم كخراطيم الطير، وأكفٌّ كأَكُفِّ الكلاب[(١)].

وقد ذكرنا عن ابن إسحاق: أنها كانت أمثال الخطاطيف[(٢)].

وقال سعيد بن جبير: كانت خضراء[(٣)].

وقال قتادة: بيضاء[(٤)].

وقال [عبيد][(٥)] بن عمير: سوداء[(٦)].

وغير ممتنع أن تكون مختلفة الألوان، فلا منافاة بين الأقوال.

واختلفوا في صفة الحجارة؛ فقال ابن إسحاق كما حكيناه في سياق القصة.

وقال عبيد بن عمير: بل كان الحجر كرأس الرجل[(٧)].

وقد سبق ذكر السِّجِّيل في هود، والعَصْف في الرحمن[(٨)].

والمعنى: فجعلهم كزرع وتِبْن قد أكلته الدواب، ثم راثته، قد نَسَّ وتفرقت

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٧)، وابن أبي شيبة (٧/ ٣٢٦ ح٣٦٥٣٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٣٠) وعزاه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢) سبق قبل قليل. وانظر: زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٢٩٨). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٤) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٥) في الأصل: عبدالله. والتصويب من ب. وانظر: زاد المسير، الموضع السابق.

(٦) ذكره الطبري (٣٠/ ٢٩٧) بلا نسبة، وابن الجوزي في زاد المسير، الموضع السابق.

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٤).

(٨) السجيل في سورة هود، الآية رقم: ٨٢، والعصف في سورة الرحمن، الآية رقم: ١٢.

أجزاؤه، لكنه جاء على ما عليه آداب القرآن، كقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ [المائدة:٧٥].

وقال ابن عباس: المأكول: الذي أكله الدود.

قال الزجاج(١): أي: جعلهم كورق الزرع الذي جَفَّ(٢) وأُكل، أي: وقع فيه الأكال.

وقيل: أُكل فبقي صِفْراً منه.

قال الزجاج(٣): وجاء في التفسير: أن الله تعالى جلّ ذكره أرسل عليهم سيلاً، فحملهم إلى البحر. والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

(٢) في معاني الزجاج: جُزَّ.

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٤).

سورة قريش

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي خمس آيات في المدني، وأربع في الكوفي[1]. وهي مكية عند الأكثرين.
وقال ابن السائب: مدنية[2].

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴿٤﴾

قوله تعالى: ﴿لإيلاف قريش﴾ قرأ ابن عامر: "لِإِلاَفِ" بغير ياء بعد الهمزة، مثل: لَعِلافِ، جعله مصدر أَلِفَ [إلافاً][3].

قال أبو طالب يوصي أبا لهب بالنبي ﷺ:

ولا تَتْرُكَنَهُ ما حييتَ لِمُعْظَمٍ ... وكنْ رَجُلاً ذا نَجْدَةٍ وعَفَافِ
تذُودُ العِدَى عن ربوةٍ هاشميةٍ ... إلافُهُمُ في الناسِ خيرُ إلافِ[4]

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٠).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٣٨).

(٣) زيادة من ب.

(٤) البيتان لأبي طالب بن عبد المطلب، انظر: ديوانه (ص:١٧٧)، والقرطبي (٢٠/ ٢٠٢)، والماوردي (٦/ ٣٤٦).

وقرأ الباقون بياء بعد الهمزة[١]، جعلوه مصدر آلَفَ، وهما لغتان.

واتفقوا على إثبات الهمزة في الموضع الثاني، مصدر آلَفَ.

وكأن ابنَ عامر آثَرَ الجمع بين اللغتين في الكلمتين.

واختلفوا في متعلق اللام من "لإيلاف"، فذهب جمهور العلماء إلى أنه متعلق بقوله: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ [الفيل:٥]، أي: أهلكهم الله لتبقى قريش، [وما][٢] قدْ ألِفُوا من رحلة الشتاء والصيف[٣]. فتكون هذه السورة مرتبطة بما قبلها.

وقيل: إنهما في مصحف أُبيّ سورة واحدة من غير فصل.

ويروى: أن عمر رضي الله عنه قرأهما في الركعة الثانية من صلاة المغرب[٤].

وقال الأعمش والكسائي: هذه لام التعجب، كأن المعنى: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة رب هذا البيت[٥].

وقال الزجاج[٦]: قال النحويون الذين تُرتضى عربيَّتُهُم: هذه اللام معناها متصل بما بعدها. المعنى: فليعبدوا رب هذا البيت لإِلْفِهِمْ رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل: أن قريشاً كانوا يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام

---

(١) الحجة للفارسي (٤/ ١٤٦)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٣-٧٧٥)، والكشف (٢/ ٣٨٩-٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٣)، والإتحاف (ص:٤٤٤)، والسبعة (ص:٦٩٨).

(٢) في الأصل: ما. والمثبت من ب.

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٨).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٣٩).

(٦) معاني الزجاج (٥/ ٣٦٥-٣٦٦).

فَيَمْتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين، والناس يُتخطّفون، فكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا: نحن أهلُ حرم الله، فلا يُتعرّض لهم.

وكل من كان من ولد النضر بن كنانة، فهو من قريش.

واختلفوا في سبب تسميتهم بذلك؛ فقال الأكثرون: سُمُّوا قريشاً؛ لجمعهم المال، وكانوا أهل تجارة، ولم يكونوا أصحاب زرع ولا ضرع، والقَرْشُ: الكَسْبُ[١].

وقال معاوية لابن عباس: لم سمّيت [قريشُ][٢] قريشاً؟ فقال: بدابّة تكون في البحر من أعظم دوابّه، يقال لها: قُريش، لا تمرُّ بشيء من الغَثِّ[٣] والسمين إلا أكلته. وأنشده شعر الجمحي:

وقُريشٌ [هي][٤] التي تسكنُ البحـ ... ـرَ، بها سُميت قُريشٌ قريشا

تأكُلُ الغَثَّ والسَّمينَ، ولا تترُكُ ... فيه لذي الجناحينِ رِيشَا

هكذا في البلادِ حيُّ قريشٍ ... يأكلونَ البلادَ أكْلاً كَمِيشَا[٥]

ولهم آخرُ الزمانِ نبيٌّ ... يُكْثِرُ القتلَ فيهم والخُمُوشَا[٦]

---

(١) انظر: اللسان (مادة: قرش).

(٢) في الأصل: قريشاً. والتصويب من ب.

(٣) الغَثُّ: الرديء من كل شيء (اللسان، مادة: غثث).

(٤) زيادة من ب.

(٥) كميشا: أي: سريعاً (لسان العرب، مادة: كمش).

(٦) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٠).

والخُمُوش: جمع الخَمْش، وهو مثل الخدش في الوجه والبدن (اللسان، مادة: خمش).

قوله: ﴿إيلافهم﴾: ترجمة عن الأول وبدلٌ منه، ﴿رحلة﴾: مفعول به[١]، وأراد رحلتي الشتاء والصيف، فأفرد لأمن الإلباس.

﴿فليعبدوا﴾ أي: فليوحدوا ﴿رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: من بعد جوع، كما تقول: كسوتك من عُرْي، أي: من بعد عُرْي.

قال عطاء عن ابن عباس: كانوا في ضُرٍّ ومجاعة حتى جمعهم [هاشمٌ][٢] على الرحلتين، فكانوا يقْسمون ربحهم بين الغني والفقير، حتى كان فقيرُهم كغنيهم. فلم يكن [بنو][٣] أبٍ أكثر منهم مالاً ولا أعزّ من قريش[٤].

وقد قال الشاعر فيهم:

الخالطونَ فقيرَهُم بغنيِّهم ... حتى يكونَ فقيرُهُم كالكَافي[٥]

﴿وآمنهم من خوف﴾ إن حضروا آمنهم الحرم، وإن سافروا لا يُتعرض لهم، وغيرهم من العرب يتغاورون ويتناحرون. والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: التبيان (٢/ ٢٩٥)، والدر المصون (٦/ ٥٧٣).

(٢) في الأصل: هشام. والتصويب من ب.

(٣) في الأصل: أبو. والمثبت من ب.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٢).

(٥) جاء في هامش ب: وفي القصيدة:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

والبيت لابن الزبعرى، وقيل: لتبع، وهو في: الماوردي (٦/ ٣٤٧)، والبحر (٨/ ٥١٦)، وتاريخ الأزرقي (١/ ١٨٠)، والقرطبي (٢٠/ ٢٠٥)، وسيرة ابن هشام (١/ ٣١٧).

سورة أرأيت

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ست آيات في المدني، وسبع في الكوفي[1].

قال الأكثرون: هي مكية.

وقال ابن عباس وقتادة: مدنية[2].

وقيل: نصفها مكي نزل في العاص بن وائل، ونصفها الآخر مدني نزل في عبد الله بن أبيّ المنافق[3].

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ قال الكلبي: هو العاص بن وائل[4].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩١).

(٢) انظر: الماوردي (٦/ ٣٥٠)، وزاد المسير (٩/ ٢٤٣).

(٣) هو قول هبة الله ابن سلامة. انظر: الناسخ والمنسوخ (ص:٢٠٥).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٥٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٨)، وأسباب النزول (ص:٤٩٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٤).

والدِّين: الجزاء والحساب.

وقال صاحب الكشاف[١]: المعنى: هل عرفت الذي [يكذب بالجزاء][٢] من هو؟ إن لم تعرفه ﴿فذلك الذي يدعُّ اليتيم﴾ أي: يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوةٍ وأذى.

﴿ولا يحض﴾ أي: لا يبعثُ أهله ويحثهم ﴿على طعام المسكين﴾. والمعنى: لا يُطعمه ولا يأمر بإطعامه.

ثم ذكر حالَ المنافقين، مُخبراً بجزائهم، فذلك قوله تعالى: ﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون لاهون؛ لأنهم لا يرجون بفعلها ثواباً، ولا يخافون بتركها عقاباً[٣].

وأكثر المفسرين يقولون: هي عامة في كل من يغفل عن صلاته حتى يخرج وقتها، ويتخذ ذلك دَيْدَناً، وإذا صلى فقلبه متشاغل بالتردد في أودية الأماني، لا يطمأن في ركوع ولا سجود، ولا يذكر الله بقلب خاشع.

قال قتادة: سَاهٍ عنها لا يُبالي، صَلَّى أو لم يُصَلِّ[٤].

﴿الذين هم يراؤون﴾ قال الحسن: هو المنافق، إن صَلَّى صَلَّى رِيَاءً، وإن فاتته لم يندم[٥].

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٠٩).

(٢) في الأصل: يكذب بالدين أي: بالجزاء. والمثبت من ب، والكشاف، الموضع السابق.

(٣) في هامش ب: أسند البزار من حديث مصعب بن سعد عن أبيه، أنه سأل عنها رسول الله ﷺ فقال: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها. رفعه عكرمة بن إبراهيم... رووه موقوفاً.

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٣) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٦). وذكره الماوردي (٦/ ٣٥١).

وعن سعد بن أبي وقاص: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها[(١)].

﴿ويمنعون الماعون﴾ قال ابن عباس: المعروف كله، حتى القِدْر والقَصْعَة والفأس[(٢)].

أخرج أبو داود من حديث عبدالله بن مسعود قال: «كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر»[(٣)].

قال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنما الويل لمن جمعهن فراءى في صلاته، وسَهَا عنها، ومنع هذا[(٤)].

ويروى عن عمر وعلي والحسن وقتادة: أن الماعون: الزكاة[(٥)].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٣)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٦٨)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢١٤ ح٢٩٨٢)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٣٧٧ ح٢٢٧٦)، وأبو يعلى (٢/ ١٤٠ ح٨٢٢). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٢) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٣١٩)، والماوردي (٦/ ٣٥٣)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٥-٢٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ١٢٤ ح١٦٥٧).

(٤) أخرج نحوه البيهقي في الكبرى (٦/ ٨٨ ح١١٢٥١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٥٩)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٦). وذكر نحوه السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٥) وعزاه للفريابي وابن المنذر والبيهقي.

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣١٤-٣١٦)، والحاكم (٢/ ٥٨٥ ح٣٩٧٧)، والبيهقي في الكبرى (٤/ ٨٢ ح٧٠٢٠)، وابن أبي شيبة (٢/ ٤٢٠ ح١٠٦٢٠). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٤٥) وعزاه للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وغيرهم عن علي بن أبي طالب. وذكره الماوردي (٦/ ٣٥٢)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٦).

سورة الكوثر

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي ثلاث آيات[1]. وهي مكية في قول الأكثرين.

وقال الحسن وقتادة وعكرمة: هي مدنية[2].

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾

قال الله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ وقرأ الحسن: "أَنْطَيْنَاكَ"[3]، وهما بمعنى واحد.

والكَوْثَر: فَوْعَلٌ من الكثرة.

والذي عليه جمهور المفسرين [وتدل][4] عليه الأخبار والآثار: أنه نهر في الجنة.

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد، حدثنا البخاري، حدثنا آدم، حدثنا

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٢).

(٢) انظر: زاد المسير (٩/ ٢٤٧).

(٣) انظر هذه القراءة في: القرطبي (٢٠/ ٢١٦)، والدر المصون (٦/ ٥٧٧).

(٤) في الأصل: تدل. والتصويب من ب.

شيبان، حدثنا قتادة، عن أنس قال: «لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهرٍ حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفٌ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»(١).

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عائشة، قال سألتها عن قوله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾؟ قالت: «نَهْرٌ أُعْطِيَه نبيكُم ﷺ، شاطئاه عليه دُرٌّ مجوّف، آنيته كعدد النجوم»(٢).

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: «بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسماً فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر﴾، ثم قال: هل تدرون ما الكوثر؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، [عليه](٣) خيرٌ كثيرٌ، هو حوضٌ ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم»(٤).

وفي رواية: «وعدنيه ربي في الجنة، عليه حوضي»، وساق الحديث.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا هشيم، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨١).
(٣) زيادة من صحيح مسلم (١/ ٣٠٠).
(٤) أخرجه مسلم (١/ ٣٠٠ ح٤٠٠). ولم أقف عليه عند البخاري.

أعطاه [الله][١] إياه. قال أبو بشر: فقلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»[٢].

قوله تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ قال قتادة: صَلِّ صلاة الأضحى[٣].

وقال مجاهد: صلاة الصبح بالمزدلفة[٤].

وقال مقاتل[٥]: صَلِّ الصلوات الخمس.

وأما قوله: ﴿وانحر﴾ فقال عامة المفسرين: اذبح يوم النحر[٦].

وقال علي عليه السلام: ضع اليمنى على اليسرى في الصلاة[٧].

قال ابن جرير[٨]: ضعهما عند النحر في الصلاة. ويروى هذا المعنى مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

---

(١) زيادة من الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٧). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٥١) وعزاه لابن جرير.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٠) عن مجاهد وعطاء وعكرمة. وذكره الماوردي (٦/ ٣٥٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٩)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٥١) وعزاه لعبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد وعطاء وعكرمة.

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٨).

(٦) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٦-٣٢٧). وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٤٩).

(٧) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٢٥)، والحاكم (٢/ ٥٨٦ ح٣٩٨٠)، والضياء المقدسي في المختارة (٢/ ٢٩٢)، والبخاري في التاريخ (٦/ ٤٣٧ ح٢٩١١)، والبيهقي في الكبرى (٢/ ٢٩ ح٢١٦٣)، وابن أبي شيبة (١/ ٣٤٣ ح٣٩٤١)، والدارقطني (١/ ٢٨٥ ح٦). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٥٠) وعزاه لابن أبي شيبة في المصنف والبخاري في تاريخه وابن جرير وغيرهم.

(٨) في تفسيره (٣٠/ ٣٢٦).

قال ابن عباس: قالت قريش: ليس لمحمد ولد، فسيموت وينقطع أثره، فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى قوله: ﴿إن شانئك هو الأبتر﴾.

وفي رواية عن ابن عباس قال: نزلت في العاص بن وائل، لقي رسول الله ﷺ على باب المسجد فوقف يحدثه، ثم دخل العاص المسجد وفيه ناسٌ من صناديد قريش فقالوا له: من الذي كنت تحدث؟ فقال: ذلك الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله ﷺ، وكانوا يسمون من ليس له ابن: أبتر، فأنزل الله هذه السورة(١).

وقيل: شانئه: أبو جهل.

وقيل: أبو لهب.

وقيل: عقبة بن أبي معيط.

والأبتر: المنقطع عن كل خير.

(١) ذكره الواحدي في: أسباب النزول (ص:٤٩٤)، وزاد المسير (٩/ ٢٥٠).

سورة الكافرون[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي ست آيات[2].

والأظهر عندهم -وهو قول الأكثرين-: أنها مكية.

ويروى عن قتادة: أنها مدنية[3].

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

أخبرنا محمد بن محمد بن أبي بكر الهمذاني، أخبرنا عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه المطهر بن عبدالكريم بن محمد [قالا][4]: أخبرنا عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر الكسار، أخبرنا أبو بكر السني، أخبرنا أبو عبدالرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا محمد بن عبدالله بن المبارك، حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا

---

(١) في ب: الكافرين.

(٢) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٣).

(٣) انظر: الماوردي (٦/ ٣٥٧)، وزاد المسير (٩/ ٢٥٢).

(٤) في الأصل: قال. والتصويب من ب.

زهير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن فروة بن نوفل[١]، عن أبيه[٢]، أن النبي ﷺ قال: «ما جاء بك؟ قال: جئت يا رسول الله لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي، قال: إذا أخذت مضجعك فاقرأ: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها، فإنها براءة من الشرك»[٣].

وبالإسناد قال أبو بكر السني: حدثني عبدالله بن محمد، حدثنا عبيدالله بن أحمد، حدثنا الحسن بن عمر بن شقيق، حدثنا عيسى بن ميمون، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ في ليلة: "إذا زلزلت الأرض" كانت له كعدل نصف القرآن، ومن قرأ: "قل يا أيها الكافرون" كانت له كعدل ربع القرآن، ومن قرأ: "قل هو الله أحد" كانت له كعدل ثلث القرآن»[٤].

قال عامة المفسرين: لما قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم بمكة على المشركين، وألقى الشيطان في قراءته ما ألقى، طمع مشركوا قريش فيه، فأتوه فقالوا له: تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أشرك بالله غيره، فأنزل

---

(١) فروة بن نوفل الأشجعي الكوفي، مختلف في صحبته، والصواب أن الصحبة لأبيه، قتل في خلافة معاوية (تهذيب التهذيب ٨/ ٤٤٥، والتقريب ص:٤٤٥).

(٢) نوفل الأشجعي، صحابي نزل الكوفة، وروى عن النبي ﷺ، وروى عنه بنوه: فروة، وعبدالرحمن، وسحيم (تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٣٩، والتقريب ص:٥٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/ ٣١٣ ح٥٠٥٥)، والترمذي (٥/ ٤٧٤ ح٣٤٠٣)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٢٠٠ ح١٠٦٣٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ١٦٦ ح٢٨٩٤) من حديث ابن عباس، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٢).

الله هذه السورة. فأتى المسجد وفيه صناديد قريش فقرأها عليهم، فأيسوا منه[١].

والمعنى: ﴿لا أعبد﴾ في المستقبل من الزمان ﴿ما تعبدون﴾ من الأصنام اليوم، ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في المستقبل ﴿ما أعبد﴾ أي: من أعبده اليوم، وهو الله تعالى.

﴿ولا أنا عابد﴾ أي: ولا كُنْتُ قطُّ عابداً فيما سلف ﴿ما عبدتم﴾.

المعنى: ما فعلت ذلك في الجاهلية، فكيف تتوقعونه مني في الإسلام.

﴿ولا أنتم عابدون﴾ أي: ما عبدتم في زمان من الأزمان ﴿ما أعبد﴾. وهذا التقرير اختيار صاحب الكشاف، قال[٢]: لأن "لا" لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، ألا ترى أن "لن" تأكيد لما تنفيه "لا".

قال الخليل: أصل "لن": "لا أن"[٣].

وقال الزجاج[٤]: المعنى: لا أعبد في حالي هذه ما تعبدون.

﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي: ولا أعبد في المستقبل ما عبدتم.

﴿ولا أنتم﴾ فيما تستقبلون ﴿عابدون ما أعبد﴾.

وقيل: هو تكرير فائدته: حسم أطماع المشركين من عبادة محمد ﷺ آلهتهم.

قال مقاتل[٥]: نزلت هذه السورة في أبي جهل والمستهزئين، ولم يؤمن منهم

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي (ص:٤٩٦).

(٢) الكشاف (٤/ ٨١٤).

(٣) في هامش ب: وهذا على مذهبه في "لن" أنه مختصة بنفي المستقبل ولهذا خص المصنف التقرير السابق بأنه اختياره.

(٤) معاني الزجاج (٥/ ٣٧١).

(٥) تفسير مقاتل (٣/ ٥٢٩).

أحد.

قوله تعالى: ﴿لكم دينكم﴾ أي: شرككم، ﴿ولي دين﴾ توحيدي.

وهذه مجاملة. أي: قد بُعثت إليكم لأرشدكم إلى الهدى، فإذا لم تتبعوني فَدَعُوني، ولا تَدْعُوني إلى الشرك.

وقيل: هو تهديد.

وبعضهم يقول: هو منسوخ بآية السيف[١].

واختلف القراء في "وَلِيَ دين"؛ فقرأ نافع وحفص وهشام: "وَلِيَ" بفتح الياء، وأسكنها الباقون[٢].

وأثبت الياء في "ديني" في الحالين يعقوب، وحذفها الباقون[٣].

---

(١) انظر دعوى النسخ في: الناسخ والمنسوخ لابن سلامة (ص:٢٠٦)، والناسخ والمنسوخ لابن حزم (ص:٦٨)، ونواسخ القرآن لابن الجوزي (ص:٥٠٩).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والإتحاف (ص:٤٤٤)، والسبعة (ص:٦٩٩).

(٣) النشر (٢/ ٤٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٤).

سورة النصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وهي ثلاث آيات، مدنية بالإجماع[1].

وقد ذكرنا في مقدمة الكتاب أنها آخر سورة أنزلت جميعاً.

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣

والمعنى: إذا جاءك يا محمد ﴿نصر الله﴾ على أعدائك من قريش وفتح مكة، وكان لعشر مضين من رمضان سنة ثمان.

﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً﴾ قال أبو عبيدة[2]: جماعات في تفرقة.

قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة قالت العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل، فليس لكم به يدان، فدخلوا في دين الله أفواجاً[3].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٤).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣١٥).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٦٠)، والواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٦)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٥٦). وقوله: "فليس لكم به يدان" أي: ليس لكم به طاقة.

قوله تعالى: ﴿فسبح﴾ هو العامل في ﴿إذا جاء﴾.

والمعنى: فَصَلِّ، أو فقل: سبحان الله.

﴿بحمد ربك﴾ حامداً له حيث ردَّك إلى مكة ظاهراً عزيزاً قاهراً، تجرُّ عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وطوائف العرب، بعد أن خرجْتَ منها خائفاً متستراً، قد أظهر دينك، وأعلى كلمتك، وأوقع في القلوب هيبتك، وأنجز لك ما وعدك.

﴿واستغفره﴾ اطلب منه المغفرة؛ خضوعاً لجلاله، وإظهاراً لعظمته، وفقراً إلى رحمته، ﴿إنه كان تواباً﴾.

وبالإسناد قال البخاري: حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحوص، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: «ما صلى النبي ﷺ بعد أن أنزلت عليه: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»[١].

قال[٢]: وأخبرني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن منصور، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: «كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٠ ح٤٦٨٣).

وفي هامش ب: وفي الباب عن عبدالله بن مسعود ذكر الإمام أحمد في مسنده، وهو بألفاظ في بعض طرقه: أنه كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، اللهم اغفر لي، إنك أنت التواب الرحيم (انظر: المسند ١/ ٣٨٨ ح٣٦٨٣، ١/ ٣٩٢ ح٣٧١٩، ١/ ٣٩٤ ح٣٧٤٥).

(٢) أي البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٤)، ومسلم (١/ ٣٥٠ ح٤٨٤).

وأخرجه مسلم أيضاً عن زهير بن حرب، عن جرير.

قال البخاري: حدثني عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن حبيب [بن][1] أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن عمر سألهم عن قول الله عز وجل: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قالوا: فتح المدائن والقصور. قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال: أجل، أو مَثَلٌ ضُرِبَ لمحمد ﷺ، نُعيت له نفسه»[2].

قال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأنّ بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم تُدْخِل هذا معنا ولنا أبناءٌ مثله؟ [فقال عمر][3]: إنه مَنْ قد علمتم. فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رئيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فقال بعضهم: أُمِرْنا نحمدُ الله ونستغفره إذا نُصِرْنا وفُتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أَجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: إذا جاء نصر الله والفتح، فذلك علامة أجلك، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»[4].

---

(١) في الأصل: عن. والتصويب من ب، والصحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٥).

(٣) زيادة من ب، والصحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠١ ح٤٦٨٦).

وكان ابن مسعود يقول: إن هذه السورة تسمى: سورة التوديع[(١)].

قال قتادة: عاش رسول الله ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين[(٢)]. والله تعالى أعلم.

---

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف (٤/ ٨١٨-٨١٩).

وفي هامش ب: وفي مسند أحمد عن ابن عباس: لما نزلت قال ﷺ: نُعيت إليَّ نفسي بأنه مقبوض في تلك السنة (انظر: المسند ١/ ٢١٧ ح١٨٧٣).

وفيه عن ابن مسعود: كنت معه ليلة وفد الجن، فلما انصرف تنفس، فقلت: ما شأنك؟ فقال: نُعيت إلي نفسي يا ابن مسعود (انظر: المسند ١/ ٤٤٩ ح٤٢٩٤).

وفيه عن عائشة: فلما خرجت نفسه لم أر ريحاً أطيب منها (انظر: المسند ٦/ ١٢١ ح٢٤٩٤٩).

وفيه عنها: سمعته يقول: ما من نبي إلا تُقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم تُرد إليه ثم يُخير... (انظر: المسند ٦/ ٧٤ ح٢٤٤٩٨).

وفيه عن علي: أنه ﷺ كُفّن في سبعة أثواب (انظر: المسند ١/ ١٠٢ ح٨٠١).

وفيه عن أبي سعيد أو أبي عسيب: كيف نصلي عليك؟ قال: ادخلوا أرسالاً أرسالاً (انظر: المسند ٥/ ٨١).

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٥٧).

سورة تبت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس آيات[1]. وهي مكية بإجماعهم.

تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥

والسبب في نزولها: ما أخرج في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس: «أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتكم إن حدّثتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسّيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تباً لك، فأنزل الله تعالى: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ إلى آخرها»[2].

ومعنى: "تَبَّتْ": خَسِرَتْ يدا أبي لهب. [والمراد: جملته، فهو كقوله: ﴿بما قدمت يداك﴾ [الحج:١٠].

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٢ ح٤٦٨٨)، ومسلم (١/ ١٩٣ ح٢٠٨).

وأبو لهب][(١)] عم النبي ﷺ، اسمه: عبد العزى، وكُنِّي بأبي لهب: لتوقد وجهه حُسْناً.

وإنما كَنَّاهُ الله تعالى؛ لاشتهاره بالكنية، والتسجيل عليه بأنه لا يراد بهذا الأمر الفظيع سواه، ولما في تسميته بعبد العزى من الشرك[(٢)].

وقرأ ابن كثير: "لَهْبٍ" بإسكان الهاء[(٣)]، وهما لغتان، كالنَّهَر والنَّهْر، والشَّمْع والشَّمَع. وإنما يسوغ هذا فيما كان على هذا الوزن، وحرف الحلق عين الفعل [أو لامه][(٤)].

قوله تعالى: ﴿وَتَبَّ﴾ إخبار أن التَّباب قد حصل له ووقع به. فالأول دعاء عليه، والثاني خبر.

ويؤيده قراءة ابن مسعود: "وقد تبّ"[(٥)].

﴿ما أغنى عنه ماله﴾ استفهام في معنى الإنكار عليه. ويجوز أن يكون نفياً.

"وما" في قوله: ﴿وما كسب﴾ موصولة أو مصدرية، ومحلها الرفع. على معنى: ما أغنى عنه ماله والذي كسبه، أو كسبه.

والمراد بكسبه: ولده. وكان قال حين أنذرهم النبي ﷺ: إن كان ما يقول محمد

---

(١) زيادة من ب.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٧٣٧): ولا حجة فيه لمن قال بجواز تكنية المشرك على الإطلاق، بل محل الجواز إذا لم يقتض ذلك التعظيم له أو دعت الحاجة إليه.

(٣) الحجة للفارسي (٤/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٦)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠٠).

(٤) في الأصل: ولامه. والمثبت من ب.

(٥) انظر هذه القراءة في: الماوردي (٦/ ٣٦٥)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٦).

حقاً فإني أفتدي بمالي وولدي[١].

ويجوز أن يراد: ما أغنى عنه رأس ماله ولا أرباحه التي اكتسبها، أو ما أغنى عنه ماله الذي ورثه وما كسبه هو.

ثم توعده بالنار فقال: ﴿سيصلى ناراً ذات لهب﴾.

﴿وامرأته﴾ أم جميل بنت حرب، أخت أبي سفيان، ﴿حمالة الحطب﴾.

قرأ عاصم: "حَمَّالَةَ" بالنصب على الذم. وقرأ الباقون: بالرفع على الصفة[٢]، أو على معنى: هي حمالة الحطب.

قال مجاهد والسدي: كانت تمشي بالنميمة[٣]. والعرب تقول: فلانٌ يحطب على فلان؛ إذا كان يُغري به ويُفسد أمره[٤]. قال الشاعر يذكر امرأة:

مِنَ البيضِ لمْ تُصْطَدْ على ظَهْرِ سَوْأَةٍ ... ولم تَمْشِ بين الحَيِّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ[٥]

وقال الضحاك وابن زيد: كانت تحتطب الشوك فتُلقيه في طريق رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٠).

(٢) الحجة للفارسي (٤/ ١٥١)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٦-٧٧٧)، والكشف (٢/ ٣٩٠)، والنشر (٢/ ٤٠٤)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠٠).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٣)، والطبري (٣٠/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣)، وابن أبي الدنيا في الصمت (ص:١٥٨)، والغيبة والنميمة (ص:١١٥). وذكره الماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٠)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٦٧) وعزاه لابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٤) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٥) انظر البيت في: اللسان (مادة: حطب)، وتاج العروس (مادة: حطب، حظر)، والقرطبي (٢٠/ ٢٣٩)، والماوردي (٦/ ٣٦٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٢٨)، والدر المصون (٦/ ٥٨٦)، وروح المعاني (٣٠/ ٢٦٣).

ليلاً[١].

والقولان عن ابن عباس.

وقال قتادة: كانت تُعَيِّر رسول الله ﷺ بالفقر، وكانت تحتطب، فعُيِّرت بذلك[٢].

قال الثعلبي[٣]: وهذا قول ليس بقوي؛ لأن الله وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب.

قلتُ: وليس هذا التضعيف بشيء؛ لأن الاحتطاب مع كثرة المال دناءة وخسّة يأباها ذووا الأَنَفَة.

وقال سعيد بن جبير: حمالة الخطايا[٤]. تقول العرب: فلانٌ حاطب قريته؛ إذا كان مفسداً فيهم، جانياً عليهم[٥].

قوله تعالى: ﴿في جيدها﴾ أي: في عنقها ﴿حبل من مَسَد﴾.

قال ابن قتيبة وغيره[٦]: المَسَد: ما أُحكم فَتْلُه من أي شيء كان.

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٣٩)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٣). وذكره الماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٦٧) وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن زيد. ومن طريق آخر عن ابن عباس وعزاه لابن جرير والبيهقي في الدلائل وابن عساكر.

(٢) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٣٩) بلا نسبة، والماوردي (٦/ ٣٦٧)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١).

(٣) تفسير الثعلبي (١٠/ ٣٢٧).

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦١).

(٥) انظر: اللسان (مادة: حطب).

(٦) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١٦١). وذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٦٩).

والمعنى: في عنقها حبل من ما مُسِدَ، رابطةً به حزمة من الحطب على ظهرها.

ذكر الله صورتها وهيئتها والحطب على ظهرها، والحبل في عنقها؛ تصغيراً لها، وتحقيراً لشأنها. ولن تجد أنكى لها ولزوجها من المناداة عليها بـذلك، وهمـا مـن الشرف والعزة والمنعة والمال بالمكانة التي كانا عليها.

وقيل: المعنى: في جيدها في جهنم حبل من مسد، وهي سلسلة مـن حديـد، ذرعها سبعون ذراعاً، قد أُحكم فَتْلُها، تُعذَّبُ بها في النار.

قال أهل العلم[1]: وفي هذه السورة دلالة واضحة على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأن الله تعالى أخبر عن مصير أبي لهب وامرأته إلى النار، وكانـا مـن أحـرص الناس على إبطال أمره، وإفساد ما جاء به، ولم يؤمنا به نقاماً، ليظهرا للناس الخُلْفَ فيما تُوعِّدا به.

وعندي: أن فيه دلالة على صحة نبوته من وجهين آخرين:

أحدهما: أنه لو لم يكن هذا من عند الله تعـالى لم يقـدم سـيدنا محمـد ﷺ عـلى التسجيل عليهما به؛ لجواز وقوع الإسلام منهما في ثاني الحـال، فيفـضي إلى تطـرُّق الطعن عليه من أعدائه.

الثاني: أنه أخبر بذلك واستمرّ موجبه، وهو [كُفْرُهُما][2] إلى الموت المفضي بهما إليه.

قالت أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «لما نزلت هذه السورة أقبلت

---

(١) هو قول ابن الجوزي في: زاد المسير (٩/ ٢٦٠).

(٢) في الأصل: كفرهم. والتصويب من ب.

أم جميل(١) ولها ولولة وفي يدها فِهْر(٢) وهي تقول: مذمّماً أَبَيْنا، ودينه قَلَيْنا، وأمره عَصَيْنا، ورسول الله ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فقال: هذه أم جميل يا رسول الله، وأنا أخاف أن تراك، فقال: إنها لن تراني، وقرأ قرآناً اعتصم به قال: ﴿وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾ [الإسراء:٤٥]، ثم أقبلت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر إني أُخبرت أن صاحبك هجاني، فقال: لا، ورب هذا البيت ما هجاك، فولّت فعثرت في مِرْطها فقالت: تعس مذمم، ثم انصرفت»(٣).

---

(١) في هامش ب: أسند البزار قصتها من حديث ابن عباس، وقال: حديث الإسناد، ويدخل في مسند أبي بكر رضي الله عنه.

(٢) الفِهْر: الحجر مِلْءَ الكفّ (اللسان، مادة: فهر).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ح٣٣٧٦) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي أربع آيات[1].

وهل هي مكية أو مدنية؟ على قولين[2].

والكلام فيها تحصره فصول ثلاثة:

الفصل الأول: في فضيلتها:

أخبرنا أبو المجد محمد بن أبي بكر الكرابيسي قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا الشيخان عبدالرزاق بن إسماعيل بن محمد وابن عمه [المطهر][3] بن عبدالكريم بن محمد قالا: أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن حمد الدوني، أخبرنا أبو نصر أحمد بن الحسين بن الكسار الدينوري، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد السني، أخبرنا أبو يعلى، حدثنا حوثرة بن أشرس[4] قال: حدثنا المبارك بن فضالة، عن ثابت، عن أنس بن مالك: «أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحب ﴿قل هو الله أحد﴾ قال:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٦).

(٢) ممن قال بأنها مكية: ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وممن قال بأنها مدنية: ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي (انظر: الماوردي (٦/ ٣٦٩، وزاد المسير ٩/ ٢٦٤).

(٣) في الأصل: المظفر. والتصويب من ب.

(٤) حوثرة بن أشرس بن عون بن مجشر بن حجين، المحدث الصدوق، أبو عامر العدوي البصري، توفي في آخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٦٦٨).

حُبّك إياها أدخلك الجنة»[١].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ﴿قل هو الله أحد﴾، فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: سَلُوهُ لأي شيء يصنع ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله عز وجل يحبه»[٢].

وبالإسناد قال السني: حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن عبيد الله بن عبد الرحمن، عن عبيد -مولى آل زيد بن الخطاب- قال: سمعت أبا هريرة يقول: «أقبلنا مع رسول الله ﷺ فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾، فقال رسول الله ﷺ: وجبتْ، فسألته ماذا يا رسول الله؟ قال: الجنة»[٣].

وبالإسناد قال السني: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، عن إبراهيم النخعي، عن الربيع بن خثيم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن كل ليلة، قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: بلى ﴿قل هو الله أحد﴾»[٤].

وبه قال الحافظ أبو بكر السني: أخبرنا الحسين بن يوسف، ثنا علي بن

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٦٨ ح٧٤١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٣-٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٦٨٦ ح٦٩٤٠)، ومسلم (١/ ٥٥٧ ح٨١٣).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦/ ١٧٧ ح١٠٥٣٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤).

(٤) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ١٧٢ ح١٠٥١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤).

عبدالرحمن بن المغيرة، حدثنا عثمان بن صالح، حدثنا ابن لهيعة، حدثني زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ: ﴿قل هو الله أحد﴾حتى ختمها عشر مرات بُني له بها قصرٌ في الجنة»(١).

أخبرنا الشيخان أبو القاسم وأبو الحسن قالا: أخبرنا عبدالأول، أخبرنا عبدالرحمن، أخبرنا عبدالله، أخبرنا محمد الفربري، حدثنا محمد البخاري، حدثنا إسماعيل، حدثنا مالك.

وأخبرنا حنبل بن عبدالله إذناً، أخبرنا أبو القاسم بن الحصين، أخبرنا ابن المذهب، أخبرنا القطيعي، حدثنا عبد الله بن الإمام [أحمد](٢) قال: حدثني أبي، قال: حدثنا إسحاق، حدثنا مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله الأنصاري، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري: «أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لي جاراً يقوم بالليل ولا يقرأ إلا ﴿قل هو الله أحد﴾ كأنه يقللها، فقال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن»(٣). انفرد بإخراجه البخاري.

وبالإسناد [قال](٤) الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٨٣ ح٣٩٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٤-٣٢٥).

وفي هامش ب: قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال: حدثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، ح وحدثنا يحيى بن غيلان، ثنا رشدين، ثنا زبان بن فائد الحبراني، فذكره. وفيه زيادة: قال عمر: يا رسول الله إذاً نستكثر، فقال: الله أكثر وأطيب (انظر: مسند أحمد ٣/ ٤٣٧).

(٢) زيادة من ب.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٥ ح٤٧٢٦)، وأحمد (٣/ ٤٣ ح١١٠٤١).

(٤) في الأصل: عن. والمثبت من ب.

[يزيد][1] بن كيسان، حدثني أبو حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «احشدوا، فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن، قال: فحشد من حشد، ثم خرج فقرأ: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد﴾ ثم دخل فقال بعضنا لبعض: هذا خبر جاءه من السماء، فذلك الذي أدخله، ثم خرج فقال: إني قد قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، وإنها تعدل ثلث القرآن»[2]. انفرد بإخرجه مسلم فرواه عن يعقوب الدورقي، عن يحيى.

الفصل الثاني في سبب نزولها:

أخرج الترمذي من حديث أبي بن كعب: «أن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد﴾ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، وليس شيء يموت إلا سيورث، وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قال: لم يكن له شبيه ولا [عدل][3]، وليس كمثله شيء»[4].

وروى الشعبي عن جابر قال: «قالوا يا رسول الله: انسب لنا ربك، فنزلت: ﴿قل هو الله أحد﴾ إلى آخرها»[5].

---

(١) في الأصل: زيد. والتصويب من ب، والمسند (٢/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥٧ ح٨١٢)، وأحمد (٢/ ٤٢٩ ح٩٥٣١).

(٣) في الأصل: عديل. والتصويب من ب، وجامع الترمذي (٥/ ٤٥١).

(٤) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥١ ح٣٣٦٤).

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٥ ح٥٦٨٧)، والطبري (٣٠/ ٣٤٣)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٥٠٨ ح٢٥٥٢)، وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٣٣٥). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٦٩) وعزاه لأبي يعلى وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبي نعيم في الحلية والبيهقي بسند حسن.

الفصل الثالث: في تفسيرها:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال الزجاج[١]: هو كناية عن ذكر الله تعالى. والمعنى: الذي سألتم تبيين نسبته: هو الله. و"أحد" مرفوع على معنى: هو أحد. المعنى: هو الله هو أحد. ويجوز أن يكون "هو"[٢] [للأمر][٣]، كما تقول: هو زيد قائم، أي: الأمر زيد قائم. فالمعنى: الأمر الله أحد.

قرأتُ على الشيخين أبي البقاء اللغوي وأبي عمرو الياسري لأبي عمرو من رواية أبي خلاد عن اليزيدي عنه: "أحدُ الله" بضم الدال وصلتها باسم الله من غير تنوين ولالتقاء ساكنين[٤].

﴿الله الصمد﴾ قال بعض المفسرين: الصمد: الذي يُصْمَدُ إليه في الحوائج[٥]. ويروى هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ. يقال: صَمَدْتُ صَمْدَه؛ إذا قَصَدْتَ قَصْدَهُ[٦].

وقال الزجاج[٧]: الصَّمَد: السيد الذي ينتهي إليه السُّؤدد.

---

(١) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٢) في هامش ب: ويسمى ضمير الشأن.

(٣) في الأصل: الأمر. والتصويب من ب، ومعاني الزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٤) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٥٣)، والسبعة (ص:٧٠١).

(٥) ذكره الطبري (٣٠/ ٣٤٧)، والماوردي (٦/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٧).

(٦) انظر: اللسان (مادة: صمد).

(٧) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٧-٣٧٨).

قال الشاعر:

لقدْ بَكَّرَ النَّاعِي بخَيْرَي بني أسد بعمرو بن ميمونٍ وبالسَّيِّدِ الصَّمَدِ[١]

قال غيره: ومعنى هذا: أن السؤدد قد انتهى إليه، فلا سيد فوقه[٢].

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي: الصَّمَد: الذي لا جوف له[٣].

قال ابن قتيبة[٤]: كأن الدال في هذا التفسير مبدلة عن تاء.

وحكى الزجاج والخطابي[٥]: أن الصَّمد: الباقي بعد فَنَاء خلقه.

قوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ تكذيب لليهود والنصارى في قولهم: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله.

والمعنى: "لم يلد"؛ لأنه لا يجانس حتى يكونه له صاحبة من جنسه فيتوالدان، ويدل عليه قوله في موضع آخر: ﴿أنى يكون له ولد ولم تكن له

(١) البيت لسبرة بن عمرو الأسدي. وهو في: اللسان (مادة: صمد، خير)، ومجاز القرآن (٢/ ٣١٦)، والطبري (٣٠/ ٣٤٧)، والقرطبي (٢٠/ ٢٤٥)، والماوردي (٦/ ٣٧١)، وزاد المسير (٩/ ٢٦٨)، والبحر (٨/ ٥٢٩)، والدر المصون (٦/ ٥٨٩)، وإصلاح المنطق (ص:٤٩)، والأغاني (٢٢/ ٩٦)، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين (ص:١٠٦) لامرأة من بني أسد. وفي كل المصادر: "عمرو بن مسعود" بدل: "عمرو بن ميمون".

(٢) ذكره الواحدي في الوسيط (٤/ ٥٧١).

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٤)، والطبري (٣٠/ ٣٤٤-٣٤٥). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧١)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٦٨)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٧١) وعزاه للطبراني في السنة عن الضحاك.

(٤) تفسير غريب القرآن (ص:٥٤٢).

(٥) شأن الدعاء للخطابي (ص:٨٥).

صاحبة﴾ [الأنعام:١٠١]، "ولم يولد"؛ لأن كل مولود محدث وجسم، وهو تعالى منزه عن ذلك.

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ قرأ حمزة: "كُفْواً" بسكون الفاء. وقرأ حفص: بالتثقيل وقلب الهمزة واواً، الباقون: بالتثقيل والهمز[١]. وقد ذكرنا أنها لغات فيما مضى.

قال أبي بن كعب: المعنى: لم يكن له مثل ولا عديل[٢].

قال مجاهد: لم يكن له صاحبة[٣].

قال قتادة: لا يكافئه أحد من خلقه[٤].

وفيه تقديم وتأخير، تقديره: لم يكن له أحد كفواً، لكنه راعى رؤوس الآي.

قرأتُ على أبي الحسن علي بن أبي بكر، أخبركم أبو الوقت فأقرَّ به.

وأخبرنا أحمد بن عبدالله العطار قال: أخبرنا أبو الوقت قال: أخبرنا الداودي، أخبرنا السرخسي، أخبرنا الفربري، حدثنا البخاري، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي [فقوله][٥]: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته.

(١) انظر: الحجة للفارسي (٤/ ١٥٨)، والحجة لابن زنجلة (ص:٧٧٧)، والكشف (١/ ١١٦)، والنشر (٢/ ٢١٥)، والإتحاف (ص:٤٤٥)، والسبعة (ص:٧٠١-٧٠٢).

(٢) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٣) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٤٨). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٤) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٢).

(٥) في الأصل: قوله. والمثبت من ب، والصحيح.

وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد»[1].

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٩٠٣ ح٤٦٩٠).

سورة الفلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهي خمس آيات(١).

وهل هي وأختها من المكي أو المدني؟ فيه قولان(٢).

وكان السبب في نزولها: على ما روي عن عائشة وابن عباس وعامة المفسرين، وصح به الحديث: «أن غلاماً من اليهود كان يخدم رسول الله ﷺ، فَدَبَّت إليه اليهود، فلم يزالوا به حتى أخذ مُشَاطَة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه، فأعطاها اليهود، فسحروه فيها، وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له: لبيد بن الأعصم، وجعله في بئر لبني زُرَيْق يقال لها: بئر ذرْوان(٣). فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه، ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، وجعل يذوب، ولم يدر ما عراه، فبينا هو نائم أتاه ملكان، فقعد أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: ما بال الرجل؟ قال: مَطْبُوب. فقال: ومن طَبَّهُ؟ قال: لبيد بن أعصم. قال: وبم طَبَّه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال:

---

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٧).

(٢) ممن قال بأنها مكية: الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وممن قال بأنها مدنية: ابن عباس في أحد قوليه وقتادة (انظر: الماوردي ٦/ ٣٧٣، وزاد المسير ٩/ ٢٧٠). والقول بأنها مدنية أصح.

(٣) ذرْوان: بئر لبني زريق بالمدينة (معجم معالم الحجاز ٣/ ٢٥٣).

وأين هو؟ قال: في جُفِّ طَلْعَةٍ تحت راعوفة[1] في بئر ذَرْوَان. فانتبه رسول الله ﷺ مذعوراً فقال: يا عائشة! أشعرتِ أن الله أخبرني بدائي، ثم بعث رسول الله ﷺ علياً والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف -والجُفُّ: قِشْرُ الطَّلْع- وإذا فيه مُشاطة رأسه وأسنان من مشطه، وإذا وَتَرٌ معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر، فأنزل الله هاتين السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلّت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلَّت العقدة الأخيرة، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال، وجعل جبريل يقول: بسم الله أرقيك، والله يشفيك، من كل شيء يؤذيك، من حاسد وعين، الله يشفيك، فقالوا: يا رسول الله! أفلا نأخذ الخبيث فنقتله؟ فقال: أما أنا فقد شفاني الله، وأكره أن أثير على الناس شراً»[2].

﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

قال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ أي: ألوذ به وألجأ إليه.

و"الفَلَق": الصبح، في قول الحسن ومجاهد[3] وسعيد بن جبير وقتادة وعامة

---

(١) في هامش ب: راعوفة البئر: هي صخرة تترك في أسفل البئر إذا حفرت تكون ناتئة هناك، فإذا أرادوا تنقية البئر جلس المستقي عليها. وقيل: هي حجر يكون على رأس البئر يقوم المستقي عليه. ويروى بالثاء المثلثة. والمشهور: الأول (انظر: اللسان، مادة: رعف).

(٢) أخرجه مختصراً: البخاري (٣/ ١١٩٢ ح٣٠٩٥)، ومسلم (٤/ ١٧١٩-١٧٢٠ ح٢١٨٩) كلاهما من حديث عائشة. وذكره الثعلبي (١٠/ ٣٣٨) واللفظ له.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٦).

المفسرين واللغويين والعرف[١]. تقول: هو أبين من فلق الصبح وفرق الصبح.

وقال الضحاك: "الفلق": الخلق كله[٢].

قال الزجاج[٣]: إذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن انفلاق؛ كالأرض بالنبات، والسحاب بالمطر.

وقال وهب والسدي: سجن في جهنم[٤].

وجاء في بعض الآثار: أنه بيتٌ في جهنم، إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه[٥].

وهذه الأقوال الثلاثة مروية عن ابن عباس.

﴿من شر ما خلق﴾ من الجن والإنس وسائر المخلوقات.

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أخرج الترمذي من حديث عائشة قالت: «نظر رسول الله ﷺ إلى القمر فقال: يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا، هو الغاسق إذا وقب»[٦].

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٠). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٢)، والسيوطي في الدر (٨/ ٦٨٨) وعزاه لابن جرير عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١)، وابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٧٥) كلاهما عن ابن عباس. وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٤)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٣).

(٣) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٩).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١) عن السدي، ولفظه: جب في جهنم. وذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٣).

(٥) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٠).

(٦) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٢ ح٣٣٦٦).

قال ابن قتيبة[١]: يقال: "الغاسق": القمر إذا كُسف فَاسْوَدَّ. ومعنى "وقب": دخل في الكسوف.

وقال ابن زيد: يعني: الثريا إذا سقطت. قال: وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها، وترتفع عند طلوعها[٢].

وقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعامة المفسرين واللغويين: "الغسق": الليل[٣]. ومعنى "وقب": دخل في كل شيء فأظلم[٤].

قال الزجاج[٥]: "الغاسق": البارد، فقيل للّيل غاسق؛ لأنه أبرد من النهار.

وقوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ وقرأتُ على شيخنا أبي البقاء للكسائي من رواية ابن أبي سريج عنه: "النافثات" بتقدم الألف على الفاء[٦]، وهنّ اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها بريقهن.

وقال بعض المفسرين: المراد بهن: بنات لبيد بن الأعصم، سحرن رسول الله ﷺ[٧].

---

(١) تفسير غريب القرآن (ص:٥٤٣).

(٢) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/ ١٢١٩ ح٦٩٤١). وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٨٩) وعزاه لابن جرير وأبي الشيخ.

(٣) أخرجه مجاهد (ص:٧٩٦).

(٤) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥١). وذكره الماوردي (٦/ ٣٧٥)، وابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٤).

(٥) معاني الزجاج (٥/ ٣٧٩).

(٦) النشر (٢/ ٤٠٤)، وإتحاف فضلاء البشر (ص:٤٤٥).

(٧) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٥).

والمعنى: استعذ بالله من شر سحرهن.

﴿ومن شر حاسد إذا حاسد﴾ وقد ذكرنا الحسد وما جاء فيه وفي ذمّه في سورة البقرة.

قال صاحب الكشاف[1]: إن قلت: قوله: ﴿من شر ما خلق﴾ تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة [بعده] من الغاسق والنفاثات والحاسد؟

قلتُ: قد خصّ شر هؤلاء من كل شر؛ لخفاء أمره، وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به.

فإن قلت: لم عَرَّف بعض المستعاذ منه ونكَّر بعضه؟

قلتُ: عرّف "النفاثات"؛ لأن كل نفاثة شريرة، ونكّر "غاسق"؛ لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر، إنما يكون في بعض دون بعض، وكذلك كل حاسد لا يضر. ورب حسد محمود، وهو الحسد في الخيرات. ومنه قوله عليه السلام: «لا حسد إلا في اثنتين»[2].

وقال:

.... إن العُلَى حَسَنٌ في مِثْلِها الحَسَد[3]

وبالإسناد السابق قال أبو بكر السني: أخبرنا أبو عبد الرحمن -يعني: النسائي-، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث بن سعد، عن يزيد بن أبي حبيب،

---

(١) الكشاف (٤/ ٨٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٣٩ ح٧٣)، ومسلم (١/ ٥٥٨ ح٨١٥).

(٣) عجز بيت لأبي تمام الطائي، وصدره: (واعذر حسودك فيما قد خصصت به). وهو في: الكشاف (٤/ ٨٢٧)، والبحر المحيط (٨/ ٥٣٤).

عن أبي عمران أسلم، عن عقبة بن عامر قال: «تبعتُ رسول الله ﷺ وهو راكب، فوضعت يدي على قدمه فقلت: أقرئني سورة هود وسورة يوسف، فقال: لن تقرأ شيئاً أبلغ عند الله عز وجل من ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾»(١).

(١) أخرجه النسائي في الصغرى (٨/ ٢٥٤ ح٥٤٣٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٥-٣٢٦).

سورة الناس



وهي ست آيات[1].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

قال الله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ قال أهل المعاني: لما كانت الاستعاذة من شر الموسوس في صدور الناس اقتطعهم من بين سائر الخلق، بإضافة الرب إليهم، تحقيقاً لمعنى استحقاق الاستعاذة به، وتنبيهاً لهم على الالتجاء إليه، والخضوع بين يديه؛ لأنه ربهم ومالكهم الذي يقدر على دفع ما يضرهم عنهم.

و﴿ملك الناس﴾ عطف بيان، لأنه قد يقال لغيره رَبٌّ.

و﴿إله الناس﴾ زيادة في البيان أيضاً، لأنه قد يقال لغيره جل وعلا رَبٌّ مَلِكٌ. وأما الإله فهو الذي لا يشارَك فيه.

﴿من شر الوسواس الخناس﴾ وهو الشيطان.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الشيطانُ جاثمٌ على قلب ابن

(١) انظر: البيان في عدّ آي القرآن (ص:٢٩٨).

آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس»[١].

والخُنُوس: التأخر في خِفْيَة.

قوله تعالى: ﴿الذي يوسوس﴾ جائز أن يكون في محل الجر صفة لـ"الوسواس". وجائز أن يكون في محل النصب والرفع على الذم[٢].

وفي توجيه الآية أقوال:

أحدها: أن "مِنْ" يتعلق بـ"يُوَسْوِسُ"، ومعناه: ابتداء الغاية، على معنى: يوسوس في صدور الناس من جهة الجن ومن جهة الناس.

قال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن[٣].

وقال ابن جريج: وَسْوَاسُ الإنس: وَسْوَسَةُ النَّفْس[٤].

القول الثاني: أن قوله: ﴿من الجنة والناس﴾ بيان لـ"الناس"، فإن الجن يسمون ناساً كما يسمون نفراً ورجالاً في قوله: ﴿استمع نفر من الجن﴾ [الجن:١]، وقوله: ﴿يعوذون برجال من الجن﴾ [الجن:٦]. قاله الفراء[٥].

الثالث: أن قوله: "من الجنة" بيان لـ"الوسواس"، أي: الوسواس الذي هو

---

(١) أخرجه الطبري (٣٠/ ٣٥٥)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٣٥ ح٣٤٧٧٤) كلاهما موقوفاً عن ابن عباس. وذكره السيوطي في الدر (٨/ ٦٩٤) وعزاه لابن أبي شيبة وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس.

(٢) انظر: الدر المصون (٦/ ٥٩٣).

(٣) ذكره الماوردي (٦/ ٣٧٩).

(٤) مثل السابق.

(٥) معاني الفراء (٣/ ٣٠٢).

من الجِنَّة. وقوله: "والناس" معطوف على "الوسواس". المعنى: من شر الوسواس ومن شر الناس. وهذا اختيار الزجاج.

قال[١]: وهذا المعنى عليه أمر الدعاء، أنه يستعاذ من شر الجن والإنس، ودليل ذلك: ﴿من شر ما خلق﴾ [الفلق:٢].

الرابع: أن الكلام تم عند قوله: "الخناس"، وما بعده استئناف مضمونه البيان، بأن الموسوس من هذين النوعين؛ الجن والإنس، وتقريره ما ذكرناه في القول الثاني.

وبالإسناد السالف قال أبو بكر السني: حدثنا أحمد بن محمد بن عبيد بن العاص، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا ابن جابر، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن عقبة بن عامر الجهني قال: «بينما أنا أقود برسول الله ﷺ إذ قال لي: يا عقبة! ألا أعلمك من خير سورتين قرأ بهما الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، فقرأ عليّ "قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس"، قال: فلما أقيمت الصلاة -صلاة الصبح- قرأ بهما رسول الله ﷺ، ثم مرّ بي فقال: كيف رأيت [يا عقبة][٢]؟ اقرأ بهما كلما نمت وقُمت»[٣].

وبه قال أبو بكر: أخبرنا أبو عبدالرحمن، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا المفضل بن فضالة، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها «أن

(١) ابن الجوزي في زاد المسير (٩/ ٢٧٩).

(٢) في الأصل: أبا عقبة. والتصويب من ب، ومصادر التخريج.

(٣) أخرجه النسائي (٨/ ٢٥٣ ح٥٤٣٧)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٥٤-٣٥٥).

النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم قرأ[(١)] فيهما: "قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس" ثم مسح[(٢)] بهما ما استطاع من جسده، يمر بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات»[(٣)].

وبالإسناد قال الحافظ أبو بكر السني: أخبرنا أبو عبدالرحمن -يعني: النسائي-، أخبرنا عمرو بن علي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثني أَسِيد بن أبي أسيد[(٤)]، عن معاذ بن عبد الله بن[(٥)] خبيب[(٦)]، عن أبيه[(٧)] قال: «أصابنا عَطَشٌ وظُلْمَةٌ، فانتظرنا رسول الله ﷺ ليصلي بنا، ثم ذكر كلاماً معناه، فخرج فقال: قل؟ قلت: ما أقول؟ قال: قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً يكفيك كل شيء»[(٨)].

---

(١) في ب: يقرأ.

(٢) في ب: يمسح.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٩١٦ ح٤٧٢٩)، والنسائي (٦/ ١٩٧ ح١٠٦٢٤)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص:٣٢٦).

(٤) أسيد بن أبي أسيد يزيد البراد، أبو سعيد المديني، كان قليل الحديث، توفي في أول خلافة المنصور (تهذيب التهذيب ١/ ٣٠٠، والتقريب ص:١١١).

(٥) في الأصل زيادة قوله: أبي. وانظر ترجمته في: التقريب (ص:٥٣٦)، وتهذيب الكمال (٢٨/ ١٢٥).

(٦) معاذ بن عبد الله بن خبيب الجهني المدني، ثقة صدوق ربما وهم، مات سنة ثماني عشرة ومائة (تهذيب التهذيب ١٠/ ١٧٣، والتقريب ص:٥٣٦).

(٧) عبد الله بن خبيب الجهني المدني، حليف الأنصار، مدني له صحبة (تهذيب التهذيب ١٢/ ٣٩٥، والتقريب ص:٣٠١).

(٨) أخرجه النسائي (٤/ ٤٤٢ ح٧٨٦٠).

=

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين[١].

= وفي هامش ب: عن شداد بن أوس رفعه: ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكل الله به ملكاً، فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يهب متى هبّ...

(١) جاء في آخر نسخة الأصل: وافق الفراغ منه رابع عشر شعبان المكرم سنة أربع وستين وسبعمائة، أحسن الله تعالى خاتمتها آمين يا رب العالمين.

وكتبه أفقر عباد الله إليه محمد بن يحيى المقدسي الحنبلي، عفا الله تعالى عنه، بمنه وكرمه إنه على كل شيء قدير، وغفر لمن كتب منه أو طالع فيه، ودعا له بالرحمة واستغفر له آمين.

وجاء في آخر نسخة ب: نجز الكتاب والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً كما يحب ربنا وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله.

وكان الفراغ منه على يد الفقير إلى الله تعالى: أحمد بن محمد بن سليمان الشيرجي الحنبلي البغدادي، تجاوز الله عن سيئاته، وغفر له موبقات ذلاته، في ثاني عشرين رجب الحرام من سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة الهلالية. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وما من كاتب إلا سيبلى ... ويبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء ... يسرّك في القيامة أن تراه

وفي هامشها: بلغ مقابلة وتصحيحاً بأصله المنقول منه، وهي نسخة عليها خط المصنف، فصحّ بحسب الإمكان. وفي طرة النسخة مكتوب: فرغ من تصنيفه في عشرين رمضان من سنة خمس وثلاثين وستمائة.

فهرس المحتويات